جـــــامعة الجزائر

كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة

قسم علم النّفس وعلوم التّربيّة و الأرطفونيا

الصّدمة النّفسيّة ونوعيّة السّير النّفسي
عند مراهقين ضحايا فيضانات باب الوادي 2001

دراسة عياديّة لـ 17 حالة

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في علم النّفس العيادي

من إعداد الطالبة:
الأستاذة
دريوش عائشة سميّة

تحت إشراف
حدّادي دليلة

السّنة الجامعيّة 2007

كـــلمة شكـــر

أتوجّه بخالص شكري، امتناني وتقديري إلى الأستاذة دليلة حدّادي على حرصها الكبير على توجيهي، نصحي وتشجيعي لمواصلة البحث.

كما أتوجّه بالشّكر الجزيل والعرفان إلى كلّ الذين ساندوني، شجّعوني وقدّموا لي كلّ الدّعم و المساعدة لإنجاز هذا البحث والوصول إلى مبتغاي وأخصّ بالذكر، والديّ الكريمين وإخوتي، وصديقاتي نادية، فضيلة، دليلة وجوهر على وجه الخصوص وأشكرها على حضورها الدّائم ومساندتها لي باستمرار، وأستسمحها على ما حمّلتها من عبء قراءة المذكّرة ومراجعتها.

كما لا يفوتني أن أشكر كلّ المراهقين والمراهقات الذين قبلوا المشاركة في هذا البحث ولم يتردّدوا في مساعدتي لإنجازه، دون أن أنسى رؤساء المؤسّسات التّعليميّة التي أجريت فيها التّطبيق والذين وضعوا تحت تصرّفي كلّ ما احتجت إليه.

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي،

إلى أمّــي وأبــي

إلى أخويّ وأختي

إلى ليلى

إلى صديقاتي جوهر، نادية، فضيلة، دليلة، حنان وليندة

وإلى كلّ من أحبّهم.

الفهرس

مقدّمة..... 02

الباب الأوّل : الجانب النّظري..... 07

الفصل الأوّل: السّير النّفسي..... 08

تمهيد..... 09

1- وجهة نظر موقعية..... 09
2- وجهة نظر ديناميكية و مفهوم الصّراع..... 12
3- وجهة نظر اقتصادية..... 13
4- آليات الدّفاع..... 14
4-1- الكبت..... 16
4-2- الرّفض..... 17
4-3- الانشطار 18
4-4- الانكار 18
4-5- الإسقاط..... 19
4-6- النّكوص 19
خلاصة..... 21

الفصل الثاني: المراهقة..... 22

تمهيد..... 23
1- تعريف المراهقة..... 23
2- خصائص المراهقة..... 26
3- ديناميكية وخاصيّة النّشاط النّفسي في مرحلة المراهقة..... 28
3-1- انعكاسات تغيّرات البلوغ على الاقتصاد النّفسي..... 29
3-2- انعكاسات تغيّرات البلوغ على الدّيناميكية النّفسية..... 30
3-2-1- إعادة تنشيط الصّراع الأوديبي..... 30
3-2-2- الانفصال وعمل الحداد..... 31
4- آليات الدّفاع عند المراهق..... 32
4-1- الزّهد..... 33
4-2- العقلنة..... 33
4-3- التّسامي..... 34
5- نهاية المراهقة وإعادة تنظيم الشّخصية..... 35
6- المراهق والبيئة الاجتماعية..... 36

خلاصة..... 38

الفصل الثالث: الصّدمة النّفسية والسّير النّفسي عند المراهق..... 39

تمهيد..... 40
1- مفهوم الصّدمة النّفسية..... 40
2- التّناول التّحليلي للصّدمة النّفسية..... 42
2-1- التصوّر الفرويدي للصّدمة النّفسية..... 42
2-1-1-الإغواء 42
2-1-2- المفهوم الاقتصادي للصّدمة..... 43
2-1-3- فقدان الموضوع 46
2-2- الصّدمة النّفسية عند معاصري فرويد 48
3- الصّدمة النّفسية في الأدب النّفسي المعاصر..... 50
4- البعدية وزمن تكوين الصّدمة النّفسية..... 50
5- الفرد والحدث الصّدمي 52
6- الصّدمة النّفسية و الجروحية النّفسية (La vulnérabilité psychique)..... 55
7- الحدث الصّدمي وأثره على السّير النّفسي..... 58
8- العواقب الإكلينيكية للصّدمة النّفسية 62
8-1- المرحلة المباشرة..... 63
8-1-1- استجابة الضّغط العادي المتكيّف..... 64
8-1-2- استجابة الضّغط غير المتكيّف (المتجاوز)..... 64
8-2- المرحلة بعد المباشرة..... 66
8-3- المرحلة المزمنة..... 66
8-1-3- تناذر التّكرار..... 69
8-2-3- الأعراض غير النّوعية..... 70
8-3-3- تحوّل الشّخصية..... 70
8-4- الأشكال التطوّريّة والعوامل المهيأة للعواقب المزمنة 72
9- الصّدمة النّفسية عند المراهق..... 74
10- الحدث الصّدمي و الحداد..... 79
خلاصة..... 82

إشكالية وفرضيات البحث..... 85

الباب الثاني : الجانب التّطبيقي 90

الفصل الرّابع : منهجية البحث 91

1- تحديد المنهج المستعمل في البحث 93
2- مكان إجراء البحث 93
3- مجموعة البحث 94
3-1- معايير انتقاء مجموعة البحث 94
3-2- وصف مجموعة البحث 94
4- ظروف وخطوات إجراء البحث 99
5- أدوات البحث 100
5-1- اختبار الرّورشاخ 102
5-1-1- تعريف ووصف الاختبار 102
5-1-2- كيفية تطبيق الاختبار 102
5-2- اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T) 105
5-2-1- وصف الاختبار 105
5-2-2- سياق الاختبار 106
5-2-3- كيفية تطبيق الاختبار 109
5-3- المقابلة العيادية 111
5-3-1- دليل المقابلة العياديّة 112
5-3-2- كيفية إجراء المقابلة العياديّة 117
خلاصة 119

الفصل الخامس: عرض وتحليل نتائج اختبار الرّورشاخ 122

1- خطوات معالجة وتحليل معطيات بروتوكولات الرّورشاخ 122
1-1- تنقيط الأجوبة 122
1-2- التّحليل الكمّي لمعطيات البروتوكول 123
1-3- التّحليل الكيفي لمعطيات البروتوكول 127
1-3-1- كيفيّة دراسة وتحليل عناصر الدّيناميكيّة العاطفية 128
1-3-1-1- نمط الصّدى الدّاخلي(Type de résonance intime) 128
1-3-1-2- نسبة الإجابات في اللّوحات الملوّنة على مجموع الإجابات (RC %) ... 130
1-3-1-3- المعادلة المكمّلة (Formule complémentaire) 130
1-3-1-4- المعاش الانفعالي والعاطفي 130
1-3-1-5- الدّيناميكيّة الدّفاعية 135

1-4- تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعيّة سيرهم النّفسي..... 137
1-4-1- كيفيّة تحديد نوعية السّير النّفسي عبر اختبار الرّورشاخ..... 137

2- عرض النّتائج..... 139
2-1- الإنتاج الإسقاطي..... 139
2-1-1- عدد الإجابات R)..... 140
2-1-2- الرّفض..... 141
2-1-3- اللّوحات المرفوضة..... 142
2-2- موقع الإجابات..... 143
2-2-1- الإجابات الكليّة (G)..... 143
2-2-2- الإجابات الجزئية D)..... 145
2-3- محدّدات الإجابات..... 145
2-3-1- المحدّدات الشّكلية(F)..... 146
2-3-2- المحدّدات الحركيّة (K) 147
2-3-2-1- المحدّدات الحركيّة الإنسانيّة (K) 148
2-3-2-2- المحدّدات الحركيّة الحيوانية (kan) 148
2-3-3- المحدّدات اللّونية (C)..... 149
2-3-4- المحدّدات اللّونية الأخرى..... 151
2-4- محتوى الإجابات..... 152
2-4-1- المحتويات الإنسانيّة (H)..... 152
2-4-2- المحتويات الحيوانية(A)..... 153
2-4-3- المحتويات الأخرى..... 155

2-5- عرض نتائج التّحليل الكمّي والكيفي لعناصر الدّيناميكيّة العاطفيّة..... 156
2-5-1- نمط الصّدى الدّاخلي (T.R.I)..... 156
2-5-2- نسبة الإجابات في اللّوحات الملوّنة على مجموع الإجابات (RC %)..... 157
2-5-3- المعادلة المكمّلة (Formule complémentaire)..... 159
2-5-4- المعاش الانفعالي والعاطفي..... 159
2-5-4-1- العدوانية..... 160
2-5-4-2- الاكتئاب..... 162
2-5-4-3- القلق..... 162
2-5-5- الآليات الدّفاعية..... 164
2-5-5-1- دفاعات السّجل الهجاسي..... 165
2-5-5-2- دفاعات سجل التكيّف الأدنى، التّقليص والكفّ 165
2-5-5-3- دفاعات السّجل الصّلب 166
2-5-5-4- دفاعات السّجل المرن..... 167
2-6- العوامل الإضافيّة..... 167

2-6-1- نسبة الإجابات المبتذلة (Ban %) 168
2-6-2- الصّدمات..... 168
2-6-3- اختبار اختيار اللّوحات..... 170

3- تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعية السّير النّفسي..... 172
خلاصة..... 173

الفصل السّادس: عرض وتحليل نتائج اختبار تفهّم الموضوع 178
1- خطوات معالجة وتحليل معطيات بروتوكولات اختبار تفهّم الموضوع..... 178
1-1- قراءة أوّليّة شاملة للبروتوكول..... 178
1-2- تحليل لوحة بلوحة..... 178
1-2-1- استخراج الأساليب الدّفاعيّة لكلّ لوحة..... 178
1-2-2- تحديد مقروئيّة كلّ لوحة..... 180
1-2-3- استخراج إشكاليّة كلّ لوحة 181
1-3- تحليل البروتوكول في شكله العام..... 181
1-3-1- تجميع السّياقات الدّفاعية على شبكة الفرز..... 181
1-3-2- استخراج المقروئيّة العامّة للبروتوكول..... 181
1-3-3- استخراج الإشكاليّة العامّة للبروتوكول..... 182
1-4- التّحليل الكيفي للمعاش العاطفي والانفعالي..... 182
1-5- تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعيّة السّير النّفسي..... 184
1-5-1- كيفيّة تحديد نوعيّة السّير النّفسي عبر اختبار تفهّم الموضوع..... 184

2- عرض النّتائج..... 187
2-1- الأساليب الدّفاعيّة المميّزة لكلّ البروتوكولات..... 188
2-1-1- أساليب سلسلة تجنّب الصّراع (C)..... 189
2-1-1-1- أساليب نسق الكفّ الخوافي (C/P)..... 191
2-1-1-2- أساليب نسق الكفّ السّلوكي (C/C)..... 192
2-1-1-3- أساليب نسق عناصر الواقع الخارجي، اليومي والفعلي (C/F)..... 193
2-1-1-4- أساليب نسق الكفّ النّرجسي (C/N)..... 193
2-1-1-5- أساليب نسق الكفّ الهجاسي (C/M)..... 194
2-1-2- أساليب سلسلة الصّلابة (A) 195
2-1-3- أساليب سلسلة العمليّات الأوّليّة (E) 196
2-1-4- أساليب سلسلة المرونة (B) 197
2-2- نتائج التّحليل الكيفي للمعاش العاطفي والانفعالي 198
2-2-1- العدوانية 199
2-2-2- الاكتئاب..... 205

2-2-3- القلق 214
3- تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعيّة السّير النّفسي..... 217
خلاصة..... 219

الفصل السّابع: عرض وتحليل معطيات المقابلات العياديّة 225
1- خطوات تحليل معطيات المقابلات العياديّة 225
1-1- كيفيّة تحليل وتصنيف معطيات المقابلات العياديّة..... 225
1-2- تقديم التّصنيفات الرّئيسيّة والثانوية لمحاور المقابلة العيادية ووصف بنودها... 226
1-3- كيفيّة تصنيف أفراد مجموعة البحث إلى مصدومين وغير مصدومين..... 232
1-4- الأعراضيّة النّفسيّة الصّدميّة المشتركة بين المصدومين..... 232
2- عرض نتائج تحليل معطيات المقابلات العيادية..... 233
2-1- المحور الأوّل: عوامل الاستعداد النّفسي..... 233
2-2- المحور الثاني: استجابات أفراد مجموعة البحث المباشرة وبعد المباشرة للفيضانات 236
2-2-1- الاستجابات المباشرة للفيضانات..... 236
2-2-1- الاستجابات بعد المباشرة للفيضانات..... 237
2-3- المحور الثالث: التّقييم العيادي للوضع النّفسي لأفراد مجموعة البحث بعد 15 شهرا من وقوع الفيضانات..... 243
2-3-1- تناذر التّكرار..... 243
2-3-2- أعراض غير نوعيّة..... 247
2-3-3- تحوّل الشّخصيّة..... 249
3- تصنيف أفراد مجموعة البحث إلى مصدومين وغير مصدومين 254
4- الأعراضيّة النّفسيّة الصّدميّة المشتركة بين المراهقين المصدومين..... 254
4-1- الأعراض النّوعيّة..... 254
4-2- الأعراض غير النّوعيّة..... 256
خلاصة..... 257

الفصل الثامن: مناقشة وتفسير النّتائج 263
1- مناقشة وتفسير نتائج اختبار الرّورشاخ 263
1-1- الإنتاج الإسقاطي 263
1-2- موقع الإجابات..... 265
1-3- محدّدات الإجابات..... 266
1-4- محتوى الإجابات 268
1-5- مناقشة نتائج التّحليل الكمّي والكيفي لعناصر الدّيناميكيّة العاطفيّة..... 270
1-6- العوامل الإضافية..... 275
1-7- تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعيّة السّير النّفسي..... 276

2- مناقشة وتفسير نتائج اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T)..... 277
2-2- تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعيّة السّير النّفسي..... 284
3- مناقشة وتفسير نتائج المقابلات العياديّة..... 284
4- ارتباط نوعيّة السّير النّفسي عبر اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع لدى أفراد مجموعة البحث بالوضع النّفسي بعد من وقوع الفيضانات..... 289
4-1- ارتباط نوعيّة السّير النّفسي في اختبار الرّورشاخ بالوضع النّفسي الحالي لدى المبحوثين..... 291
4-2- ارتباط نوعيّة السّير النّفسي في اختبار تفهّم الموضوع بالوضع النّفسي الحالي لدى المبحوثين 293
5- المناقشة العامّة..... 294
الفصل التّاسع: دراسة عياديّة لستّ (6) حالات من أفراد مجموعة البحث..... 301
- حالة أماني، 16 سنة، غير مصدومة وذات نوعيّة سير نفسي" سيّئة"..... 302
- حالة هاني، 17 سنة، غير مصدوم وذو نوعيّة سير نفسي "متوسّطة"..... 332
- حالة فلّة، 17 سنة، مصدومة وذات نوعيّة سير نفسي "سيّئة"..... 361
- حالة ياسمين، 20 سنة، مصدومة وذات نوعيّة سير نفسي "متوسّطة"..... 392
- حالة أمين، 21 سنة، مصدوم وذو نوعيّة سير نفسي "متوسّطة"..... 425
- حالة إيناس، 21 سنة، مصدومة وذات نوعيّة سير نفسي "سيّئة" 457
خاتمة..... 494
المراجع..... 500
الملاحق..... 515

مقدّمة

مقدمة:

عايش المجتمع الجزائري على مرّ السّنين أحداثا عنيفة وأليمة وظروفا سياسيّة واجتماعيّة قاسية، وتعرّض لوضعيات قصوى مولّدة للصّدمات نجمت عنها مشاكل اجتماعيّة ونفسيّة عديدة ومتنوّعة أثّرت على صيرورة الحياة العادية لأفراده، كحرب التّحرير مثلا وما تسبّبت فيه من تعذيب وإعدام لآلاف المواطنين، ونفي واغتصابات،أمّا انعكاساتها على مستوى الصّحة العقلية والنّفسيّة، فقد كانت بلا شك خطيرة نظرا لمدّة وشدّة الصّراع.

ومع مطلع التّسعينات، وجد المجتمع الجزائري نفسه مرّة ثانية في دوّامة العنف، الدّمار القتل وعدم الاستقرار،لكنّ العدوان هذه المرّة كان إرهابيّا أهليّا نجم عنه آلاف القتلى والجرحى من مختلف الشّرائح الاجتماعيّة والفئات العمرية، ممّا جعل الأطبّاء العقليين والأخصّائيين النّفسانيين العياديين يواجهون وبشكل مفاجئ حالات عديدة من الصّدمة النّفسيّة واللاّتعويضات الارتكاسيّة الحادّة منها والأقلّ حدّة، وقد دفعتهم تلك الوضعية الاستعجاليّة والحرجة إلى التدخّل الفوري والتكفّل النّفسي بالضّحايا راشدين كانوا أو أطفالا ومراهقين هؤلاء كانوا، حسب إحصائيات المؤسّسات العلاجيّة المتخصّصة ومراكزالإعانة النّفسيّة التي أنشئت تبعا لتأزّم الأوضاع الأمنية والصّحيّة، أكثر أفراد المجتمع معاناة وتضرّرا وحاجة للمساعدة والتكفّل النّفسيين ، حيث كان لابدّ لذلك العنف ولمشاهد الرّعب التي لا تقاس ولا تقدّر والتي عايشها هؤلاء أو شاهدها أو حُكي لهم عنها أن ينعكسا على صحّتهم العقليّة والنّفسيّة.

كما شكّلت تلك الوضعية التي ما انفكّت تتفاقم و تمتدّ في الزّمن موضوع دراسات سيكترية و نفسية كثيرة و بحوث أكاديميّة مختلفة تناولت جوانب متعدّدة من موضوع الصّدمة النّفسية و عواقبها الإكلينيكيّة الخطيرة و انعكاساتها على السّير النّفسي لأولئك الضّحايا من بينها دراسة م. أولد طالب (M.OULD TALEB, 1998,1999) ن. خالد(N. KHALED, 2000)، ع. زقور(A .ZAKOUR,2002)، ع. سي

موسي و ر.زقار(A.SIMOUSSI,R.ZEGGAR,2002) و م. بوخاف (M.BOUKHAF,2003) .

لكن ما فتئت الجزائر تضمد بعضا من الجراح التي خلّفها الإرهاب، حتّى فاجأتها صبيحة العاشر من نوفمبر لعام 2001، فيضانات قويّة خلّفت مئات القتلى والجرحى والمفقودين وآلاف المنكوبين، ودمّرت أحياء ومنشآت برمّتها، كان ذلك شأن منطقة باب الوادي التي اعتبرت من أكثر مناطق العاصمة تضرّرا.

أمّا على المستوى النّفسي، فلا شكّ أنّها قد تسبّبت في اضطرابات سلوكيّة وصدمات نفسيّة تفاوتت في شدّتها وعواقبها من فرد لآخر شاهدا كان، أو ضحيّة ناج أو مصاب،أو فاقدا أحدا من أفراد عائلته.

تثير مثل هذه الأحداث الاستثنائية والعنيفة وبخاصّة إذا حدثت بشكل مفاجئ،حسب المنظور التّحليلي، سياقات نفسيّة داخليّة وتغمر شدّتها صاد-الإثارات مسبّبة في تحطيم دفاعات الأنا فينجم عن ذلك جرح نفسي قد لا يعوّض يظهر على شكل اضطرابات نفسيّة أو صدمات متفاوتة الشدّة والخطورة قد تعيق الفرد إمّا بصفة ظرفيّة أو دائمة عن القيام بوظائفه الحيويّة وتربك نموّه " العادي" في حال ما إذا عجز عن مواجهة استثاراتها العنيفة أوالأضرارالتي أحدثتها، واحتواءها عن طريق توظيف وسائل دفاعيّة مألوفة وسويّة تضمن له التكيّف واسترجاع الاستقرار والتّوازن النّفسيين بعدما اختلاّ وتشوّشا.

اهتمّ عديد من الباحثين من العالم مختصّين نفسانيين أو أطبّاء عقليين منذ مطلع الثّمانينات بموضوع الصّدمة النّفسية عند الطّفل والمراهق،وازداد فضولهم في السّنوات الأخيرة التي شهدت تعاقب الحروب،الاعتداءات والكوارث العظمى الصّناعيّة منها والطّبيعيّة لمعرفة انعكاساتها على نموّهما العقلي والنّفسي، وقد كشفت نتائج دراساتهم العياديّة العديدة عن وجود اضطرابات متنوّعة تظهرعلى عدّة مستويات:جسميّة،نفسيّة،فكريّة،انفعاليّة واجتماعيّة.

كما ساهمت بحوثهم و دراساتهم الوفيرة في تطويرمعرفة عواقبها النّفسيّة المرضيّة حيث صنّف بعضهم مثل ل. ك. تير و م. ف. باكي (L.C.TERR,

M.F.BACQUE,1991) ل. بايلي (L.BAILLY,1996)، د. دونابيديان(D.DONABEDIAN,1997)، م. ڤراب (M.GRAPPE,2001) تشكيلات إكلينيكيّة واسعة تفاوتت في شدّتها وخطورتها ودرجة إزمانها، بدءا من الحالات الهيّنة أو الحميدة قليلة الأعراض والتي تختفي بعد أسابيع من وقوع الحدث الصّدمي، وصولا إلى تلك التي تضمّ أعراضيّة نفسيّة صدميّة غنيّة تنتظم بعد زمن كمون غير ثابت على شكل عصاب صدمي أو تناذر نفسي صدمي بشكل أعمّ بلائحته العياديّة المميّزة التي تضمّ أعراض تناذر التّكرار وتحوّل الشخصيّة ، إضافة إلى أعراض غير نوعيّة، وبانعكاساته على الحياة اليوميّة بصفة عامّة والشّخصيّة بصفة خاصّة.

ولطالما تأثّر هؤلاء الباحثين منذ وصفهم لتلك اللّوائح العياديّة المختلفة، بالطّريقة التي أرهقت بها تلك الحوادث الاستثنائيّة الضّحيّة وجهازها النّفسي، أي بالسّياق الهجومي الذي يؤدّي إلى توظيف دفاعات متنوّعة، وإلى تغيّرات في الشّخصيّة، وقد أوضحوا أنّ كفاءة الفرد عموما والمراهق خصوصا (كونه في مرحلة نموّ مصيريّة وحرجة وإعادة تنظيم نفسي يؤدّي به إلى تحقيق هويّة جنسيّة واضحة ، ونضج عاطفي ، وتوازن في الشّخصيّة) في مواجهتها وإرصان إثاراتها القويّة، ترتبط ارتباطا وثيقا بنوعيّة دفاعات جهازه النّفسي التي تختلف تبعا لقوّة الأنا،وبماضيه الشّخصي وبعوامل خارجيّة مرتبطة بظروف المحيط الاجتماعي والأسري، فلنوعيّة السّند الذي يمكن أن يجده في هذين المحيطين دور كبير في التّخفيف من وقع الحدث الصّدمي وتجاوز الصّدمة النّفسيّة.

وبهدف تعميق معرفتنا في ميدان علم النّفس المرضي للمراهق بشكل عام، وفي دراسة أثر السّياق الهجومي للأحداث الصّدمية على السّير النّفسي للمراهق الجزائري بشكل خاص ارتأينا أن نتناول بالدّراسة معاش تلك الفيضانات القويّة والمفاجئة التي ضربت منطقة باب الوادي عند أفراد مراهقين متمدرسين ضحايا ناجين كانوا،أو شهودا أو مشاركين في عمليات إنقاذ،أو فاقدي أحدا من أفراد عائلتهم ، ووقعها على سيرهم النّفسي، ومدى ارتباط نوعيته عند كلّ فرد منهم بوضعيّته النّفسيّة الحاليّة، أي بعد مرور 15 شهرا على وقوع الكارثة الطّبيعيّة.

ولتحقيق هذه الدّراسة، اعتمدنا على المنهج العيادي الذي يهتمّ بالفرد الواحد ويدرس سلوكه بشكل معمّق، ويكشف عن طرق تفاعله وصراعاته في وضعية معيّنة وقد استعنّا بثلاث أدوات بحث أساسيّة هي: المقابلة العياديّة نصف الموجّهة التي تمكّننا من التعرّف على استجابات المبحوثين وردود فعلهم المباشرة وبعد المباشرة تّجاه الفيضانات وعلى مدى قدرتهم على تجاوزها والقيام بعمل حداد، أو ربّما العكس، فشلهم وعجزهم عن ذلك ما يؤدّي إلى استمرار تأثيرها وتثبيتها داخل نفسيتهم ، حيث يظهر ذلك التّثبيت من خلال أعراضية نفسية صدمية تنتمي إلى اللاّئحة العياديّة للتّناذرات النّفسيّة الصّدمية، إضافة إلى اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع (T.A.T) اللّذان يعتبران من أنجع الاختبارات الإسقاطيّة التي تستعمل لدراسة وفهم ديناميكيّة الشّخصيّة وتقييم نوعيّة سيرها النّفسي وبهذا فهما يمكّنانا من التعرّف على نوعية الواقع الدّاخلي للمراهق بما فيه من انفعالات مخاوف، صراعات نفسيّة وآثار ذكرويّة ارتبطت بتجارب سابقة قد يكون بعضها مكدّرا ومزعجا بل وربّما صدميّا ضاغطا يقود الأنا إلى تفريغها وتكرارها بغية التحكّم فيها من جهة، وعلى علاقته بواقعه الخارجي من جهة أخرى،وكيفيّة مواجهته لهما وإرصان صراعاتهما من خلال تجنيد أنماط دفاعيّة تكشف عن مدى قدرته على الرّبط بين الدّاخل والخارج، بين البنيات اللاّشعورية والشّعورية.

تمّ تناول هذا الموضوع من جانبين: نظري وتطبيقي.

ضمّ الجانب النّظري للبحث ثلاثة فصول، حيث خصّصنا الفصل الأوّل منه لمفهوم السّير النّفسي وهيئاته، وأهمّ المبادئ التي تحكمه والآليات الدّفاعيّة التي تسيّره، أمّا الفصل الثاني فقد تطرّقنا فيه إلى تعريف المراهقة وفق المنظور التّحليلي، خصائصها وأهمّ الآليات الدّفاعيّة الخاصّة بهذه المرحلة العمرية، إلى جانب دور المحيط الخارجي والبيئة الاجتماعيّة للمراهق في إنجاح أو عرقلة وظيفته التطوّريّة وفي مساعدته على مواجهة الصّعاب والتّجارب القاسية وتجاوزها.

أمّا الفصل الثالث والأخير، فقد تناولنا فيه موضوع الصّدمة النّفسية وأثرها على السّير النّفسي عند الفرد عموما ثمّ بعد ذلك عند المراهق، حيث استعرضنا في بدايته وبشكل من

التّفصيل مفهوم الصّدمة النّفسيّة من وجهة نظر التّحليل النّفسي دائما و زمن تكوينها، ثمّ تطرّقنا إلى مفهوم الحدث الصّدمي وعواقبه الإكلينيكية وكذا، العوامل المهيّأة للعواقب المزمنة ، وإلى مظاهر الصّدمة النّفسية عند المراهق وانعكاساتها على سيره النّفسي.

بعد شرح وتوضيح المصطلحات الرّئيسيّة التي تأسّس عليها البحث، قمنا بطرح الإشكالية وصياغة الفرضيات.

أمّا الجانب التطبيقي، فقد تضمّن ستّة فصول، حيث خصّصنا أولى فصوله لعرض المنهجية المعتمدة لتناول موضوع الدّراسة، ثمّ وصف مجموعة البحث والأدوات المستعملة والتّعريف بظروف وكيفية إنجاز التّحقيق؛ بينما خصّصنا الفصول الأربعة الموالية له، أي الخامس السّادس والسّابع لعرض وتحليل نتائج اختبار الرّورشاخ، ثمّ تفهّم الموضوع،ثمّ معطيات المقابلات العياديّة،أمّا الفصل الثامن، فتعرّضنا فيه لمناقشة وتفسير النّتائج المتحصّل عليها من تطبيق الأدوات سابقة الذكر والرّبط فيما بينها، تلتها مناقشة عامّة لها للإجابة على فرضيات البحث والتحقّق من صحّتها أو نفيها.

أمّا عن الفصل التّاسع والأخير من هذا البحث، فقد ضمّ دراسة عياديّة مفصّلة وتوضيحيّة لكلّ فرد من الأفراد السّتة المختارين حسب طبيعة أو نتيجة تعرّضهم للفيضانات، وحسب ما كانوا مصدومين أو غير مصدومين.

وفي خاتمة الدّراسة، وقفنا على أهمّ النّتائج التي توصّلنا إليها، وقدّمنا اقتراحات بشأن مسالك وفرضيات جديدة للبحث في مجال الصّدمة النّفسية عند المراهق.

الباب الأوّل: الجانب النّظري

الفصل الأوّل: السّير النّفسي

الفصل الأوّل: السّير النّفسي

تمهيد:

ترجعنا دراسة السّير النّفسي في التّحليل النّفسي بالضّرورة إلى المصادرالفرويدية والمفاهيم الأساسية التي وضعها فرويد محدّدا استعمال هذا المفهوم بما وراء علم النّفس الذي قدّم فيه نموذجا بنيويّا خياليّا لجهاز نفسي.

يعطي فرويد في كتابه "تأويل الأحلام" الذي صدر عام 1900،تعريفا للجهاز النّفسي مقارنة بالأجهزة البصرية وهو يحاول بذلك،كما جاء على لسان ج.لابلانش وج.ب.بونتاليس (1985):"...أن يجعل تعقيد النّشاط النّفسي مفهوما من خلال تقسيم هذا النّشاط إلى وظائف ومن خلال إلحاق كلّ وظيفة خاصّة بجزء من الأجزاء المكوّنة للجهاز"(ص.224).

فمن الضّروري إذا استعادة المعطيات الأساسية لأعمال فرويد الخاصّة بالجهاز النّفسي وبالموقعيّات المختلفة لشرح وتفسير السّير النّفسي.

1- وجهة نظر موقعية:

جاء فرويد بأوّل مفهوم موقعي يفترض تمايز الجهاز النفسي إلى عدد من الأنظمة تتصّف بوظائف مختلفة وتتوزّع تبعا لنظام خاصّ بالنّسبة لبعضها البعض الآخر، ولكلّ نظام أسلوب خاصّ به ومبادئ تحكمه يعمل من خلالها على معالجة الحوادث والإحساسات التي يتعرّض لها.

تظهر في هذا الإطار موقعيّتان متعاقبتان في الزّمن على ضوء تطوّر البناء النّظري الفرويدي ، حيث تميّز **الموقعية الأولى** بين ثلاثة أنظمة:اللاّشعور، ما قبل الشّعور والشّعور، لكلّ منها محتويات خاصّة ، طاقة توظيف ووظيفة محدّدة ، و يتم الانتقال من نظام لآخر بفضل"رقابات" تضبط العبور.

يتكوّن **اللاّشعور**، كما وصفه أ. نانبرغ (N.NUNBERG, 1975) من محتويات مكبوتة من ميول، نزوات، تصوّرات المواضيع أوالأشياء ، وجدانات ومواضيع مرتبطة بها هوامات منعت من العبور إلى نظام ما قبل الشّعور- الشّعور بفعل الكبت.

تحكم هذه المحتويات أواليات خاصّة بالسّياقات الأوّلية كالإزاحة والتّكثيف والتّرميز،وهي أواليات تحوّلية تسمح بتقنيع شحنة تصوّر- عاطفة حتّى لا يمكن التعرّف عليها ويمكن لها بالتّالي ، العبور إلى الحيّز الشّعوري.

يظهر التّمييز بين الأركان في فرق طاقة الاستثمار، فطاقة اللاّشعورتوظّف في استثمار بعض التّصوّرات و سحب التّوظيف منها، سامحة بذلك الانتقال من تصوّرلآخر.

تبقى المادّة اللاّشعورية نشطة وتسعى إلى التّعبير عن محتوياتها تلك و تفريغها ، فتجد في الأحلام ، زلاّت اللّسان ، الهفوات وكذا التّقنيات الإسقاطية منفذا لها.

أمّا **ما قبل الشّعور**، فهو الوسيط بين السلوكيات،الأعراض الجسدية والأفكار، ويمثّل مكان الالتقاءات الوظيفية المختلفة المتكوّنة أوالتي تتكوّن أثناء نموّالفرد، وهو أيضا خزّان تشرف محتوياته تقريبا على ملامسة الشّعور.

يرى ب. مارتي (P.MARTY, 1990) أنّ ما قبل الشعور نظام أساسي في الجهازالنّفسي تتوقف نوعيته على عناصر رئيسية ثلاثة :

- **كثافته**، التي تتميّز بامتداد شبكة التّصوّرات، بعدد فروعها وبتنوّع الرّوابط بين التّصوّرات؛
- **سلاسته**، التي تضمن انتقال التّصوّرات داخل تلك الشبكة؛
- **واستمرارية نشاطه** والتي تعني توفّر التّصوّرات في كلّ الأوقات.

تحكم ما قبل الشّعور العمليات الثّانوية، وتكون الطّاقة النّفسية على مستواه مربوطة باعتبارها مسيّرة وفقا لمبدأ الواقع، لكن تبقى بعض محتوياته خاضعة للعمليات الأوّلية وتحت سلطة مبدأ اللّذة.

يخضع المرور من ما قبل الشّعور إلى الشّعور،إلى رقابة أخرى مختلفة عن الأولى(بين اللاّشعوروقبل الشّعور) وذات وظيفة اختيار أساسية تجنّب بذلك ظهور تصوّرات مزعجة ومُربكة في الشّعور(M.F.BACQUE, 1992).

آخر نظام في الموقعية الأولى ، هو **الشّعور** الذي يضطلع بوظائف نظام الإدراك/الشّعور وهو معطى التّجربة الفردية.

يتضمّن الجهاز الإدراكي النّفسي كما وصفه فرويد في مقاله "ما وراء مبدأ اللّذة" عام 1920 طبقتين:الأولى خارجية ، صادّة للإثارة ،غايتها تخفيض عِظم الإثارات الآتية من الخارج. أمّا الثّانية، فتتمثّل في نظام ما قبل الشّعور- الشّعور الذي يقع خلف الأولى مشكّلا السّطح المستقبل للإثارات الدّاخلية.

هكذا إذا، يتلقّى الشّعور معلومات من العالم الخارجي و أخرى من الدّاخل وهي الأحاسيس التي تندرج في فئة الانزعاج- اللّذة وكذلك انبعاث الذّكريات.

أنشأ فرويد ابتداء من سنة 1920 تصوّرا آخر للسّير النّفسي أسماه **الموقعية الثّانية** نسبة إلى سابقتها،حيث ميّز هذه المرّة بين ثلاث هيئات هي : الهو، الأنا و الأنا الأعلى.

يكوّن **الهو** قطب الشخصية النّزوي و تكون محتوياته التي تشكّل التعبير النّفسي للنّزوات لاشعورية وهي وراثية فطرية في جزء منها ومكبوتة مكتسبة في الجزء الآخر.

إنّه، بالنّسبة لفرويد ، المستودع الأوّل للطّاقة من وجهة نظر اقتصادية ، كما يدخل على المستوى الدّيناميكي في صراع مع الأنا والأنا الأعلى المنبثقان عنه من النّاحية التّكوينية.

يسيّرالهو، كما أشار إليه د.لاقاش (D.LAGACHE, 1966) وفق أسلوب العمليات الأوّلية التي لا تعترف لا بالوقت ولا بالعلاقات السّببية والمنطقية باعتبارها خاضعة لمبدأ اللّذة- عدم اللّذة الذي يميّز هذا الأسلوب.

أمّا **الأنا**، فقد كانت فكرته حاضرة عند فرويد على الدّوام منذ بدايات أعماله ، لكنّها لم تأخذ معنا تحليليّا نفسيّا مضبوطا إلاّ بعد عام 1920.

أصبح الأنا يشكّل في الموقعية الثّانية الهيئة الأساسية لفهم الصّراع العصابي"الذي هو صراع نفسي داخلي بين الهيئات والأنظمة، ناتج إلى حدّ ما عن استدخال العلاقات المقامة مع المواضيع الخارجية وعن تلك المرتبطة بالمواضيع الأصلية (C.CHABERT, 1998,p.22)

والأنا حسب فرويد، هو جزء من الهو الذي تغيّر بفعل التّأثير المباشر للواقع الخارجي بواسطة ما قبل الشّعور- الشّعور، ويسعى إلى بسط نفوذ العالم الخارجي على الهو ورغباته من خلال إحلال مبدأ الواقع محلّ مبدأ اللّذة المسيطر دون حدود في الهو.

شكّل الشّعور في أوّل نموذج فرويدي نظاما مستقلاً حقيقيّا لكنّه ألحق فيما بعد بما قبل الشّعور، وأصبح يشكّل نواة الأنا الذي تنسب إليه كذلك وظائف ما قبل الشّعور.

يظهر الأنا كهيئة وسطية تخضع لمطالب الهو، لأوامر الأنا الأعلى و لمتطلّبات الواقع في آن واحد وهو،مكلّف بالحفاظ على مصالح الشّخص وحمايته من المخاطر،إذ يشكّل القطب الدّفاعي للشّخصية ويتكفّل بتحقيق توازنها عند مواجهتها لأيّ تهديد خارجي كان أم داخلي (R.PERRON, 1985).

وأخيرا **الأنا الأعلى** الذي هو هيئة منفصلة تماما عن الأنا ، يضطلع بمهمّة النّقد والرّقابة تّجاهه.

يرى فرويد في الضّمير الخلقي وملاحظة الذّات وتكوين المثل العليا بعضا من وظائف الأنا الأعلى، كما يعتبره "كوريث" لعقدة أوديب، إذ يتشكّل من استدخال المتطلّبات والنّواهي الوالدية. في هذا الاتّجاه ، يرتبط الأنا الأعلى بوضوح بسياقات التقمّص بحكم أنّ الطّفل في تخلّيه عن الرّغبات الأوديبية، يتقمّص المتطلّبات الوالدية و يستدخل نواهيها.

2- وجهة نظر دينامكية و مفهوم الصّراع:

تفترض وجهة النّظر هذه حركية السّيرالنّفسي نتيجة صراع نشط بين ميول أو قوى نفسية متعارضة ، وما الظّواهرالنّفسية والأعراض المختلفة سوى نتاج هذا الصّراع ومحصّلة قوّة ذات أصل نزوي.

تصرّ ك. شابير(C.CHABERT, 1998)على البعد الدّيناميكي للتّصوّرالتّحليلي للسّير النّفسي الذي يتعارض تماما مع نماذجه السّاكنة ، فهولا يأخذ بعين الاعتبار فكرة القوّة فقط بل أيضا فكرة دخول بعض القوى ، بالضّرورة ، في صراع ضدّ بعضها البعض داخل النّفس.

ويعرّف الصّراع النّفسي بتجابُه متطلّبات داخلية متعارضة وهو، كما يقول ج.لابلانش وج. ب.بونتاليس (1985):" من شروط تكوّن الإنسان، فقد يكون بين الرّغبة والدّفاع، بين الأنظمة أوالأركان ، بين النّزوات وأخيرا، بين الصّراع الأوديبي ، حيث لا تتجابه الرّغبات المتعارضة فيما بينها فقط ، بل تجابه التّحريم أيضا "(ص.304).

ويُتناول الصّراع من وجهتي نظراثنتين:الأولى موقعية ، والثّانية ديناميكية-اقتصادية.

ينشأ الصّراع في **المنظور الموقعي** عن تعارض ما بين نظامي الشّعور- ما قبل الشّعور واللاّشعور في الموقعية الأولى، وبين الأنا والأنا الأعلى في الموقعية الثّانية، أمّا في **المنظور الدّيناميكي-الاقتصادي**، فينشأ عن تعارض بين النّزوات.

غيرأنّ الرّبط بين المنظورين السّابقين ليس دائما سهلا ، باعتبار أنّ فرويد لم يبحث إلاّ في مرحلة متأخّرة عن سند نزوي للهيئات الكابتة ، وبهذا،تعتبر ثنائية النّزوات الجنسية وحفظ الذّات (أو نزوات الأنا) أساس الصّراع النّفسي.

تقترح الموقعية الثّانية في مرحلة لاحقة، تناولا أكثر تنوّعا للشّخصية ويتضاعف الصّراع الدّيناميكي هكذا بين الهيئات بثنائية نزوية جديدة تتمثّل في نزوات الحياة ونزوات الموت.

3- وجهة نظر اقتصادية:

مثلما تخضع الحياة النّفسية لعوامل ديناميكية تواجه كلّ دافع للسّلوك الإنساني من ناحية النّزاع بين الميل إلى إشباع الغرائز، و هذا ما أسماه فرويد **بمبدأ اللّذة** الذي يعمل في خدمة مبدأ الثّبات و يهدف إلى خفض التوتّر وتجنّب الألم والانزعاج ، وبين إمكانية تحقيق ذلك بالانسجام مع الظّروف الخارجية ، وهو ما قصده **بمبدأ الواقع** الذي يعمل على تأجيل الحصول على اللّذة أو الحصول عليها وفقا لشروط يفرضها العالم الخارجي الموضوعي فإنّها تخضع كذلك لعوامل كمّية كقوّة الدّافع الغريزي الكبت ، اللّذة ، الواقع والإحباط.

يدعو فرويد هذه النّظرية الطّاقوية "بالاقتصادية" والتي تشير، كما عرّفها ج. لابلانش وج.ب. بونتاليس(1985) إلى"سريان وتوزيع طاقة قابلة للتّكميم ،أي قابلة للارتفاع للانخفاض وللتّعادل داخل السّياقات النّفسية"(ص.87).

وهكذا ، يمكن تناول الاستثمارات في حركيّتها ، في شدّتها المتغيّرة وكذا في التعارض الذي ينشأ بينها.

كانت الفكرة الأساسية للفرضية الاقتصادية هي جهاز نفسي وظيفته الاحتفاظ بالطّاقة التي تسري فيه عند أدنى حدّ ممكن لها أوعلى الأقلّ، الحفاظ على ثباتها وعمله تحويل الطّاقة التي يتلقاها سواء من الدّاخل أو من الخارج كي تصبح نفسيّا مقبولة ، وهذا ما سمّاه فرويد **بمبدأ الثبات** الذي يشكّل أساس النّظرية الاقتصادية الفرويدية.

هناك مبدأ آخر ثابت في السّيرالبشري، وهو **اضطرار تكرار** تجارب قديمة ووضعيات مؤلمة من أجل التّخفيف من وقعها على السّيرالنّفسي دون تذكّر نموذجها الأصلي، بل يعيش الفرد على العكس من ذلك انطباعا وكأنّ الأمر متعلّق بالواقع الرّاهن.

يعتبر.فرويد(S.FREUD, 1981) اضطرار التّكراركوسيلة دفاعية يحاول الشخص من خلالها التحكّم في وضعية مكدّرة أو صدمية ، وهو يعدّ خاصيّة صارخة عند المصدومين حيث يرغبون في وصف الحدث بأدقّ تفاصيله والعودة إليه باستمرار، وهم بذلك يحاولون ربط توتّرات شديدة بغرض تصريفها.

وهكذا، يخضع الجهاز النّفسي إلى استثارات خارجية قادمة من المحيط ، وأخرى ذات منشأ داخلي المعروفة بالنّزوات تمارس كلّها اندفاعات وضغوطات معتبرة عليه،عندئذ تكون وظيفته الأساسية ، حتّى يحافظ على توازنه ، معالجة وإرصان تلك الاستثارات نفسيّا بالتّمييز ما بين التصوّر وبين كم العاطفة أومجموع الإثارة أو كما يذكر ج.لابلانش و ج.ب. بونتاليس (1985):" بتحويل الطّاقة الحرّة (اللاّشعور) إلى طاقة مربوطة (ما قبل الشّعور) أو تأجيل التّفريغ"(ص.89).

4- <u>آليات الدّفاع</u>:

تعتبرالآليات الدّفاعيّة عند ج.لابلانش،ج.ب. بونتاليس(1985)"أنماطا مختلفة من العمليات التي يمكن للدّفاع أن يتخصّص فيها ، وتتنوّع تبعا لنمط الإصابة موضع البحث وللمرحلة التّكوينية وكذا لدرجة إرصان الصّراع الدّفاعي"(ص.132)؛كما يتنوّع استعمالها وفق تنوّع المواقف والإصابات إذ "يمكن أن تتجمّع جملة من الآليات حسب أنواع إكلينيكية مختلفة" (S.NACHT, 1969, p.290) ، وحسب" مستوى تنظيم الأنا وطبيعة الضّغط الذي يرغب (الأنا) في الاحتماء منه" (J.CHAZAUD, 1980, p.173).

تستعمل آليات الدّفاع لمقاومة شدّة النّزوات وتجنّب الصّراعات النّفسية التي تهدّد وحدة الأنا وتوازن الفرد(R.DEBRAY, 1983 ، D.WIDLOCHER, 1973) ، وللحفاظ على استقراره التّلقائي (الهميوستاتي) تّجاه التّأثيرات الدّاخلية والخارجية (V.SCHENTOUB, 1972-1973).

تعمل الآليات الدّفاعية التي يستخدمها الأنا عند التّهديد ،على حمايته من الاضطراب أومن الخطر،أومن الإرهاق النّاتج عن انفعالاته، فتتجسّد الحماية في إمكانية تشويه أو رفض،أو تحويل، أو كف شعوره ووعيه بالمشاعر والأفكار التي من شأنها أن تهدّد تقديره الذّاتي.

يميّز الباحثون ومن بينهم ج. بيرجري وآخرون(J.BERGERET et al, 1979) بين الآليات الدّفاعية الأوتوماتيكية اللاّشعورية التّابعة للعمليات الأولية، وبين آليات التّخرّج (Mécanismes de dégagement) التي تديرها العمليات الثّانوية.

تهدف الأولى إلى تخفيض التوتّرالنّزوي والقلق النّاتج عنه، حيث يلجأ الفرد إلى استعمالها عندما تفشل الوسائل الواعية في حلّ الصّراع محاولة منه الدّفاع عن نفسه ضدّ الأخطار والتّهديدات التّي أشعرته بالقلق ، بالتّوتّر و بعدم الارتياح.

يصاحب القلق ، وهو شعورمؤلم مشحون بالعواطف والتّوجّس، كلّ صراع غيرمحلول فيلجأ الفرد،لا شعوريّا، إلى وسائل دفاعية تحافظ على راحته ، تزيل قلقه وتخفّف من شعوره بالفشل أو بالحرمان أو بالذّنب.

أمّا الثّانية ، فهي وسائل الفرد الواعي التي يستعملها لمجابهة مشاكل وإحباطات الحياة اليومية كمحاولة التغلّب على العقبات بالإرادة أو بمحاولة استبدال هدف بآخر، أو بمحاولة حلّ أيّ صراع بأسلوب منطقي وواقعي(ف.الدبّاغ ،1983)،أي أنّها تهدف "إلى إعداد الشّروط الدّاخلية للفرد تبعا لتكيّف مرن للشّروط الخارجية التي لا تتطلّب تجنّبا معيّنا لهذه الوضعية"(J.BERGERET et al, 1979, p.85) .

نتطرّق الآن إلى أهمّ الآليات الدّفاعية التي يوظّفها الأنا إزاء التحوّلات النّزوية سالفة الذكر والصّراعات النّفسية الملازمة لها، أوإزاء الوضعيات الاستثنائية الخارجية والأخطارالتي من شأنها تهديد كماله الجسدي والنّفسي.

نشير إلى أنّ اختيارنا للآليات الدّفاعية التّالي ذكرها هوعلى سبيل المثال لا الحصر بالإضافة إلى ارتباطها ، في نظرنا ، بموضوع البحث.

1-4- <u>الكبت</u>: (Le refoulement)

يعدّ الكبت من أهمّ الآليات الدّفاعية ويلعب دورا كبيرا وهامّا في فهم النّشاط النّفسي وهوأوّل آلية اكتشفها فرويد بحيث ارتبط في بداية الأمر بمصطلح الدّفاع. إنّه حالة دفاعية خاصّة ليس فقط باعتباره" كتوظيف مضاد دائم يفرض استهلاكا طاقويّا مستمرّا ويصبح

بالتّالي أكثر الآليات الدّفاعية فعالية وخطورة في آن واحد"(A.FREUD, 1996, p.48) وإنّما لأنّه أيضا يلعب بحدّ ذاته وظيفة تكوينية للاّوعي.

إنّه عملية ديناميكية تسمح للشّخص بأن يدفع عنه التّصوّرات(من أفكار صورأو ذكريات) المرتبطة بالنّزوة إلى اللاّوعي أوأن يبقيها فيه، لذلك غالبا ما تُنسى كلّ الخبرات المؤلمة التي قد تسبّب للفرد شعورا بالذنب أو بالدّونية وتؤدّي به إلى الشّعور بالفشل حتى لا تسبّب أيّ ألم للأنا.

يهرب الفرد هكذا من كلّ ما يمكن أن يشكّل مصدر ضيق واضطراب بكبته وبنسيانه ومن خلاله ، تصبح النزوات و الأفكار المرفوضة و الصّراعات الحادّة التي تهدّد توازن الأنا لا شعورية وبالتالي معزولة (S.FREUD, 1975).

يخلق ذلك المكبوت في اللاّشعور تصوّرات بديلة يحاول بواسطتها إيجاد مخرج له كما يحدث في أحلام اليقظة والأحلام اللّيلية(O.FENICHEL, 1979)، أو من خلال الأعراض التي ما هي إلاّ تسوية بين إشباع بعض النّزوات و الرّغبات النّفسية وإعاقتها.

من جهة أخرى، ميّز فرويد بين الكبت الأصلي(Le refoulement originaire) الذي ينصبّ على إشارات النّزوة وتصوّراتها التي لا تنفذ إلى الوعي، وبين الكبت الفعلي (Le refoulement proprement dit) الذي يستقطب إليه المحتويات المكبوتة وأخيرا، فشل الكبت وعودة المكبوت(Le retour du refoulé) بطريقة محرّفة على شكل تسوية مثلما تحدّث عنه أ. موكييلّي (A.MUCCHIELLI, 1981).

2-4- <u>الرّفض والانشطار</u>: (Le déni et le clivage)

لا يمكن التحدّث عن الرّفض دون إلحاقه بالانشطار والعكس بالعكس، بحيث يعدّ الانشطار"التّصحيح العيادي" الذي يحدثه لسياق لا يقدرأن يكون لامنعزلا ولا مطلقا.

يظهر الرّفض عند ك. لوقان(C.LEGUEN, 1986) كسياق دفاعي حقيقي، بينما لا يعدّ الانشطار سوى الحاصل الاقتصادي،على مستوى الأنا ،"بطريقته الذّكية" في التّعامل مع الواقع الاجتماعي.

أمّا عند فرويد، فهو دائما "رفض للواقع" و يقع في القطب الإدراكي للجهازالنّفسي ويُمارس على إدراك خارجي غير مرغوب فيه بحيث يجد نفسه متأثّرا برفض وجود (Déni d'existence) ، أو بالأحرى رفض غياب (Déni d'absence).

أمّا الانشطار، فيستعمله فرويد للدّلالة على ظاهرة خاصّة يراها فاعلة في التيميّة والذهان حيث يتواجد ضمن الأنا موقفان نفسيّان تّجاه الواقع الخارجي باعتباره يشكّل العقبة التي تعرقل مطلبا نزويّا معيّنا.

يأخذ أحد الموقفين الواقع بعين الاعتبار بينما ينفي الموقف الآخر هذا الواقع مستبدلا إيّاه بأحد منتجات الرّغبة، و يستمرّ هذان الموقفان جنبا إلى جنب بدون أن يمارسا أيّ تأثير متبادل على بعضهما البعض.

يهدف الرّفض والانشطار إلى حماية الشّخص من انبعاث معاش غير محتمل كما هو الحال في الصّدمة النّفسية.

3-4- <u>الإنكار</u>: (La dénégation)

هو وسيلة يلجأ إليها الشّخص الذي يبوح بإحدى رغباته أو أفكاره أو مشاعره التي كانت مكبوتة حتّى تلك اللّحظة و لكنّه يستمرّ في نفس الوقت في الدّفاع عن نفسه من خلال إنكار تبعيتها.

وهكذا، لا يكبت التصوّر النّزوي المزعج ، إنّما يظهر على مستوى الوعي ، لكنّ الشّخص يدافع ضدّه رافضا الاعتراف بأنّ الأمر متعلّق بنزوة تخصّه هو، أي أنّه ينكر انتسابه لها (J.BERGERRET et al, 1979)، ويتجلّى لنا هذا بوضوح في الاختبارات الإسقاطية فنجد المفحوص ينكرعلاقة موضوعية في إحدى لوحات اختبار تفهّم الموضوع مثلا أو ينكر عاطفة اكتئابية ترتبط بفقدان الموضوع أو بالهجر، أوتصوّرا مقلقا تثيره اللّوحات البدائية.

ويعدّ الإنكار من الآليات الدّفاعية الفعّالة التي يوظّفها الأنا ضدّ ظهورأفكارأو تصوّرات أو عواطف مؤلمة لها علاقة بحدث صدمي ما.

4-4- <u>الإسقاط</u>: (La projection)

يعرّف معجم مصطلحات التّحليل النّفسي الإسقاط على أنّه:"العملية التي ينبذ فيها الشّخص من ذاته بعض الصّفات ، المشاعر والرّغبات وحتىّ بعض"الموضوعات" التي يتنكّر لها أويرفضها في نفسه كي يموضعها في الآخر،سواء أكان هذا الأخير شخصا أم شيئا"(ج.لابلانش و ج.ب. بونتاليس، 1985، ص.70)، تماما كما يحدث في الحلم وأمام الاختبارات الإسقاطيّة حيث ينسب الأنا كلّ الإثارات الدّاخليّة المزعجة والمرهقة التي رفضها،إلى الآخرين أو إلى شيء موجود في العالم الخارجي الموضوعي (L.YOUNG, E.GIBB, 2001) حتّى لا يشعر أنّها تنتمي إليه فتسبّب له توتّرا وضغطا كبيرين.

يخضع الإسقاط من النّاحية الاقتصادية، لمبدأ اللّذة ومبدأ الثبات الذي يخفض التّوتّرالذي يثيره المحتوى النّزوي النّابع من الهو والذي يرفضه الأنا إلى أدنى مستوى ممكن، أمّا من النّاحيّة الدّيناميكيّة، فهو يعمل على صرف الإثارات الدّاخليّة غير المحتملة إلى الخارج.

5-4- <u>النّكوص</u>: (La régression)

يعتبرالنّكوص، في أغلب الأحيان،كعودة إلى أشكال سابقة من النّمو،التّفكير،علاقات الموضوع وانبناء السلوك(Ph.JEAMMET et al, 1980)،أي إلى مصدر اللّذة السّابق وما تمّ تخزينه في الماضي بهدف تجنّب المثيرات المزعجة الرّاهنة.

إنّه، كما يذكر ج. بيرجري وآخرون:"عملية دفاعية مميّزة لا تقتصرعلى تجنّب اللّذة أوالتصوّرات الخطيرة بالنّسبة للأنا فحسب، خلافا للآليات الدّفاعية الأخرى، بل لها أيضا بعد إصلاحي من حيث محاولتها مواساة الأنا عندما يعود إلى مراحل سابقة مرتبطة بصدمة ما"(J.BERGERET et al, 1979, pp.105-106).

ميّز س. فرويد بين ثلاثة أنواع من النّكوص: الموقعي،الزّماني والشّكلي.

يحدث **النّكوص الموقعي** على امتداد تتابع أنظمة نفسية تجتازها الإثارة عادة تبعا لاتّجاه معيّن، ويتجلّى بوضوح في الحلم حيث يستمرّ إلى نهايته،كما يصادف من جديد في

عمليات أخرى مرضية حيث لا يتّخذ نفس الطّابع الشّمولي (من مثل الهلاوس) أوحتّى في العمليات السّوية ، دون أن يصل إلى نفس الحدّ كما في الذاكرة.

وأمّا **النّكوص الزّماني** ، فيفترض تتابعا تكوينيّا ويدلّ على عودة الشّخص إلى مراحل سبق له أن تجاوزها في نموّه مثل المراحل الليبيدية وعلاقات الموضوع والتّماهيات، أي عودة إلى تكوينات نفسية أكثر قدما.

وأخيرا،**النّكوص الشّكلي** الذي يعني التّراجع إلى أساليب من التّعبير والتّصرّف ذات مستوى أدنى من ناحية التّعقيد والانبناء والتّمايز،أي أنّ النّظام يختصّ بتراتب في الوظائف أو في البُنى.

وفي حال تعرّض الشّخص لصدمة نفسية ، فإنّه قد يلجأ إلى أساليب طفولية من أجل استعادة السّيطرة على الموقف بأسرع ما يمكن ، وقد يصل نكوصه أحيانا إلى حدّ كفّ عميق وشديد واستحالة الكلام ، أي إلى نوع من الانطواء الاجترارى.

وهكذا، يلجأ الأنا في كلّ مرّة يتعرّض فيها لهجوم داخلي نزوي ولصراعات حادّة كما يحدث في فترة المراهقة (ونوضّحه في الفصل الموالي)،أو لهجوم خارجي عنيف من قبل وضعيات استثنائية وأحداث ذات قدرة صدمية عالية، إلى آلية معيّنة أو عدّة آليات دفاعية للحفاظ على توازنه وعلى نوع من الاستقرار الهميوستاتي، ففي"مقاومته للإثارات المختلفة يكيّف الأنا إمكانيّاته الدّفاعية مع الأخطار التي تهدّده من الدّاخل ومن الخارج" (A.FREUD, 1990, p.162).

خلاصة:

قدّم فرويد تصوّرا نموذجيا للجهاز النّفسي للفرد، وافترض تمايزه إلى أنظمة وأركان لكلّ منها طبيعة خاصّة ونشاط وظيفي مختلف.

يشيع الحديث عن نظريتين موقعيتين، حيث يُصار في الأولى إلى التّمييزالرّئيسي ما بين اللاّشعور، ما قبل الشّعور والشّعور ولكلّ من هذه الأنظمة الثّلاثة محتويات خاصّة، طاقة توظيف ووظيفة محدّدة.

تعمل هذه الأنظمة بانسجام وبتداخل كبيرين فيما بينها، ويتمّ عبورمادّة كلّ منها وفق المبادئ التي تحكم كلّ نظام وبعض الآليات الدّفاعية.

أمّا الموقعيّة الثانية ، فتميّز مابين الأركان الثلاثة ، وهي: الهو ، الأنا والأنا الأعلى.

ومثلما تخضع الحياة النّفسية لعوامل ديناميكيّة تواجه كلّ دافع للسّلوك الإنساني من ناحية النّزاع بين الميل إلى إشباع الغرائز، وهذا ما سمّاه فرويد بمبدأ اللّذة ، وإمكانية تحقيق ذلك بالانسجام مع الظّروف الخارجية ، وهو ما قصده بمبدأ الواقع ، فإنّها تخضع كذلك لعوامل كميّة ، كقوّة الدّافع الغريزي ، اللّذة ، الواقع والإحباط.

وتتلخّص وظيفة الجهاز النّفسي في الحفاظ على الطّاقة الدّاخلية له في أكثر المستويات الممكنة انخفاضا ، أوعلى الأقلّ ، في ثباتها ، كما عليه أن يحوّل الطّاقة التي يتلقّاها سواء من الدّاخل، كما هوحال الضّغط النّزوي المميّز لمرحلة المراهقة ، أو من الخارج كأحداث حرب مثلا أو اعتداءات أو كوارث طبيعية ،أو فقدان مفاجئ وأليم لأحد الأبوين،كي تصبح نفسيّا مقبولة.

ولأنّ الأنا هو الهيئة الأساسيّة المكلّفة بالحفاظ على مصالح الفرد وحفظ توازنه النّفسي فإنّه مجبرعلى إيجاد صيغ تسوية ملائمة وتختلف الآليات الموظّفة لخفض التوتّر باختلاف الإصابات ، فقد يلجأ الفرد إلى الكبت مثلا، لصدّ القلق ومنعه من الانبثاق أو إلى الإسقاط لتفريغ التّوترات الضّاغطة ، أوإلى الإنكار لإبعاد أفكار أو تصوّرات صدمية مرهقة ، وقد يكون لجوءه هذا ناجعا بحيث يتكيّف مع مقتضيات الواقع أو على العكس، مفرطا ومرضيا فيؤدّي إلى تلاشي تماسك الشّخصية و تدهور تكاملها.

الفصل الثاني: المراهقة

الفصل الثّاني: المراهقة

تمهيد :

تشكّل المراهقة مرحلة خاصّة في سياق النّمو، إنّها بالفعل مرحلة غنية بالتحوّلات الخصبة التي تمسّ وبشكل تعاقبي ، كلّ مظاهر الحياة البيولوجية، العقلية والاجتماعية.

إنّها مرحلة تحوّلات نهائية تلخّص وتطوّر النّمو الذي أنجزه الفرد خلال السّنوات الأولى من عمره، كما تنشّط الإشكاليات المميّزة لها من جديد ضمن سياق يواجه المعطيات السّابقة بالجديدة ، بحيث تقوم المراهقة مقام كاشف لنوعية القواعد النّرجسية ، للغُلمات الذّاتية،لنظام صاد- الإثارات، لفعالية أوجروحية (Vulnérabilité) الدّفاعات ولثبات تنظيم الهيئات النّفسية والتقمّصات.

أصبحت خصوصية السّيرالنّفسي للفرد الشّاب المعرّض لتغيّرات البلوغ الفسيولوجية وضغوطاتها البنيوية ، لمخاطر سياق الانفصال ولصدى الإثارات الخارجية المهدّدة في العالم النّفسي الدّاخلي، أو لتلك الصّعوبات والمخاطر التي قد تعترضه فتوشك على عرقلة مساره التّنظيمي ، محلّ اهتمام المحلّلين النّفسانيين وأخصّائي الطّب العقلي بعدما أهملت لمدّة طويلة.

في هذا الفصل، سنلقي الضّوء على كيفية تناول هؤلاء الباحثين لإشكالية المراهقة التي تدورأساسا حول تمفصل الواقع الدّاخلي بتغيّراته الاقتصادية والدّيناميكية المنظّمة والواقع الخارجي الذي يضغط بثقل أحداثه التي قد تأخذ طابعا صدميّا على مسارالسّيرالنّفسي للمراهق وعلى مستقبله.

1- تعريف المراهقة:

لا يوجد في الواقع تعريف واحد وموحّد للمراهقة ، فقد تعدّدت تعاريفها بتعدّد التوجّهات النّظرية للعديد من الباحثين الذين اهتمّوا بهذه المرحلة العمرية وانصبّوا على دراستها من زوايا مختلفة.

فإذا كان البعض منهم مثل س.هول (S.HALL, 1904) قد احتفظ بفكرة ارتباط المراهقة بالظواهرالبلوغية، فإنّ البعض الآخر مثل ب.زازو(B.ZAZZO, 1966) يؤكّد على البيئة الاجتماعية والثّقافية وأهميتهما في نموّ وتكوّن شخصية المراهق ومن ثمّ إدماجه في الحياة الاجتماعية للرّاشد.

أمّا م.موكييلي(M.MUCCHIELLI, 1981)، فيعتبرها سياقا تطوّريّا أكثر من كونها مرحلة نضج ، إذ تطرأ فيها تغيّرات فيزيولوجية ، نفسية واجتماعية عميقة تفرض على المراهق الانسجام والتكيّف وتكسبه خصائص أو مؤهّلات ضرورية لتأكيد مكانته في المجتمع.

يعتبر المحلّلون النفسانيّون المراهقة مرحلة انتقالية تميّزها التقلبات النّفسية التي يحدثها النّموالبلوغي(تقلّب واضح في قوّة الأنا ونموّ طاقي قويّ). إنّها فترة تُحيى فيها الصّراعات والاستثمارات الطّفولية من جديد كما تنشّط الإشكاليات المنظّمة للنّفس كعقدة أوديب النّرجسية وإرصان فقدان الموضوع بحيث تشكّل تحوّلاته وتقلّباته دعامة لإرصان أو فشل سياق المراهقة.

وبالرّجوع إلى الأصل اللّغوي، تقول إ.كستمبرغ:"فإنّ كلمة مراهقة مشتقّة من الفعل اللاّتيني « adolescere » الذي يعني نما، كبر، تقوّى وتعدّى سنّ الوصاية وأصبح راشدا" (E.KESTEMBERG, 1962, p.444).

لاشك أنّ عملية النّمو هذه لا تقتصرعلى الجسد فحسب ولو أنّه يمثّل عند ج. ب. كسلان (G.P.COSLIN, 2002) ، المظهر الأكثر لفتا للنّظر للدّخول في المراهقة ، فهو لا يستفتح هذه الفترة فحسب بل يثيربروزمظاهر أخرى لا تهمّ الجسد مباشرة كالاهتمامات مثلا (D.MARCELLI, A.BRACONNIER, 1985)، بل تشمل الفكر،السّلوك والحياة العاطفية.

ممّا تقدّم، يظهر أنّ الحدث الأساسي المميّز للمراهقة هو الحركة، التحوّل والتطوّر الذي يصعب حصره في سنوات محدّدة و ثابتة.

و إذا أخذنا بتعريف LITTRE المنقول عن إ. كستمبرغ و القائل بأنّ:"المراهقة هي السّن التي تلي الطّفولة و تبدأ مع أوّل علامات البلوغ" (E.KESTEMBERG, 1962, p.443) ، فإنّ المراهقة بحركيّتها و تحوّلها محدّدة بالبلوغ المنظّم لها وهذا ما اتّفق عليه معظم الباحثين.

للمراهقة إذا نقطة بداية واضحة وصريحة تتمثّل في التغيّر و النّمو البيولوجي البلوغي كما ذكرنا آنفا (النّمو الجسمي والنّضج الغددي التّناسلي) الذي تعتبره ل. بيبين (L.PEPIN, 1973) المحرّك الأساسي للأزمة التطوّرية التي تمسّ الفكروالسّلوك بما يصاحبه من اتّساع للنّزوات الجنسية التي تعيد النّظر في بُنى الشّخصية السّابقة وتفتح المجال لتقمّصات و توجّهات جديدة.

إنّ تحديد نهاية المراهقة التي تتزامن مع إدماج الشّخص في مجتمع الرّاشدين كما يذكر م. كلايس(M.CLAES, 1986)، أمر ليس بالهيّن وما تنوّع التّعاريف وتعدّدها إلاّ دليل على صعوبة الاتّفاق على نقطة انتهاءها ، وهذا واضح جدّا في الأدب النّفسي.

تنتهي المراهقة حسب م. ب.كتيبوفيتش وف.لادام "عندما تصل التّحوّلات التقمّصية الملازمة لسياق المراهقة ذروة جنسية ثابتة وغير منعكسة" (M.P.CATIPOVIC,F.LADAME,1997,p.15)،أي الوصول إلى وضعية الرّشد المعيّنة بواسطة معايير محدّدة معترف بها من قبل الجميع، ومن خلال السّياق الثّقافي الذي ينتمي إليه كلّ فرد(M.CLAES, 1986).

تأخذ المراهقة إذا طابعا خاصّا حسب البيئة الطّبيعيّة والوسط الاجتماعي الذي يحتضنها إذ تستجيب لخصائص الجهاز النّفسي لكلّ فرد.

غالبا ما يقترن مفهوم المراهقة بلفظ "أزمة" كإشارة لجملة من التحوّلات الجسمية والتقلّبات السّلوكية الملاحظة عند المراهقين، ويملك هذا المصطلح اليوم معنيين أساسيين على الأقل في الأدب النّفسي، حيث يسلّط المعنى الأوّل الضّوء على فكرة الانقطاع أو التّصدّع والتّحوّل المفاجئ في النّمو الذي يؤدّي إلى تغيّرات محسوسة في السلوكيات،أنماط التفكير والتصورات.

بالفعل، تتّصف"أزمة المراهقة"، كما أشار إليه ف. جامي (PH.JEAMMET, 1990) بسلوك المعارضة والتّحريض ضدّ الأبوين،إذ يرفض المراهق الخضوع والامتثال للأوامرراغبا في التحرّر من سلطتيهما وفي تأكيد الذات،كما يسعى إلى التميّزعن الآخرين وإلى قطع الرّباط الطّفلي الذي يصله بالوالدين وبالتّالي تحقيق الاستقلالية، لكنّ تحقيق هذه الغاية، أي الاستقلال العاطفي الاجتماعي وحتّى الاقتصادي، يتوقّف على مدى فعالية الخصائص النّفسية للسّير العقلي لكلّ مراهق.

أمّا المعنى الثّاني، فيرتبط بمفهوم الاضطراب في السّيرالنّفسي الذي يحدث انزعاجا، معاناة كفّ وقلق، باختصار،جملة من الصّعوبات تنتمي إلى اضطرابات عصابية وتسبّب عجزا في الحياة اليومية.

تعدّ الاضطرابات الحاصلة في هذه الفترة واللاّتكيّفات العابرة ضرورية للتطوّراللاّحق ويشير غيابها حسب م. كلايس(M.CLAES, 1986) إلى تقوية "أنا" سابقة لأوانها قد تشكّل تشخيصا سلبيا فيما يتعلّق بالتّوازن المستقبلي للرّاشد.

أمّا إ.كستمبرغ التي تفضّل مصطلح"منظّم"(Organisateur)عوض أزمة باعتبارأنّ الحركات النّزوية والتّعديلات الطّارئة على الجسد تنظّم وتعيد تنظيم الأسلوب العلائقي للطّفل، فلها رأي آخر، إذ تعتبر غيابها مؤشّرا سلبيا يدلّ على" تقلّص في القدرات الليبيدية وصلابة في الإنكار"(E.KESTEMBERG, 1962, p.492) ، ممّا يدلّ على فقر الأنا وضعفه وقد يؤدّي هذا إلى قلق ومخاوف ترتبط بقدرته (الأنا) على مواجهة حياة الرّاشد والمواقف المصدمة مستقبلا.

في مطلق الأحوال، تعدّ المراهقة مرحلة من مراحل النّمو تتّصف بخصائص معيّنة تميّزها عن باقي المراحل وتجعل منها بحقّ فترة"حرجة" وحاسمة في الوقت ذاته.

2- خصائص المراهقة:

المراهقة ككلّ، مرحلة من دورة الحياة يميّزها مصطلح النّمو وتعابيرالتّغيّر،التّعديل التّحوّل والتي تفرض نفسها عندما يتعلّق الأمر بوصف مختلف مظاهر النّمو لهذه المرحلة من الحياة.

يتغيّر الجسم تماما عند الدّفعة البلوغية ، ويتغيّرالفكرأيضا ، و تتطوّرالحياة الاجتماعية في حركة مزدوجة: التّحرّر من الوصاية الوالدية والالتزام بعلاقات مع الأقران وأخيرا يدمج تصوّر الذّات في ذاتية جديدة تظهر على مستوى الهويّة التي هي ثمرة التّحوّلات الجنسية الفكرية والاجتماعية.

يرافق هذه التحوّلات المختلفة في كلّ مرّة عدد معيّن من الوظائف التطوّرية،أي الانجازات النّفسية التي تتّخذ طابعا إلزاميّا ومظهرا سريعا في هذه الفترة من النّمو.

تمس تغيّرات المراهقة ومهامها وبصفة تعاقبية ، أربع مناطق من النّمو،وهي:الجسد، الفكر الحياة الاجتماعية وتصوّر الذات.

يعتبر ف. جامي (PH.JEAMMET, 1994) **الجسد** العنصر المحوري للمراهقة، فتحوّله بفعل تغيّرات البلوغ الهرمونية هو الذي يدرج تغيّرات المراهقة.

يكشف جسد المراهق عن خصائص وضعيته النّفسية، فهو يشارك بقوّة في الحياة النّفسية غيرأنّه لا يستطيع أن يمتزج معها، إنّه جزء مكمّل لتصوّرات الذّات، لكنّ النّفس تدركه في نفس الوقت كجسم غريب من حيث أنّه يفلت من رقابتها و يدخلها في وضعية السّلبية.

تشكّل صورة الجسد محورا هامّا في الحياة النّفسية للأفراد، ويرى ه. لهال (H.LEHALL, 1985) أنّ إشكالية الهويّة تتموقع أوّلا على المستوى الجسدي، حيث يؤدّي نموّ هذا الأخير و التكيّف معه إلى تكوّن صورة جديدة له.

يعدّ التكيّف مع التّحوّلات الجسدية في الغالب صعبا ومن المحتمل أن يكون لمدّة النّمو المتغيّرة جدّا تأثيرعلى هذا التكيّف، فقد يميل المراهق بفعل التغيّرات الجسدية إلى العزلة والانطواء.

يؤدّي خضوع الجسد لتحوّلات جنسية كبيرة إلى ظهور وظيفتين تطوّريتين أساسيتين هما:

- ضرورة إعادة بناء صورة جسمية مجنّسة والاضطلاع بالهويّة الجنسية الذكرية أوالأنثوية.

- والوصول تدريجيّا إلى الجنسية الرّاشدة التي تتميّز بمشاركة شبقية مع شريك جنسي والتقاء رغبتين مكمّلتين.

تعدّ إشكالية البلوغ امتحانا للمراهق على المستوى النّرجسي،إذ تضعه في مواجهة تغيّرات جسدية تغيّر صورته وعلاقته مع الغير وتكون مصحوبة ببلورة وإرصان نفسي يسهّل إدماج هذه التغيّرات في تصوّر الذات.

أمّا عن **الفكر**، فتتطوّرالقدرات المعرفية من خلال مكسبين أساسيين:ارتفاع قدرات التّجريد و توسيع الآفاق الزّمنية.

تتميّزالمراهقة أيضا بتحوّل كبير في **العلاقات الاجتماعية** وضوابط المجمعة (La socialisation)، بما أنّ النّفوذ العائلي المسيطر سيترك المكان تدريجيّا لمجموعة الرّفاق الذّين هم بمثابة مرجع لمعايير السّلوك، ويتمّ هذا التحوّل في مرحلتين:

- التحرّر من نفوذ الوالدين وولاءهما،

- والتبنّي التّدريجي لجماعة الرّفاق كعامل للتّنشئة الاجتماعية والذي يتطلّب إقامة علاقات تنافس و تعاون مع الأقران من الجنسين.

كما يصل المراهق خلال هذه المرحلة وبصفة تدريجية إلى ذاتية جديدة تغيّر **تصوّرذاته** وذات الآخرين.

يمرّ بناء الهوية النّفسية الاجتماعية التي تترجم هذه الظاهرة التّقدمية أو المتدرّجة لإرصان الأنا بثلاث وظائف أساسية:

- اكتساب استمرارية زمنية للأنا الذي يتكفّل بماضي الطفولة و يملك قدرات الإسقاط في المستقبل.

- إثبات أنا منفصل عن الصّور الوالدية المستدخلة.

- التورّط في اختيارات تضمن التحام الأنا لاسيما عن طريق الخيارات المهنية، الاستقطاب الجنسي والالتزام الفكري.

بهذه التحوّلات المختلفة التي يعيشها المراهق وبتحقيقه للإنجازات النّفسية الملازمة لها ينتهي به الأمر إلى اكتساب دور الرّاشد.

3- ديناميكية وخاصية النّشاط النّفسي في مرحلة المراهقة:

تتميّز بداية المراهقة كما أشرنا إليه سابقا بالنّمو البلوغي الذي يعتبره ج. ب.كوسلين (G.P.COSLIN, 2002) استئنافا بيولوجيا للنضج الجنسي يرافقه انبعاث نزوي واضعا حدّا لمرحلة الكمون، ويختلف النّموالبلوغي حسب الجنس في ابْتساره (précocité) ومدّته.

أولى فرويد وباحثون عديدون من بعده اهتماما كبيرا بالتّغيّرات الفسيولوجية المصاحبة لمرحلة المراهقة، وقد ذكر فرويد في كتابه " ثلاث محاولات حول النّظرية الجنسية" قائلا:" مع بداية البلوغ، تظهر تحوّلات تؤدّي بالحياة الجنسية الطفلية لشكلها النّهائي والعادي"(S.FREUD, 1987, p.143).

تظهرخصائص جنسية ثانوية وأولى التّغيّرات البلوغية التّي تشكّل دون شك إحدى الأحداث العظيمة لهذه الفترة من النّمو و تنعكس على السّلوك بكلّ أوجهه، كما تتميّز بإثارة كبيرة بنكوص و بتقلّب المزاج و الطّبع.

تتذبذب عواطف المراهق في هذه الفترة بشكل ملحوظ مثلما يذكر أ.بروسيل وآخرون (A.BROUSSELLE et al, 1980) ، كما تتفاقم المرونة العاطفية (labilité affective) وتعبّر تقلّبات المزاج الذي يأخذ شكلا كئيبا وعدوانيّا ،عن الضّغط أوالضيق النّفسي للسّياق التّطوّري.

طرح روّاد التّحليل النّفسي للمراهق مثل أ. فرويد (1975) ، إ.كستمبرغ (1962، 1980) ب. بلوس (1967) وغيرهم ، تفكيرا حول أزمة المراهقة من خلال نموذج اقتصادي وآخر ديناميكي كشفوا من خلاله عن صراع النّمو الحاصل في هذه المرحلة وعن خصائص النّشاط النّفسي التي تميّزها.

سنسلّط الضّوء على الصّراع المميّز لمرحلة المراهقة وسنتعرّف على انعكاساته النّفسية على المستويين الاقتصادي والدّيناميكي.

1-3- انعكاسات تغيّرات البلوغ على الاقتصاد النّفسي:

تُعدّ تحوّلات البلوغ الجسمية وما تسبّبه من تهيّج وإثارة للجهاز النّفسي أصل التّحوّلات النّفسية في المنظور التّحليلي وسببا لشرح التّطوّر النّفسي اللاّحق (Ph.JEAMMET, 1993)، إذ تحرّض اضطراب الاقتصاد اللّيبيدي وذلك بارتفاع عام للضّغط النّزوي(Ph.TYSON, L.TYSON, 1996) يُفقد التّوازن السّابق بين الأنا والأنا الأعلى وبين النّزوات والدّفاع ، كما تساهم في توجيه نزوي جديد نحو النّشاط النّفسي.

تظهرالانعكاسات النّفسية على المستوى الخيالي، الرّمزي وعلى مستوى الواقع الملموس لكنّ الذي يحدّد المصير النّفسي لشخصية المراهق، كما أشار إليه ط. أناتريلاّ (T.ANATRELLA, 1991) ، هو معرفة كيف يعيش تلك التحوّلات وكيف يدمجها في عمل الوظائف النّفسية التي تتّسع انطلاقا من هذه الفترة.

وإذا كانت المراهقة قادرة على إخلال تنظيم قدرات سير الأنا بفعل فيض الاستثارات النّاجمة عنها (يتدخّل العامل الكمّي بشكل قويّ في هذه الفترة)، وعلى توليد إحساس بخطر نزوي فمن الممكن أن تأخذ آثارها طابعا صدميّا (M.EMMANUELLI, 1994).

في هذا الصّدد، شدّد فرويد في مقاله"ما وراء مبدأ اللّذة"(1920)على الدّورالصّدمي للحركات النّزوية التي تفشل الجهاز الدّفاعي فيعجز عن ربط الاستثارات عندما تكون ضخمة جدّا وعندما تأتي من الدّاخل، وهكذا،"يؤدّي غياب صاد- الإثارات ضدّ الإثارات الدّاخلية إلى اضطرابات اقتصادية شبيهة بالعصابات الصّدمية"(S.FREUD,1981,p.77).

يأخذ المنظورالاقتصادي بعين الاعتبار عنف الاستثارات الجسدية الجديدة وبعبارات طفح صدمي ، كما يراعي الفوارق الفردية التي تشرح" تأثير بعض الأحداث كصدمات نفسية على بعض التّكوينات بينما تبقى دون تأثير على البعض الآخر" (S.FREUD, 1986, p.100).

3-2- انعكاسات تغيّرات البلوغ على الدّيناميكية النّفسية :

ترتبط بتلك التّغيّرات الاقتصادية مثلما هو الحال دائما ، تغيّرات في المنظور الديناميكي إذ يُحْي الاندفاع الشّديد للنّزوات الجنسية والعدوانية الرّغبات ما قبل الأوديبية والأوديبية السّابقة المحرّمة والصّراعات الملازمة لها(Ph et L.TYSON, 1996) والتي تظهر أحيانا بشكل مذهل (R.PERRON, M.PERRON-BORELLI, 1994).

نتطرّق إلى إعادة تنشيط الإشكالية الأوديبية في العنصر الموالي:

3-2-1- إعادة تنشيط الصّراع الأوديبي :

تُوهّج التغيّرات التي تميّز فترة المراهقة الصّراع الأوديبي بعد أفوله في مرحلة الكمون حيث يتمّ تجاوزه بدرجات متفاوتة من النّجاح من خلال نمط خاص من اختيار الموضوع.

يفرض الاضطراب الفسيولوجي البلوغي عملا نفسيّا معتبرا مثلما شرحته م. إيمانويلّي وك.أزولاي(M.EMMANUELLI, C.AZOULAY, 2001)، إذ يتعلّق الأمر بتسيير تدفّق النّزوات اللّيبيدية والعدوانيّة المرتبطة هواميّا بالسّيناريوالأوديبي وكذا، بمواجهة فقدان التّوازن الدّفاعي الذي يسبّبه الأوديب وإعادة إحياء عقدة الخصاء، وأخيرا، بمواجهة تغيير العلاقات الموضوعيّة الذي أوجبه قدوم جسم بالغ.

يؤدّي الدّفاع المتكرّر والمُعارض لإعادة التّنشيط الأوديبي بالمراهق إلى توسيع المسافة بينه وبين والديه(E.KESTEMBERG, 1962)، من أجل سحب استثمارالرّوابط الطّفلية والتّحرّر من التّبعية النّاتجة عنها.

يتجلّى دور الأوديب الأساسي بالإضافة إلى كونه يعيد بناء كلّ ما وجد من قبله ، في إنشاء تنظيم ليبيدي جديد، و"كلّ تشويش أو إزعاج للتّوازن الذي يحقّقه التّنظيم الأوديبي يسبّب عودة ظهورالصّراع الأوديبي(C.PARAT, 1966, p.55) ، وهذا هو حال سياق المراهقة.

لمّا كان الأوديب أكبر منظّم للتّوظيف النّفسي ، فإنّ كلّ الصّراعات اللاّحقة ترتبط بمدى كفاءة المراهق و قدرته على تجاوزها و كيفية حلّها ويتوقّف ذلك بطبيعة الحال على فعالية الآليات الدّفاعية التي يستعملها الأنا.

3-2-2- الانفصال وعمل الحداد :

تضاف إلى التغييرات الفسيولوجية والنّزوية، حركة نفسية داخلية كبيرة ترتبط بتجربة الانفصال عن أشخاص ذوي مكانة عظيمة من جهة ، وبتحوّل الأنماط العلائقية المشاريع والرّغبات من جهة أخرى ، و بهذا ، يمكن تشبيه هذه الحركة بعمل الحداد.

تتمثّل هذه الحركة النّفسية إذا في"فقدان الموضوع" البدائي والأوديبي المحمّل بالحبّ الكره أوالتّجاذب الوجداني، إذ "يدخل المراهق في صراع عاطفي يتعرّض فيه إلى ضرورة تحرير اللّيبدو التي استثمرها في الماضي في المواضيع الوالدية حتّى يتمكّن من استثمارمواضيع أخرى"(D.BAILLY, 1995, p.71) ، أي أنّه مطالب بالفوز بالاستقلال وتحرير نفسه من النّفوذ العائلي لبناء فردانيته وهويّته الخاصّة وبالتّالي، التخلّص من الوضعية الأوديبية (H.DEUTSCH, 1974) ، إنّها بالفعل تجربة صعبة ومؤلمة.

يكمن عمل المراهق إذا في تقبّل تجربة الانفصال والحداد،أي الانقطاع عن طفولته، لذّاته وأهدافه السّابقة، ولكي يحقّق ذلك "ينبغي أن يكون قد اكتسب قواعد نرجسيّة صلبة بما فيه كفاية، والثّقة بثبات أواستقرارالموضوع الدّاخلي"(Ph. JEAMMET, 1994,p.4). وهكذا تشوّش المواجهة بين الحياة الهوامية وتحوّلات البلوغ ، الديناميكية الصّراعية كما قد يضعف ذلك الانفجار اللّيبيدي بمظاهره الاقتصادية والديناميكية الأنا في دوره كصاد-الإثارة، وقد ينجم عن ذلك كلّه تصدّع في السّير النّفسي.

لذلك ، يلجأ المراهق،عند الاقتضاء، إلى تطوير ميكانزمات دفاعية جديدة في حال عدم ملائمة أوانعدام فعالية الإجراءات الدّفاعية السّابقة ، للسّيطرة على نزواته القديمة والجديدة فما هي هذه الآليات الدّفاعية، وما هي وظائفها؟، هذا ما سنتعرّف عليه في الفقرة الموالية:

4- آليات الدّفاع عند المراهق:

هناك مصْدري خطر داخليين يتطلّبان اتّخاذ إجراءات تعويضية لاستدراك حالة الهلع:

- ضعف الأنا الذي يتطلّب مجهودا نفسيا لتثبيت الاتّصال بالواقع ،

- والقلق الغريزي النّاجم عن توجيه اللّيبدو نحو الجنسية الغيرية والذي يثير ميكانزمات دفاعية نموذجية لهذه المرحلة تقوم بوظائف مختلفة: دفاعية ، تكيّفية و إرجاعية (Fonctions restitutives).

يهتم الجهاز النّفسي في هذه المرحلة العمرية إذا، بالتكيّف مع الظّروف الجديدة التي فرضتها تغيّرات البلوغ ، ومن الممكن"اعتبار كلّ الظّواهر النّفسية المميّزة للمراهقة كمحاولات لإعادة التّوازن المفقود" (J.BERGERET, 1974, p.37).

يضطرّ أنا المراهق إذا إلى مواجهة قلق طفح اللّيبيدو، الهوامات والنّزوات المحرّمة من خلال اللّجوء إلى ميكانزمات دفاعية لا يكشف البعض منها كالكبت، التّحويل والعزل عن خصائص واضحة(D.MARCELLI, A.BRACONNIER, 1988) ، بينما يخصّ البعض الآخركالزّهد، العقلنة ،الانشطار،الإسقاط ، التّسامي وغيرها، فترة المراهقة ويظهر بشكل متواتر.

وصفت أ. فرويد (A.FREUD, 1958) فئتين من الآليات الدّفاعية المميّزة لفترة المراهقة حيث توظّف الفئة الأولى ضدّ العلاقة بالموضوع الطّفلي وتتضمّن أربعة نماذج وهي: تحويل اللّيبيدو نحو أشخاص آخرين ، إقلاب العاطفة ، سحب اللّيبيدو في الذّات وأخيرا النّكوص.

أمّا الفئة الثانية ، فتوظّف ضدّ النّزوات نفسها ومنها:الزّهد ، العقلنة ، التّسامي وغيرها والتي تجعل الأنا ، كما ذكر د. و.ونيكوت(D.W.WINNICOTT, 1969, p.399)" يتقبّل ويتحمّل الصّراعات الملازمة لتلك الظّروف المعقّدة أساسا".

من أهمّ آليات الدّفاع الموظّفة في فترة المراهقة نذكر:

4-1- <u>الزّهد</u> : (L'ascétisme)

الزّهد آلية شائعة في المراهقة ولا يشكّل خطرا إلاّ إذا اتّخذ كنموذج سلوكي شبه دائم ، في هذه الحالة يظهر خطر الوقوع في المرض النّفسي بما في ذلك الانسياق في المسارات الذهانية.

قد يلجأ المراهق إلى هذه الوسيلة الدّفاعية لمقاومة ظهور الغرائز والشّهوات، ويلعب الأنا دور الرّقيب فيكبح كلّ تحقيق نزوي إلى حدّ الاحتياجات الفسيولوجية (H.LEHALLE, 1985) ، إضافة إلى بعض المواقف التقشّفية الأخرى، كتقبّل الظّروف الحياتية القاسية والامتناع عن مباهج الحياة كما لو كان المراهق في حرب مع نفسه وجسده (D.MARCELLI, A.BRACONNIER, 1988).

4-2- العقلنة : (L'intellectualisation)

وصفت أنّا فرويد العقلنة على أنّها الميكانزم الدّفاعي النّموذجي للمراهقة، إنّها محاولة التّحكّم في الأخطارالنّزوية من خلال ربطها بأفكار يمكن التّعامل الواعي معها، إنّها إحدى أعمّ القدرات المكتسبة وأقدمها وأكثرها ضرورة للأنا الإنساني.

تعتبر العقلنة وسيلة دفاعية تحقق الانتصارعلى الغرائز، فبدلا من الهروب من الضّغط الغريزي، يواجه المراهق المشكل عن طريق الفكر،التّجريد والحوار،وهكذا، تترجم السّيرورات الغريزية إلى لغة العقل بغية كبحها و السّيطرة عليها (D.MARCELLI, A.BRACONNIER, 1988).

ومن الغايات الرّئيسية لهذه الآلية الدّفاعية، ربط السّياقات الغريزية بالمحتويات التمثّلية (Idéationnels) بدقة وجعلها (السّياقات الغريزية) سهلة البلوغ إلى الشعوروإبعاد التأثرات العاطفية وتحييدها.

4- 3- التّسامي : (La sublimation)

لجأ فرويد خلال أعماله كلّها إلى فكرة التّسامي كي يوضّح،على المستويين الاقتصادي والدّيناميكي، بعض أنماط النّشاط المستندة إلى رغبة لا تهدف بشكل صريح إلى غاية جنسية من مثل:الإبداع الفنّي، والاستقصاء الفكري، والنّشاطات التي يخصّها المجتمع بقيمة كبيرة على وجه الإجمال.

يعدّ التّسامي آلية دفاعية إيجابية ومهمّة في حياة المراهقين، إذ يتمّ من خلالها تصعيد الهدف الجنسي وحتّى العدواني واستبدالهما بهدف مغاير يمكّنهم من التخلّص من القلق (A.FREUD, 1996).

يغيّر الأنا هدف الرّغبة دون أن يفضي ذلك إلى الصّد أوالكبت والإحباط ، بحيث تجد الغريزة مخرجا إيجابيّا للتّعبير عن ذاتها عن طريق نشاطات غير جنسية.

لآلية التّسامي دور إيجابي في عمليّات النّموعند المراهق، فقد تحول دون سقوطه في العصاب والجنون(C.LEGUEN, 1986).

تجدر الإشارة إلى أنّ العملية الدّفاعية التي تشنّ ضدّ مخاطرالمراهقة الدّاخلية من صراعات ما بين الرّغبات المتعارضة ، إلى هوامات ووجدانات مؤلمة وانفعالات مزعجة لاتقتصر فقط على الآليات المذكورة أعلاه ، بل هناك آليات أخرى يلجأ إليها الأنا للرّد على القلق المثار كالرّفض،الانشطار،الإسقاط ،الكبت وغيرها، والتي عرضناها بالتّفصيل في الفصل الأوّل من هذا البحث. (*)

(*): راجع ص

إنّ للصّراع النّفسي المُثار ديناميكيّة خاصّة بكلّ مراهق،و"لكلّ واحد وسائل دفاعية منظّمة تحميه من المعاناة أو تجعله يتقبّل ويتحمّل الصّراعات الملازمة لتلك الظّروف المعقّدة أساسا"(D.W.WINNICOTT, 1969, p.399)، وبالتّالي، فإنّ نجاح المواجهة يتوقّف على ماضيه الشّخصي ، فعالية نظامه الدّفاعي وعلى سند المحيط الخارجي كذلك.

5- نهاية المراهقة و إعادة تنظيم الشّخصية:

تبتدئ المراهقة مع التّغيّرات الجسمية المصاحبة للبلوغ التي تعيد تنشيط النّزوات الجنسية وما قبل الجنسية المرتبطة بالمواضيع الأوديبية وما قبل الأوديبية ، وتنتهي مع إقامة تنظيم جنسي نهائي يحدّد حياة الفرد الجنسية اللاّحقة وكذا طبيعة علاقاته العادية أو المرضية(M.LAUFER, M.E.LAUFER, 2000).

يعتبرس. ريتفو(S.RITVO, 1995) نهاية المراهقة كمرحلة نموّ تحدث فيها وبصفة تلقائية آخرمظاهرتكامل وبناء الشّخصية المهمّة، وتحوّلات في السّيرالنّفسي نجمت عن الضّغوط الاجتماعية وعن تلك المرتبطة بالواقع من جهة ، وعن الميول الدّاخلية من جهة أخرى.

لا يمكن أن تعرّف نهاية المراهقة كما أشار إلى ذلك ب. بلوس (P.BLOS, 1967) إلاّ من خلال خصائصها النّفسية التي تشير إلى أنّ الفرد النّاضج "عضويّا أو بيولوجيّا" قد وصل إلى السّن التي ينبغي أن يقرّر فيها من يكون وما هي مكانته في المجتمع.

يصبح الأنا عند نهاية المراهقة و بلا نزاع ، أكثر قوّة الشّيء الذي يزيد من تأثيره على الهو والأنا الأعلى ، و هكذا، يلعب الأنا دور وسيط فعّال.

وللخمود النّهائي للصّراعات النّفسية عند ب. بلوس(P.BLOS, 1967, p.23) معنيان:"إمّا أنّ تلك الصّراعات قد فقدت قدرتها المضايقة والمشوّشة لأنّها تثبّتت على شكل علامات طبع أو أنّها تتجمّد في أعراض مرضية دائمة أو اضطرابات الطّبع".

تُنسب بعض الصّعوبات التي تعترض السّيرالنّفسي إلى تعثّرات النّمو السّابق بصفة خاصّة وإلى استحالة حلّ العصاب الطّفلي وعواقبه ، وإلى اضطرابات أخرى شوّهت الأنا وعرقلت تطوّر علاقات الموضوع (M.CLAES, 1986) ، و قد يصبح الأنا المُرغم على فرض نفسه خلال آخر مظاهر الإدماج و ثبات الشّخصية التّلقائية ، هشّا بصفة كامنة ومستديمة.

6- <u>المراهق والبيئة الاجتماعية</u> :

تضمّ ظروف المراهقة النّمائية ،إلى جانب الأبعاد النّفسية التي تطرّقنا إليها سابقا، ظروف الوسط الاجتماعي عامّة والعائلي الذي يعيش فيه المراهق على وجه الخصوص.

يلعب أفراد كلّ من هذين الوسطين دورا مهمّا في هذه المرحلة العمرية الحرجة وذلك من خلال تحديد مؤشّرات انتهاءها وكيفية الانتقال إلى الرّشد ، وكذا من خلال قدرتهم على التّجاوب مع إشكالية المراهق وتوفير سند فعّال له قادرعلى مطابقة معطياته الدّاخلية ومدعّم له في وظيفتها النّرجسيّة ، وبهذا ،" يبدو الواقع الخارجي كوسيط يمكنه أن يقوّي أو يخلّ بتنظيم بنيات الجهاز النّفسي"(PH.JEAMMET, 1994, p.7).

يساعد التّجاوب مع إشكالية هذه الفترة والمطابقة الكافية، المراهق،على التخرّج وقد تفشل العملية تلك (أي عملية التخرّج) في حال افتقارالعالمين للسّند الكافي، وتخفق العمليّات النّفسية التي هي من قبيل الكبت والوقاية من الاستثارة ، محدثة هشاشة في حدود الأنا والهويّة.

أوضح ع. سي موسي (A.SIMOUSSI, 2001) في مقاله "المراهق بين الواقع الخارجي والصّراع النّفسي"، الأثر الكبير للمحيط العام ودوره الرّئيسي في مساعدة المراهق عموما والمراهق الجزائري على وجه الخصوص على معايشة التغيّرات التي تفرضها عليه تلك المرحلة العمرية ، أو على العكس ، في إسقاطه في مشاكل واضطرابات عديدة بل وفي نشأة سلوكات مرضية.

تعدّ الحساسية الكبيرة للمحيط الخارجي حسب هذا الباحث، إحدى الخصائص الأساسيّة للسّير النّفسي ولعلم النّفس المرضي للمراهق، إذ يتوقف الصّراع الدّاخلي بطاقته المخلّة للنّظام على نوعية المحيط الذي يعيش فيه.

فالمراهق الجزائري يعيش في محيط يسوده الحكم الأخلاقي و"حكم الأنا الأعلى" (Jugement surmoïque) ، وقد تكتسي المشاكل العادية طابعا حسّاسا جرّاء الصّراعات الفكرية العديدة وصراعات القيم ، كما أنّ العائلة الجزائريّة ، وبسبب الصّعوبات النّفسية والاقتصادية التي تعترضها ، وبسبب جهلها لمتطلّبات هذه السّن أيضا، تصبح في أغلب الأحيان مصدرخطرلأطفالها وتشكّل طاقة مرضية (Potentiel traumatique) إضافية بل جوهرية لهم.

يتحدّث الباحث في الواقع عن التّرابط الكبير بين متغيّرات عدّة تحدّد المصير النّمائي والحظوظ التطوّرية للمراهق ، إذ يأخذ الواقع الخارجي ،الأحداث الحقيقيّة أوالواقعية (الماضية أو الحاضرة) الصّراع النّفسي الحالي وتجذره في الطّفولة ، ديناميكية خاصّة بكلّ مراهق.

ليس المراهق بمنأى عن أحداث الحياة المختلفة كالمرض،الموت،الانفصال، وغيرها، ولا هو بمنأى عن ظروف المحيط الصّعبة والقاسية كالحوادث،الاعتداءات،الكوارث الطّبيعية

وما إلى ذلك ، ومثلما يحتاج إلى سند العائلة ودعمها له كي يتجاوز ضغوط المرحلة التي يعيشها فهو يحتاج إليهما أيضا، وربّما بشكل كبير، كي يواجه تلك الأحداث والمشاكل وخاصّة إن حدثت بشكل مفاجئ وعنيف.

قد يفقد التعرّض المفاجئ لتلك التّجارب الصّعبة القدرة على مواجهتها واحتواءها ، وقد يترك في المراهق آثارا نفسيّة متفاوتة في شدّتها، إذ يمكن أن تتجلّى تدريجيّا مع مرورالأيّام أوالأشهر، كما يمكن أن تدوم وتترسّخ مؤدّية إلى انعكاسات نفسية صدمية خطيرة.

فمن الضّروري إذا أن يتّسم الواقع الاجتماعي والأسري بنوع من الاستمرارية،الانتظام الاهتمام والوعي لضمان نوع من الاستقرار في البنية والتّوظيف النّفسيين وتحقيق نوع من التكيّف الدّاخلي والخارجي، فدرجة عدم التّوازن التي يمكن للمراهق تحمّلها وكذا التغيّرات التي يمكنه إدماجها تختلف من فرد لآخر.

وهكذا،" فالعلاقة الرّابطة بين المراهق ومحيطه ليست قارّة ولا خطيّة، بل تتمّ على شكل ردّ فعل دائري تفاعلي"(ج.عبلاش ،2000-2001 ،ص.53).

خلاصة:

تظهرالمراهقة كمرحلة من مراحل الحياة يميّزها النّمو على وجه الخصوص، كما تتميّز باضطرابات وتكيّف سيّء عابرو ضروري للتطوّر اللاّحق والتي تتطلّب في كلّ مرّة تكيّفا و تسوية.

تعدّ المراهقة حسب النّظرية التّحليلية ، فترة إحياء شديد لإشكاليات الطّفولة التي تغيّر بعمق التّنظيم الموقعي،الاقتصادي والدّيناميكي للنّفس، كما يتحدّد فيها مصيرالإنسان البيولوجي النّفسي والاجتماعي.

لا يتحقّق نموّ المراهق دون تفاعل مع المحيط الخارجي ،أي العائلة والبيئة التي يعيش فيها واللّتان تلعبان دورا أساسيّا في إنجاح أوعرقلة هذه الوظيفة التطوّرية.

يبحث المراهق دوما عن دعم وسند من هذا العالم الخارجي الذي يؤثّر فيه و يشكّل فضاءه النّفسي الواسع حتّى يتمكّن من مواجهة وحلّ صراعاته الدّاخلية وبهذا، تؤثّرنوعية السّند التي يمكن أن يجدها في ذلك العالم و بشكل كبيرعلى أنماط تطوّر إشكالياته.

قد لا تكون ظروف المحيط الخارجي مؤاتية وإيجابية دوما ، إذ يمكن أن تعترضه أحداث حياتية قاسية وظروف صعبة ،أو أن يعيش وضعيات عنيفة صدمية من شأنها إرباك النّمو "العادي"،عندئذ ، يزول اعتقاده السّاذج بدعم المحيط ، بقوّته ، بوقايته و بسنده وقد يجد نفسه غير مسعف، وحيد ومهجور؛ فإلى أيّ درجة يمكن أن يصل تهديد المحيط ؟ وماذا ينجم عن هذا الالتحام الحاصل بين الواقع النّفسي الدّاخلي المضطرب بفعل سياقات المراهقة وأحداث الواقع الخارجي التي قد تكتسي طابعا صدميّا ؟ . هذا ما سنتناوله بشكل دقيق في الفصل الموالي.

الفصل الثالث:

الصّدمة النّفسيّة والسّير النّفسي

الفصل الثالث: الصّدمة النّفسية والسّير النّفسي

تمهيد

ينتسب مفهوم الصّدمة النّفسية منذ أصوله إلى النّظريّة التّحليليّة التي تردّ منشأه إلى الجنسية وتأخذ بعين الاعتبار خبرات الطّفولة والتّجارب الصّدمية السّابقة، وكذا الصّراعات الحاصلة بين طبقات الجهاز النّفسي وهيئاته، وقد حافظ هذا المفهوم على مكانته الجوهريّة طيلة تطوّر أعمال فرويد مثلما سنراه لاحقا.

في هذا الفصل، سنتعرّف على مفهوم الصّدمة النّفسيّة بشيء من الدّقة والتّفصيل، وعلى كيفيّة تناول النّظريّة التّحليليّة له، كما سنتطرّق إلى مفهوم الحدث الصّدمي،عواقبه الإكلينيكيّة والعوامل المهيّأة للمزمنة منها،وأخيرا، إلى مظاهر الصّدمة النّفسية عند المراهق وانعكاساتها على سيره النّفسي.

1- مفهوم الصدمة النفسية:

الصّدمة و الصّدمي، لفظان مستعملان قديما في الطب والجراحة، وتدلّ كلمة صدمة (trauma) المشتقّة من اليونانية القديمة على"جرح مع كسر أو تمزّق في الجلد" (C.GARLAND, 2001, p.19)، أو خرق في الغشاء الجسمي، ومن مرادفاتها في اللّغة الفرنسية (Traumatisme) المخصّصة على الأدق للحديث عن الآثار(اضطراب التّوازن النّفسي) التي يتركها جرح ناتج عن عنف خارجي على مجمل المُتعضّى.

أمّا في علم النّفس المرضي، فتستعمل كلمة صدمة نفسية للإشارة إلى كسر واجتياح فيض من الإثارات العنيفة النّفس، ويعتبرها ل.كروك" ظاهرة شبه آلية حيث يقتحم العنف النفس فيغمر قدرتها على الدفاع و يشوّش أساسا طريقة سيرها"(L.CROCQ, 1997, p.8).

ولـ د. يبل(D.BELL, 2001) وجهة نظر أخرى في كيفية استعمال هذه الكلمة ، بحيث تشير إلى حدث فريد أو إلى تراكم أحداث أو تستعمل كذلك لوصف تجربة ذاتية للحادث (الاستجابة له) أو أخيرا لوصف عواقبه.

أمّا معجم مصطلحات التّحليل النّفسي، فيعرّف الصّدمة على أنّها:"حدث في حياة الشّخص يتحدّد بشدّته وبالعجز الذي يجد فيه الشّخص نفسه عن الاستجابة الملائمة حياله و بما يثيره في التّنظيم من اضطراب و آثار دائمة مولّدة للمرض" (ج.لابلانش، ج.ب. بونتاليس، 1985 ص.300).

وبهذا، يكون التّحليل النّفسي قد اقتبس مصطلحي(Trauma) و(Traumatisme) اللّذان يستعملان في الطب كمترادفين ناقلا إلى الصّعيد النّفسي المعاني الثلاثة التي يتضمّنانها أي: معنى الصّدمة العنيفة ومعنى الكسر أو الإصابة ومعنى الآثار على مجمل المُتعضّى.

ولتطوير نظريته حول الصّدمة ، استعار فرويد تلك الكلمة كي يوضّح أنّ النّفس أيضا معرّضة للجرح والخرق من الخارج مميّزا بذلك بين مصطلح الصّدمة (Trauma) الذي يشير إلى الأثر الدّاخلي النّاتج عن حدث ما، وبين مصطلح الصّدمة النّفسية (Traumatisme) الذي يشير إلى الحدث الخارجي الذي يصيب الشّخص.

انتهج ت. بوكانوفسكي (T.BOKANOWSKY, 2002) نفس منهج فرويد في التمييز بين المصطلحات، فاقترح هو الآخر ثلاثة ألفاظ من الواجب التمييز فيما بينها وهي :

- صدمة نفسية(Traumatisme): وتشيرإلى التصوّرالجنسي للصّدمة(Trauma) وبوجه خاص إلى آثار قابلة لتمثيل، لإظهار ولترميز أثر التّنظيم الهوامي الصّدمي للفرد كما يظهر في العلاج التّحليلي.

- صدمي(Traumatique): ويشيربشكل خاص إلى المظهرالاقتصادي للصّدمة النّفسية، أي إلى عجز في وظيفة نظام صاد-الإثارات.

- وأخيرا، صدمة(Trauma): وتشيرإلى الفعل الإيجابي والسلبي للصّدمة النّفسية على التنظيم النّفسي، إذ يمكن أن تحدث " إصابات مبكّرة للأنا " على شكل "جروح ذات طابع نرجسي".

تأتي هذه الصدمات لتربك و تدعّم الطّرق(les frayages) الدّفاعية كالإنكار،الانشطار الإسقاط ، المثلنة و القدرة الكلّية (L'omnipotence)، كما يمكن لها أن تنظّم "مناطق نفسية ميّتة" بسبب غياب التصوّر، التصوير(la figuration) والتّرميز الناجمين عنها.

يتضمّن مفهوم الصّدمة النّفسية بصفة عامّة فكرة صدمة (choc) عنيفة ، مفاجئة وطارئة تثيرانفعالا قويّا جدّا وتباغت العضوية(على مستوى الجسد)، والفرد(على مستوى النّفس) دون إمكانية تجنيد دفاعات فعّالة.

ولتحديد هذا المفهوم ، سنراجع أعمال فرويد ونتتبّع أهمّ مراحل نشأته مبرزين تطوّره الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ التحليل النفسي.

2- التّناول التّحليلي للصّدمة النّفسية :

2-1- التصوّر الفرويدي للصّدمة النّفسية:

ظهر مفهوم الصّدمة النّفسية منذ أولى أعمال فرويد الذي طوّره و عدّله ، وقد تراءت لنا من خلال اطّلاعنا على تلك الأعمال، محاور تفكيرية ثلاثة اعتمد عليها فرويد في تنظيم نظرياته حول الصّدمة وهي:الإغواء الذي قد يعدّ السّبب ، المفهوم الاقتصادي الذي يعرّف الصّدمة من خلال تأثيراتها، وأخيرا غياب الأم أو فقدان الموضوع وبذلك ، حالة العجز التي تشكّل النّموذج الأصلي.

وقد اخترنا بعضا من أفكاره الأساسية وتصوّراته النّظرية البارزة حول الصّدمة النّفسية واتّخذناها كقاعدة نظرية يرتكز عليها بحثنا.

2-1-2- الإغواء:

وصف فرويد الحدث الصّدمي الذي يحدث في الطفولة الأولى بالجنسي في الأساس، ظانّا أنّ كلّ عصابي تعرّض فعلا لإغراء راشد، غير أنّ الصّدمة الطفلية تلك ليست السّبب المباشر للعصاب، بل حدث لاحق، بلوغي أو بعد بلوغي يوقظ الصّدمة الأصلية عن طريق النّداعي فيحدث العصاب الذي يتشكّل إذا في زمنين:

زمن أوّل هو مشهد الغواية الجنسية ، إذ يخضع الطّفل بسلبيته للمشهد دون أن تتولّد لديه إثارة جنسية لكن الذكرى هي التي تطلق فيضا منها يطغى على دفاعات الأنا ، وقد سمّاه فرويد بالصّدمي، غير أنّ قيمته الصّدمية لا تعطى إلاّ بشكل بعدي وهذا ما أسماه بزمن

ثان الواقع بعد البلوغ ، حيث تُؤجّج جسور التّداعي آثار الزمن الأوّل الذكروي التي أبعدها الكبت:"إنّه أثر السّلبية الجنسية في أزمنة قبل جنسية... وليست التّجارب نفسها المعاشة صدمية،لكنّ انبعاثها كذكرى بعد البلوغ والنّضج الجنسي هو الذّي يصبح صدميا"(M.O.GODARD, 2003, pp25-26)، و هذا هو مفهوم المابعدية (l'après-coup) عند فرويد.

وهكذا، لا يؤثرالمشهد الثاني، كما شرح فرويد، من خلال طاقته الذّاتية بل تحديدا لأنّه يوقظ إثارة ذات مصدر داخلي، وقد وصف الصّدمة على أنّها إيقاظ إثارة داخلية من خلال حدث خارجي يعدّ مجرّد سبب مفجّر، وبهذا المعنى، جاءت الفكرة القائلة بأنّ الأحداث الخارجية تستمدّ فعاليتها من الهوامات التي توقظها وتنشّطها ، ومن تدقّق الإثارة النزوية (E.LUMBROZO, 2002) الذي"يخرج مبدأ اللّذة مباشرة من دائرة التأثير مجبرا بذلك الجهاز النفسي على القيام بمهمّة أكثر إلحاحا وهي ما فوق مبدأ اللذة التي تتلخّص في ربط الإثارات بشكل يسمح بتصريفها لاحقا "(ج.لابلانش، ج. ب.بونتاليس، 1985 ص.301-302).

وقد يحدث ذلك الفيض المفرط من الاستثارة الجنسية خللا في آليات دفاع الأنا ، فيعجز هذا الأخير عن التحكّم في أداء وظيفته الدّفاعية(C.DAMIANI, 1997).

أصبحت الصّدمة الجنسية الأصلية نسبية عند فرويد، فقد قادته عصابات الحوادث وبخاصة عصابات الحرب إلى مراجعة مفهوم العصابات الصّدمية وأحْيت التّفكير النّظري من جديد.

2-2-2- <u>المفهوم الاقتصادي للصّدمة</u> :

عاد فرويد ثانية إلى اهتمامه الأوّل حول معنى الحدث الخارجي و تحققت خطوة إضافية بإصدار مقال "ما وراء مبدأ اللّذة" عام 1920 الذّي وضّح فيه تصوّره حول العصابات الصّدمية مؤكّدا على الجانب الاقتصادي للصّدمة النّفسية الذي يخضع لعلاقة القوى بين كمّ الإثارة التي يحدثها الحدث - وهو كمّ معتبر و قويّ يكسر الحاجز الدّفاعي المسمّى صاد- الإثارات-، والدّفاعات التي يوظّفها الجهاز العضوي للتّحكّم وربط تلك الإثارة المخترقة

بالكسر ثمّ بعد ذلك تصريفها ، ولعلّ تكرار التجربة الصّدمية في الأحلام أحد هذه الوسائل الدّفاعية.

وهكذا، فالذي يحدث الصّدمة "هو عجز الجهاز النّفسي عن تصفية الوقر النّزوي ، ويجد مبدأ اللّذة الذي يكمن دوره في إجلاء ذلك الفيض من التّوتّرات، نفسه مبعدا عن طريق العنف والفجائية" (F.BRETTE, 1988, p.1262) ، فليست الزّعزعة الآلية هي المصدمة في الواقع بل الإفراط المتزايد للإثارات المحرّرة سواء نتج عن حدث فريد بالغ العنف (انفعال شديد) أو عن تراكم إثارات.

لم يستطع القلق تأدية واجبه (إشارة الخطر) وتجنيد العمليات الدّفاعية المناسبة ، فهناك طفح طاقوي للأنا عاجزعن التّحكّم والجهاز النّفسي مرغم على ربط الإثارات.

ميّز فرويد في "ما وراء مبدأ اللّذة" و بشكل أساسي بين الخوف (La peur) ، حيث تعدّ العلاقة بموضوع الخطرأكثر أهمية من موضوع ذلك الخطر، والهلع(L'effroi) الذي هو حالة تفاجئ الشّخص عندما يتعرّض لوضعية خطيرة لم يكن مهيّأ لها(كما هو حال الحوادث والكوارث الطّبيعيّة)، ويظهرمن خلال صعق، كف في الوظائف العقلية وتفريغ عنيف.

اقترح فرويد نموذجا تحليليّا ديناميكيّا و نسبويّا للصّدمة (نموذج الحويصلة الحيّة) (La vésicule vivante) كظاهرة كسْركمْ الإثارات التي يصرفها الحدث واختراق تلك الإثارات النّفس التي تقوم بعد ذلك بجهود مكرّرة وغير مجدية لإبعادها أو لاستيعابها.

وقد أكّد فرويد على أهميّة وأساسية تلك الوظيفة الدّفاعية في إقصاء كميّات وأشكال التّنبيهات المفرطة لإبقاء التّوازن النّفسي قائلا:"إنّ لوظيفة صاد- الإثارات، بالنّسبة للجسم الحيّ أهميّة أكبر من تلقّي الإثارات نفسها "(S.FREUD, 1981, p.69) ، أي أنّ حدوث الصّدمة النّفسية يتوقف على حالة تحضير أوعدم تحضير الجهاز النّفسي أكثر من توقفه على قوّة العنف المُتلقى.

أمّا على الصّعيد العيادي، فإنّ الشّخص المُصْدم مُثبّت على الصّدمة النّفسية، هذا ما تقرّه ظواهرالتّكرار مثل أحلام تكرارية،اجترارات عقلية، استجابات الفزع وغيرها والتي تعيد

الشّخص بلا كلل إلى الوضعية الصّدمية الأوّلية محاولة التّحكّم في تصوّر الحدث الصّدمي وتصريف قوّة الانطباع الصّدمي الأوّل.

يعتبر تكرار الصّدمة النّفسية عند المصدومين خاصية عيادية صارخة ، وقد اعتبر فرويد في مقاله " استذكار، تكرار، إرصان"(1997) ، هذا المشكل كمقاومة للذّكرى.

وبتفكيره في الهلع والكابوس التّكراري، توصّل فرويد إلى التّعرّف على"اضطرار التّكرار" كوسيلة دفاعية سابقة لمبدأ اللّذة الذي اعتبره كعامل وحيد محدّد في تكوين الأحلام وإلى افتراض عقب هذا الاضطرار،" نزوة الموت".

توضّح لنا مجمل الظّواهر العيادية التي يرى فيها فرويد هذا الاضطرارنشطا، وبشكل عام أنّ مبدأ اللّذة يشترط توفّر بعض الشّروط كي يمكنه القيام بوظيفته و"تأتي الصّدمة كي تلغي هذه الشّروط باعتبارها ليست مجرّد اضطراب في الاقتصاد الليبيدي ، بل تصل إلى مستوى جذري أكثر يهدّد تكامل الشّخص"(ج.لابلانش،ج. ب. بونتاليس، 1985 ص. 303).

تطوّرت نظرية العصابات الصّدمية انطلاقا من لغز اضطرار التّكرار، خاصة في الأحلام حيث يعيش الشّخص الحادث بزخمه و يجد نفسه من جديد في الوضعية الصّدمية وكأنّه يرمي إلى السّيطرة عليها ، فيستيقظ منها بهلع جديد :"هذا حدث لا ندهش منه كثيرا كما قال فرويد، ففي تأكيد الإعادة في النّوم برهان قوّة الانطباع الذي أحدثته الصّدمة" (S.FREUD,1981,p.50) ، فالتّكرار بالنّسبة لفرويد هو تصريف ومحاولة تحكّم في وضعية مكدّرة.

وقد منح فرويد وضعا آخرلاضطرارالتّكرار،إذ لم يعد ينتمي إلى المجال المرضي فحسب بل أصبح جزءا من بنية الفرد،إنّه "جزء من تعريف اللاّشعورفي حدّ ذاته" (P.KAUFMANN, 1993, p.353)، وهو أيضا "سياق لاشعوري يرغم الشّخص على إحداث مجدّد للقطات (أفعال، أفكار، خواطر أو أحلام) كانت في البدء مولّدة للمعاناة واحتفظت بذلك الطّابع المؤلم"(E.ROUDINESCO, M.PLON, 1997, p.895) .

إنّ لرغبة المصدومين في وصف الحدث بأدق تفاصيله والعودة إليه باستمرارأثناء الجلسات التّحليلية والمعاناة الواضحة التي يبدونها نفس وظيفة الحلم المكرّر، إنّها محاولة ربط - على نحو مجزّأ- توترات شديدة بغرض تصريفها.

توحي الأحلام الصّدمية كغيرها من نشاطات اللّعب عند الطّفل أو بعض التّكرارات في النّقلة عن تثبيت في الصّدمة.

يبقى أنّ الإجراء الفعّال الوحيد ضدّ التّكرار"هو تذكّر الصّدمات مقرونا بعمل الفهم والإرصان النّفسي ، ففهم الشّخص لكلّ ما يتكرّر على مستواه الدّاخلي سواء كان عرضا أو حلما ووعيه بذلك ، يساعده على إرصان الصّراعات الدّاخلية ثمّ تجاوزها بناءا على إمكانياته وإعداداته الدّفاعية"(Ph.JEAMMET et al, 1980, p.116).

لقد تطرّق كثير من الباحثين المعاصرين الذين تناولوا دراسة الصّدمة النّفسية وانعكاساتها لظاهرة التّكرارلما لها من أهميّة بالغة من بين هؤلاء نذكر، ل.كروك (L.CROCQ, 1992) الذي قام بدراسة تصنيفية شاملة للغاية لأشكال التّكرارالمختلفة التي منها:الرؤية شبه الهلوسية للمشهد الصّدمي، ذكرى نفس المشهد،الاجترار العقلي للأضرار المتكبّدة،التّفريغ الانفعالي،التّصرّف المتكرّر وبخاصة الأحلام والكوابيس المؤدية لانبعاث الحدث الصّدمي ، وغيرها من الأعراض التي سنتطرّق إليها لاحقا عند دراستنا لعواقب الصّدمة النّفسية.

2-2-3- <u>فقدان الموضوع</u> :

لم يتمسّك فرويد كثيرا بانعكاسات الصّدمة النّفسية الاقتصادية بقدر تمسّكه بالعامل الأساسي الحاسم ألا وهو فقدان الموضوع، فاقترح من خلال ملاحظاته العيادية وبعض الأحداث الحياتية نظرية جديدة للقلق ولم يعد الأمر يتعلّق بالإغواء بل بغياب الموضوع .

عرّف فرويد الوضعية الصّدمية على أنّها:"وضعية ضيق يكون الأنا فيها عاجزا عن التحكّم وتصريف انبثاق إثارات ذات أصل داخلي أو خارجي" (S.FREUD, 1975, p.61)

كما اعتبر أنّ الأنا هو مكان القلق وميّزبين القلق الآلي المعاش في وضعية خطر حقيقية و القلق كإشارة خطر المعاش عند تهديد خطرما.

فالقلق الآلي، كما أشارت إليه ف. بريت (F.BRETTE, 1988, p.1263)، هو"الإجابة العفوية للعضوية لوضعية صدمية معرّفة ، كفيض إثارات كثيرة و شديدة جدّا غير قابل للتحكّم،أمّا القلق كإشارة خطر، فهو إعادة تكوين القلق السّابق عند كلّ خطر فراق أو فقدان، فالطفل وهو صغير وغير ناضج لا يفرّق بين الغياب المؤقت لأمّه والغياب الدّائم لها".

يحاول الأنا من خلال إطلاق إشارة القلق تجنّب طغيان القلق الآلي الذي يميّز الوضعية الصّدمية التي يكون فيها بلا حول.

يعيد هذا المفهوم نوعا من التّناظر ما بين الخطرالخارجي والدّاخلي: يتعرّض الأنا للهجوم من الدّاخل، أي من قبل الإثارات النزوية كما يحدث في فترة المراهقة، حيث تفرض نزوات ليبيديّة وعدوانية ظهورها على المراهقين وتعرّضهم لضيق نفسي شديد ناجم عن فيض تلك الاستثارات النّزوية ، كما تناولناه في الفصل الأوّل من هذا البحث تماما كما هو معرّض للهجوم من الخارج .

فعندما يفرض حدث خارجي و عنيف بالقدر الكافي نفسه على التنظيم العقلي، تتعطّل كلّ الدّفاعات المجهّزة ضد القلق المرهق للنّفس والذي ينشأ عندئذ عن مصادر داخلية رغم كون الحدث المولّد للحصر خارجيّا.

يشكّل القلق إذا توظيفا مفرطا للجهاز النّفسي و يشكّل أيضا حسب استعارة حربية اختارها فرويد ونقلتها عنه م. برتران" الخط الدّفاعي الأخير لصاد-الإثارات" (M.BERTRAND, 1996, p.89) ، فالشيء الذي يجعل الوضعية صدمية كما يشرح لنا فرويد، هو نقص التّحضيرعن طريق القلق وليس الجرح الجسمي الذي يثير بالعكس توظيفا نرجسيّا مفرطا للعضو المصاب.

وهكذا، أخذ فرويد بعين الاعتبار دورالموضوع و بصفة أوسع الحياة الخارجية من أجل فهم أفضل للذهان و للشّذوذ، فاسحا الطّريق لتصوّرات تقوم على علاقة الموضوع كأساس للحياة النّفسية.

نلاحظ من خلال هذا العرض الوجيز لتطوّر مفهوم الصّدمة النّفسية عند فرويد ، نوعا من التّكامل بين هذه المحاور الثّلاثة بحيث يشرح كلّ محور، المحور الذي يليه ويوضّحه من جوانب معيّنة.

وقد قدّم فرويد في آخر أعماله تعريفا آخر للصّدمة النّفسية قائلا:" نطلق تسمية صدمة نفسية على تلك الانطباعات التي يشعر بها الفرد في الطّفولة الأولى والمنسية والتي نمنحها أهميّة كبرى في علم أسباب العصابات"(S.FREUD, 1986, p.401) ، حيث أشار إلى أنّ التّجارب الصّدمية التّكوينية في الأصل، يمكن أن تسبّب إصابات مبكّرة للأنا و تنشئ إصابات ذات طابع نرجسي و هذا ما أشار إليه س. فرنكزي (S.FERENCZI, 1993) في آخر أعماله.

من جهة أخرى، ميّز فرويد بين نوعين من تأثير الصّدمة النّفسية: تأثير إيجابي من خلال تكراره الوهمي ، وتأثير سلبي يتجلّى من خلال كف، تجنّب و ملامح الطّبع.

بعد هذا العرض التطوّري الموجزلمفهوم الصّدمة النّفسية عند سجموند فرويد، تتراءى لنا وجهتي نظر رئيسيتين ومتداخلتين يصعب التمييز بينهما وهما: اقتصادية و ديناميكية.

فالصّدمة من النّاحية الاقتصادية ، هي حدث غير ممتد في الوقت والمكان يحمل معه فيضا من الاستثارة النّفسية تفوق شدّته عتبة تحمّل الفرد ، إذ يهاجم كمٌّ من الإثارة الجهاز النّفسي ويرهقه فيصبح عاجزاعن تسيير الطّفح الحاصل أو ربطه نفسيّا بسبب كسر صاد- الإثارات ممّا يخلق اضطرابات دائمة في استعمال الطّاقة النّفسية.

وأمّا من النّاحية الدّيناميكية، فقد تناولها فرويد من زاوية الظّواهر النّفسية التي تصاحبها والصّراعات التي تستثيرها القوى ذات المنشأ النّزوي نتيجة الاندفاع الذي تشكّله، وقد أكّد فرويد في نظريته على أهمّية التّاريخ النّفسي للفرد وكيفية تعامله مع الصّراعات، إذ يتوقّف هذا التّعامل على نوعية تنظيمه النّفسي ، قوّة الأنا و على تهيئته الدّفاعية.

2-2- الصّدمة النّفسية عند معاصري فرويد:

خضع مفهوم الصّدمة من بعد فرويد لتغييرات وتنقيحات هامّة حقّقها باحثون ومحلّلون نفسانيّون كثيرون من بينهم: فرنكزي،أبراهام، سيمال، كارديني، فينيكال وآخرون وانقادوا نحو إعداد نظريات مختلفة.

كرّس هؤلاء وغيرهم جهودهم لدراسة الصّدمة النّفسية، فمنهم من اهتمّ بالعلاج وبحث في طرقه ومنهم من بحث في الأسباب و المنشأ النّفسي المرضي.

وإذا كان س. فرويد قد أنشأ مصطلح الصّدمة(Traumatisme) ، فإنّ س.فرنكزي(1927-1933) هو الذي تعمّق فيه ولكن من زاوية اصطلاحية أخرى(Trauma) كما برز في نظرياته وأعماله.

احتفظ هذا الباحث ولسنوات عديدة بعد فرويد بمفهوم واقع الصّدمة لكل العصابات ولم يتوقّف عن الإشارة إلى القيمة الصّدمية لبعض أحداث الواقع العنيفة ، ما أدّى به إلى إنشاء تصوّرات أفادت المجال العيادي بشكل كبير.

انتقد فرنكزي تخلّي فرويد عن نظرية الصّدمات الجنسية ورأى أنّ المحلّلين يقلّلون من أهميّة و قيمة التّجارب الصّدمية الحقيقية للطّفولة الأولى ، فللصّدمة الجنسية منشأ خارجي وعواقب مباشرة تخصّ الأنا ، فهو جزء من الواقع لا من سياق لاشعوري، فالأمر يتعلّق بإغواء جنسي حقيقي من راشد لطفل.

كما أوضح من خلال أعماله، وقد كان هذا اهتمامه الكبير، جملة من الإصابات النّرجسية الخطيرة التي تحدثها الصّدمات الجنسية ، فهي تلغي أيّ فرصة للاستجابة عند الأطفال وتعمل كمخدّر، وتوقف أيّ نوع من النّشاط النّفسي، كما تُبقي على انشطار الشّخصية عند الضّحايا، وتثير تلاشي الإحساس بالذّات وانهيار القدرة على المقاومة والتّفكير بهدف الدّفاع عن النّفس،وتؤدّي بالطّفل إلى التّماهي بالمعتدي واستدخال الشّعور بالذنب تّجاهه.

اهتمّ س. فرنكزي خلال الحرب العالمية الأولى(1919) بدراسة العصابات الصّدمية واعتبرأنّ الصّدمة النّفسية النّاشئة عن عصابات الحرب، تتمخّض عن فجائيتها ، عنفها

وعن عجز الشّخص عن الدّفاع ضدّ صدمة (choc) تسبّب تهديدا للحياة:" تؤثّر صدمة (choc) مُفاجئة ، غير متوقّعة وساحقة كمخدّر"(S.FERENCZI, 1978, p.143).

وثمّة عوامل أخرى تنضمّ إلى الفجائية وتجعل الصّدمة مولّدة للمرض وهي، كما أشارت إليها ج. دوبون (J.DUPONT, 1993) : الشّعور بالذّنب ، الرّفض وتكرار الصّدمات.

أمّا عن العواقب النّرجسية لمثل تلك الصّدمة النّفسية ، فيشير إليها فرنكزي قائلا ، كما نقلته ك. شهراوي(K.CHAHRAOUI,1997,p.179):"إنّه تضرّرالأنا، جرح لحبّ الذّات وللنّرجسية والنّتيجة الطّبيعية لذلك ،هي سحب الاستثمارات الموضوعية من اللّيبيدو وبصيغة أخرى، فقدان القدرة على حبّ شخص آخر من حبّ الذّات"، كما لاحظ أيضا تغيّر الشخصية الموالي لعنف صدمي.

هكذا إذا، أسهمت البحوث الأولى و بشكل أساسي في فهم العصابات الصّدمية و أثارت في نفس الوقت نقاشا حيويّا حول نصيب الواقع أو الهوام ، الاستعداد الفردي أو عنف السّياق الصّدمي، دور النّزوات الجنسية أو نزوات حفظ الذّات في الأسباب المرضية للاضطرابات النّفسية الصّدمية.

3- <u>الصّدمة النّفسية في الأدب النّفسي المعاصر</u>:

أمّا عن الأدب النّفسي المعاصر، فقد ظهر فيه تيّاران:

يركّز التيّار الأوّل على الجانب الخارجي للصّدمة(Trauma) وآثارها على النّفس وبشكل خاص عند الأحداث الاستثنائية كالحروب،المجازر والكوارث الطبيعية ، وفي هذا الصّدد نذكر الأثر النّموذجي الكبير لكلود باروا(C.BARROIS, 1988) حول"العصابات الصّدمية" وأعمال أخرى لباحثين كثيرين من بينهم: ل.س.تير (L.C.TERR,1991) ب. بابازيان(B.PAPAZIAN,1992)، ل. بايلي (L.BAILLY,1996) ، ل.كروك (L.CROCQ) وأعماله العديدة ، والمؤلّف الحديث لكارولين ڤارلان (C.GARLAND, 2001) الذي هو عبارة عن عمل مشترك بين جماعة من الباحثين العاملين بمصلحة الرّضوض بعيادة "طافيستوك" المشهورة(Tavistock clinic) منهم على سبيل

المثال : د. تايلور (D.TAYLOR)، د. بيل (D.BELL) ق. إنڤهام (G.INGHAM)، ون. تامبل(N.TEMPLE).

أمّا التيّار الثّاني ، فيُثني بفرضية الدّور النّفسي الدّاخلي للصّدمة، وهي فرضية حاضرة في الأدب الفرنكفوني الحديث بشكل خاص و من بين ممثلي هذا التيّار نذكر: كلود جانين (C.JANIN, 1996) وجاك بريس(J.PRESS, 1999) اللّذان طوّرا تصوّراتهما انطلاقا من تحليل نفسي فرويدي لكنّهما توقفا عن اعتبار الصّدمة مجرّد واقعة خارجيّة بسيطة تتلقاها النّفسية بسلبية ، وإنّما هي (الصّدمة) جزء مكمّل للسّير النّفسي.

4- البعدية وزمن تكوين الصّدمة النّفسية:

تساءل بعض الباحثين مثل م. برتران(M.BERTRAND, 1996) عن زمن تشكّل الصّدمة هل يكون من خلال تجربة وضعية عنيفة؟ في هذه الحالات ، تصبح الأعراض الصّدمية "ما بعدية" ، أم يجب التكلّم عن صّدمة نفسية فقط عند ظهور تلك الأعراض؟.

لاحظ العديد من السّيكتريين الحربيين أنّ العلامات الإكلينيكيّة للصّدمة النّفسية لا تظهر إلاّ عند نهاية زمن كمون يمتدّ من بضعة أيّام إلى بضعة أشهر، بل إلى سنة أو سنتين، فهل تعكس تلك العلامات زمن ظهور الصّدمة النّفسية (الموجودة من قبل) أو زمن تكوينها؟.

قبل الرّد على هذا التّساؤل ، وجب التعرّف ولو بإيجاز على مفهوم البعدية :

يشكّل مفهوم البعدية جزءا من نظام فرويد المفهومي حتّى ولو لم يعط له تعريفا محدّدا أولم يقدّم عنه نظرية إجمالية.

نجد النّموذج الكلاسيكي لهذا المفهوم حاضرا في مقال فرويد " نبذة عن علم نفس علمي" الصّادر عام 1895، و الذي عرض فيه حالة عيادية لفتاة سمّاها "إيمّا"(EMMA) .

توصّل فرويد من خلال تحليله لهذه الحالة إلى فكرة مفادها أنّ أيّ ذكرى مكبوتة لا تتحوّل إلى صدمة إلاّ في البعدية، أي في المرحلة المتأخّرة من البلوغ مثلما تطرّقنا إليه في المحور الأوّل من التصوّر الفرويدي للصّدمة (*)، بمعنى أنّ التطوّر البيولوجي هوالذي

يمنح كلّ قوّته لحادث جديد كان من الممكن أن يكون تافها ، لكنّه كان مرتبطا بطرق مختلفة بأقدم الأحداث.

تقتضي البعديّة إذا وكما ذكر ك. باروا (C.BARROIS, 1988) وجود حادثين :

- حادث مفاجئ أوّلي منسي يحمل أثرا ولا يعرف الشّخص مضامينه ولا يؤدّي إلى اضطراب واضح في شخصيته ، بل يبقى كامنا وبمثابة استعداد،

- وحادث مبتذل متأخّر في مرحلة النّضج ، يعمل على تنشيط الحادث الأوّل ويثير دفاعا مرضيا.

قد تظهر الأعراض الصّدمية أحيانا مباشرة بعد وقوع حادث ما بساعة أو بيوم ، وقد لا تظهر أحيانا أخرى إلاّ بعد فترة كمون طويلة نوعا ما ، أي من خلال البعدية ، وبمناسبة حادث ثاني ينشّط الأوّل.

وهكذا،" تنفجر الصّدمة النّفسية من خلال البعدية وتأخذ كلّ دلالتها" (C.DAMIANI, 1997, p.115) و قد يفقد الشّخص على إثرها توازنه النّفسي.

يرى م. دكليرك وف. دوبوا(M.DECLERCQ, V.DUBOIS, 2001) أنّ دليل الطّبيعة الصّدمية الحقّة لحدث ما، لا يظهر إلاّ في البعدية من خلال بروز تناذر تكرار صدمي كما أشير إليه فيDSM-IV؛ كما اعتبر ر.دياتكين(R.DIATKINE, 1982) من جهته، أنّ التّكرار

الهلوسي للتّجربة الصّدمية يتّخذ شكل" ما بعدية" فريد أو خاصّ بما أنّه يشكّل كتلة معزولة

(*): راجع صفحة (41)

في التّنظيم النّفسي للفرد تصطحبها آثار خطيرة نوعا ما كالكف، القلق المنتشر (Angoisse diffuse) وغيرها.

5- <u>الفرد و الحدث الصّدمي</u> :

قد تتسبّب بعض الوضعيات القصوى و ظروف المحيط أو البيئة التي تعتدي أو تهدّد بعنف الكمال الجسمي و العقلي للفرد في إحداث صدمة نفسية كأن تكون أحداث حرب مثلا اعتداءات، اغتصاب، حوادث سير،إرهاب أوكوارث تكنولوجية أو طبيعية كالزّلازل الفيضانات وغيرها. تبدو هذه الأخيرة (الكوارث الطّبيعية) خارجة عن إطار اجتماعي أو سياسي ، فالشّخص لا يتعرّض لتأثيرات تصرّف بشري، بل لهيجان قوى الطّبيعة، إنّها حدث طبيعي يتعرّض له مجتمع بأكمله و في بعض الأحيان منطقة بأكملها.

إنّ للاضطراب النّفسي الذي تسبّبه الكوارث الطّبيعية ميزة خاصّة حسب ل. بايلي" إنّها بالفعل،البيئة الحياتية المبتذلة التي تخفي فجأة أخطارا غير منتظرة" (L.BAILLY, 1996, p.95).

تثير الكارثة الطّبيعية حسب ل.كروك (L.CROCQ, 1996) اختلالا ملحوظا في التّنظيم الاجتماعي ، إذ يحدث انقطاع أو تشويش في سير الشّبكات الاجتماعية التي تضمن حياة المجتمع ويحدث إرهاق لوسائل النّجدة المحليّة، وإلى جانب الإصابات الفردية ، يصاب المجتمع بأكمله في عضويته، تنظيمه وفي حياته الجماعية. وهكذا،لا يصاب الفرد في " أناه الشّخصي" والأصلي فحسب، بل كذلك في إحساسه بالانتماء للجماعة، في" أناه الاجتماعي". تشكّل الكوارث على العموم كما يرى ل.كروك وآخرون (L.CROCQ et al, 1998) زيادة عن الدّمار والإصابات الجسدية ، بالضّرورة، صدمة (choc) انفعالية وإصابة نفسية كما تجلب للمجتمعات المصابة والمتضرّرة كما ترى إ. داليقان (E.DALIGAND, 1994) التّعاسة ،اختلال التّنظيم ،الحزن والكآبة.

يمكن القول في هذا الاتّجاه أنّ كلّ ضحايا الكوارث، مصابين أو ناجين من دون جرح جسدي، هم "جرحى نفسيّين" وجب التّكفّل بهم ، كما يمكن أن يتعرّض الشّهود الذين لم يتورّطوا مباشرة في الكارثة(أي لم يكونوا ضحايا مباشرين) لصدمة انفعالية مولّدة لأعراض حادّة نوعا ما ، معيقة ومستديمة.

في كلّ الأحوال ، فإنّ القاسم المشترك بين كلّ تلك الوضعيات الخارجية و"الأحداث ذات طاقة صدمية عالية"(événements à haut potentiel traumatique) كما يفضّل م.أ.آيت سيدهم (M.O.AIT SIDHOUM, 1999/2000, p.31) تسميتها،أو "أحداث مولّدة للصّدمة" (Traumatogènes) مثلما يصفها بعض الباحثين مثل :م. برتران (M.BERTRAND, 1996) ، م. دكليرك (M.DECLERCQ, 2001)، ف. دوبوا (V.DUBOIS, 2001) وغيرهم ، هو تضمّنها لنفس الخطر الكامن، خطر حيوي، ألا وهو إصابة أو تهديد بإصابة الكمال الجسدي أو النّفسي للفرد وللجماعة أيضا كما ذكرنا آنفا، كما تعدّ في الغالب سببا لانتكاسات(décompensations) مستديمة ذات طابع عصابي بل حتّى ذهاني أحيانا.

ولكن، هل نفهم ممّا سلف أنّ الصّدمة النّفسية تتحدّد فقط بشدّة وعنف حدث خارجي استثنائي يعدّ بالتّالي حدثا صدميّا ،أم أنّ هناك شروط أو ظروف أخرى بإمكانها أن تخفّف أو تدعّم آثار المفاجأة ، العدوان وغياب النّجدة؟.

يدعو مفهوم الحدث الصّدمي (événement traumatique) أو المصدم (traumatisant) في حدّ ذاته في الواقع، للغموض والحيرة، فقد يظنّ بعضنا بأنّ قوّة وعنف الحدث في الوضعيات الصّدمية يحدثان لوحدهما طفح الإثارة والاضطراب الذي يتبعهما، و لو أنّنا لا يجب أن نقلّل من أثره النّفسي الصّدمي، لكنّ الأمر مغاير تماما إذ تؤكّد أقوى النّظريات في هذا الميدان على مفهوم العلاقة القويّة بين تدفّق الإثارات الذي يصرفه الحدث وكفاءة أو قدرة الفرد على تحمّل و مواجهة مثل ذلك الفيض المرهق من الإثارة و إرصانه.

وهكذا،لا تحدث الصّدمة النّفسية إلاّ عندما تتعدّى كميّات الإثارة نفسها قدرات الفرد الحاوية (capacités de contention) وهذا ما أشار إليه فرويد في كتابه" الكف، العرض والقلق" واصفا وضعية ضيق بصدمية قائلا:"هي تقويم واضح لضعف قوانا اعتبارا لضخامة الخطر واعترافا لضيقنا وعجزنا تّجاهها، عجز مادّي في حال خطر واقعي وعجز نفسي في حال خطر نزوي [الذي يحدث استجابة صدمية]... نسمّي بصدمية مثل تلك الوضعية المعاشة في ضيق"(S.FREUD, 1975, p.96).

وفي نفس السّياق، يشير أ.آيت سيدهم (M.O.AIT SIDHOUM, 1999/2000) إلى أنّ الصّدمة النّفسية تنجم دائما عن التقاء نوعين من الوقائع (Les faits) :

هناك الأحداث التي تصيب الشّخص والوضعيات التي يجد نفسه مورّطا فيها بصفة منتظمة أو دائمة من جهة، وقدرات الفرد الدّاخلية لمواجهة تلك الأحداث وتسيير تلك الوضعيات من جهة أخرى.

ويواصل نفس الكاتب قائلا:" تحدث الصّدمة عندما تكون وسائل المواجهة غير كافية لإبقاء التّوازن الهميوستاتي للفرد في هذه الوضعيات وأمام هذه الأحداث؛ أولإصلاح تصدّعات التّوازن الهميوستاتي المنتظمة"(ibid., p.31).

قد يمسّ الحدث الصّدمي الشّخص بصفة مباشرة عندما يرى أنّ حياته مهدّدة ولم يستجب للوضعية بطريقة مناسبة ، أي أنّه استجاب لأثر المفاجأة الذي أسقطه في الهلع (l'effroi) إمّا بالعجز والضّعف، أوبسلوك غير متكيّف ، وقد يمسّه أيضا بصورة غير مباشرة عندما يُقتل شخص آخر إمّا والد ، قريب صديق أو جار مثلا، على مرأى منه أو يصاب بعنف في جسده فيرغب بل يهتم بمعرفة المشاعر التي يكنّها له (حب، كراهية، غيرة، إعجاب وغيرها) والتي يمكن أن توضّح طبيعة العلاقة أو الرّابط الذي بينهما.

وفي كلتا الحالتين، قد تغمر شدّة وطبيعة الحدث الصّدمي المعاش كاعتداء جسمي أو نفسي الفرد بشكل" كلّي" فتصعق و تشلّ جهازه النّفسي وتفشل قدرات الإرصان الخاصّة به وكذا سياقات دمج التّجربة الانفعالية والمعرفية الجديدتين، فيعجز عن فهم أو تمثّل الحدث الصّدمي الذّي يبقى عالقا في ذاكرته ويظهر بانتظام من خلال ذكريات مفروضة، انبعاثات وكوابيس وجملة من الاضطرابات النّفسية والسّلوكية التي تعرقل مسار حياته العملية والشّخصية (K.CHAHRAOUI, 1997).

من جهة أخرى، سمحت الملاحظات الميدانية والفحوص العيادية لعديد من الباحثين محلّلين نفسانيّين كانوا أو أطبّاء عقليين، بإبرازالطّابع النّوعي والنّسبي لاستجابات الأفراد أمام نفس الحدث الصّدمي،أي بتغيّرية آثاره، وبالتّالي، تجنّب التّعميمات التّعسّفية القائلة

بأحادية الاستجابة وحتميتها، أي الإصابة بصدمة نفسية (M.DECLERCQ, V.DUBOIS, 2001).

على العموم ، سواء حدثت صدمة نفسية أم لم تحدث فهذا لا يتوقف فحسب وربّما ليس بشكل خاص على طبيعة وخطورة الحدث الخارجي ، إذ يمكن أن تكون وضعية تهديد عنيف لكن دون اعتداء جسمي حقيقي صدمية بشكل خطير عند شخص ما وتبقى مبتذلة "بقدر كاف"(suffisamment) عند شخص آخر، أوقد يكون الحدث الخارجي في ظرف ما صدميّا عند البعض، ولا يكون كذلك بالضّرورة، عند الجميع. من جهة أخرى، فإنّ الحدث الذي لا يعني شيئا للآخرين (أي مجموعة من الأشخاص) ، يمكن أن يكون صدميّا عند شخص ما.

وإذا كانت آثار ذلك الحدث الخارجي نوعا ما صدمية سواء كان الأشخاص ضحايا أو شهود فلأنّ الأمر بالنّسبة لهم" لا يتعلّق في الواقع بنفس الحدث ، بما أنّ انعكاساته النّفسية قد تختلف بعمق من فرد لآخر"(R.PERRON, 1999/2000, p.14).

هذا يعني أنّ قدرة الاحتمال والصّد تختلف من فرد لآخر و لدى نفس الشّخص من وقت لآخر وعبرمراحل حياته المتعدّدة، هذا ما يفسّرتعقّد الحدث الصّدمي، إذ لايخصّ الوضعية الصّدمية فحسب بل الفرد في وضعية صدمية.

توضّح النّظرية التّحليلية هذا التّنوّع في الاستجابات الفردية تّجاه الأحداث الصّدمية بشكل جيّد، حيث تأخذ الصّدمة **نسبية معيّنة** وتؤول ، كما عرضناه بنوع من التّفصيل في بداية هذا الفصل،إلى علاقة القوّة بين الإثارات النّاتجة عن الحدث ودفاعات الشّخص الذي يخضع لها و بمدى صلابة بنيته وهكذا، تعدّ فكرة البنية ونوعية العمليات التي تميّزها مسألة محورية لفهم الاستجابات الفردية في تسيير الصّدمة النّفسية.

6- <u>الصدمة النّفسية و الجروحية النّفسية (La vulnérabilité psychique)</u> :

رغم اجتهاد نخبة كبيرة من الأطبّاء العقليين في التّعرّف بدقة على طبيعة العامل الضّاغط وتكميمه من خلال اختبارات و سلالم تقويمية ، إلاّ أنّ هذا غير كاف لفهم أثره على الفرد

الذّي له بنية خاصّة وتاريخ شكّلا عالمه الدّاخلي والذّي منه طابعه وشخصيته، وله أيضا ثقافة ينتمي إليها وبيئة اجتماعية يعيش فيها ، فهو إذا شخص جروحي نوعا ما لحادث خاص، في زمن خاص في تاريخ تطوّره.

إنّ مفهوم الجروحية النّفسية هو مفهوم إكلينيكي بالدّرجة الأولى، تعرّض لجملة من التّأثيرات الظواهرية في البداية ، حيث ينظر إلى الشّخص المتألّم من خلال تفاعله مع محيطه.

يقترب هذا المفهوم كثيرا، حسب باحثين عديدين ، من السّلسلة المكمّلة التي تناولها فرويد لتحليل السّببية الإمراضية للعصاب.

يمكن أن تعرّف الجروحية على أنّها:"حالة مقاومة دنيا للأضراروالاعتداءات، تضمّ ميكانزمات بيولوجية و نفسية ماضية وحاضرة"(K.CHAHRAOUI, 1997, p.181).

كثيرة هي العوامل التي يمكن أن تساهم بصفة عامّة في تطوّر الجروحية الفردية، نذكر منها:سياقات التّعلّق، الانفصال، المواقف الوالدية ، فرص المحيط ، مميّزات الطّبع الخاصّة عوامل الثّقافة، الوراثة ، التّأثيرات قبل و بعد الولادية ، البيوكيميائية والعصبية البيولوجية فالجروحية إذا هي محصّلة تفاعل هذه العوامل المختلفة.

لاحظت الباحثة ك.شهراوي(K.CHAHRAOUI, 1999) في دراسة عيادية حول العواقب النّفسية الصّدمية للحوادث، أنّ الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات نفسية صدمية مستديمة(وهم أشخاص لم يتمكّنوا من استرجاع توازنهم النّفسي بعد صدمة تضمّنت تهديدا حيويّا) ، هم أولئك الذين عاشوا لحظة ظهور اضطرابات، أزمة شخصية ارتبطت بلحظة حياتية عابرة صعبة و أحداث حياتية استتبعت تمزّقا عائليّا ، كوفاة قريب صراعات عائلية أو رحيل أطفال وصلوا إلى مرحلة النّضج.

غالبا ما تكشف قصص المصدومين أثناء العلاج النّفسي عن حالات انفصال عائلي مبكّر أو وفاة قريب قبل سن الحادية عشرة. قد توحي هذه العناصر إلى هشاشة قديمة، لكنّها غير قادرة على تفسير الاضطرابات الحالية ، لهذا ، يبدو من الأولى الاهتمام أساسا بسياق الأزمة الحالية التي يعيشها الشّخص.

تخضع الجروحية النّفسية للاضطرابات النّفسية الصّدمية المستديمة إذا لتفاعل ثلاثة عوامل:عنف الحدث ، الظّرف الذي يمكن أن يتلف دفاعات الفرد والاستعداد الفردي الذي يجعل بعض الأشخاص- بغض النّظرعن تكوينهم أوبموجب (Les frayages) العصابية المكتسبة في الطّفولة- أكثر هشاشة من غيرهم و أقلّ مقاومة للاعتداءات.

يتحدّث ل. كروك (L.CROCQ, 1997,p.11) عن الشّخصيات المهيّأة سلفا، التي" لن تملك أبدا طاقة كافية للسّيطرة على حدث عنيف ، فتكون بذلك عرضة للاستجابة لأي حدث وأقلّ نقرة وقائعية تصبح صدمية بالنّسبة لها ، غامرة بالتالي قدرتها الدّفاعية والإدراكية".

من جهته، يرى م. بودارين(M.BOUDARENE, 2001) أنّ معنى الحدث المعاش وصداه في الحياة العاطفية والانفعالية لا يتوقّفان على طبيعة و شدّة الاعتداء فقط ، بل على عدد معيّن من عوامل الاستعداد أيضا التي تكسب جروحية متزايدة للاعتداءات ، وقد لخّصها في النّقاط التّالية :

- شخصية هشّة؛
- وجود اضطرابات نفسية؛
- مستوى عقلي ضعيف؛
- شبكة علائقية ضيّقة؛
- غياب الدّعم الاجتماعي؛
- و ظروف معيشية مزعزعة.

يتجسّد ذلك بحق عند الطّفل الذي قد يشكّل الاستقرارالعائلي و مستوى النّمو المعرفي الجيّدين حاجزا ضد حالة الضّغط ما بعد الصّدمة.في المقابل، تعدّ الصّحة العقلية والجسمية الجيّدتين النّسيج العلائقي والرّوابط الاجتماعية المتينة والثابتة (المستقرّة) عناصر لحماية وضمان مقاومته ضدّ الاعتداءات.

أمّا فرويد ، فقد تحدّث عن صراع سابق للأنا وعن هشاشة في بنية الشّخصية و تتوقّف استجابات الشّخص المصدم في نظره على :

- عنف الحدث؛

- أصل الحدث: أحدثه شخص أم أنّ هناك سببا آخر؛

- حالة عدم انتباه الشّخص؛

- حالته النّفسية قبل الصّدمة (Choc)؛

- وأخيرا، تتوقف استجابة الشّخص على سلوكه الانعكاسي الذي قد يصبح صدميّا بعد ذلك إذا خالف الصّورة الاجتماعية.

وهكذا، يؤكّد الباحثون على عدم وجود استجابة واحدة أمام حدث صدمي بل هناك فوارق أوجروحية (vulnérabilité) فردية واضحة وبالغة الأهميّة، أي أنّ معايشة مثل تلك التّجارب أو الوضعيات القصوى تحدث دائما بصفة فريدة و فردية ، و تتوقف آثارها على شخصية الفرد التي قد تمكّنه من تحقيق سيطرة أو تحكّم أوّلي في الصّدمة أو تصريف مبكّر مفرغ للعمل الفاتر لزمن الكمون(Temps de latence)،على حالة دفاعاته في ذلك الوقت وعلى مرحلة النّمو التي يمرّ بها ، على المعنى الذي يعطيه هو بنفسه للتّجربة الصّدمية ، مدلولها في حياته العاطفية والذي يكسبها صدى مميّزا يحدّد التّوازن النّفسي اللاّحق كما يذكر م. بودارين (M.BOUDARENE, 2001) ، وأخيرا، على الدّعم العائلي والاجتماعي اللّذان يستفاد منهما أثناء و بعد تلك التّجربة.

7- <u>الحدث الصّدمي و أثره على السّير النّفسي</u>:

ماذا يحدث للجهاز النّفسي عندما يتعرّض فجأة لاستثارات خارجية قويّة وعنيفة ، وكيف يمكن له مواجهة تدفّقها الذي قد يغمر قدراته الإرصانية فيختلّ توازنه و يضطرب وبهذا تحدث صدمة نفسية؟.

يعتبرالأنا الهيئة الأساسية في الجهاز النّفسي والقطب الدّفاعي للشّخصية ، فهو مكلّف بالحفاظ على مصالحها وحمايتها من الأخطار ومن تصدّع بنيتها وذلك باستخدام كلّ أنواع الاستراتيجيات الدّفاعية التي تحقّق له التّوازن الدّاخلي عند مواجهتها لأيّ تهديد داخلي كان كالطّفح النّزوي الذي تسبّبه تغيّرات البلوغ الفسيولوجية مثلا، أم خارجي كالحروب الاعتداءات ، الكوارث الطّبيعيّة وغيرها.

غيرأنّ أحداثا عنيفة قد تفاجئه (لم يكن باستطاعته التأهّب لها) فتثير سياقات نفسية داخلية و قد تغمر شدّتها الدّرع الواقي للجهازالنّفسي و نقصد به صاد-الإثارات، فيجتاحه إحساس بخطر شديد من شأنه تحطيم وحدته النّفسية وجعله أعزلا تماما أمام اقتحام ذلك الخطر الخارجي وأمام ما قد ينبثق عنه هو في حدّ ذاته، أي الانفجار النّزوي الذي تثيره تلك الاستثارات الخارجية أو توشك على إثارته.

في هذه الحالة ، قد تتحطّم دفاعاته أو تتعطّل كالكبت، الإنكار، الإسقاط ، العزل، الرّفض وغيرها وينجم عن هذا كلّه اضطراب شديد للسّير النّفسي يعادل نوعا من الانهيار الذي يرتبط بالطّريقة العادية لسير حياته، أفكاره ، بنياته العقلية الثّابتة و تنظيمه الدّفاعي الثّابت أيضا ممّا يعرّضه لقلق شديد و متعب.

ومن جهة أخرى، يوقظ التدفّق الصّدمي لإثارة الحاضر هوامات وصراعات ماضية ظلّت مكبوتة فتجد هذه الأخيرة نفسها إذا مقيّدة بالأحداث الحاضرة بطريقة يصعب حلّها.

يبدو أنّه كلّما كان الحدث الصّدمي قويّا و طويل الأجل ، كلّما كانت الشّحنة الانفعالية التي يتحمّلها كبيرة جدّا ومستديمة ، ويكون من الصّعب جدّا التحرّر من مادة جديدة قويّة ومحمّلة.

تحدّث فرويد في مقاله "ما وراء مبدأ اللّذة "(1920) عن بعض الأحداث التي تحدث تأثيرا صدميّا على النّفس فترغمها على تحمّل الوضعية الدّاخلية المشوّشة والتكيّف معها.

هناك عنصر مهم يسمّيه فرويد "الارتباط "(Liaison) ، لكن من الصّعب معرفة ما كان يقصد به بالتّحديد بما أنّه استعمله بطرق مختلفة و في مختلف مراحل عمله.

يبدو أنّه عملية دفاعية تقلّل من التدفّق الحرّ للإثارة، كما يتضمّن معنى خاصّا لفهم عواقب الصّدمة طويلة المدى.

عندما يحدث خرق كارثي في الدّرع الواقي ، يضطرب السّير العقلي و يصبح مشوّشا كليّا والمقصود إذا بالتحكّم في الإثارة، كما قال فرويد:"ربط نفسيّ لجملة الإثارات التي اخترقت بالكسر من أجل التخلّص منها فيما بعد"(S.FREUD, 1981, p.72).

تتّخذ بعض الأحداث الحاضرة أحيانا معنى خاصّا للّذين يخضعون لها وبخاصّة عندما تبدو مؤكّدة لأسوأ الهوامات المبكّرة وعلاقات الموضوع ، في هذه الحالات، يبدو ما أسماه فرويد بالارتباط مكثّفا ويشكّل نوعا من الالتحام.

تفتح تجربة حدث صدمي خارجي إذا مثلما ذكرت ك. قارلان (C.GARLAND, 2001) جيوب التشويش والاضطراب وتبقيها مفتوحة بواسطة سياق الرّبط ، مانحة لمحتوياتها حياة جديدة ومشبّعة الحاضر بمدلول الماضي.

يقرّ التّطبيق العيادي وكذا أعمال باحثين كثيرين أمثال ب. أولانيي (P.AULAGNIER, 1975) ، م. فان(M.FAIN, 1992) ،أ.قرين (A.GREEN, 1993) والحديثة منها ل س وس. بوتيلا(S et S. BOTELLA, 1995) و ر.روسيون (R.ROUSSILLON, 1995) الذين أشاروا إلى ذلك بشكل جيّد، ببروزعدّة صدمات نفسية من خلال توقّف عمل التّصوير(Travail de figurabilité) ،إذ تفقد وظائف صاد- الإثارات التّابعة للأنا، والتي تعرف بقدرتها على ربط الإثارات و خفض التوتّرات النّاتجة عن كمّيات من الإثارات، فعاليتها فينتشر ما هو كمّي بحريّة تحطّم الجهاز النّفسي و/أو الجسم.

يفقد السّير النّفسي قوّته فينعكس ذلك على التّوازن الجسدي- النّفسي ، وقد قدّم بيير مارتي (P.MARTY, 1980) في أعماله حول الحياة العملية(La vie opératoire) والاكتئاب الأساسي(La dépression essentielle) ومحلّلين آخرين ينتمون إلى التيّار النّفسي الجسدي الدّليل السّاطع حيث يبقى الجسد والنّفس معرّضين للإثارات غيرالمرصنة أو غير المبنية (Métabolisées).

هكذا إذا، يكشف الصّدمي (Le traumatique) عن خرق صاد- الإثارات وتحطيم الرّوابط إنّها الحركية النّفسية ذاتها التي تكون مشوّهة، وتمسّ مستويات السّير العقلي الثلاثة: اللاّشعور، ما قبل الشّعور والشّعور.

يعاد النّظر في هذه الحركية عند الوضعيات التي تحتمل خطراضطراب الاستقرار الهميوستاتي، بما أنّ السّير العقلي يصبح قليل التمييز، والتّمثلية (La figurabilité) مهدّدة

والرّابطة بين العواطف والتصوّرات سيّئة ، كما تظهر تلك التي بين تصوّرات الأشياء وتصوّرات الكلام و كأنّها جامدة.

تبقى فترة الصّدمة نشطة في العالم الدّاخلي للفرد لأنّه لا يمكن لها أن ترصن بسهولة وتظلّ مقرّا للضّغينة ، للألم و للشّعور بالذّنب (N.TEMPLE, 2001).

ولكي تحافظ كلّ نفسية مضطربة وقلقة على كمالها وتتجنّب خطر تدمير التنبيهات المرهقة التي تصدر بالأخص عن وضعيات تتعدّى قدرات تحمّلها ، فإنّها تجمع كلّ القوى والآليات الدّفاعية كالكبت،الإنكار،الرّفض وغيرها والتي تحميها من انبثاق ذكريات التّجربة الصّدمية الأليمة.

رغم كلّ ما قيل عن الأحداث الصّدمية وتأثيراتها السّلبية إلاّ أنّها ليست كلّها مدمّرة و قد كشف الفكر الفرويدي بوضوح عن الجانب الإيجابي لها.

يؤكّد التّطبيق العيادي ، بالفعل ، أنّ القوى الدّفاعية التي يجنّدها الأنا كي يحمي النّفس من تصدّع في بنيتها عقب معاش مقلق ، ليست دائما مخلّة للنّظام ، بل تأخذ بشكل آلي طابع مقاومة نشطة تؤول إلى إرصان الصّدمة النّفسية والأمثلة على ما نقوله كثيرة ولابأس أن نستدلّ بتلك التي قدّمتها أ. بوتاميانو(A.POTAMIANOU, 2001).

تعتبرهذه الباحثة بعض التقمّصات النّاتجة عن وضعيات ذات قيمة عاطفية خطيرة كالتّقمّصات للمعتدي أو لعنف والد مريض عقليّا مثلا رغم مسيرتها المؤلمة ، كحلول أقلّ كلفة من الحلول الأخرى التي تصبح الدّفاعات العقلية فيها فاسدة والحياة النّفسية مهدّدة بالانهيار، كيف ذلك؟.

شرح كلّ من أ. فرويد (1947) ، و. وينيكوت (1950) ، ج. دياتكين (2001) وغيرهم من المحلّلين النّفسانيين دورهذا الميكانزم الدّفاعي(التقمّص للمعتدي)الذي يعدّ أحد الميكانزمات الأكثر قوّة للدّفاع ضدّ المواضيع الخارجيّة المولّدة للقلق،بحيث يمنح للضّحية السّيطرة على الصّدمة النّفسية ويمكّنها من توقّع تكرار العدوان واتّخاذ احتياطات ضدّه .

فباستدخال الشّخص بعض العناصر من المواضيع التي تسبّب له الضّيق والقلق ، يتمكّن من استيعاب الحدث المقلق ، التكيّف معه ومن إرصانه ، كما يعْمد إلى تقليد سلوك العنف

المرتكب ضدّه بطريقة لاشعورية ، للتّخفيف من حدّة مشاعر الذعر، الفزع والعجز التي يعاني منها ، ويكرّره ضدّ الآخرين ، فيتحوّل من مهدَد إلى مهدِّد (A.FREUD, 1990) وقد يولّد ذلك العدوان مشاعر ذنب كبيرة(C.DAMIANI, 1997) .

يمكننا القول إذا أنّ الصّدمة النّفسية لا تتطلّب عملا عقليّا ضخما فحسب ، بل يُؤسّس هذا الأخير على قدرة المواجهة ، تسيير، احتواء و مفاوضة القلق الصّدمي ، فإذا تميّز الجهاز النّفسي بدفاعات عقلية متينة، متماسكة و بغنى هوامي ، تميل الصّدمة النّفسية ، في السّاحة العقلية، إلى التسيير في أغلب الأحيان من خلال تعبير أعراضية عقلية أو اشتدادها.

أمّا إذا ظهر الجهاز النّفسي هشّا و بدفاعات غير منتظمة،غير صلبة، يغمر تدفّق الإثارات المرتبطة بالصّدمة السّاحة العقلية لينفتح نحو سبل أخرى وبخاصّة منها السّلوك أوالأجهزة السّوماتية.

لكنّ الشيء الأكيد الذي تجدر الإشارة إليه هو اختلاف أثر العوامل الصّدمية على السّير العقلي لكلّ فرد (مثلما أوضحناه في العنصر السّابق) ، و كذا الإجراءات المضادّة للصّدمة التي يمكن أن يستعملها الأنا.

8- العواقب الإكلينيكية للصّدمة النّفسية :

تثيرالكوارث استجابات استعجالية ليست بالمتكيّفة دائما و قد تكون وخيمة على أمن وطمأنينة الأشخاص ، صحّتهم العقلية و نظامهم العام ، فقد تظهر أعراض نفسية صدمية عند ضحايا كارثة عظيمة كالفيضانات مثلا، دفعة واحدة أو تستمر مع الزّمن، تتفاقم أو تختفي.

تظهر تلك العواقب النّفسية المرضية عند بعض الأشخاص بعد فترة زمنية تسمّى بزمن الكمون، فإذا استطاع بعض الضّحايا بعد كارثة طبيعية، كما قد يظهر عند بعض من أفراد مجموعة بحثنا ، تجاوز حالة الهلع، يمكن لبعضهم الآخر أن يطوّر بالمقابل حالة ضغط ما بعد الصّدمة أو تناذرا نفسيّا صدميّا مثلما يفضّل ل. كروك(L.CROCQ) تسميته بكلّ انعكاساته على الحياة اليومية والعمليّة بصفة عامّة والشّخصية بصفة خاصّة.

هكذا إذا، عندما يتعرّض شخص لحدث عنيف ، ولتكن كارثة طبيعية مثلا، فإنّه يستجيب له مباشرة بضغط تكيّفي دونما الإصابة بصدمة نفسية ، لكن، إذا اجتاح الحدث الخارجي نفسيته بعمق، فإنّ ذلك الضّغط المتكيّف ظاهريّا قد يتطوّر لاحقا إلى عصاب صدميّ ؛ وقد يحدث العكس تماما عند شخص آخر استجاب بضغط متجاوز لكنّه لم يطوّر أيّة عاقبة نفسية صدمية.

وهكذا، تظهر في غالب الأحيان عواقب نفسية مرضية عند أشخاص أبدوا في الحين ضغطا متجاوزا أو بالأحرى ملوّنا بعصاب شخصي.

يميّز السيكتريّون النّاطقون باللّغة الفرنسية ثلاث مراحل في الباتولوجيا النّفسية الصّدمية هي: المرحلة المباشرة، المرحلة بعد المباشرة وأخيرا، المرحلة المزمنة.

فيما يلي، عرض دقيق لأهمّ ما يميّز كلّ مرحلة من هذه المراحل المذكورة:

8-1- <u>المرحلة المباشرة</u>:

تنْضمّ الاستجابات الفردية المباشرة لكارثة ما، ولنأخذ على سبيل المثال الفيضانات التي هي موضوع بحثنا، حول مصطلح رئيسي هو" الضّغط"، المستعار من المعجم الإنجليزي والذي ينوب عن اللّفظ الكلاسيكي"استجابة انفعالية" ضامّا المظاهرغيرالانفعالية للاستجابة المباشرة.

تُظهر الأعراضية المباشرة الضّغط بشكليه: المتكيّف والمتجاوز، كما تظهر أيضا بعض المظاهر النّفسية المرضية.

يشير لفظ ضغط الذي طوّره الفيزيولوجي الكندي هانس سيلي (Hans SELYE) في السّنوات(1945-1950) إلى استجابة بيولوجية، فسيولوجية و نفسية مباشرة لذعر، لتعبئة ولدفاع الشّخص أمام عدوان أو تهديد وحتىّ أمام وضعية غيرعادية.

تمسّ هذه الاستجابة المستويات الجسمية النّفسية والحركية في آن واحد (M.DECLERCQ, V.DUBOIS, 2001).

ينطبق هذا اللّفظ على العموم على اعتداءات أو تهديدات استثنائية معرّضة حياة الفرد أو سلامته الجسمية للخطر ومنها: اعتداء جسدي ، اغتصاب ، حرب ، حادث أو كارثة.

أوضح ل.كروك (L.CROCQ) في مقالاته العديدة ،الاختلاف الكبير بين الضّغط والصّدمة النّفسية التي هي "عبارة عن سياق يحدث داخل النّفس تحت تأثير حدث ذا طاقة صدمية و ليس الحدث الذي يحرّض هذا السّياق فيسمّى حدثا صدميّا" (L.CROCQ, 2001, p.4).

فالصّدمة مصطلح نفسي بحت ولاعلاقة له بالفزيولوجيا وبالتّالي ليست له علاقة بالضّغط بل الأجدر ألاّ نخلط بينهما ، فهُما من نواح ، كما يقول ر.بيرون (R.PERRON, 1999/2000, p.12) "لفظين متعارضين تماما"،غير أنّهما يشتركان حسب ل. بايلي (L.BAILLY, 1996) في عدد معين من التأثيرات المرضية وفي إمكانية ظهور اضطرابات نفسية جسدية.

8-1-1- <u>استجابة الضّغط العادي المتكيّف</u>:

تضم استجابة الضغط المتكيّف أو العادي سياقات بيولوجية وفزيولوجية معروفة لها أثر على العضوية بحيث تضعها في حالة إنذار ودفاع فسيولوجي (L.CROCQ et al, 1998) أمّا من الناحية النّفسية،" فالضّغط مركّز للانتباه، مجنّد للطّاقة ومحرّض للفعل لاسيما من خلال حصر مسبق"(N.PRIETO et al, 2002, p.41).

إنّ استجابة الضّغط العادي هي استجابة ضرورية، تكيّفية، تُلهم الشّخص القرارات والسّلوكات الملائمة لإنقاذه من الخطر أو مساعدة الآخرين ليخرجوا من الخطر، وهي على العموم قصيرة إلاّ أنّها قد تطول طالما لم يوقّق الشّخص في حماية نفسه.

تحدث استجابة الاستعجال هذه في جوّ من التوتّر النّفسي الاستثنائي، ترافقها مظاهر مضايقة في المجالات الخمسة التّالية:المعرفي، الانفعالي (العاطفي)، العصبي الإعاشي الإرادي والسّلوكي.

وكاستجابة مكلفة في الطّاقة النّفسية ، ينتهي الضّغط بوضع غامض يجمع بين الارتياح الابتهاج والتعب الجسدي والنّفسي، لكن إذا كان حادّا، ممتدّا أو مكرّرا في فواصل زمنية

قصيرة، فإنّ العضوية المنهكة تعجزعن تجديد ردّ فعل الضّغط التكيفي الذي يتحوّل إلى استجابات ضغط متجاوزمرضية وغيرمتكيّفة في الغالب(L.CROCQ, 1997).

8-1-2- <u>استجابة الضّغط غير المتكيّف (المتجاوز)</u>:

ينهك الضّغط الاحتياطات الطاقية و قدرات السّيطرة الانفعالية متيحا بذلك الفرصة لأنماط ضغط متجاوز بدائية وغير تكيّفية في الغالب(L.CROCQ et al, 1998) ، وقد ميّز الباحثون أربع استجابات ضغط متجاوز،هي :استجابة الصّعق، استجابة التهيّج،استجابة الفرارالمرعب وأخيرا، استجابة الفعل الآلي.

أمّا عن الأولى، فيصبح الشّخص مذهولا على المستوى المعرفي، مخدّرا على المستوى العاطفي ومصعوقا على المستوى الحركي.

وأمّا الثّانية، فهي استجابة عقيمة وغير متناسقة، إذ يجد الأشخاص أنفسهم غير قادرين على اتّخاذ قرار متكيّف فيحرّرون توتّرهم بالتوْمئة (La gesticulation) أو بحركات كثيرة.

يجد الشّخص في الفعل الاندفاعي تحرير فيض من التوتّر النّفسي غير المحتمل. قد يكون هذا النّوع من الاستجابة تكيّفيا مخرجا فاعله من الخطر، كما يمكن أن يكون غير ذلك، أي انتحاريّا مُلقيا بالشّخص المذعور في الخطر.

تعدّ الاستجابة الأخيرة، أي الفعل الآلي أقلّ شهرة بالرّغم من شيوعها،إذ نجد الشّخص في هذا النّوع من الاستجابات عاجزاعن التّفكير لاختيارالحلّ الأفضل، فيتصرّف مثل الإنسان الآلي و بصفة تلقائية أو يقلّد أشخاصا آخرين.

تتناسب هذه المرحلة كذلك مع ما يشير إليه DSM-IV من مجموعة من الأعراض كالشّعوربالتّفكّك ،غياب ردّ الفعل الانفعالي، انخفاض حقل الوعي والنّساوة التّفككية (L’amnésié dissociative) كعدم القدرة على تذكّر بعض مشاهد الصّدمة ،إضافة إلى اللاّشخصانية (dépersonnalisation) والآنية (déréalisation).

ينتهي هذا الضّغط المتجاوز في أغلب الأحيان ، حسب ل. كروك (L.CROCQ, 2001) (و ليس دائما بحيث يتطوّر الضّغط المتجاوز عند بعض الحالات أو الأشخاص دون عواقب) بتناذر نفسي صدمي.

زيادة عن الاستجابات سالفة الذكر، تظهربعض الأعراض العصابية المرضية عند الأشخاص العصابيين على شكل استجابات الحصر مع عجز عن تحمّل الانتظار، تخوّف مفرط ،استجوابات دائمة وملحّة، اهتياج ، بالإضافة إلى استجابات خوافية هستيرية تظهر في الغالب على شكل نوبات تعبيريّة انفعالية (هيجان، صراخ ،دموع)، وأعراض الإقلاب أو نوبات قلق .

كما نجد أيضا استجابات ذهانية (ولو أنّها نادرة) مثل استجابات خبلية مع تلبّد، تيه زماني-مكاني (Désorientation temporospatiale)، بلادة، هيجان وفورات هذيانية متعدّدة الأشكال.

هكذا إذا، تظهر عند كلّ الأشخاص المتورّطين في كارثة- ضحايا، شهود، منقذين أوحكّام- استجابة ضغط ، وقد أقرّ بعض الباحثين أمثال (ST.BOYD, 1981) (L.WEISAETH, 1989) و(L.CROCQ, 1995) أنّ 15% من الأشخاص يبدون استجابة ضغط متحكّم فيها تماما ، بالمقابل، فإنّ 15% آخرون يبدون استجابة ضغط متجاوز وغير متكيّف بشكل واضح بل حتّى استجابة عصابية أو ذهانية، بينما يظهر70% المتبقّون استجابة عادية ومتكيّفة (ظاهريّا) لكنّها بدائية وعُرْضة لأقلّ حدث أو سبب مفاجئ.

8- 2- <u>المرحلة بعد المباشرة</u> :

تعدّ الاضطرابات الانفعالية النّاتجة عن الضّغط في الأصل اضطرابات عابرة ودون عواقب حتّى وإن ظهر الضّغط في شكل متجاوزأو عصابي ومع ذلك، تظهر عند أشخاص ضحايا كانوا أو منقذين، خلال الأيّام بل الأسابيع الأولى التي تتبع الكارثة، اضطرابات حصرية أو اكتئابية مرتبطة ارتباطا بليغا بتجربة الكارثة.

تشكّل هذه الاضطرابات العابرة الممتدّة من بضعة أيّام إلى شهر و التي يجب تمييزها عن التّناذرات النّفسية الصّدمية المستديمة والمزمنة، الباتولوجيا بعد المباشرة التي تضمّ الأعراض التالية: تأخّر في العودة إلى الشّعور الطبيعي، ذهن ملبّد بذكرى الكارثة فجوات في الذّاكرة، أعراض الحصر الدائمة كالتخوّف ، اختلال الأمن، سوْرة قلق نفسي وجسمي وكذا أعراض اكتئابية مثل: كف، حزن، مزاج مكتئب ، أمل مفقود و نوبات بكاء. قد تظهر عند بعض من الحالات، أعراض نفسية صدمية تُعلن عن اضطرابات حادّة أو ربّما عن وجود صدمة كانبعاث متواتر لمعاش الكارثة، صعوبة النّوم ، كوابيس متكرّرة حالة استنفار وأحيانا ، تدهور بالمحيط و سورات غضب (L.CROCQ et al, 1998).

قد تختفي اللّوائح الإكلينيكية بعد المباشرة المتنوّعة في أيّام أو في أسابيع قليلة، نادرا أكثر. تنتمي مثل هذه الأعراض إلى سياق الصّدمة ويثير وجودها في الجدول العيادي التّساؤل حول ما إذا كانت عبارة عن تصفية للصّدمة في طور التّنفيذ أو عصاب صدمي في طور الاستقرار.

8- 3- <u>المرحلة المزمنة</u>:

يظهر الخطر التّطوّري الأساسي للصّدمة النّفسية على شكل تناذر حاد، مستديم ، تنوّعت تسمياته بحسب التّصورات النّظرية والبلدان. ففي أوروبا مثلا، يوافق هذا التّناذر الوصف الفرويدي للعصاب الصّدمي.

أمّا الأمريكيّون، فقد طوّروا على مرّ النّسخ المختلفة لكتابهم التّشخيصي و الإحصائي للاضطرابات العقلية (DSM) وصفا مقاربا عُرف باسم "حالة الضغط ما بعد الصدمة" (Post-traumatic stress disorder) وهي"جملة الاضطرابات التي تستمرّ من شهر إلى ثلاثة أشهرمن وقوع الحادث الصّدمي"(DSM-IV,1996,pp.209-213)، وقد تبنّى التّصنيف العالمي للأمراض(CIM-10) هذا المصطلح وأدرج تشخيصا إضافيّا يتعلّق

بتغيّرات الشّخصية بعد تجربة كارثية ليأخذ بعين الاعتبار التّحوّلات النّفسية الصّدمية للشّخصية التي أهمل DSM-IV جردها ضمن أعراض حالة الضغط ما بعد الصّدمة.

أمّا العياديّون النّاطقون باللّغة الفرنسية، فيقترحون لهذه المرحلة لفظ " تناذر نفسي صدمي مؤجّل"(Syndrome psycho-traumatique différé) الذي يغطّي تشكيلة الحالات الملاحظة في هذه المرحلة وهي:الأمراض النّفسية الصّدمية العابرة (التي تختفي خلال بضعة أشهر) تناذرات مستديمة تستجيب للمعايير اللاّزمة لتشخيص حالة الضّغط ما بعد الصّدمة الحادّة التي يذكرها DSM-IV، و كذا عصابات صدمية حقيقية(مع تغيّر نموذجي للشّخصية) وحالات تقترب من الذّهان لفرط ما كانت تجربة اللاّشخصانية (Dépersonnalisation) الصّدمية الابتدائية شديدة ومقلقة.

وبهذا، يشجّع الموقف الفرنكفوني الاسم العام للتّناذر النّفسي الصّدمي الذي يضمّ (مثلما تطرّقنا إليه في الفقرة السّابقة): حالات المرحلة المباشرة التّي اتّضحت أنّها صدمية (ولكن ليس القلق المتكيّف أوالمتجاوز اللّذان حُلاّ دون عواقب) ، حالات المرحلة ما بعد المباشرة وأخيرا ، حالات المرحلة المؤجّلة المرضية العابرة أو الحادّة.

تطوّر وصف الحالة ما بعد الصّدمية منذ فرويد،غير أنّ فِرقا من الباحثين الأنجلوسكسونيين تناولته(الوصف) ثانية وبطريقة كلاسيكية جدّا ملتزمة بذلك بأعمال فرويد والمحلّلين النّفسانيّين الآخرين ولوأنّ الأطبّاء العقليّين الحديثين لا يربطونه بالمنشأ النّفسي للعصابات.

ولا بأس أن نشيرإلى التّشابهات العديدة بين "حالة الضّغط ما بعد الصّدمة" التّي صنّفها DSM- III وDSM- III- R (المُراجع) و كذا (CIM-10) ، و"العصاب الصّدمي" الذي تحدّث عنه كلّ من س. فرنكزي(1978)، أ.فنيكال (1979) ، س. فرويد(1981) و ك. باروا(C.BARROIS, 1988)، الذي خصّه بدراسة شاملة جُمعت في مؤلّف يعدّ اليوم مرجعا حقيقيّا.

وهكذا، تظهر المعايير التشخيصية الأساسية المشتركة بينهما كما يلي :

- وجود صدمة نفسية كبيرة؛

- تناذر تكراري نوعي؛
- انخفاض النّشاط العلائقي و قابلية ردّ الفعل؛
- اضطرابات معرفية وعاطفية ، سلوكات التّجنّب، حصر، وغيرها.

على كلّ حال،لا تستقرّ العصابات الصّدمية والتّناذرات النّفسية الصّدمية بصفة أعمّ بلائحتها العيادية المميّزة لها مباشرة بعد الحدث الصّدمي، بل عند نهاية زمن معيّن يسمّى بزمن الكمون(Temps de latence) الذي سمّاه المحلّلون النّفسانيّون القدامى البارزون أمثال شاركو (CHARCOT) جاني (JANET) ، ثمّ فرويد (FREUD)، زمن"الحضانة (incubation)" " التبصّر"،" التأمّل" و"زمن الاجترار".

إنّه زمن ثابت في كلّ تناذر نفسي صدمي ، متغيّر حسب الشّخصيات المَعْنية (حسب نمط الشّخصية) والظروف بعد الصّدمية (L.CROCQ, 1997) لهذا، يظهرالاضطراب في كثيرمن المواقف نتيجة عامل مفجّر صغير يذكّر الشّخص بالصّدمة، يمكن أن تكون وضعية مشابهة أوتقترب من تلك التي عاشها ، كما يمكن أن تكون أحيانا وببساطة رائحة أو صوت (C.JONAT, L.CROCQ, 1996).

تتراوح مدّته من بضعة أيّام (وأحيانا ساعات) إلى ستّة أشهر أوأكثر(قد تصل إلى سنة أو أكثر عند بعض الحالات) ، وهو يضمّ إ مّا استجابة انفعالية حادّة أو"صمت عيادي" يحقّق خلاله إعادة تنظيم تضمن دفاعا متأخّرا بحثا عن توازن جديد يعوّض الاختلال الأوّل.

إنّه، كما يذكر ل. كروك "الزّمن الضّروري للنّفس أو للعضوية كي تضع جهازا دفاعيّا جديدا بدلا عن ذلك الذي فوجئ و أغمر بإثارات قويّة"(L.CROCQ, 1992, p.428).

ومن الخطأ الاعتقاد بسكون وصمت زمن الكمون، حيث يظهر عند الملاحظة الدّقيقة تغيّر في الوضع والسّلوك الاجتماعيين للضّحية ، فإمّا منعزلة عن العالم وفي تأمّل حائر مرتبكة إضافة إلى أعراض حصرية متنوّعة، وإمّا ، وهذا نادر جدّا، مهيّجة بشكل غير عادي منفتحة القلب و مرحة.

ثمّ يظهرمن خلال نمط أوعدّة أنماط ، تناذرالتّكرارالذي عن طريقه تتجدّد التّجربة الصّدمية عند الشّخص.

علاوة عن هذا التّناذر(تناذرالتّكرار)، تتضمّن التّناذرات النّفسية الصّدمية في لائحتها العيادية أعراضا أخرى غيرنوعية وتغيّرات في الشّخصية تنمّ عن عمق أثرالحدث الصّدمي على الفرد.

وفيما يلي عرض مفصّل لكلّ عنصر من العناصر سالفة الذّكر:

8-3-1- تناذر التّكرار:

لقد وصف أ. فينيكال(O.FENICHEL,1945) في كتابه حول"النّظرية التّحليلية للعصابات"،الأساس في تناذر التّكرار الصّدمي الذّي يعتبر الواسم المرضي (Pathognomonique) للعصابات الصّدمية ونواتها.إنّه عبارة عن مجموع مظاهر الانبعاث التي يكرّر المريض من خلالها و بقلق و شدّة التّجربة الصّدمية الأوّلية حيث لم يتمكّن من التّحكّم فيها عند وقوعها فجأة (G.BRIOLE et al, 1994).

تتجلّى هذه المظاهر كما رصدها ل. كروك (L.CROCQ, 1992) في:

- الهلوسة أو رؤى شبه هلوسية ،
- الذكرى المُرغمة،
- الاجترارالعقلي حول الأسباب والعواقب (إنّها اجترارت عقلية تشترك معها نوبات انفعالية تعرقل نشاط الشّخص اليومي وتغيّر قدراته على التّفكير)،
- معايشة التّجربة و كأنّ الحدث سيتكرّر،
- التّصرّف وكأنّ الحدث سيتكرّر(الرّجفة التّلقائية، الانطواء النّاتج عن محاولات المريض المكرّرة بغرض الاحتماء و ذلك بعزل كلّ ما يبدو له مهدّدا...) ،
- الميل إلى تسيير الحدث من خلال الوصف،اللعّب التّكراري أوالرّسم عند الطّفل أوالتأمّل الجذّاب في وثائق الحدث ،

- وأخيرا،الكابوس التّكراري الكلاسيكي الذي يعيشه الشّخص أكثرممّا يتأمّله وأحلام متطفّلة ومولّدة للحصر التي لها علاقة مباشرة بالحدث الصّدمي.

يعدّ الكابوس الصّدمي المظهر الرّئيسي لتناذر التّكرارالصّدمي. يعيد هذا الحلم ، في الشّكل النّموذجي، الحدث الصّدمي من جديد بمحاكاة وتطابق تامّين، إنّه يكرّر الظروف الحقيقية للمشهد وبالشّدّة التي حدثت بها، أمّا الاستيقاظ منه ، فيحدث في سياق جديد للقلق الممزوج بأحاسيس غيظ ضعيف وعاجز،كما تبقى اضطرابات النّوم سواء سبقت الكابوس الصّدمي أو حاكته، ثابتة ودائمة.

تحدث كلّ هذه الانبعاثات إمّا تلقائيّا أواستجابة لمثيرمحرّض و بتواتر قابل للتغيّر ويعيشها المريض في جوّ من القلق الحاد أوالضيق النّفسي المصحوب باضطرابات عصبية-إعاشية و بتصلّب السّلوك الحركي.

8-3-2-<u>أعراض غير نوعية</u>:

تشترك هذه الأعراض مع عديد من الأمراض العقلية الأخرى، فيمكن أن تكون مثلا: حصر عام، وهن جسمي، نفسي وجنسي، مظاهر نفسيّة عصابيّة خوافيّة(مخاوف الوضعيات المذكّرة بالصّدمة وبشكل أوسع وضعيات أخرى)، اضطرابات وظيفية ونفسية جسمية وسلوكات مرضية تظهر على شكل خلفة شراهة، محاولات الانتحار وإدمان المخدّرات.

يضيف ل.كروك (L.CROCQ, 1992) اضطرابات أخرى غالبا ما نشاهدها في الجداول الإكلينيكية للعصاب الصّدمي، وهي اضطرابات الطّبع التي تظهرفي شكل سلوكات عدوانية اندفاعية وغيرمضبوطة تكرّر بشكل من الأشكال الجوّ العنيف و الدرامي للصّدمة الأوّلية منها : نوبات بكاء ، نوبات عدوانية ، سوْرة غضب و سلوكات انتحارية.

8-3-3- تغيّر(تحوّل) الشّخصية (Altération de la personnalité):

يظهر الطّابع الثّاني المميّز للعصاب الصّدمي على مستوى الشخصية و يشهد على إعادة تنظيم (دفاعي أو مرضي) الشّخصية كما يعبّرعن معنا صدمي.

يعدّ التثبيت في الصّدمة النّفسية عند فرويد، الميكانزم الأساسي والدّائم لهذا التّغيّر في الشّخصية.

ليست الشّخصية الصّدمية تكوينية كتلك الحصرية أو المكوّنة منذ الطّفولة كالشّخصيات الهستيرية،الخوافية والهجاسية،إنّما هي شخصية مكتسبة حديثا،منطوية على ذاتها نكوصية وتابعة(Dépendante) تبنّت بعد أثر الصدمة النّفسية علاقة جديدة بالمحيط - طريقة جديدة في الإدراك،التّفكير،الشّعور،الحب،الإرادة والفعل- ونمطا دفاعيّا جديدا ألا وهو التّكرارالهوامي للصّدمة على حساب الاندماج في الواقع والحاضر فيؤدّي ذلك كما نظّمه أ. فينيكال (O.FENICHEL, 1945) بشكل جيّد إلى :

أ- تجمّد وظائف التّرشيح :

حيث تصبح عاجزة عن تمييز التّنبيهات الخطيرة من البسيطة في المحيط الذي تعيش فيه و كلّ شيء بالنّسبة لها هو مصدر خطر وعدوان ، فتنشأ حالة استنفار دائمة تظهر من خلال مواقف اليقظة والحذر تجاه التّنبيهات المبتذلة و صعوبة في النّوم يصاحبها استيقاظ متكرّر.

ب- تجمّد وظائف الحضور :

تتخلّى الشّخصية عن اهتماماتها السّابقة وتقلّص من نشاطاتها وتفقد من عزيمتها، كما تفقد اهتمامها بأوقات الفراغ والنّشاطات السّابقة فيخيّم عليها انطباع بمستقبل مسدود وبعالم غريب.

ج- وأخيرا تجمّد وظائف الحب :

تصبح الشّخصية العصابية سهلة الاستثارة، عدوانية وفظّة تجاه المجتمع ، تحتكر كلّ حبّها لمؤاساتها الذّاتية، تصبح مستهوية، شرهة لحب الآخرين معتبرة نفسها مهملة وغير مفهومة مهجورة من قبل الآخرين وغير مُسنَدة، تظهر عندها رغبة في تعويض أو ترميم نرجسي رغبة ليست محقّقة دائما تصل بها إلى تحسّسية مزاجية.

تجسّد الأعراض النّكوصية فرقا واضحا بين"ما كان عليه" الشّخص المصاب وبين"ما هو عليه الآن"، كما تستدرج تحوّلات عميقة في حياته العلائقية.

أمّا على المستوى العائلي، فهو شخص سلبي يفتّش عن الأمن والحماية ويطالب بالاعتراف بمعاناته وعجزه. وهكذا، يشكّل الغضب، النّزق،العجزعن التأجيل والمقتضيات المستبّدة خصائص هذه السلوكيات الطّفلية.

تماثل تغيّرات الشّخصية التي وصفها التّصنيف العالمي للأمراض(CIM-10) إلى حدّ كبير تلك المذكورة آنفا، وهي :

- عدوانية وحذر دائمين تّجاه الجميع؛
- انسحاب اجتماعي؛
- إحساس دائم بالفراغ و/أو فقدان الأمل، و قد تتّحد معه تبعية متزايدة تّجاه الآخرين وعدم القدرة على التّعبير عن الأحاسيس السّلبية أو العدوانية و مزاج اكتئابي طويل المدّة.
- إحساس مستديم بالضّغط أو التّهديد بدون سبب خارجي يمكن أن يشترك معه ميل للشّرب المفرط أو تعاطي المخدّرات.

8- 4- <u>الأشكال التطوّرية والعوامل المهيّأة للعواقب المزمنة للصّدمة النّفسيّة</u>:

تتنوّع اللّوائح العيادية للتّناذرات النّفسية الصّدمية في غناها الأعراضي، تواتر ظهورها شدّتها ، ارتدادها المرضي وأخيرا في تطوّرها.

يصادف الباحثون مثل ل.كروك(L.CROCQ, 1992, 1997,1998)، ج. فيلا وك. برتران (G.VILA, C.BERTRAND, 2001) والعديد منهم ، تشكيلة واسعة من الحالات في الميدان. تتنوّع هذه التّشكيلة بين الحالات الهيّنة، قليلة الأعراض والمحتشمة في الغالب لا

بل حتّى مجهولة (لأنّ المريض لا يشتكي أو يعتبر معاناته حالة طبيعية) أو منفية (حيث يعترف المريض بتغيّره لكنّه يظنّ أنّه تغيّر إلى الأحسن ، بينما تظنّ عائلته عكس ذلك وتتحمّله بصعوبة)؛ وتلك التي تضم أعراضية غنيّة تنتظم على شكل "عصاب صدمي" بل تقترب من الذّهان من شدّة اللاّواقعيّة(la déréalisation) والإعاقة الاجتماعية (L'invalidation sociale) التي تسبّبها.

يعرّف ف. لوبيقو(F.LEBIGOT, 2000, p.2) العصاب الصّدمي على أنّه"حالة عصابية منظّمة ومستديمة تحرّضه صدمة نفسية- أو تجربة طفح ميكانزمات نفسية من قبل إثارات عنيفة و ملحّة- عاجلة التي يعجز الشّخص المصاب عن التّحكّم فيها".

إنّه اضطراب منظّم و مستديم بل حاد، يتطوّر، إذا لم يعالج ، إلى مدى الحياة مع تقلّبات حادّة تظهر بفعل الأحداث التي تذكّر بالتّجربة الصّدمية الأولى.

وُصفت تشكيلات إكلينيكية أخرى حسب معايير مختلفة هذه المرّة، منها:

- الجنس، و يبقى هذا محلّ نقاش؛
- السّن، حيث ظلّت الصّدمة النّفسية عند الطّفل مجهولة لفترة طويلة إن لم نقل منفية رغم خاصيّة سببيّتها الإمراضية والدّورالهام لغياب السّند الوالدي وانعكاساته على النّمو النّفسي؛
- الثّقافات (تساهل كبيرو دعم اجتماعي موجود نوعا ما)؛
- خصوصيّات الأسباب المرضية، أي عصابات الحرب، الاعتقال، تناذر النّاجي ضحايا الاغتصاب، الرّهائن و ضحايا التّعذيب.

يبقى السّؤال المهمّ الذي يطرح نفسه، هومعرفة العوامل التي تيسّر الانتقال من تناذر نفسي حاد إلى الأشكال المزمنة؟.

استحضرت في هذا الشّأن بعض العوامل منها:الجروحية الفردية والسّياق ما بعد الصّدمي(ضغوطات ثانوية، دعم اجتماعي ، ظروف اجتماعية- اقتصادية ، محيط عائلي) لكنّها بقيت دون إثبات حقيقي.

اعتبر بعضهم مثل(G.VILA, C.BERTRAND, 2001) أنّ التّنظيم ،الموقف والنّفسية المرضية العائلية قبل وبعد الصّدمة هي من العوامل التي تستميل أكثر تطوّرالتّناذرات النّفسية الصّدمية عند الطّفل مثلا.

من بين عوامل الخطر نجد كذلك: غياب رجل بالبيت ،موقف متعطّف وواق أكثر(متزايد) عند الأم، أعراضية صدمية وسوابق سيكترية عند الوالدين، جوّ عائلي متوتّر، كئيب نزاعي أومشتّت، انسجام اجتماعي عائلي سيّء ووجود تناذرات نفسية صدمية سابقة عند الأبوين.

يتأثّر الفتيان والمراهقون أكثر بهذه العوامل العائلية، أمّا صغارالسّن ، فإنّ رد فعل الأبوين يكون المنبّئ الأفضل للاضطرابات ما بعد الصّدمية من الحدث نفسه.

تنجم حساسية طفل ما أو مراهق لتطوير حالة الضّغط ما بعد الصّدمة و تحوّلها إلى شكل حاد أي تأصّلها (La chronicisation) ،عن توازن دقيق بين ثلاثة مركّبات أساسية تحدّد قيمتها الخاصّة أثر الحدث الصّدمي، وهي:

- الصّدمة النّفسية بحدّ ذاتها، بطبيعتها و شدّتها الحقيقية؛
- الدّعم الاجتماعي، ويتمثّل في: الانتماء إلى جماعة منظّمة نوعا ما، مستوى اجتماعي واقتصادي وبخاصّة الدّعم العائلي من خلال رد فعل الأبوين للصّدمة،سهولة الوصول إلى صورة مطمئنة عند الاعتداء ، نوعية المعلومات المعطاة للطّفل لتفسير ما وقع له، تهيّؤ الأبوين و نوعية الاتّصال العائلي الدّاخلي.
- الجروحية الخاصّة بكلّ فرد سواء كان طفلا أو مراهقا و التي تتضمّن عاملين: باطني و ظاهري.

يمثّل العامل الباطني من خلال العناصر التّالية: الوراثة، المزاج ، السّن، الجنس، الحاصل الذكائي، قدرات التكيّف والموارد الذّاتية، سوابق الاضطرابات العقلية أواضطرابات النّمو التّاريخ الشّخصي، الصّدمات السّابقة وأخيرا، مستوى النّمو والتّركيب النّفسي العاطفي.

أمّا العامل الظّاهري فيمثّله: مستوى اليقظة والتّعب لحظة حدوث الصّدمة النّفسية، وجود أوغياب إصابات جسدية سبّبها الحدث، و إعاقة سابقة الوجود و السّوابق الجسدية.

يولي الباحثون اهتماما كبيرا بالسّياق النّفسي،الاجتماعي والعائلي الذي يسبق بداية الاضطرابات النّفسية الصّدمية عند الفرد و بصفة خاصّة عند المراهق الذي عايش تجربة أليمة ، وهذا لمعرفة وفهم ، بشكل أفضل ، ما الذي منعه من الاستجابة بطريقة ملائمة لعنف الحدث أو تلك الصّدمة النّفسية وما الذي منعه من استرجاع توازنه النّفسي.

9- الصّدمة النّفسية عند المراهق:

اهتمّ باحثون عديدون على اختلاف تخصّصاتهم وتوجّهاتهم النّظرية منذ مطلع الثّمانينات بموضوع الصّدمة النّفسية عند الطّفل والمراهق وآثارها على نموّهم النّفسي والعقلي ، وقد ساهمت بحوثهم ودراساتهم العديدة ، في السّنوات الأخيرة ، في تطوير معرفة عواقبها وفي وصف تشكيلات إكلينيكية مختلفة يأخذ بعضها طابعا مزمنا.

ولعلّنا نجد ذلك الاهتمام مضاعفا عند أولئك الباحثين الذين يأخذون بفرضية الدّور النّفسي الدّاخلي للصّدمة النّفسية، باعتبار المراهقة مرحلة ضعف وعدم نضج ، يعاد فيها تنظيم القوى النّفسية والعقلية وإرصان الصّراعات الطّفولية والتّجارب الصّدمية الماضية وتعديل البنية السّابقة للأنا، حيث "يكرّر الخارج (Le dehors) الدّاخل (Le dedans) فتختلط الحدود وتلتصق ببعضها البعض"(R.KAES, 1997, p.199).

وهكذا، ينجم عن التقاء الضّغط الدّاخلي النّاجم عن تحوّلات البلوغ بضغط خارجي ذي قدرة مولّدة للمرض، كما هو شأن الكوارث الطبيعية كالزّلازل، الفيضانات،الانفجارات البركانية وغيرها ، طاقة إضافية قد تربك أو تضعف أوتُرهق الجهاز النّفسي للمراهق الذي يكون في ظرف قد لا يسمح له بالدّفاع ، بالمواجهة ، وبخفض التوتّر، وقد يوقظ كَمْ الإثارات المفرط هوامات وصراعات وذكريات ظلّت مكبوتة وربّما حوادث صدمية أو خبرات مؤلمة متراكمة، ممّا يجعل التكيّف صعبا بل ويمكن أن يكون عند بعض المراهقين مستحيلا وبخاصّة إذا وقعت تلك الإثارات الخارجية العنيفة على تنظيم نفسي متصدّع أو هشّ مسبقا .

يظهر العجز عن التصدّي على شكل أعراض صدمية قد تأخذ طابعا متفاقما وتتطوّر تدريجيا إلى عصاب صدمي.

لكن لا يمكن أن يكون الحدث الصّدمي مخلاّ للنّظام الدّاخلي، للسّير النّفسي ولسياق التطوّر عند المراهقين دوما ، فربّما يكون عند بعضهم فرصة للنّمو وللتّطور، حيث يساهم في إرصان الصّراعات الطّفلية المنشّطة والضّرورية لنضج نفسي.

تشير الأبحاث التي اهتمّت بعواقب الكوارث الطّبيعية والحوادث إلى إمكانية ظهور أعراض صدمية كثيرة خلال المرحلة الابتدائية (La phase initiale) ، غير أنّها تميل إلى الزّوال والاختفاء بصفة أسرع ممّا تظهر في حال عنف بشري.

تُماثل الأعراضية بعد الصّدمية عند المراهق ، في الغالب ، تلك الخاصّة بالرّاشد ، لكن يمكن أن يعطيها سياق غير ملائم وبسرعة، طابعا متفجّرا يظهر في شكل: سلوكات العنف المحدّدة بأفكار الانتقام ، شعور بالذنب يخنق النّاجين من الكارثة واضطراب عميق يسبّب سلوكات انتحارية.

تظهرالاضطرابات النّاتجة عن حوادث استثنائية كالحروب،الاعتداءات،الكوارث الطّبيعية وغيرها على مستويات عدّة: جسمية، نفسية، عقلية، عاطفية واجتماعية، فقد كشف باحثون مختصّون مثل أ. ڤرين(A.GREEN, 1982) وح. كلسن(H.KELSON, 1998) في أحدث بحوثه من خلال دراسات عياديّة تناولت أثر الأحداث الصّدمية على الأطفال والمراهقين،عن تأخّر ملحوظ في النّمو العقلي والعاطفي ومن بين الاضطرابات الملاحظة كانت:اضطرابات التعلّم،عدوانية، اكتئاب، شبه غباوة،استجابات خُوافيّة، حصر، سلوكات انتحارية ، تفكّك واضطرابات ذهانية.

كما كشفت نتائج دراسة أنجزتها م. ف. باكي(M.F.BACQUE, 1991) في أرمينيا السّوفييتية بالتّعاون مع أطبّاء من العالم ومع معهد السيكوسوماتيك ، على مجموعة من أطفال ومراهقين بعد مضي ستّة أشهر من تعرّض تلك المنطقة لزلزال عنيف و كان ذلك في ديسمبر 1988 أنّ الصّدمات النّفسية الجماعية تحدث اضطرابات متنوّعة جدّا.

لاحظت الباحثة وزملائها أنّ قدرة التّعبيرعن الحدث وعنفه تحدّ من تلك الصّعوبات لكن رغم ذلك استمرّت بعض الأعراض مثل:تأتآت، خُلفات ، وصَقع(تساقط الشّعر) وقتي (des alopécies transitoires) .

حدّدت العواقب النّفسية ، الجسمية والعاطفية عند هؤلاء الضّحايا كما يلي:

● **العصاب الصّدمي** ، بلائحته العيادية الشّاملة،والتي منها على سبيل المثال: تكرار الحدث من خلال أحلام ليلية قليلة الإرصان،الاستيقاظ اللّيلي الفزع تصاحبه نوبة قلق، فقدان الوظائف الغذائية والفكرية، صعوبات دراسية واضطرابات المزاج،الطّبع والسّلوك ، فقدان التمييز الإدراكي للأنا ، فأيّ صوت يمكن أن يؤدّي حسب سلسلة تداعيات حسّية إلى إعادة تنشيط صدمي ، وغيرها من الأعراض.

كما لاحظت الباحثة ومساعديها أنّ حالة الصّدمة (Etat de choc) التي تلاشت بعد ستّة أشهر، تنشّطت من جديد ولأقلّ صعوبة أو مشكل ما ، فقد أدّى انفجار الغاز في إحدى اللّيالي إلى إخلاء قرية بأكملها.

وحسب د.دونابيديان(D.DONABEDIAN,) الذي كان من بين المشاركين في هذه الدّراسة فإنّ العواقب قد تكون وخيمة على المدى البعيد ، وهذا سواء على المستوى النّفسي ، العقلي الفكري أو الجسمي مع فقدان استثمار ليبيدي وعاطفي.

● **الصّعق الصّدمي** ، حيث يظهر على شكل إهمال وصمت ، فقر عقلي وفكري ، غياب اضطرابات المزاج ، الطّبع والسّلوك ، ويعود كلّ ذلك إلى غمر كمّ الإثارات الصّدمية الأنا بشكل كلّي.

كما كشفت المقابلات العيادية التي أجريت مع هؤلاء الضّحايا عن سياق إلغائي للميكانزمات الدّفاعية التّعبيرية والإرصانية ، فعلى عكس ما يحدث في العصاب الصّدمي فإنّ الأنا لا يدافع من خلال تكرار الصّدمة بل يتلقى آثارها المدمّرة.

● **الحالات الصّدمية** ، وقد خصّت الأفراد الذين عايشوا الزّلزال أو الذين كابدوا العواقب مع وجود نشاط عقلي.

أمّا عن العواقب الجسمية ، فقد تجلّت على شكل اضطرابات انعكاسية ، جانبية و حادّة.

كما لاحظت باكي وزملائها صعوبة عمل الحداد عند أولئك الذين فقدوا أحدا من أقاربهم أو إخوتهم أو رفقائهم ، إذ يمكن أن يؤدّي فشل هؤلاء إلى اضطرابات حادّة على مستوى البنية النّفسية.

يطورّ المراهقون أحيانا، كما أشارت إليه ل.ك. تير في دراستها(L.C.TERR, 1991) اضطرابات تفكّكية حقيقية واضطرابات الشّخصية.

أثبتت دراسات أمريكية أنّ لاستقرار حالة الضّغط ما بعد الصّدمة في المراهقة، آثار متلفة ومضرّة، حيث تضرّ باكتساب المهارات الضّرورية للتحرّر والاستقلالية.

أوضح ج. فيلا وم. برتران(G.VILA, M.BERTRAND, 2001) نقلا عن دراسة إبيدميولوجية قام بها ر.م. جياكونيا رفقة باحثين آخرين (R.M. GIACONIA, 1994, R.M.GIACONIA et al, 1995) على مجتمع من مراهقين أنّ خمسي (5/2) منهم والبالغين سن الثامنة عشرة ، أصيبوا بصدمة نفسية كما حدّدها DSM-III-R (1987) وشُخّص عند أكثر من (6 %) منهم حالة ضغط ما بعد الصّدمة على مدى الحياة.

أمّا عن توزيع بنود حالة الضّغط ما بعد الصّدمة عند مراهقين آخرين عايشوا أحداثا عنيفة عاما بعد حدوث الصّدمة ، كما نقلها الباحثان عن دراسة أخرى قام بها يول وآخرون (YULE et al, 1997)، فكان على شكل أفكار تطفّليّة متواترة وأعراض خوافية مثل ضيق عند التّعريض(Détresse à l’exposition)، تجنّب النّشاطات والأفكار والأحاسيس المرتبطة بالصّدمة ،وقد تواجدت عند ثلثي (3/2) الحالات،إضافة إلى التهيّجية والغضب اللّذان تواجدا عند (40 %) من الشّباب، ثمّ الأحلام المتواترة التي لم تمثّل إلاّ 35 % منهم، و أخيرا، النّبأ المُرجع (Flash-back) الذي ظهر بنسبة 15%.

إلى جانب الأعراض سالفة الذّكر، يضيف الباحثان جملة أخرى منها وهي:اضطرابات السّلوك الغذائي(خلفة،شراهة،زيادة في الوزن)،المجازفات،السلوكيات الانتحارية، التّشويهات الذّاتية، سلوكات الجنسية المفرطة والجانحة، الإفراط في الكحول وفي تعاطي المواد السّامّة.

يمكن أن تفسّر الاندفاعات العدوانية الذّاتية كمحاولات للتّخلّص من حالات الفراغ الانفصال والإنهاك الصّعبة.

وقد أكّد باحثون عديدون على أهمّية الدّعم الاجتماعي والعائلي للأشخاص المصدومين وبخاصّة منهم الأطفال والمراهقين لتجاوز الصّدمة النّفسية من بينهم م. ڤراب (M.GRAPPE, 2001) الذي يولي للمحيط الاجتماعي عامّة وللعائلي على وجه الخصوص مكانة أساسية لفهم هذه الحالات المرضية لدرجة تحميله كلّ مسؤولية الأعراضية عند الطّفل الصّغير، حيث يعتبر هذا الباحث الأمّ النّاقلة المباشرة "للرّسالة الصّدمية".

تؤكّد م. بوخاف (M.BOUKHAF, 2004) من جهتها ، نقلا عن دراسات أنجلوسكسونية لباحثين كثيرين اهتمّوا بانعكاسات الصّدمة النّفسية عند الطّفل والمراهق، من بينهم ب.أ. فان ديركولك (B.A.VAN DER KOLK, 1995) على الدّور الكبير الذي تلعبه البيئة الاجتماعية في التّخفيف من وقع الحدث الصّدمي عليهم ، حيث تعتبر العائلة مصدرا فعّالا للحماية من الصّدمة النّفسية ومن عواقبها الوخيمة، فإذا توفّر التّواصل، الحوار، الحضور والودّ في العلاقات والمعاملة مع الشخص المصاب ، فإنّه يقاوم ، وبلا شكّ ، بشكل رائع.

10- <u>الحدث الصّدمي و الحداد</u>:

تشعر الضّحية في الغالب بأنّ " شيئا ما " قد غمر نفسيتها على طريقة إصابة جسدية فيؤدّي وجود "مثل تلك الأشياء" الفظّة بداخل النّفسية ، مثلما ذكر فرويد (1981) و أوضحناه في فقرات سابقة ، إلى الأحلام التّكرارية التي تميّز عواقب صدمة نفسية وهذا ما يؤدّي إلى إرصان الإثارة شبه الجسدية التي تحتويها النّفسية(Le psychisme) بتمثيل الحدث الدّائم ظاهريّا و بطريقة مكرّرة.

قد يعود الفرد المصدم والمضطرب و بصعوبة إلى وضعه السّابق السّوي و إلى هوّيته قبل الصّدمية ولا يكون له إلاّ خيارين: إمّا أن يصل إلى تنظيم مغاير عمّا كان عليه ، أو أن يترك شخصيته تتدهور.

يرى د.تايلور(D.TAYLOR, 2001) أنّ هناك روابط كثيرة وتشابهات بين حالات الضّغط ما بعد الصّدمة ، الفقدان والحداد ؛ غير أنّ سياق إرصان تلك الحالات ، رغم أنّه يشبه إلى حدّ ما سياق الحداد ، يبدو صعبا و إلى حدّ كبير جدّا، إذ يظهرالأنا أقلّ قدرة أو تحمّل على تسيير المشاكل التي خلّفتها الأضرار وأحدثتها في بنية كلّ عالمه ممّا يظهرعليه مع فقدان الموضوع.

ترى م.ف. باكي (M.F.BACQUE, 2000) ضرورة التمييز بين عوامل الحداد الصّدمي (التي تخضع للشّخصية) والمظهر الصّدمي للفقدان (عنف جسدي،عقلي و اجتماعي) ومن بين متغيّرات الحداد الصّدمي عند طفل أو مراهق فقد قريبه في وضعية صدمية: سنّه طبيعة الصّدمة النّفسية ونوعية العلاقة مع الوالد أو الوالدين ، النّاجي أو الناجيين والتي تعدّ المعايير الأساسية لدوام الصّدمة العاطفية.

كما تزيد الظّروف الصّدمية من حالة الصّدمة (Choc) التي تتبع وفاته وتثير ردود أفعال نموذجية من الشّعور بالذّنب و الكف.

تحدّث فرويد في مقاله" اعتبارات حالية حول الحرب و الموت" (1981) الذي يعتبر من أغنى المقالات التي تناولت مفهوم الصّدمة،عن الموت وعن موقف الأشخاص تّجاهه مثريا تصريحه بقوله أنّ الفناء هو القلق الأساسي عند الإنسان.

يشهد النّاجون من أحداث صدمية ، في غالب الأحيان ، وفاة غيرهم ، ربّما أفرادا من عائلتهم أو ذويهم ، فيجدون أنفسهم في مواجهة مع الحدث الصّدمي وفي ضرورة القيام بعمل الحداد- وهو عمل شاق وصعب في كلّ الظّروف-، والذي يصبح أكثر صعوبة لأنّهم يشعرون بذنب البقاء، خاصّة إذا كانت العلاقة بينهم وبين مفقوديهم مضطربة أو متجاذبة وجدانيّا بشكل عميق.

في كلّ الأحوال ، فإنّ عمل الحداد هو دائما صعب للغاية حتّى وإن كانت العلاقة بسيطة نسبيّا ويمكن أن تتلف موارد (Les ressources) الفرد الدّاخلية من أجل تأدية هذا العمل وبخاصّة إذا انهار عالمه الخاص، إلاّ أنّه ينبغي عليه أن يقوم بجزء منه (من الحداد) لنفسه وللعالم الذي أضاعه و للحياة والهويّة اللّتان سبقتا الصّدمة النّفسية.

يؤدّي فقدان شخص عزيز بصورة مفاجئة إلى صدمة نفسية خصوصا و أنّ الأنا لم يهيّأ لذلك وبالأخص إذا كان في مرحلة ضعف و عدم نضج ، كما هو شأن المراهقين ، حيث تظهر علاقة تبعية كبيرة ، وما الألم في الحداد النّفسي إلاّ دليل على أهميّة و دور حبّ الموضوع في اقتصاد الجهاز النّفسي (J.LUBTCHANSKY, 1994) و" من خلال فقدان الموضوع يقول أ.قرين(A.GREEN, 1989,p.425)، نكون بصدد تجربة فقدان أخرى أليمة وحادّة أكثر إنّها تجربة فقدان الأنا".

عندما نفقد شخصا عزيزا فإنّنا نشعر بإفقار الأنا ، حيث يودع جزء من ذاتنا في الشّخص المفقود وفقدانه هو بمثابة فجوة في الذّات وجرح يستنزفنا بلا نهاية و الذي من خلاله نفقد كلّ مادّتنا.

عند فقدان الموضوع ، يواجَه الحاد (L’endeuillé) بعجزه ، ذلك أنّ حبّه لم يتمكّن من إنقاذه وفشلت كلّ محاولاته ، كما يجد نفسه من جهة أخرى ومن جديد ، في مواجهة مع التّأنيب المرتبط بنزواته التّدميرية فيخشى أن يكون السّبب في تدمير الموضوع، وقد يعتقد أيضا أنّ هذا الفقدان إنّما هو عقاب لأخطاء ارتكبها ، أو يعتقد أنّه قد ارتكبها فيشعر عندئذ بقلق و باضطراب في جهازه النفسي.

تضيف الكوارث، الاغتيالات الجماعية، الاعتداءات والإبادات الجماعية أيضا بعدين يدرجان في التّناذر النّفسي الصّدمي وهما : فقدان الهوية و التقمّص الحدادي .

إذا استهدفت مجموعة بشرية ما ، فإنّ ازدياد الموتى يعطي للشّخص انطباعا بفقدان أناه. يتواصل الهجوم على الهوية بعد الصّدمة النّفسية ويؤدّي إلى عمل حقيقي عميق ويستمرّ ذلك الهجوم دون شكّ لمدة أطول بسب انتحار متأخّر مثلا أو اضطرابات عقلية طويلة الأمد.

يحتفظ الأشخاص الذين حضروا وفاة غيرهم في الكارثة و نجوا بفارق قليل و في أغلب الأحيان صدفة، بشكل من الشّعور بالذّنب الذي يصيب هويّتهم أيضا.

يعتبر حداد رفيق الكارثة أحد تعقيدات التّناذر النّفسي الصّدمي، فبالإضافة إلى اضطراب في الهويّة ، يرتسم اضطراب في التقمّصات ، إذ يغوص النّاجي في تجاذب وجداني فهو يبحث فقط عن النّجاة بحياته و يتصرّف بطريقة غريزية من خلال الهروب ، أو يشعر بالعكس بتقمّص كبير اتّجاه الآخرين فيبحث عن مشاركتهم قدرهم الحزين بمحاولته إنقاذهم.

وهكذا، ومهما كانت وضعية الفرد اللاّشعورية ، فإنّه ينجم عنها دائما شعور كبير بالذنب.

لا يتعلّق الأمر في الواقع بالموت أو بالهروب لحظة الكارثة بقدر ما هو متعلّق بالوحدة التي تتبع الصّدمة ، الحزن على فراق الأقرباء و غياب التّوضيح أو الشّرح الذي يبرّر وفاتهم، كلّ هذا يآزر شعور النّاجي بالذنب.

يقتضي تعرّض فرد لصدمة نفسية معتبرة في كلّ الأحوال، القيام بعمل حداد، يحاول من خلاله تقبّل ما حدث له ويعمل على استيعابه ومعالجته وبالتّالي يتحرّر من الانعكاسات السّلبية المحتملة التي قد تنجرّ عن عدم القيام به أو القيام به جزئيّا.

قد تكون الظّروف المحيطية ملائمة فتساعده على القيام بذلك ، و قد لا تكون كذلك فيضطرّ للقيام بعمل نفسي شاق ومؤلم وفي ظروف غير ملائمة وربّما سيّئة قد لا تساعده على ذلك ممّا يجعل حياته النّفسية معرّضة أكثر لتعقيدات واضطرابات لاحقة.

خلاصة :

فرض مفهوم الصّدمة نفسه بسرعة بعدما استُقدم من الحقل الطبّي على الخطابات الحديثة حول الإصابات النّفسية ، وتحت شعار طبّي للصّدمة (Choc)، تمّت نشأة هذا الفكر الذي كان موقعيّا، اقتصاديّا وسببيّا، وتحت نفس الشّعار، تغيّر من صيرورة نفسية إلى صيرورة تاريخية ولم يتوقف عن التّداول بينهما.

يشير هذا المفهوم في التّحليل النّفسي إلى الأحداث العنيفة التي تثير سياقات نفسية داخلية وتغمر شدّتها صاد- الإثارة، عندئذ ، تتحطّم دفاعات الأنا فينجم عن ذلك جرح نفسي قد لايعوّض يظهرعلى شكل اضطرابات نفسية تتفاوت في شدّتها، خطورتها وفي استمراريتها.

يرتبط طابع الإثارة المفرط بتحمّل الشّخص النّسبي وبقدرته على التّحكّم فيها وإرصانها غير أنّ قدرة الاحتمال تلك ، تختلف من فرد لآخر بل وحتّى عند الشّخص نفسه ومن وقت لآخر وعبر مراحل نمّوه وتطوّره.

وقد سمحت الملاحظات الميدانيّة والفحوص العياديّة لعديد من الباحثين، بإبرازالطّابع النّوعي والنّسبي لاستجابات الأفراد أطفالا كانوا أو مراهقين أو راشدين أمام نفس الحدث الصّدمي أي بتغيّرية آثاره، إذ يمكن لبعض الأحداث أن تؤثّر كصدمات نفسيّة على بعض التكوينات بينما تبقى دون تأثير على البعض الآخر.

وهكذا، تُعايش التّجربة الصّدمية دوما بطريقة فرديّة ولا ترتبط آثارها بشدّة الحدث وعنفه فحسب، بل بنوعيّة دفاعات التّوظيف العقلي التي تختلف تبعا لقوّة أنا كلّ مراهق وبطبيعة التّثبيتات ، بتاريخه الشّخصي وبمرحلة النّمو التي يمرّ بها.

ولأنّ المراهقة مرحلة "ضعف" وعدم نضج ، فقد لا يملك الفرد فيها القدرة على خفض التوتّر والضّغط النّاجمين عن أحداث خارجيّة عنيفة ومباغتة كالكوارث الطّبيعيّة مثلا وبالتّالي ، القيام بإرصان عقلي كاف.

وقد يوقظ ذلك الحدث الصّدمي بفجائيته وعنفه ، صراعات سابقة غير مبنيّة وتجارب مكدّرة غير مرصنة تضاعف الصّراع النّفسي الكامن ، فيضطرّ الأنا للتّصدّي والمواجهة

من أجل الحفاظ على سلامته وكماله وتجنّب خطر تدميره، بلجوئه إلى آليات دفاعيّة تساعده على استيعاب الحدث وتجاوزه؛ وقد يوفّق البعض في ذلك، فتؤول الأعراض الصّدمية الإرتكاسية إلى الاختفاء تدريجيّا وربّما إلى الزّوال ، وقد يفشل بعضهم الآخر في استعادة التّوازن إمّا لهشاشة الدّفاعات النّفسية، أو لتوظيفها المفرط ، أو لعوامل خارجية ترتبط بالمحيط العائلي للمراهق المصاب والتي تأتي لتدعّم فشله، ما يؤدّي إلى اختلال تدريجي للتّنظيم النّفسي وتفاقم الأعراض وتطوّرها لاحقا إلى عصاب صدمي أو تناذر نفسي صدمي بشكل أعم.

إشكالية وفرضيات البحث

الإشكالية:

المراهقة مرحلة من مراحل الحياة تتّسم بالتّحوّل والنّمو، تحدث فيها تغيّرات فيزيولوجية و نفسية عميقة وسريعة تهيئ الطّفل ليصير عضوا في مجتمع الرّاشدين وهي ليست مرحلة وقتية كما قد تتراءى للبعض، بل" سياقا يؤسّس بنيات الشّخصية التي من خلالها ينتظم كلّ من الولد والبنت"(T.ANATRELLA, 1997, p.71).

يشكّل النّمو البيولوجي البلوغي نقطة انطلاق سياق المراهقة وتعتبره ل. بيبين (L.PEPIN, 1973) كغيرها من الباحثين والمحلّلين النّفسانيّين،" المحرّك الأساسي للأزمة التطوّرية التي تمسّ الفكر والسّلوك "(p.16) إذ يقحم الجسم و النّفس في تحوّلات معقّدة.

أمّا بالنّسبة لـ ف. جامي(PH. JEAMMET, 1993)، فهو عامل تحريض و إثارة للجهاز النّفسي، فقد يضعف الانفجار الليبيدي الحاصل بمظاهره الاقتصادية و الدّيناميكية الأنا في دوره كصاد- الإثارة، فتفشل دفاعاته و يعجز عن أداء وظائف الحماية و تحقيق التّوازن وهكذا" يؤدّي غياب صاد- إثارات ضدّ الإثارات الدّاخلية إلى اضطرابات اقتصادية شبيهة بالعصابات الصّدمية"(S.FREUD, 1981, p.77).

ومثلما يتعرّض المراهق طوال مراحل نموّه لضغوط وهجمات داخلية بنيوية في مجملها ومنظّمة له(C.DALIGAND, 2002) ، كذلك هو معرّض لضغوط وهجمات من المحيط الخارجي و من البيئة بصفة عامّة التي يتأثّر بها و يؤثّر فيها.

قد يتعلّق الأمر بأحداث حياتية عنيفة ومؤلمة، كأن يكون حادث سير مروّع مثلا أو اعتداءات جنسية، أو إرهاب ،أو كوارث تكنولوجية أو طبيعية كالزلازل أو الفيضانات. تشكّل هذه الأخيرة ظرفا مميّزا كونها حدث طبيعي يتعرّض له مجتمع بأكمله أو منطقة بأكملها تماما كما وقع لعدّة مناطق من شمال الجزائر العاصمة، حيث فاجأت الطّبيعة سكّانها صبيحة الحادي عشر من نوفمبر لعام 2001 بأمطار غزيرة سرعان ما تحوّلت إلى فيضانات مميتة و مدمّرة لأحياء برمّتها ، كان هذا شأن منطقة باب الوادي التي اعتبرت من أكثر المناطق تضرّرا من حيث المنشآت السّكنية ، القتلى ، المفقودين و المنكوبين.

أمّا على المستوى النّفسي، فلعلّ عنف ذلك الحدث الخارجي و فجائيته و تهديده للسّلامة الجسمية و العقلية للأفراد عموما و للمراهقين بوجه خاص كونهم في عزّ التطوّر و إعادة التّنظيم النّفسي، يكون قد تسبّب في اضطرابات سلوكية أو صدمات نفسية اختلفت شدّتها من مراهق لآخر.

احتلّ مفهوم الصّدمة النّفسية مكانة أساسية في نظرية التّحليل النّفسي و ظهر منذ أولى أعمال فرويد الذي عمد إلى تطويره وتعديله، وقد أطلق تسمية صدمة على أحداث عنيفة ومفاجئة تغمر شدّتها السّياقات العقلية التي تعجز عن تصفيتها و تحويلها بالوسائل المألوفة فينجم عن ذلك تصدّع في السّير النّفسي، وجرح نفسي قد يصعب إصلاحه يظهر على شكل اضطرابات نفسية متفاوتة الخطورة تعيق الفرد بصفة ظرفية أو دائمة عن القيام بوظائفه الحيوية.

أثار موضوع الصّدمة النّفسية اهتمام عديد من الباحثين، محلّلين نفسانيين كانوا أو أطبّاء عقليين، وازداد فضولهم في السّنوات الأخيرة التي شهدت تعاقب أحداث عنيفة وكوارث عظمى لمعرفة انعكاساتها النّفسية والعقلية عند الفرد سواء كان طفلا، مراهقا أو راشدا (وربّما كان اهتمام بعضهم منصبّا أكثر على شريحة الأطفال والمراهقين) ، وكذا العوامل المهيّئة لعواقب مزمنة.

تثيرالكوارث الطّبيعيّة في نظرهؤلاء الباحثين، اختلالا ملحوظا في التّنظيم الفردي والجماعي كذلك، فزيادة عن الدّمار والإصابات الجسدية، فإنّها تشكّل صدمة انفعالية وإصابة نفسية عند الضّحايا ، النّاجين منهم أو المصابين أو الشّهود وبخاصّة إذا فقد أحد من هؤلاء فردا من أفراد عائلته أومن ذويه.

قد يتجاوز الإعلان عن خبر الوفاة أو المشاهدة العينية للغرقى، كما حدث عند بعض أفراد مجموعة البحث، حدود الذهول،الصّعق والألم، فالانتزاع المفاجئ والعنيف لشخص عزيز وقد كانت تربطه علاقات غنيّة ومعقّدة معه ، يشكّل دون أدنى شكّ فاجعة ومأساة كبيرة من المحتمل أن تؤدّي إلى صعوبات خطيرة في المستقبل إذا لم يستطع المراهق تجاوزها.

وقد يوقظ ذلك الحدث الصّدمي، حسب التّحليل النّفسي، صراعات طفلية غير منحلّة وغير مرصنة كالصّراع الأوديبي مثلا، ويحرّك هوامات جنسيّة أو ذكريات تجارب أليمة ظلّت مكبوتة ومن المحتمل أن يتثبّت مفعول الصّدمة في حياته.

هكذا إذا، تُلاقي تجربة شاقة رغبة لاشعورية ممّا " يؤدّي إلى إخلال توازن القوى النّزوية و توازن الأنا، فينتج عنه بتر لنظام صاد- الإثارات و كبت مكثّف يتولّد عنه ظهور الأعراض و الكف"(G.DIATKINE, 1982, p.91) .

أوضحت دراسات نفسية مرضية حديثة أنجزها باحثون عديدون ينتمون إلى تيّارات نظريّة مختلفة مثل:ل.تير(L.TERR, 1991)، ل. بايلي(L.BAILLY, 1996)، م. ف. باكي (M.F.BACQUE, 1997)، إ. يونا(E.YONA, 1999) وم. ڤراب (M.GRAPPE, 2001) وغيرهم ، تناولوا فيها أثر الأحداث الصّدمية على الأطفال والمراهقين، أنّ الصّدمات النّفسية الجماعية تحدث اضطرابات نفسية ، جسمية وعاطفيّة متنوّعة جدّا.

صنّف هؤلاء وغيرهم من الباحثين تشكيلات إكلينيكيّة واسعة في الميدان، بدءا من الحالات الهيّنة قليلة الأعراض التي تختفي بعد أسابيع من وقوع الحدث ، وصولا إلى تلك التي تضمّ أعراضية غنيّة تنتظم بعد زمن كمون غير ثابت على شكل عصاب صدمي أو تناذر نفسي صدمي بشكل أعم بلائحته المميّزة وبانعكاساته على الحياة اليومية بصفة عامّة ، وعلى الحياة العمليّة والشّخصية بصفة خاصّة.

تكشف هذه التّصنيفات المتفاوتة في خطورتها عن تغيّرية آثار"نفس الحدث" عند المراهقين رغم وجود حساسيّة مميّزة للصّدمة النّفسية وجروحية(Vulnérabilité)عظيمة بفعل السّياقات الجارية في فترة المراهقة(M.EMMANUELLI, 2001) ، فقد يشكّل نفس الحدث صدمة عند شخص ما تبقى "مغروزة ، Traumatisme fiché" في نفسيته تعرقل سيره النّفسي"العادي" وتضعه في حالة من العجز لا بل و حتّى الاضطراب بينما قد لا تبقى عند شخص آخر يملك إمكانيات تجاوزها و إرصانها إلاّ كذكرى مؤلمة ،هذا ما يدلّ على تعقّد الحدث الصّدمي الذي" لا يخصّ الوضعية الصّدمية فقط ، بل الفرد في وضعية صدمية كذلك" (M.BERTRAND, 1996, p.46).

هكذا إذا، ترتبط كفاءة كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث في مواجهة عنف الكارثة الطّبيعية التي عايشها ، فكان شاهدا على غرقى ، جرحى ودمار، أو كان ضحيّة مباشرة أو فاقدا لأحد أفراد عائلته بمدى قوّة وصلابة أناه أو بهشاشته ، بتهيئته الدّفاعية وفعاليتها ضدّ القلق الصّدمي، بماضيه الشّخصي، وبعوامل خارجية أخرى كثيرة ومتشعّبة مرتبطة بظروف محيطه الاجتماعي والعائلي.

في هذا الإطار، ارتأينا أن نتناول بالدّراسة وقع حدث خارجي عنيف ومفاجئ كالفيضانات على النّفس عند فئة من أفراد مراهقين متمدرسين من الجنسين، شهودا كانوا أو ضحايا أو فاقدي أحد أولياءهم أو أقاربهم أو منقذين، و ذلك بعد مضي 15 شهرا من وقوعه، أي أنّنا نرغب، من خلال معطيات المقابلة العياديّة، في التعرّف على الوضع النّفسي لهؤلاء المراهقين ومدى تأثّرهم أو عدم تأثّرهم بالكارثة الطّبيعيّة، أي إمّا تجاوزالحدث واستدخاله من خلال القيام بعمل الحداد، أو تثبيت على الصّدمة من خلال ظهور تناذر نفسي صدمي بلائحته العياديّة المعروفة ممّا يسمح لنا بالكشف عن الفروق الفردية التي يمكن ملاحظتها ورصدها بهذا الشّأن، وكذا الكشف عن العوامل التي تسبّبت في تلك الفروق ، ثمّ التعرّف أيضا على نوعيّة سيرهم النّفسي من خلال معطيات اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع ومدى ارتباطها بوضعهم النّفسي الحالي.

حول هذا الموضوع ، طرحنا التساؤلين التّاليين:

1- ما مدى تأثّرهؤلاء المراهقين بعنف وفجائية الفيضانات التي ضربت منطقة سكناهم وبسببها، كاد بعضهم أن يموت غرقا والبعض الآخر فقد أحد أفراد عائلته ومن البعض الأخير من دفعهم شعورهم القويّ بذنب البقاء إلى المشاركة في إنقاذ الغرقى،ومنهم من عجز عن ذلك فاكتفى بمشاهدة صور الدّماروالغرقى المشوّهين. هل استطاعوا تجاوز حالة الهلع والتكيّف مع الاضطرابات النّفسية التي يحتمل أن تكون الفيضانات قد تسبّبت فيها، وذلك من خلال توظيف نظام دفاعي فعّال وتوفّر سند عائلي قويّ ومتين،أم أنّ عنفها قد اجتاح نفسية بعضهم بشكل عميق لدرجة تعطيل وظائف الأنا أو إضعافها، وربّما

تدخّلت عوامل أخرى كغياب الدّعم العائلي أو تخبّطهم في صراعات نفسية ومشاكل حادّة فأدّى كلّ ذلك إلى تفاقم الأعراض الصّدمية وتطوّرها إلى تناذر نفسي صدمي؟.

2- وما مدى ارتباط نوعيّة السّير النّفسي بالوضع النّفسي الحالي لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث، أي مصدوم أو غير مصدوم؟.

فرضيات البحث:

بناءا على المعطيات النّظرية وعلى ملاحظاتنا الميدانية، نتقدّم للإجابة عن التّساؤلين السّابقين بالافتراضات التّالية:

الفرضية العامّة:

أخذا بمبدأ نسبيّة الصّدمة النّفسيّة وبتغيّريّة آثارها التي تتوقّف على مدى صلابة البنية النّفسية لكلّ مراهق من هؤلاء المراهقين، نفترض وجود استجابات مختلفة تّجاه نفس الحدث الصّدمي ومن فرد لآخر، فربّما استطاع بعض المراهقين ذكورا كانوا أو إناثا تجاوز حالة الهلع والتكيّف مع الاضطرابات النّفسية التي من المحتمل أن تكون الفيضانات قد تسبّبت فيها، واحتواءها، وربّما فشل بعضهم الآخر في التكيّف معها فأدّى ذلك إلى استمرارها وتفاقمها وتطوّرها إلى تناذر نفسي صدمي.

الفرضيات الجزئية:

لمّا كان استدخال الحدث الصّدمي وتجاوزه مرهون بنوعيّة السّير النّفسي للضّحيّة وبمدى فعاليّة دفاعاتها الموظّفة ضدّه ، وكذا بتفاعل تجارب الماضي والمحيط، فإنّنا نفترض ما يلي:

1- الفرضيّة الجزئيّة الأولى:

كلّما كانت نوعيّة السّير النّفسي لأيّ فرد من أفراد مجموعة البحث "جيّدة"، تظهر عبر ثراء الإنتاجيّة أمام لوحات اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع،إدراك الواقع بشكل تكيّفي،إرصان الصّراعات النّفسيّة المنشّطة من جديد باستعمال متوازن للآليات الدّفاعيّة وإظهار القدرة على التخرّج منها ووجود عمل ربط منسجم بين البنيات الشّعوريّة واللاّشعوريّة، كلّما عكس ذلك قدرته على التكيّف مع مواقف الحياة، صراعاتها وتجاربها المختلفة، وبالتّالي، نتوقّع أن يكون غير مصدوم، بمعنى أنّه استطاع أن يستدخل الحدث الصّدمي الذي تعرّض له، ويتجاوز انعكاساته التي خلّفها.

2- الفرضيّة الجزئيّة الثانية:

كلّما كانت نوعيّة السّير النّفسي لأيّ فرد من أفراد مجموعة البحث "سيّئة"، أو هشّة تظهر من خلال إنتاجيّة فقيرة أمام لوحات اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع، بناء ضعيف للأجوبة وللقصص، عجز عن إدراك الواقع والتكيّف معه، تفادي الصّراعات المثارة، أو ظهور قدرات إرصان ضعيفة من خلال استعمال آليات دفاعيّة صلبة مرفقة بكفّ شديد على المستوى الهوامي، ومن خلال غياب عمل ربط بين البنيات الشّعوريّة واللاّشعوريّة، كلّما عكس ذلك عجزه عن تحقيق تكيّف إيجابي مع تجارب الواقع وتسييره لمشاكل الحياة وللحوادث العنيفة التي قد يتعرّض لها بشكل أفضل، وبالتّالي، نتوقّع أن يكون مصدوما، أي أنّه لم يتمكّن من دمج وإرصان انعكاسات الفيضانات القويّة والعنيفة التي تعرّض لها.

الباب الثاني:

الجانب الميداني

الفصل الرّابع: منهجية البحث

الفصل الرابع: منهجية البحث

1- تحديد المنهج المستعمل:

للرّد على تساؤلاتنا و توضيح العلاقات الموجودة بين متغيّرات البحث، اتّبعنا المنهج العيادي الذي يدرس سلوك الفرد في إطاره الحقيقي ويكشف عن طرق تفاعله وصراعاته في وضعية معيّنة، كما يسمح" بمعرفة السّير النّفسي و يهدف إلى تكوين بنية معقولة لأحداث نفسية يعدّ الفرد مصدرها"(R.PERRON, 1979, p.38).

إنّه منهج ضمن شخصي، هدفه" فهم الدّيناميكية و التّوظيف النّفسي الخاصّ بالشّخص في فرديّته غير القابلة للاختزال و ذلك حسب المتغيّرات الثلاثة: التّاريخ الشّخصي، بنية الشّخصية و الوضعيات المختلفة"(C.REVAULT-D'ALLONES, 1989, p.23).

من خلال هذا المنهج، نحاول التعرّف على وقع حدث عنيف ومفاجئ كالفيضانات على السّير النّفسي عند فئة من أفراد مراهقين متمدرسين من الجنسين وذلك بعد 15 شهرا من وقوع الكارثة الطبيعية ومن ثمّ ،الكشف عن الفروق الفردية التي يمكن رصدها بهذا الشأن وعن خصائص سيرهم النّفسي. ولتحقيق ذلك،استعنّا بتقنيتين إسقاطيتين هما من أشهر التّقنيات المستعملة في المجال العيادي وهما الرّورشاخ ورائز تفهّم الموضوع (T.A.T) إلى جانب المقابلة العياديّة نصف الموجّهة.

2- مكان إجراء البحث:

أنجز الجانب التّطبيقي من البحث في خمس مؤسّسات تربوية تقع كلّها بمنطقة باب الوادي وهي:

- إكماليّة عبد الرّحمان بن سالم المختلطة؛
- إكماليّة القطّار المختلطة؛
- ثانويّة سعيد تواتي المختلطة؛
- ثانويّة عقبة بن نافع المختلطة؛
- وأخيرا، ثانوية فرانس فانون للبنات.

كان باب الوادي ، هذا الحيّ الشّعبي العريق، منذ أكثر من عشر سنوات منطقة نفوذ الجماعات الإرهابيّة المسلّحة و مسرحا لمذابح مروّعة، لعمليّات ولتصفيات حسابية عنيفة، وما كاد يُضمّد جراحه ويطوي صفحة عشريّة دموية أليمة حتّى باغتته أمطار طوفانيّة أودت بحياة العديد من سكّانه وشرّدت الآلاف منهم ولا يزال البعض منهم مفقودا إلى يومنا هذا، كما اعتبر من أكثر مناطق العاصمة تضرّرا من حيث المباني السّكنية،الطّرق وبعض المؤسّسات التّربوية التي انهاربعض أقسامها جرّاء تدافع قويّ للمياه وارتفاع منسوبها بحوالي مترين على الأقلّ، وكان ذلك شأن إكمالية عبد الرّحمان بن سالم ودمّر بعضها الآخربشكل كلّي في ظرف ساعات قليلة، وتعلّق الأمر بإكمالية القطّار، كما تحوّلت ساحة ثانويّة سعيد تواتي إلى بركة كبيرة وعميقة منعت بعض التّلاميذ من العودة إلى منازلهم واحتجزتهم في أقسامهم لساعات طويلة حضروا خلالها لمشاهد فظيعة ورهيبة ربّما رسخت في أذهان بعضهم (أي التّلاميذ) فترة طويلة.

3- مجموعة البحث:

3-1- معايير انتقاء مجموعة البحث:

اعتمدنا في تكوين مجموعة بحثنا على المعايير الأساسية التّالية:

- أن يكون المراهق قد عايش الحدث، إمّا بفقدانه لذويه وأقاربه (أحد الوالدين، أحد الإخوة أو أحد الأقارب)،أو بتعرّضه لخطر الموت (ضحيّة مباشرة)،أو بكونه شاهدا على الحدث أو بمشاركته لعمليات إنقاذ.
- أن يتراوح سنّه بين السّادسة عشرة والحادية و العشرين.
- أن تضمّ مجموعة البحث الجنسين معا.

3-2- وصف مجموعة البحث :

تضمّ مجموعة بحثنا سبعة عشر مراهقا ومراهقة(17) متمدرسين تتراوح أعمارهم بين السّادسة عشر(16) والإحدى والعشرين سنة (21)، يشترك جميعهم في خاصيّة واحدة وهي تعرّضهم

و/أومعايشتهم للكارثة الطّبيعية(الفيضانات)التي ضربت منطقة سكناهم في العاشر(10) من نوفمبر لعام 2001، وقد تمّ انتقاءهم بطريقة مقصودة.

تمّ تمثيل أفراد مجموعة البحث حسب نوعية المستوى التعليمي،السّن والجنس،الأقسام وحسب طبيعة تعرّضهم و/أو معايشتهم للفيضانات، أي بشكل مباشر وغير مباشر، كما يلي:

جدول رقم (01): تقديم مجموعة البحث حسب المستوى التّعليمي والجنس.

الجنس / المستوى التعليمي	إناث		ذكور		مجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
تلاميذ مستوى التعليم الأساسي	3	% 30	2	% 28,57	5	% 29,41
تلاميذ مستوى التّعليم الثانوي	7	% 70	5	% 71,42	12	% 70,58
مجموع	10	% 100	7	% 100	17	% 100

تتكوّن مجموعة البحث، مثلما يظهر من الجدول، من سبعة عشر فردا(17) موزّعين على مستويين تعليميين مختلفين هما: مستوى التّعليم الأساسي ومستوى التّعليم الثانوي.

توضّح معطيات الجدول أنّ تلاميذ مستوى التّعليم الثّانوي هم أكبر فئة في مجموعة البحث حيث بلغ عددهم(12) تلميذا، أي بنسبة(70,58 %)، موزّعين بين(7) إناث،أي بنسبة(30 %) و(5) ذكور قدّرت نسبتهم بـ (71,42 %)، بينما بلغ عدد أولئك الذين ينتمون إلى مستوى التّعليم الأساسي(5) تلاميذ،أي بنسب(29,41 %) موزّعين بين(3) إناث بلغت نسبتهنّ(30%) وذكرين(2)، أي %) 28,57).

وكما يتبيّن من الجدول، فإنّ أغلب أفراد مجموعة البحث هم إناث إذ يبلغ عددهنّ(10) وبنسبة %) 58,82) مقابل (7) ذكور، أي بنسبة(41,17 %).

جدول رقم (02): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب السّن والجنس.

الجنس / السّن	إناث		ذكور		مجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
16 سنة	**1**	% 10	**1**	% 14,28	**2**	% 11,76
17 سنة	**2**	% 20	**1**	% 14,28	**3**	% 17,64
18 سنة	**2**	% 20	**3**	% 42,85	**5**	% 29,41
19 سنة	**1**	% 10	**0**	% 0	**1**	% 5,88
20 سنة	**3**	% 30	**1**	% 14,28	**4**	% 23,52
21 سنة	**1**	% 10	**1**	% 14,28	**2**	% 11,76
مجموع	**10**	% 100	**7**	% 100	**17**	% 100

يتراوح سنّ المراهقين الذين يشكّلون مجموعة البحث، كما هو مبيّن في الجدول، بين 16 و21 سنة.

احتلّ المراهقون الذين يبلغون سنّ 18 سنة الصّدارة بنسبة قدّرت بـ (29,41 %)، أمّا التّرتيب الثّاني، فعاد إلى فئة المراهقين الذين يبلغون سنّ 20 سنة وذلك بنسبة(23,52 %) غيرأنّ التفوّق هذه المرّة كان من نصيب الإناث، حيث بلغت نسبتهنّ (30 %) مقابل (14,28 %) مثّلها الذكور؛ يليهم أولئك الذين يبلغون 17 من العمر حيث قدّرت نسبتهم بـ (17,64 %) ودائما مع تفوّق الإناث في العدد وبالتّالي في النّسبة التي بلغت(20 %) مقابل (14,28 %) للذكور.

بينما تعادلت النّسبة بين الذين هم في 16 من عمرهم والذين هم في 21 سنة، حيث قدّرت بـ (11,76 %) وبين الجنسين كذلك، مثلما يتبيّن من الجدول، في حين، سجّلت أضعف نسبة عند فئة المراهقين الذين يبلغون 19 من عمرهم، أي(5,88 %) .

جدول رقم (03) : توزيع أفراد مجموعة البحث حسب القسم والجنس.

الجنس / القسم	إناث		ذكور		مجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
قسم 8 أساسي	**0**	% 0	**1**	% 14,28	**1**	% 5,88
قسم 9 أساسي	**3**	% 30	**1**	% 14,28	**4**	% 23,52
قسم 2 ثانوي	**2**	% 20	**3**	% 42,85	**5**	% 35,29
قسم 3 ثانوي	**5**	% 50	**2**	% 28,56	**7**	% 41,17
مجموع	**10**	% 100	**7**	% 100	**17**	% 100

يتوزّع أفراد مجموعة البحث على أربعة أقسام: قسمان منهم ينتميان إلى مستوى التّعليم الأساسي وهما الثّامن والتّاسع أساسي، وقسمان آخران ينتميان إلى مستوى التّعليم الثّانوي وهما الثّاني والثّالث ثانوي.

تظهر معطيات الجدول توزيعا غير متجانس للتّلاميذ ، حيث نجد:

- تلميذا واحدا (01) من قسم الثامنة أساسي، أي بنسبة(05,88 %) ،
- أربعة تلاميذ (04) من قسم التّاسعة أساسي، أي بنسبة(23,52 %) موزّعين بين(3) إناث وبنسبة (30 %)، وذكر واحد (1)، أي بنسبة(14,28 %)،
- خمسة تلاميذ من قسم الثّانية ثانوي، أي بنسبة (35,29 %) موّزعين بين أنثيين(2) بلغت نسبتهما(20 %) و(3) ذكور، أي بنسبة تقدّر بـ (42,85 %)،
- سبعة تلاميذ (7) من قسم الثالثة ثانوي، أي (41,17 %) معظمهم إناث، حيث بلغ عددهنّ (5) وبنسبة (50 %) مقابل ذكرين (2) قدّرت نسبهما بـ (28,56 %).

جدول رقم (04): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب تعرّضهم المباشر وغير المباشر للفيضانات.

أفراد مجموعة البحث / التعرّض المباشر وغير المباشر للفيضانات	إناث		ذكور		مجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
تعرّض مباشر لخطر الموت غرقا	1	% 10	1	% 14,28	2	% 11,76
المشاركة في عمليّات إنقاذ الضّحايا	0	% 0	3	% 42,85	3	% 17,64
فقدان أحد أفراد العائلة غرقا	5	% 50	1	% 14,28	6	% 35,29
فقدان أحد الأقارب غرقا	0	% 0	1	% 14,2	1	% 5,88
حضور مشاهد الموت والدّمار	4	% 40	1	% 14,28	5	% 29,41
مجموع	10	% 100	7	% 100	17	% 100

يوضّح الجدول السابق توزيع أفراد مجموعة البحث حسب طبيعة تعرّضهم للكارثة الطبيعية،أي تعرّض مباشر لخطر الموت غرقا،أوالمشاركة في عمليات إنقاذ ، وتعرّض غير مباشر كفقدان أحد أفراد العائلة أو أحد الأقارب، أو مشاهدة الدّمار والغرقى.

تبيّن معطيات الجدول أنّ أكثر من ثلث أفراد مجموعة البحث،أي(35,29 %) فقدوا أحد أفراد عائلتهم غرقا في الفيضانات معظمهم إناث حيث بلغت نسبتهنّ(50 %)، إمّا أحد الأبوين أو أحد الإخوة أو الأخوات، وأكثر من ربعهم(29,41 %) حضروا لمشاهد مرعبة عن الموت والدّمار،مع تفوّق نسبة الإناث المقدّرة بـ (40 %) على الذكور(14,28 %) بينما بلغت نسبة أولئك الذين دفعهم شعورهم بذنب البقاء إلى المشاركة في إنقاذ الضّحايا وبالتّالي المخاطرة بأرواحهم(17,64 %)، وهم ذكور كما يتبيّن من الجدول، ولم يتعرّض لخطر الموت غرقا إلاّ فردين فقط ، أي بنسبة (11,76 %)، أمّا أضعف نسبة والمقدّرة بـ (5,88 %) فمثّلها فرد واحد فقد أحد أقاربه غرقا في تلك الفيضانات القويّة.

4- ظروف وخطوات إجراء البحث:

فور حصولنا على رخصة البحث من مفتشيّة الأكاديميّة للتّربية، توجّهنا إلى المؤسّسات التّربويّة سالفة الذّكرواتّصلنا بمدراءها وعرضنا عليهم موضوع الدّراسة،أهمّيته ومنهجية العمل الّتي تتطلّب توفّر شروط محدّدة وجب التقيّد بها كضرورة توفير مكان مضيء ، هادئ وخال من أيّ إزعاج.

أبدى مسئولو المؤسسات اهتماما كبيرا بالموضوع ولم يدّخروا جهدا لمساعدتنا وتسهيل العمل والحرص على أن يتمّ في ظروف حسنة، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على اهتمامهم بهذه الشّريحة من المجتمع ومشاكلها وتشجيعهم للبحث العلمي.

بعد موافقة مدراء المؤسّسات التي قصدناها، باشرنا العمل بالاتّصال في البداية بمستشارات التّربية وذلك على مستوى كلّ مؤسّسة تعليميّة، حيث شرحنا لهنّ بأكثر تفصيل،أهميّة وأهداف البحث وكيفيّة انتقاء مجموعة الدّراسة، وقد انضمّ بعض المراقبين لمساعدتنا على ضبط قوائم أسماء التّلاميذ الذين تتوفّر فيهم المعايير التي حدّدناها.

عقب ذلك ، قمنا وبمساعدة من النّاظرين بدراسة جدول التّوقيت الخاصّ بكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث المكوّنة لتحديد مواعيد الاستدعاء، وقد حرصنا كلّ الحرص على اختيارا الأوقات المناسبة لإجراء البحث حتّى لا نحرم التّلميذ من أيّة حصّة دراسيّة أو نتسبّب في إزعاجه ،هذا من جهة، ومن جهة أخرى، حتّى نمنح له وقتا كافيّا وفرصة كاملة لتقديم الأجوبة سواء أمام الاختبارين الإسقاطيين أو أثناء المقابلة العيادية (خاصّة وأنّنا قمنا بتطبيق اختبار تفهّم الموضوع وإجراء المقابلة العيادية في حصّة واحدة) وحتّى يتسنّى لنا بالتّالي جمع المعلومات والمعطيات المرغوب فيها، كما تمّ الاتّفاق على مكان مناسب لإجراء البحث. باشرنا التّطبيق الّذي تمّ وفق خطّة عمل وجدول زمني محدّدين، في الرّابع (04) من فبراير لعام 2003، أي بعد مضي 15 شهرا تقريبا من حدوث الفيضانات، واستمرّ إلى غاية الخامس عشر(15) من ماي من نفس العام ، وقد عرف بعض الانقطاع بسبب العطل المدرسيّة والأعياد الدّينيّة، بالإضافة إلى الإضرابات المتكرّرة التي سبّبت تذبذبا في وتيرته، وقد تمّ تطبيق الأدوات المستعملة في هذا البحث في حصّتين:

تمثّلت الحصّة الأولى في تطبيق الرّورشاخ لغموض مادّته وللإشكاليّات البدائية التي يتعامل معها، ووفق الخطوات المعروفة والتي سنوضّحها لاحقا، أمّا الحصّة الثّانية، فتمّ خلالها تطبيق اختبار تفهّم الموضوع وذلك بعد فترة قصيرة لم تقلّ عن أربعة أيّام ولم تزد عن أسبوع من إجراء الرّورشاخ ، وبنفس الخطوات المتعامل بها مع تغيير وضعية الجلوس حيث كانت وجها لوجه، وبعده مباشرة أجريت المقابلة العياديّة.

اعتمدنا هذا التّرتيب في تطبيق أدوات البحث حتّى لا تتأثّر إنتاجية الاختبارين بمحتوى المقابلة إذا ما أجريت هي الأولى من جهة، ومُراعاة لطبيعة موضوع الدّراسة الذي يقتضي اللّجوء في نظرنا إلى هذا التدرّج في التّطبيق من جهة أخرى؛ بمعنى أنّنا اخترنا الانتقال من اختبار قليل الانبناء والهيكلة(الرّورشاخ)إلى اختبار أقلّ نكوصا وأكثر إرصانا منه(اختبار تفهّم الموضوع) إلى المقابلة العياديّة التي قد تكون فرصة لهؤلاء المراهقين للتّفريغ عن مشاكلهم الشّخصية تجاربهم الحالية والماضية، قلقهم ، مخاوفهم آلامهم وغيرها ممّا يميّز هذه المرحلة العمرية وممّا يرتبط بالحدث العنيف الذي تعرّضوا له.

بعد الانتهاء من التّطبيق بيومين على الأقلّ أو بثلاثة أيّام على الأكثر، كنّا نخصّص وقتا قصيرا لا يتعدّى ربع ساعة للمحادثة مع كلّ فرد من أفراد مجموعة بحثنا بغية التعرّف على انطباعاته حول مشاركته في البحث وتسهيلا للانفصال فكنّا نقول له مثلا:" واش كان إحساسك وانت تشارك معانا فهاد البحث؟،"واش راك تحس دركا"؟.

كانت الآراء متباينة، حيث اعتبر بعضهم مشاركته في البحث فرصة للتّعبير عن معاناته وآلامه وللاستماع لمشاكله دون إصدار أحكام مسبقة أو معاقبته على ما صدر عنه ولتحمّل معه عبء تجاربه المؤلمة التي مرّ بها أو حدثت له كفقدانه لأعزّ أحبابه في الفيضانات القويّة أمّا البعض الآخر، فلم تتجاوز مشاركته حدود الرّغبة في المساعدة.

5- أدوات البحث:

سعيا منّا إلى معرفة الوضع النّفسي لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث بعد مرور(15) شهرا من معايشتهم للفيضانات العنيفة والمميتة التي ضربت منطقة سكناهم سواء بطريقة مباشرة أو غير

مباشرة، و كذا معرفة نوعيّة سيرهم النّفسي ومدى ارتباطها(أي النّوعية) بذلك الوضع اعتمدنا على المقابلة العياديّة نصف الموجّهة من أجل التعرّف على كيفيّة معايشة هؤلاء المبحوثين لتلك الكارثة الطّبيعيّة،ردود فعلهم تّجاهها وانعكاساتها النّفسية التي قد خلّفتها، ومدى قدرتهم على التغلّب عليها وتجاوزها، أو ربّما عجزهم عن ذلك ما قد يؤدّي إلى تفاقمها وتطوّرها على شكل تناذر نفسي، وعلى اختبارين إسقاطيين هما من أكثر الاختبارات تداولا في مجال علم النّفس العيادي والمرضي ومن أنجعها لدراسة وفهم ديناميكية الشخصية وتقييم السّير النّفسي ونقصد بهما الرّورشاخ واختبار تفهّم الموضوع (T.A.T).

يمكّن كلّ من الاختبارين من التعرّف على انفعالات المفحوص و صراعاته النّفسية ومن معاينة السّياقات الفكرية الموظّفة لمواجهتها وإرصانها(M.EMMANUELLI, 1992) ، وعلى طريقته الخاصّة في تنظيم تجاربه وهيكلتها والمعنى الذي يعطيه لها ، فهو يتلقى مُثيراتهما المختلفة و يستجيب لهما وفقا للتّنظيم الدّيناميكي لشخصيته.

إنّهما يسمحان له بتفريغ استثماراته وبإسقاط مخاوفه وضغوطه الدّاخليّة عليهما وبتكرار التّجارب المؤلمة التي عايشها مدّة من الزّمن بصورة لاشعورية وكأنّها معاشة في الحاضر بغرض التحرّر من الطّاقة المرتبطة بها، و بتفريغ الاستثمارات المتعلّقة بالتّجارب الصّدمية التي تشكّل ضغطا داخليّا حادّا قد يعجز الأنا عن تحمّله بشكل مستمر " فكلّ ما كان مصدر صدمات ، بالمعنى النّفسي للكلمة، يترك فينا آثارا تميل إلى الظّهور بعد ذلك بصفة متكرّرة" (PH.JEAMMET, M.REYNAUD, S.CONSOLI, 1980, p.115).

ينصح المختصّون في المجال الإسقاطي مثل ف. شنتوب(V.SCHENTOUB) ك. شابير (C.CHABERT) ف. جامي(PH .JEAMMET) م.إيمانويلّي(M.EMMANUELLI) وغيرهم باستعمالهما معا لقيمة الإثبات أو التّأكيد المتبادل الذي تقدّمه معطيات الاختبارين حيث يعكس كلّ واحد منهما جوانب مهمّة من شخصية الفرد ويكشفان عن قدرات تحوّله أمام التغيّرات الدّاخلية والخارجية(C.CHABERT, M.EMMANUELLI, 2001)، و"للبعد المتمّم للتّناول الذي يسمح بوصف دقيق للإشكاليّات ، للصّراعات المختلفة وللأنماط الدّفاعية الموظّفة لمواجهتها" (M.EMMANUELLI, 2001, p.232).

فيما يلي عرض لهذه الأدوات و لكيفية تطبيقها:

5-1- اختبار الرّورشاخ:

يُظهر تعامل المراهق مع طبيعة مادّة الرّورشاخ الغامضة من خلال استجابته للتّعليمة المقدّمة، ديناميكية شخصيته المعرفية والانفعالية ويكشف عن الصّراعات النّفسية المكبوتة والإشكاليات المرتبطة بها وكذا،عن التّجارب الصّدمية السّابقة وكيفيّة مواجهتها.

5-1-1- تعريف ووصف الاختبار:

اخترع الطّبيب العقلي السويسري هرمان رورشاخ (Hermann RORSCHACH) سنة 1920 اختبارا يتكون من عشر لوحات عبارة عن بقع حبر مختلفة الأشكال والألوان، تتخلّلها فراغات بيضاء متفاوتة في العدد و المساحة وتشترك كلّها في تكوينها التّناظري. تتكوّن بعض اللّوحات من لونين فقط هما الأسود أو الرّمادي وهي:I،IV،V،VI وVII ويتكوّن بعضها الآخر من ثلاثة ألوان وهي: الأسود، الأبيض والأحمر ويتعلّق الأمر باللوحتين II وIII، أمّا بعضها الأخير فيحمل ألوانا متنوّعة وهو شأن اللّوحات الثلاث الأخيرة VIII، XI وX وتدعى باللّوحات الباستل.

5-1-2- كيفية تطبيق اختبار الرّورشاخ:

تمّ استقبال كلّ مبحوث(أو مبحوثة) ، بعد استدعاءه من قبل النّاظرأوالمراقب، في القاعة التي خصّصت لنا وفي الموعد المحدّد والمتّفق عليه، وبعد التّرحيب به ودعوته للجلوس يسارا(وفق الطّريقة المعهودة في التّطبيق العيادي) قدّمنا له أنفسنا قائلين له:"صباح الخير أو مساء الخير(حسب الظّرف الزّمني)، تفضّل،أنا مختصّة نفسانية psychologue راني ندير فبحث على الشّباب إلّي في لعمر نتاعك باش نعرف كيفاش راهم يعيشو هاد السّن، كيفاش يخمّو واشن هُوما المشاكل إلّي يعانيو منها ولا التّجارب إلّي مرّت عليهم وكيفاش واجهوها ، وانت كشاب تقدر تعاوني باش أنديروه إذا حبّيت".

بعد الحصول على موافقته، شرحنا له مراحل العمل ثمّ سألناه عن اسمه والصّف الذي ينتمي إليه وتحاورنا معه لمدّة قصيرة كان القصد منها تهيئة الجوّ وتحضير المبحوث للاختبار. دارت الأسئلة عموما حول جوّ الدّراسة في مؤسّسته،المواد المفضّلة لديه، هواياته وآفاقه المستقبلية:" كيفاش جوّ لقراية هنا فالمؤسّسة نتاعك؟، واشن هُوما المواد إلّي تحبّهم وْما تلقاش فيهم صعوبات؟، واشن هُوما هواياتك؟، واش راك حاب أدّير فالمستقبل"؟.

بعد ذلك، شرعنا في تطبيق الاختبارمرحلة بمرحلة وهي للتّذكير ثلاث مراحل:التّطبيق العفوي، التّحقيق واختبار الاختيارات.

اعتمدنا في المرحلة الأولى من التّطبيق والمسمّاة بمرحلة **التّطبيق العفوي** على تعليمة ك. شابير(C.CHABERT, 1998) التي تعمل على تحريض الإدراك والتخيّل وصياغتها كالتّالي :" سوف أريك عشر لوحات وتقول لي كلّ ما تجعلك تفكّر فيه وما يمكن أن تتخيّله انطلاقا من هذه اللّوحات"(p.23) ، أمّا نحن، فقدّمناها في البداية بالدّارجة قائلين للمبحوث :" نورّيلك عشر تصاور وتقول لي فواش يخليوك تفكّر ولاّ واش تقدر تتخيّل عليها"، ثمّ أعدناها عليه بالفرنسية حتّى نضمن فهمها له وحتّى نعطي له الفرصة للإجابة باللّغة التي يفضّل استعمالها، فكانت الصّياغة كما يلي:

« Je vais vous montrer dix planches et vous me direz tout ce à quoi elles vous font penser, ce que vous pouvez imaginer à partir de ces planches ».

وبطبيعة الحال، كنّا نقيس زمن الكمون و الزّمن الكلّي لكلّ لوحة و نسجّل أيّ سلوك يصدرعنه أثناء إعطاءه الإجابات وكذا كيفية تناوله للّوحات المقدّمة له(أي وضعياتها المختلفة)، ونجيب على كلّ ملاحظات أو انتقادات موضوعية تخصّ تفصيلا من تفاصيل البقعة أو نوع الإجابة من حيث شكلها أو لونها بقولنا:" شوف أنت لواش تقدر تشبه" وفي معظم الأحيان، نلتزم الصّمت ولم نتدخّل إلاّ نادرا وذلك في حالات الكف الشّديد أو تكرار رفض اللّوحات أو غياب الإجابات المبتذلة.

بعد الانتهاء من التّطبيق ، كنّا نعيد تقديم اللّوحات ، الواحدة تلو الأخرى حتّى نتحقّق من مواقع الإجابات (كليّة،جزئيّة كبيرة أم صغيرة)، من محدّداتها (شكلية ، لونية أو حركية) ومن محتوياتها

، وحتّى يسهل علينا بعد ذلك تّنقيط وتّحليل الأجوبة المقدّمة ومن ثمّ حصر الدّيناميكية النّفسية لشخصية المبحوث.

أمّا عن تعليمة هذه المرحلة المسمّاة **بالتّحقيق**، فكنّا نقدّمها كما يلي:" دُركا نعاودو ناخدو التّصاور كيفكيف ، وتحاول تقول لي وين شفت واش قلت من قبيل،على واش اعتمدت باش أعطيت هذوك الإجابات، ولا زادو جاوك أفكاروحد أخرين تقدر أتقولهملي"، ثمّ نعيدها بالفرنسية، كما فعلنا في المرحلة الأولى، قائلين:

« Maintenant,nous allons reprendre les images ensemble , vous essaierez de me dire où avez-vous vu ce que vous avez évoqué tout à l'heure ,sur quoi vous vous êtes basé pour donner vos réponses,éventuellement si d'autres idées vous viennent en tête , vous pouvez m'en faire part ».

كنّا نلجأ أحيانا ،عند ما نجد بعضهم قد أهمل جزءا مهمّا من البقعة ، أو لم يعط إجابة مألوفة في اللّوحات المعروفة كاللّوحة III مثلا أوV أوVIII، أو تصوّرا بشريّا مثلا خاصّة في اللّوحة III ، إلى تحقيق آخر يسمّى **تحقيق الحدود** ، فكنّا نقول مثلا: " وهنا واش تقدر أتشوف؟ " أو" وهنا ما يقدرش يشبّه لعباد؟". كان ذلك التّحقيق يحدّد لنا ما إذا كان الأمر إهمالا من المبحوث أو حصرا عابرا(un blocage) أو عجزا نفسيّا أساسيّا. عقب ذلك ، كنّا نطلب من المبحوث أن يختار من بين اللّوحات العشر المعروضة أمامه دون ترتيب، لوحتان أعجبتاه أكثر ولوحتان لم تعجبانه على الإطلاق مع تبرير كلّ اختيار إيجابي أو سلبي، وقد صغنا التّعليمة كالتّالي:" دُركا خيّر من هاد التّصاور زوج إلّي عجبوك كّتر، وْ زوج إلّي ما عجبوكش كامل وقولّي وعلاه". أمّا بالفرنسيّة، فكانت التّعليمة كالتّالي:

« Maintenant, vous allez choisir parmi ces images, les deux qui vous ont plu et les deux qui ne vous ont pas plu en me disant pourquoi ».

تكشف هذه المرحلة الأخيرة من مراحل تطبيق اختبار الرّورشاخ والتي يطلق عليها اسم "**اختبار الاختيارات**"، عن استثمارات المبحوث الإيجابية أو السّلبية تّجاه المادّة التي قدّمت له كما تسمح بتفصيل الأجوبة المعطاة وتقديم معلومات إضافية حولها، فقد تظهر العدوانيّة بشكل مكثف، أو التّكوينات العكسيّة كما يتّضح الانشطار والتّجاذب الوجداني.

عند الانتهاء من تطبيق الاختبار،كنّا نطلب من كلّ مبحوث أن يعطي لنا انطباعاته حول الصّورالتي شاهدها، فنقول له:" واش رايك فالتّصاور إلّي ورّيتهملك ؟"، وقد كانت كلّ الإجابات وبدون استثناء سلبية ارتبطت بالطّابع الشّكلي الغامض وغير المفهوم بل وكما ذكرت فريال وبنبرة سخرية" لامعنى له "، وكذلك بالطّابع اللّوني المخيف المقلق المثير للحزن، للعدوان وللدّم ، ولا بأس أن نقدّم بعض الأمثلة عن أجوبتهم:

- " تصاور غامضين بزّاف ما فهمت فيهم والو".
- " تصاور واعرين بزّاف ، ماشي مفهومين ، كحولا ويخوفو".
- " تصاور فكروني بالإرهاب، كلّش كحل والدّم تاني".
- " أنا شفت فيهم الدّمار، الموت والقتل".
- " تصاور ماعندهم حتّى معنى ، تقولشي bébé إلّي دارهم ماشي عبد".

ولأنّ مادّة الاختبار غامضة التّركيب والبنية، فإنّه لا ينبغي الحكم على استجابات المبحوث بالخطأ أو بالصّواب ، فإدراكه للبقع الذي يتجلّى على شكل إنتاجيّة خاصّة به إنّما هو انعكاس لديناميكية شخصيّته المعرفيّة و الصّراعية، وإبراز لقوّة أناه وقدرته على مواجهة الواقع والتكيّف معه ، ولفعالية آلياته الدّفاعية تجاه الصّراعات والإشكاليّات الماضية المنشّطة من جديد.

5-2- اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T):

إنّ لاختبار تفهّم الموضوع أهمّية كبرى في التعرّف على الشّخصيّة في أبعادها المختلفة وآلياتها الدّفاعيّة الموظّفة لمواجهة وفكّ الصّراعات، وهو بذلك، يسمح بالتّشخيص وبفهم السّير النّفسي للفرد وتحديد بنيته النّفسيّة والكشف عن معاناته الدّاخليّة والخارجيّة.

5-2-1- وصف الاختبار:

أنشئ اختبار تفهّم الموضوع عام 1935 من قبل الطّبيب والبيوكيميائي هنري موراي (Henri MURRAY) وتتضمّن الطّبعة الأصلية إحدى وثلاثين لوحة بعضها مشترك بين كلّ المفحوصين

وبعضها الآخرمخصّص للأطفال أو للرّاشدين لجنس أو لآخر،أمّا الصّور، فهي عبارة عن رسومات صور أو استنساخ اللّوحات.

يطبّق الاختبار على مرّتين، وفي كلّ مرّة، تقدّم عشر لوحات بتعليمات قابلة للتغيير وهذا حسب السّن، الذّكاء و اضطرابات المفحوص(D.ANZIEU, C.CHABERT, 1987) لكن ولتفادي مشاكل التّطبيق والمعايرة النّاتجة عن اللّوحات المختارة وعن تطبيق الاختبار في مرحلتين،أدخلت ف. شنتوب (V.SHENTOUB) عام 1945 تعديلات على الاختبار،حيث أنقصت من عدد اللّوحات و لم تحتفظ إلاّ بتلك التي اعتبرتها أكثر ملائمة وتعبيرا وهي : 1، 3BM2 ،4، 5، 8BM،10،11،12BG، 13B ، 19 و16 وقد اقترحتها للأولاد وللبنات،للرّجال وللنّساء،اللّوحتان6BM و7BM للأولاد و للرّجال فقط ، اللّوحات 6GF ، 7GF ، 9GF للبنات و للنّساء فقط ، أمّا اللّوحة 13MF، فهي مقترحة للرّاشدين فقط (رجال و نساء).

يطبّق اختبار تفهّم الموضوع عند ف. شنتوب مرّة واحدة و بتعليمة واحدة كذلك.

ركّزت هذه الباحثة في آخر أعمالها على الطّريقة التي ينبني بها الخطاب، فأولت اهتماما كبيرا لشكله ومختلف الأساليب الشّاهدة على وجود آليات الدّفاع والتخرّج، كما أكدّت على ضرورة العودة إلى الموقعيتين الأولى والثّانية ووجهات نظر ديناميكية، اقتصادية وموقعية عند تحليل قصص المفحوص وذلك اعتمادا على أعمال فرويد ونظرياته خلافا عن موراي الذي اعتنى بالمحتوى و ما يتضمّنه من أحاسيس، حاجات، ميول وردود أفعال تميّز واقع الفرد المعاش ولم يأخذ بعين الاعتبار العمليات التي تتحكّم في الشّعور واللاّشعور.

5-2-2- <u>سياق الاختبار</u>:

يقصد بسياق اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T)، كما تقول ف. شنتوب (V.SHENTOUB,1990, p.26) :" مجموع الميكانزمات العقلية المستخدمة في وضعيّة فريدة من نوعها ،أين يطلب من المفحوص تخيّل حكاية انطلاقا من اللّوحة المقدّمة له بتعبير آخر اصطناع تصوّر ابتداءا من واقع معيّن".

غير أنّه لا يمكن التطرّق إلى تحليل هذه السّياقات العقلية إلاّ بعد تحليل معمّق للوضعية التي تحدث تلك السّياقات والتي تتضمّن ثلاثة ثوابت أساسيّة نستعرضها كما يلي:

أ- المادّة:

تمثّل الصّور بالنّسبة لموراي" وضعيات إنسانية كلاسيكية"، ويتعلّق الأمر بوضعيات مرتبطة بالصّراعات العالمية ومهما كانت اللّوحة، فهناك استعمال مستمرّ لليبيدو والعدوانية من قبل الشّخص سواء كان هذا في إطار سجّل إشكالية التقمّصات التي تعيّن الفرق بين الأجناس والأجيال، أوفي سجّل إشكالية الهويّة والإشكالية الاكتئابية.

هكذا إذا، تثير مادة اختبار تفهّم الموضوع مواد نفسية مرتبطة بالدّيناميكية الخاصّة بالجهاز النّفسي لكلّ فرد.

أمّا بشأن اللّوحات المستعملة في هذا البحث و عددها، فقد عمدنا إلى تطبيق 15 لوحة على كلّ جنس، وقد انتهجنا في اختيارها منهج أعضاء فرقة البحث التابعة لجامعة باريس V وبخاصّة، أولئك الذين تخصّصوا في مجال المراهقة و دراسة مظاهرها السويّة والنّفسية المرضية مثل م. إيمانويلي و ك. أزولاي.

يمثل الجدول التالي نموذج اللوحات المطبّقة على أفراد مجموعة بحثنا.

جدول رقم (05): توزيع لوحات رائز تفهّم الموضوع (T.A.T) المستعملة حسب السّن والجنس.

رقم اللوحة / السّن و الجنس	1	2	3BM	4	5	6BM-7BM	6GF-7GF	8BM	9GF	10	11	12BG	13B	13MF	19	16
ذكور 16-21 سنة	*	*	*	*	*	*		*		*	*	*	*	*	*	*
إناث 16-21 سنة	*	*	*	*	*		*		*	*	*	*	*	*	*	*

يشترك الجنسان، كما يتبيّن من الجدول، في اثنتي عشر(12) لوحة وهي:

1، 2، 3BM، 4، 5، 10، 11، 12BG، 13B، 13MF، 19 و 16، بينما يختلفان في ستّ لوحات (06)، ثلاثة منها للذكور وهي:6BM،7BM ،8BM وثلاثة متبقيات للإناث وهي:6GF ، 7GF ،9GF.

وقد تمّ الاستغناء عن اللّوحة 8BM عند الإناث، إذ هي مخصّصة في الأصل للذكور صغار (B)وكبار(M) .

بالمقابل، أدرجت اللّوحة 12BG في التطبيق، فهي تختبر قدرة الفرد على الاعتراف بغياب الموضوع دون الخوف من فقدانه، وهذا ينطبق على أولئك الذين فقدوا أحد أوليائهم (الأب أوالأم) أوإخوتهم أوأقاربهم في الفيضانات.

ب- <u>التّعليمة</u>:

وهي كالآتي:"تخيّل حكاية انطلاقا من هذه اللّوحة"، وهي ذات التّعليمة التي اعتمدناها في هذا البحث.

تضع هذه التّعليمة المفحوص في موقفين متناقضين تماما، فمن جهة، هناك مراقبة واعية بمعنى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار المحتوى الظّاهري للصّورة(الممثّل للواقع) وإرصان حكاية منطقية مترابطة و قابلة لأن تنقل للآخرين،لأيّ حكاية تخضع للأوامر أو الملزمات الثّانوية.

ومن جهة أخرى، ضرورة خفض المراقبة من أجل تخيّل قصّة، بمعنى النّكوص واللّجوء إلى الهوامات و العمليّات الأوّلية(F.BRELET, 1986).

وهكذا، فما هو مطلوب من المفحوص أمام هذه التّعليمة، هو القيام بتسوية بين الواقع والخيال،أي بين ما يراه على اللّوحة مراعيا بذلك التغيّرات الخارجية والتّداعيات أوالتصوّرات المثارة.

ج- <u>الفاحص</u>:

يعتبر الفاحص العنصر المكوّن والأساسي للوضعية الإسقاطية،إذ يستثمره المفحوص من قبل إدراكه، وعليه أن يتقيّد بالحياد اللّطفي أمام وضعية تطبيق الاختبار فلا يتدخّل ولا يطرح أسئلة، وعليه أن يمتنع عن كلّ حكم، لكن" دوره لا ينحصر في الاستماع فقط بل هو طرف فعّال في هذه العلاقة" (D.HADDADI, 1998, p.49) ، إذ عليه في نفس الوقت أن يفرض الأداة والتّعليمة على المفحوص وأن يقوم بنقل كلّ أقواله وسلوكياته وهو بهذا، يشبه تناقض التّعليمة باعتباره يحثّ على تصوّر مزدوج بين الواقع والخيال. من جهتنا، حاولنا التقيّد والالتزام بكلّ الشّروط

السّابقة ، فامتنعنا عن أيّ حكم تقييمي وكنّا نسجّل خطاباتهم بحياد تام وكذا سلوكاتهم وتصرّفاتهم ، تعاليقهم الموضوعية (الخاصّة بمحتويات المادّة) وانتقاداتهم لوضعية الاختبار، لكنّ وأمام بعض حالات الكفّ الشّديد، القلق والتوتّر،التي انتابت بعض المبحوثين، بات التدخّل ضروريّا آخذا طابع السّند والتّشجيع على مواصلة السّرد.

يمكن تشبيه الثّوابت الثلاثة بوضعية صراعية بالدّرجة الأولى، إذ ينشأ الصّراع فعلا عندما يتواجه مبدأ الواقع مع مبدأ اللذة، تصوّر الشيء مع تصوّر الكلمة الإدراك والفكر وأخيرا الرّغبة و الدّفاع ، بتعبير آخر، الملزمات (les impératifs) الواعية وغير الواعية.

تختبر الوضعية الصّراعية مدى تكيّف الأنا مع الواقع، فإن تكيّف مع هذه الوضعية الإسقاطية وذلك باستجابته لتناقض التّعليمة وبمعالجته الثّانوية الجيّدة للصّراعات فهذا يدلّ على قدرته التكيّفية إزاء مواقف الحياة المختلفة وصراعاتها، أمّا إذا أخفق، فلعلّ إخفاقه دليل على صعوبة في مواجهة المواقف الحرجة في الحياة وهذا ما نسعى إلى التحقّق منه وإظهاره.

5-2- 3- <u>كيفية تطبيق الاختبار</u>:

بعد انقضاء مدّة قصيرة لا تقلّ عن أربعة أيّام ولا تتعدّى أسبوعا عن تطبيق اختبار الرّورشاخ استدعينا المبحوث(أو المبحوثة) ثانية، وبعد حوار قصيروبسيط تمهيدا منّا للفحص، سألناه من خلاله عن حاله وعن دراسته قائلين له:"واش راك لاباس؟ كيفاش جوّزت ليامات إلّي فاتو؟ واش درت فيهم كامل؟،واش راك مع لقراية؟"، و الحصول على موافقته أيضا، شرعنا في تطبيق الاختبار بقولنا له:" هاد المرّة إذا حبّيت، رايحة نورّيلك تصاور مختلفين علّي شفتهم المرّة إلّي فاتت وأنت أتخيّل حكاية من كلّ تصويرة نورّيهالك ، تحبّ نبداو؟".

أمّا عن موقف أفراد مجموعة البحث إزاء الاختبار، فقد اختلف من فرد لآخرإذ كان بعضهم يسأل عن ماهية الاختبار وهدفه قائلا:" تاع واش هاد الاختبار إلّي رايحة أجوزيهولي، تاع l'intelligence ولاّ وشنو؟، واش معنتها هاد التصاور؟"، وبعضهم الآخر يسأل عمّا إذا كانت الصّور التي سيراها لها علاقة بالفيضانات:"هاد التصاور تاع الحملة ولاّ واش؟ "، وقد يعكس هذا النّوع من الأسئلة مدى تأثير الحدث العنيف على نفسيتهم أو ربّما، مدى تثبيتهم على الصّدمة.

وراح بعضهم الأخير يسأل عن مضمون الصّور وهل تشبه تلك التي رآها في المرّة الماضية:"ما تقوليليش هاد التصاور كيما هادوك إلّي شفتهم الخطرة إلّي فاتت... هادوك يخوّفو بزّاف ، هادو تاني"؟.

وقد حاولنا قدر المستطاع وبشكل مبسّط ،الإجابة عن تساؤلاتهم بقولنا أنّ هذا الاختبار يكشف لنا عن قدرتهم كشباب على التخيّل وإعطاء قصّة انطلاقا من صور تقدّم لهم وبالتّالي فهم نفسيتهم في هذه المرحلة والتعرّف على طريقة تفكيرهم.

ومع تقديم اللّوحة الأولى من الاختبار، أعطينا التّعليمة بالدّارجة دون تكرارها كالتّالي: " أتخيّل حكاية من هاد الصّورة"، ثمّ أعدناها بالفرنسيّة كما فعلنا في اختبار الرّورشاخ قائلين له:« Imaginez une histoire à partir de la planche ».

وللّوحة الأخيرة (اللّوحة رقم 16) تعليمة خاصّة بها باعتبارها لوحة بيضاء،حيث كانت صياغتها على المنوال التّالي:"حتّى لدرك ، ورّيتلك تصاور تاع عباد أو مناظر طبيعيّة رايحة نعطيلك دركا الصّورة الأخيرة (أري اللّوحة)، تقدر تتخيّل لحكاية إلّي تحبّ".

وبالفرنسية كنّا نقول:

«Je vous ai montré des images qui représentaient des personnages ou des paysages, maintenant je vous propose cette planche qui est la dernière vous pourrez me raconter l’histoire que vous voudrez ».

كنّا نقيس زمن الكمون والزّمن الإجمالي لكلّ لوحة من لوحات الاختبار ومن ثمّ الزّمن الإجمالي للبروتوكول، ونسجّل جميع سلوكياتهم،إيماءاتهم وتعليقاتهم الموضوعية(التي كانت كثيرة عند بعضهم) والذّاتية التي كانت تظهر في أغلب الأحيان عجزهم عن الاستجابة للتّعليمة ومقاومتهم لمحتويات الاختبار وكلّ ما قد يكشف عن صدمة ما أمام الوضعية.

وقد طرحت تساؤلات أثناء سرد القصّة عن تفصيل معيّن من تفاصيل اللّوحة أواستفسارات عن كيفيّة الاستجابة للتّعليمة المعطاة ، أي تخيّل قصّة من الصّورة التي نقدّمها لهم:

- واشنو هادا إلّي راهو قدّامو، كتاب؟.

-"نحكي حكاية إلّي نحب"؟ ، "نحكي حكاية من عندي"؟.

- "حكاية على روحي ولاّ n’importe" ؟ ، "حكاية نتاعي ولاّ فالصّورة"؟.

-" كفاه حكاية ما فهمتش؟ "، ما فهمتش كفاش نحكي حكاية ، أعطيني واحد أخرى بالاك نفهم بيها".

-"ما عنديش بزّاف لحكايات نسيتهم".

قد تدلّ مثل هذه الاستفسارات على مدى انزعاج هؤلاء المراهقين أمام المنبّه الذي أثار مجدّدا إشكالياتهم وصراعاتهم الخاصّة بهم أو تجارب ماضية أليمة، فعجزوا عن مواجهتها وقد برز ذلك من خلال سيطرة سياقات الكف والرّقابة على طول البروتوكول مثلما سنعرضه في الفصل الخامس المخصّص لنتائج هذا الاختبار.

بعد الانتهاء من تطبيق الاختبار، كنّا نطلب من كلّ مبحوث أن يدلي لنا برأيه حول الصّور التي شاهدها، فنقول له:"واش رايك فالتّصاور إلّي شفتهم؟"، فكانت الأجوبة كالتّالي:

-"Jamais شفت هاد التصاور، ملاح ، خير من هادوك إلّي ورّيتيهملي المرّة إلّي فاتت".

-" كي قلتيلي تصاور، خلعت عمبالي نتاع الحملة كيما إلّي شفناهم".

- " تقوشي تاع les films نتاع بكري".

-" تصاور normal ،عاديين".

- "تصاور يعكسو حالة المجتمع نتاعنا ، كيفاش النّاس عايشين .. مشاكل الحياة".

- هوما ملاح خير من هادوك اللّولين ، مبصّح هادي إلّي نحكي عليهم حكاية هي إلّي جاتني صعيبة".

5- 3- المقابلة العيادية:

تعتبر المقابلة العيادية أداة متميّزة من بين الأدوات الأخرى التي تطبّق في المنهج العيادي ذلك لأنّها تمكّن الباحث الإكلينيكي من الحصول على معلومات ذاتية عن تاريخ الحياة،التصوّرات،الأحاسيس، الانفعالات و التّجارب المختلفة و كلّها تنّم عن خصوصية الفرد وتعقّده، وقد اخترنا المقابلة العيادية نصف الموجّهة لتوافقها وطبيعة موضوع البحث، ومن خلالها، فسحنا المجال لأفراد مجموعة البحث للتّعبير "بحريّة" عن معاش طفولتهم ومراهقتهم عن مشاكل نفسية أو اجتماعية أوعلائقية تعرّضوا لها وكذا ،عن تجارب مرّوا بها سواء ارتبطت

بالماضي أو بالوقت الحاضر، كيفيّة مواجهتهم لها ومدى تأثيرها على نفسيتهم وحياتهم الشّخصية.

كما كان الهدف من إجراء المقابلة العيادية، التعرّف على استجاباتهم وردود فعلهم تّجاه الفيضانات لحظة وقوعها ثمّ بعد ذلك، والتّعرف أيضا على مدى قدرتهم على تجاوز انعكساتها المختلفة والتكيّف مع الواقع الخارجي أو العكس، فشلهم وعجزهم عن ذلك ممّا يؤدّي إلى استمرارها وتثبيتها داخل النّفس فيتجلّى ذلك على شكل أعراض نفسيّة صدمية تندرج ضمن لائحة التّناذرات النّفسيّة الصّدمية المعروفة سواء في الأدب التّحليلي أو الطبّي العقلي، وهذا ما يمكّننا من الكشف عن الفروق الفردية المحتمل ظهورها، أي عمّن تمكّن من استدخال ذلك الحدث الصّدمي وتجاوزه، وعن الذي لم يتمكّن من إرصانه ولا يزال مثبّتا على الصّدمة النّفسية.

وللحصول على بيانات دقيقة وكافية ، استعنّا بالدّليل التّالي:

5-3-1- <u>دليل المقابلة</u>:

بهدف الوصول إلى مبتغانا ومحاولة الفصل بين المبحوثين المصدومين وغير المصدومين شكّلنا دليلا للمقابلة العياديّة نصف الموجّهة تضمّن ثلاثة محاور أساسيّة يكمّل بعضها البعض حيث خصّصنا المحورالأوّل منها لرصد عوامل الاستعداد النّفسي، والثاني لمعاش الفيضانات واستجابات المبحوثين المباشرة وبعد المباشرة لها،أمّا المحور الثالث، فكان للتّقييم العيادي للحالة النّفسيّة لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث بعد مرور15 شهرا من وقوع تلك الكارثة الطّبيعيّة، إذ لا تظهر الطّبيعة الصّدميّة الحقة لحادث ذي طاقة صدمية عالية كما هو حال الكوارث الطّبيعيّة ومنها الفيضانات، إلاّ في المابعديّة أي بعد زمن كمون ثابت في كلّ تناذر نفسي صدمي، متغيّر حسب نمط الشّخصيّة المصابة أوالضّحيّة،والظّروف بعد الصّدمية(conditions post-traumatiques) حيث تتراوح مدّته من بضعة أيّام إلى ستّة أشهر بل قد تصل إلى سنة أو أكثر، وذلك من خلال بروز مفاجئ لتناذر التّكرار الصّدمي مثلما أشير إليه فيDSM-IV من خلال المعيار(B) الذي يستعيد الأعراض المتطفّلة، فظهوره هو الذي يسمح لنا بفهم أو إدراك الأثر

النّفسي الدّاخلي لها الذي يتكرّر في الكوابيس والانبعاثات النّهاريّة بطريقة قاسية قد يعجز المراهق عن مقاومتها أو الاعتراض لها.

على ذلك الأساس، اعتبرنا مرور سنة كاملة على أحداث الفيضانات المفاجئة والعنيفة التي ضربت منطقة باب الوادي وعايشها أفراد مجموعة البحث، مدّة ملائمة لتقييم حالتهم النّفسيّة والتعرّف على انعكاساتها وآثارها عليهم،لكنّ ولظروف إداريّة وميدانية امتدّت مدّة بداية التّطبيق إلى خمسة عشر شهرا(15).

وقد صيغت أسئلتها المختلفة باللّهجة الدّارجة المتداولة بين أغلب أفراد المجتمع الجزائري،من بينهم المراهقين، وفيما يلي عرض لتلك المحاور وأسئلتها:

5-3-1-1- <u>المحور الأوّل</u>: عوامل الاستعداد النّفسي.

يتضمّن هذا المحور أسئلة عن معاش الطّفولة وذكرياتها، وكذا معاش المراهقة بتحوّلاتها الجسميّة والنّفسية، وعن الأحداث و التّجارب البعيدة أو القريبة التي تعرّض لها المراهق أوعايشها و كيفية استجابته لها ، كأن تكون أزمة شخصية ارتبطت بلحظة حياتية عابرة صعبة مثلا،أو أحداث حياتية استتبعت تمزّقا عائليّا كوفاة أحد أفراد العائلة وبشكل خاص أحد الأبوين أو انفصالهما،أو صراعات عائليّة،أو تجارب مؤلمة ربّما اتّخذت عند بعضهم طابعا صدميّا سواء تعرّض لها هو شخصيّا أو والديه،" فقد يكون لصدمة نفسيّة تعرّض لها الأبوان تأثير صدمي ثانوي على الطّفل الذي يواجه اضطرابهما، وتشوّش نفسيتيهما، وكذا سياق تكرارهما للصّدمة وإسقاطاتهما حتّى ولو لم يعش هو تلك الصّدمة بشكل مباشر" (R.DIATKINE, 1982, p.93) ، والغرض من تلك الأسئلة رصد عوامل الاستعداد النّفسي التي قد تكسب حساسيّة متزايدة لمختلف الاعتداءات الخارجيّة الخطيرة والوضعيات الضّاغطة وهشاشة نفسيّة، فيصبح أقلّ مقاومة لها وقد لا يملك الطّاقة النّفسيّة الكافيّة للسّيطرة عليها وتجاوزها.

وهكذا، فإنّ تقييم الاضطرابات بعد الصّدميّة لا يرتكز على طبيعة الحدث الصّدمي وشدّته فحسب، بل هناك جوانب ذات أهمّية بالغة على الباحث الإكلينيكي مراعاتها وأخذها بعين الاعتبار، كالتّاريخ الشّخصي والعائلي للفرد الذي تعرّض له، لما لهذه العوامل من أهمّية في

شرح وتفسير ظهور الاضطرابات النّفسيّة الصّدميّة، أو تأزّمها مثلما تؤكّده النّظريّة التّحليليّة بصيغة أخرى، وضع الحدث وانعكاساته في علاقة مع ماضي الشّخص.

طرحنا أسئلة هذا المحور كما يلي:

- تقدر تقولّي كفاش عشت الطّفولة نتاعك؟.
- كفاش كانت علاقاتك مع عايلتك، و مع المعلّمين نتاوعك؟.
- تقدرتحكيلي على ظروف صحيّة تعرّضت ليها في طفولتك ولاّ كاش واحد من عايلتك،ولاّ أحداث جازو عليك ومازالك تتفكّرهم ؟ وكيفاش واجهتهم؟.
- احكيلي كيفاش راك تحسّ روحك فهاد المرحلة ملعمر؟ كفاش راهي علاقاتك مع عايلتك؟ وفي المؤسّسة نتاعك ومع صحابك؟.
- Est-ce que واجهاتك مشاكل ولاّ أحداث ، ولاّ لواحد من عايلتك وأثّرت فيك؟.

يعدّ السّؤال الأخير تمهيدا للانتقال إلى المحور الموالي الخاصّ بمعاش الكارثة الطّبيعية التي شهدتها منطقة باب الواد على وجه الخصوص.

5-3-1-2- <u>المحور الثّاني</u>: معاش الفيضانات واستجابات أفراد مجموعة البحث المباشرة وغير المباشرة لها.

يتكوّن هذا المحورمن جزأين، خصّصنا أوّلهما لوصف الفيضانات لحظة وقوعها وللتعرّف على مختلف الاستجابات الفرديّة المباشرة التي تنضمّ حول الضّغط بشكليه المتكيّف وغير المتكيّف، وهي مظاهر أولى مراحل الباتولوجيا النّفسيّة الصّدميّة التي ميّزها الأطبّاء العقليّون الفرنكفونيون(*)، وأشار إليها ر. بيرون كذلك (R.PERRON,1999 /2000).

أمّا الجزء الثّاني، فخصّص للتعرّف على مختلف الاستجابات أو ردود الفعل الشّائعة التي تظهر عادة بعد وقوع الحدث الصّدمي بأيّام أو أسابيع، وهي ثاني مراحل الباتولوجيا النّفسيّة الصّدميّة.

أ- <u>الجزء الأوّل</u>: وصف الفيضانات لحظة وقوعها و استجابات المبحوثين المباشرة.

ترتبط أسئلة الجزء الأوّل بوصف الفيضانات لحظة وقوعها وبالتعرّف على الآثار الجسميّة المحتمل ظهورها عند الضّحايا النّاجين،أو المنقذين،أو ربّما الشّهود أيضا وعلى مختلف ردود الفعل النّفسيّة المباشرة عند كلّ المبحوثين، وقد كانت صياغتنا لأسئلة هذا الجزء كما يلي:

(*): راجع ص 62

- تقدر تحكيلي واش إلّي صرى نهار الحملة؟.

وهو سؤال عام وجّهناه للجميع، تلته أسئلة خاصّة حسب طبيعة تعرّض ومعايشة كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث للفيضانات المفاجئة والقويّة التي ضربت منطقة سكناهم وكانت كالتّالي:

- شكون إلّي تقاس من العايلة نتاعك؟.
- كفاش سمعت بالخبر و بواش حسّيت فهاداك الوقت؟.
- تقدر تحكيلي واش إلّي صرالك؟ وكفاش كنت بعد ما سلكت من الحملة؟.
- Est-ce que حضرت لواش كان يصرى برّى ولاّ لناس يسلكو فيهم ؟ وكفاش تقدر توصفلي إحساسك؟.
- Est-ce que سلّكت ناس ؟ تقدر توصفلي إحساسك وانت تسلّك فيهم؟.

ب-<u>الجزء الثّاني</u>: استجابات المبحوثين بعد المباشرة للفيضانات.

يضمّ هذا الجزء أسئلة عن استجابات المبحوثين خلال الأيّام أو الأسابيع الأولى بعد وقوع الفيضانات، وهي ردود فعل شائعة تظهر على شكل اضطرابات حصريّة أو اكتئابيّة،أو تكيّفيّة لمحاولة تصفية حالة الصّدمة الأولى وتفريغ كمّ الاستثارات المتلقى فجأة، أو أعراض نفسيّة صدميّة قد تظهر عند بعضهم معلنة عن اضطرابات حادّة أو عن تناذر نفسي صدمي في طور الاستقرار.

كما حاولنا من خلال الأسئلة المطروحة معرفة زمن ظهورها بالنّسبة لكلّ فرد (فزمن الكمون متغيّر حسب نمط الشّخصية وحسب الظّروف بعد الصّدمية كذلك)، تواترها ومدّة استمرارها.

راعينا في صياغتنا لأسئلة هذا الجزء طبيعة تعرّض كلّ مبحوث من المبحوثين، تماما كما فعلنا سابقا، وقد كانت كما يلي:

- تقدر توصفلي حالتك الجسميّة والنّفسيّة فالسّمانات اللّولين بعد الحملة؟.
- Est-ce que كنت تتفكّر واش إلّي صرى ڤاع نهار الحملة ؟ وبواش كنت تحسّ؟.
- Est-ce que كنت تنوم؟، واش كنت تشوف في مناماتك؟،وهاد لمنامات كانوا يتعاودولك بزّاف؟.
- كفاش كانت علاقاتك مع عايلتك ، تقدر توصفلي الجوّ العائلي فهداك الوقت؟ وعلاقاتك مع صحابك كفاش كانت؟ كفاش كنت تحسّ روحك كي تخرج برّى؟.
- كفاش كانت قرايتك وعلاقاتك مع الأساتذة نتاوعك؟.
- شحال قعدت وانت على هاداك الحال؟

5-3-1-3- <u>المحور الثالث</u>: التّقييم العيادي للوضع النّفسي لأفراد مجموعة البحث بعد 15 شهرا من وقوع الفيضانات.

يتضمّن هذا المحور أسئلة متنوّعة نحاول من خلالها تقييم الحالة النّفسية لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث تقييما عياديّا وذلك بعد مرور(15) شهرا على الكارثة الطّبيعيّة من أجل التعرّف على مدى تأثّرهم بها، وعلى مصير تلك الاضطرابات الانفعاليّة الحصريّة والاكتئابيّة وتلك المرتبطة بصعوبات التكيّف ، وكذا مصير بعض الأعراض النّفسيّة الصّدميّة النّوعيّة التي ربّما ظهرت عند البعض منهم كتناذر التّكرار وبعض الأعراض الخاصّة بحصر الشّخصيّة(blocage)، أي على زوالها، قلّتها أو احتمال تطوّرها على شكل تناذر نفسي صدمي يترجم تثبيت ذلك المراهق أو تلك المراهقة على الصّدمة وعجزه عن إرصان التّجربة الأليمة التي عايشها.

على هذا الأساس، قمنا بصياغة الأسئلة استنادا إلى الوصف العيادي للتّناذرات النّفسيّة الصّدمية وللعصاب الصّدمي الذي تطرّقنا إليه في ثالث مرحلة من مراحل الباتولوجيا النّفسيّة الصّدمية في الفصل الثالث من الجانب النّظري لهذا البحث، وبشكل خاص إلى سلّم الجرد والتّقييم العيادي لـ أ.ستينتز ول. كروك (A.STEINITZ, L.CROCQ, 1992).

وهكذا، فقد حاولنا من خلال الأسئلة المطروحة رصد وجرد الأعراض النّفسية الصّدميّة النّوعيّة الخاصّة بتناذرالتّكرار ومختلف مظاهر تحوّل الشّخصيّة، والأعراض غير النّوعيّة المتمثّلة في أعراض الحصر العام ،الوهن الجسدي والنّفسي واضطرابات السّلوك.
كانت الأسئلة كالتّالي:

- Est-ce que مازلت تتفكّر الحملة وْ واش صرى فيها كامل؟، ولاّ الإنسان(*) إلّي فقدتو؟ وكفاش تحسّ روحك كي يجيوك هدوك الأفكار ولاّ التّصاور عليهم؟
- تقدر توصفلي حالتك النّفسيّة ولاّ الجسميّة دركا؟، كفاش راك تحسّ وتشوف روحك بعد قاع هاد الوقت إلّي جاز على الحملة؟.
- ودركا، كفاش راك في رقادك؟.
- Est-ce que مازلت تنوم هدوك لمنامات إلّي هدرتلي عليهم من قبيل؟ ولاّ جاوك منامات وحد أخرين؟.
- هاد التّخمام ولاّ المنامات يجيوك دايمن ولاّ كفاش؟.
- كفاش تحسّ روحك دركا كي تخرج برّى، ولاّ كي أجّوز على بلايص صرات فيهم الحملة؟.
- تقدر تقولّي كفاش راك مع عايلتك فالدّار؟، وبرّى مع النّاس؟، وهنا مع المعلّمين نتاوعك ومع صحابك؟.
- وفي قرايتك كفاش راك دركا؟، واش راك حاب أدّير فالمستقبل؟.

2-3-5- <u>كيفية إجراء المقابلة العيادية</u>:

أجرينا المقابلة العيادية بعد الانتهاء من تطبيق اختبار تفهّم الموضوع ، ومنح كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث وقتا موجزا للإدلاء برأيه حول مشاركته في الاختبار الثاني وبانطباعاته حول الصّور التي شاهدها ، فكنّا نقول له: " أو درك عندي بعض الأسئلة حابّة نطرحهم عليك إذا حبّيت ، راك موافق ؟ تحبّ نبداو؟.

بعد موافقته وقبل أن نباشر في طرح الأسئلة الذي كان باللّهجة الدّارجة ، كنّا نطمئن كلّ مبحوث بالتّكتّم على أقواله والحفاظ على سرّية هويّته.

كنّا نتدخّل من حين لآخر إمّا لطلب توضيحات حول بعض الأجوبة ، أو لتحفيز وتشجيع الاسترسال أو لمواساة بعضهم بعد فقدانهم السّيطرة على مشاعرهم وانفعالاتهم مجهشين بالبكاء مثل فلّة ، وفاء ، ريم ، هند و سهام.

(*): وهنا نسمّي الشّخص الذي فقده المراهق أو المراهقة، كأن تكون أمّه مثلا، أو أخته، أو أخيه، أو أحد أقاربه.

أمّا عن استجابات المبحوثين وسلوكاتهم أثناء المقابلة فكانت متباينة، حيث كان البعض منهم هادئا ، قليل الحركة والكلام كوليد، رضا، خديجة ، والبعض منهم متوتّرا، قلقا تبدو علامات التّعب، الحزن والاكتئاب على محيّاهم كأماني، سهام ، ريم ، والبعض الآخر أبدى تجاوبا كبيرا، فكانت المقابلة بالنّسبة له فرصة للتّفريغ عن مشاكلهم الشخصية قلقهم ، وللتّخفيف من وطأة معاناتهم وآلامهم المرتبطة بمشاكل عائلية حادّة أو بالكارثة الطبيعية التي أودت بحياة أحد أفراد عائلتهم أو كادت أن تودي بحياتهم، فكانت فلّة تقول :" نحسّ روحي مرتاحة معاك نقدر نهدر معاك على كلّش، لوكان وحد آخر ما نحكيش"، وكانت ريم تقول:"راني خير ملّي كنت، حكيت وفرّغت ، ملقيتش لمن نحكي" ، وأمّا خديجة فتقول :"حسّيت بمساعدة ، تحكي تهدري ، تريحي ، تحسّي بلّي كاين ناس يهتمّو بمشاكل المراهقين".

لكن، وعلى العموم ، لمسنا نوعا من الرّاحة والتّجاوب عند أغلبيتهم ، بعكس ما حدث أمام اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع، حيث ساد التوتّر، القلق، الكفّ والصّمت فكانت الأجوبة في الرّورشاخ قليلة، والأزمنة التي تتخلّلها طويلة والانتقادات كثيرة وبخاصّة تلك التي ارتبطت بمادّة اللّوحات الشّكلية واللّونية ؛أمّا في اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T)، فتميّزت القصص في مجملها بالقصر، الابتذال والكفّ.

خلاصة:

اعتمدنا على المنهج العيادي الذي يهتمّ بالفرد الواحد و يدرسه بشكل دقيق و معمّق قصد التعرّف على الحالة النّفسيّة لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث الذين تعرّضوا لفيضانات مفاجئة وقويّة وعايشوها إمّا بشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك بعد مضي خمسة عشر(15) شهرا من وقوعها، وعلى نوعيّة سيرهم النّفسي ومدى ارتباطها بالوضع النّفسي الذي يوجدون عليه، ومن ثمّ، الكشف عن الفروق الفردية التي يمكن رصدها بهذا الشّأن. ومن أجل الوصول إلى الهدف الذي نصبو إليه، استعنّا بالمقابلة العياديّة نصف الموجّهة للتعرّف على كيفيّة معايشة كلّ مراهق ومراهقة لتلك الكارثة الطّبيعيّة وردود أفعالهم تّجاهها،ومدى قدرتهم على تجاوز انعكاساتها والقيام بعمل حداد، أو عجزهم عن ذلك ما يترجم تثبيتهم على الصّدمة والذي يظهر على شكل أعراض نفسيّة صدميّة.

كما استعنّا باختبارين إسقاطيين هما من أنجع الاختبارات الإسقاطية التي تستعمل لدراسة وفهم الدّيناميكية النّفسية وتقييم السّير النّفسي، وهما الرّورشاخ واختبار تفهّم الموضوع (TAT) اللّذان يعكسان لنا جوانب أساسيّة من وظائف شخصيّة المراهق الذي يسقط أفكاره، ميوله مخاوفه وقلقه على مادّتيهما، كما يمكّناننا من التعرّف على مدى قوّة أناه في مواجهته للواقع بعد التعرّض المفاجئ والعنيف للفيضانات، وعلى أنواع الصّراعات التي يعيشها والآليات الدّفاعية التي يوظّفها لذلك الغرض. كما يكشفان عن الحالات النّفسية المختلفة التي تسبّبها الصّراعات النّاتجة عن الصّدمات النّفسية.

اختيرت مجموعة البحث المتكوّنة من سبعة عشر(17) مراهق ومراهقة متمدرسين تتراوح أعمارهم ما بين 16 و21 سنة و بطريقة قصدية، من منطقة تعرّضت بشكل عنيف للكارثة الطبيعية وهي منطقة باب الوادي.

استغرق تطبيق الأدوات المستعملة في هذا البحث ثلاثة أشهر، وتمّ في حصّتين ووفق تدرّج محدّد، حيث تمّ في الحصّة الأولى تطبيق الرّورشاخ لضعف مادّته وغموضها ، وبعد فترة لم تقلّ عن أربعة أيّام ولم تزد عن أسبوع ، تمّ تطبيق اختبار تفهّم الموضوع وإجراء المقابلة العيادية في حصّة واحدة، وتلك كانت الحصّة الثانية والأخيرة.

كما خصّصنا لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث وقتا قصيرا لم يتجاوز ربع ساعة للمحادثة معه والتعرّف على انطباعاته وآراءه حول مشاركته في هذا البحث، ولتسهيل الانفصال.

سنتطرّق في الفصل الموالي إلى الخطوات التي انتهجناها لتحليل معطيات أولى أدوات البحث وهي اختبار الرّورشاخ، ثمّ إلى عرض النّتائج الكمّية والكيفيّة التي توصّلنا إليها.

الفصل الخامس:

عرض نتائج اختبار الرّورشاخ

الفصل الخامس: عرض نتائج اختبار الرّورشاخ

في هذا الفصل،سنستعرض خطوات معالجة وتحليل بروتوكولات الرّورشاخ لأفراد مجموعة البحث،يليها،عرض مفصّل للتّحليل الكمّي والكيفي للنّتائج المتحصّل عليها وذلك وفق المحاور الكبرى المعتمد عليها في تحليل البروتوكولات وهي:موقع الإجابة،محدّداتها ومحتوياتها،إلى جانب عناصر الدّيناميكيّة العاطفيّة المتمثّلة في: نمط الصّدى الدّاخلي(T.R.I) نسبة الإجابات في اللّوحات الملوّنة على مجموع الإجابات(RC%)،المعادلة المكمّلة (Formule complémentaire)، المعاش الانفعالي والعاطفي الذي تناولناه من خلال ثلاثة أبعاد نفسيّة وهي:العدوانية، الاكتئاب والقلق، وأخيرا، الدّيناميكيّة الدّفاعية،إضافة إلى عناصر أخرى لها جانب كبيرمن الأهميّة من حيث أنّها تلمّ بكلّ أبعاد إجابات المبحوثين كالإجابات المبتذلة(Ban) ، الصّدمات واختبار الاختيارات.

وفي الأخير، سنعمد إلى تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعية سيرهم النّفسي.

1- خطوات معالجة وتحليل معطيات بروتوكولات الرّورشاخ:

بعد جمع بروتوكولات الرّورشاخ لأفراد مجموعة البحث وقراءتها قراءة أوّلية شاملة بهدف التعرّف على كيفية تعامل كلّ مراهق ومراهقة مع خصائص المنبّه الشّكلية واللّونية، طريقة تناول اللطخات،السّلوك وبخاصّة،الأنماط الدّفاعية الموظّفة ضدّ تحريضات المنبّه والوضعية ككلّ ، شرعنا في التّحليل منتهجين الخطوات المتعارف عليها في التّطبيق العيادي وهي:

1-1- تنقيط الأجوبة:

تمّ تنقيط كلّ إجابة من أجوبة المبحوثين بالاعتماد على دليل تنقيط اختبار الرّورشاخ لـ س. بيزمان (C.BEIZMANN,1966) ، حيث عمدنا في البداية إلى تحديد **موقعها** ، بمعنى تحديد بقع اللّوحة إن كانت شاملة بسيطة أو مركّبة، أو إن كانت جزئية كبيرة أو صغيرة،

أو إن ارتبط أحد النّوعين السّابقين بالفراغات البيضاء لبعض اللّوحات، ثمّ تحديد **محدّداتها** إن كانت شكلية أو حركية أو لونية أو تضليلية أومن النّوع الفاتح القاتم (Clob)، وأخيرا **محتوياتها**، إن كانت حيوانية مثلا أو إنسانية أو نباتية أو تجريدية وغيرها من المحتويات المتنوّعة، إضافة إلى تعيين الأجوبة المبتذلة وتدوين التعاليق الموضوعية والذاتية وكذا الصّدمات.

2-1- <u>التّحليل الكمّي لمعطيات البروتوكول</u>:

بعد الانتهاء من تنقيط بروتوكول كل فرد من أفراد مجموعة البحث، شرعنا في حساب النّسب المئوية لطرق التناول، المحدّدات والمحتويات مستعينين في ذلك بمعادلات خاصّة(*) ثمّ قارنّاها بالنّسب المعتدلة الخاصّة بالرّاشد التي وردت في مؤلّف ن.روش دو تراوبنبرغ وأ. سنغلاد(N.Rausch de Traubenberg, A.Sanglade, 1990)(**)، لمعرفة درجة توازنها أو ابتعادها عنها بشكل كبيرومبالغ فيه أو بشكل ضعيف جدّا وأيضا،إن كان هناك تفوّق لعنصرعلى آخر.

كما مكّننا التّنقيط من حساب ومعرفة نسب ومعطيات عناصرلا تقلّ أهمّية عن سابقتها،كنسبة الإجابات الملوّنة(RC%)، نمط الصّدى الدّاخلي للمبحوث (T.R.I)،معادلة القلق (Formule d’angoisse)،المعادلة المكمّلة(Formule complémentaire)، ونسبة الإجابات المبتذلة(Ban%) .

ونظرا لغياب معايير جزائريّة نستند عليها لتقييم نوعية السّير النّفسي لأفراد مجموعة البحث فقد ارتأينا إدراج المعايير النّموذجية الخاصّة بالرّاشد في بحثنا كمؤشّرات لسير نفسي منسجم وذي نوعية جيّدة، آخذين بعين الاعتبار أنّها مستخلصة من دراسات وبحوث أوروبية أجراها روّاد التّقنيات الإسقاطية مثل ن.روش دو تراوبنبرغ ، د.أنزيو و ك.شابير على عيّنات أجنبية وعلى فئات عمرية تختلف عن فئة المراهقين التي نحن بصدد دراستها كذلك.

وفيما يلي عرض لمؤشّرات السّير النّفسي النّموذجي ذي النّوعية "الجيّدة" التي اعتمدناها في هذا البحث لأجل تقييم نوعية السّير النّفسي لدى أفراد مجموعة البحث:

(N.RAUSCH DE TRAUBENBERG, 2000, pp.246-250):(*)

(**): راجع الملحق رقم (1).

1- من حيث الملاحظات العامّة حول البروتوكول:

- أن يبلغ عدد الإجابات على الأقلّ 30 إجابة تعطى في زمن يقدّر من 20 إلى 30 دقيقة.
- ألاّ يحتوي البروتوكول على أزمنة كمون طويلة في البداية، وفترات صمت أثناء إعطاء الإجابات.
- أن تكون ردود فعل الرّفض وعدد الصّدمات قليلة.
- وأن يحتوي البروتوكول على أجوبة إضافية ترتبط بمحدّدات شكلية إيجابية (F+) أو حركية إنسانية (K).

2- من حيث موقع الإجابات:

- أن يشتمل البروتوكول على أجوبة كليّة بسيطة (G simples) وبنسبة تتراوح ما بين 20 و 23%، وفي ذلك دلالة على اندماج الشّخص في الواقع.
- أن ترتبط تلك الأجوبة الكلية بمدركات سليمة (GF+) تضمن تميّزا تكيّفيا للتّنظيم المعرفي .
- أن ترد في البروتوكول إجابات كليّة مركّبة ثانوية (G combinées) تدلّ على تكثيف فعّال للحركات الإدراكية والإسقاطية وبشكل متكيّف مع الواقع، وفي نفس

الوقت مبنية على معالم الصّور الدّاخلية، وفي ذلك دلالة على قدرات الاستدخال والعقلنة وعلى وجود فضاء نفسي متميّز.

- أن تتراوح نسبة الإجابات الجزئية الكبيرة (D%) بين 60 و68 %، فوجودها يكشف عن علاقات سهلة مع العالم الملموس ومع ما هو اجتماعي.
- أن تقدّر نسبة الإجابات الجزئية الصّغيرة(Dd%) بحوالي 10% ، إذ يكشف وجودها عن بحث منظّم وعن القدرة على الملاحظة ، كما يمكن أن يكشف عن موقف حذر ومتحفّظ تّجاه الواقع ، فقد يستعمل مثل هذا النّمط من تناول المادّة كآلية دفاعية لمواجهة صراع مهدّد أمام العالم الخارجي أو الدّاخلي.
- ألاّ تتجاوز نسبة الإجابات الجزئية ذات الفراغات البيضاء (Dbl) 3 % وإلاّ كان ذلك مؤشّرا على وجود قلق.
- أن يشمل البروتوكول على إجابات من مواقع وتناولات متنوّعة ، فنمط إدراك الواقع هو"جسر بين الحياة العقلية والحياة العاطفية" (N.RAUSCH de TRAUBENBERG, 1983, p.70) ؛ فإذا طغت الإجابات الكليّة فذلك دليل على قدرة المبحوث على الاستنتاج والتّجريد،أمّا إذا طغت الإجابات الجزئية فذلك يعني أنّ المبحوث متمسّك بالعالم الموضوعي.

3- <u>من حيث محدّدات الإجابات</u>:

ينبغي أن تتنوّع محدّدات الإجابات في البروتوكول وألاّ تتركّز على نوع واحد بحيث نجد:

- محدّدات شكلية(F) بقدر كاف بحيث تتراوح نسبتها ما بين 50 و70% ، حيث يدلّ وجودها على موقف فكري نشط وعلى تكيّف مع الواقع، لكن قد يصبح هذا الأخير غير فعّال وهش إذا قلّ عددها في البروتوكول وبخاصّة إذا كانت نوعية إدراكها غير ملائمة(C.CHABERT, 1983) .

- محدّدات شكلية إيجابية (F+) وبنسبة تتراوح ما بين70 و80 %، حيث تسمح بتقييم نوعية العلاقة مع الواقع وتكشف عن قدرة المبحوث على التمييز بين الدّاخل والخارج.إنّ تواجد مثل هذا النّوع من الإجابات في البروتوكول بنسبة مقبولة دليل على"تكيّف فكري مرن"(N.RAUSCH de TRAUBENBERG, 1983, p.76).
- محدّدات شكلية إيجابية أكثر من محدّدات سلبية، إذ تدلّ نوعية الإجابات الشّكلية على قدرة الفرد على"إعطاء الأشياء معالم واضحة للحدود الفاصلة بين الدّاخل والخارج"(D.ANZIEU, 1983, p.76).
- محدّدات شكلية إيجابية سلبية (F±) بقدر معقول، إذ يدلّ وجودها بكثرة على"غموض التّفكير(...)، الشّك، التردّد، الاحتياط الكبير والحذر من التورّط الذي يتطلّبه اتّخاذ القرار"(C.CHABERT, 1983, p.149).
- إجابة حركية إنسانية واحدة (K) على الأقلّ، إذ يعبّر وجودها على عمل الخيال وذكاء الفرد وقدرته على إرصان الصّراعات وكذا على الحركات النّزوية وكيفية تنظيمها، وهكذا،"تعطي المحدّدات الحركية الإنسانية صبغة ديناميكية للاتّجاه الفكري باللّجوء إلى الخيال"(C.CHABERT, 1983, p.156).
- محدّدات لونية متنوّعة ، فوجودها في البروتوكول قياس للمرونة الانفعالية ومؤشّر للاستثارة والنّفاذية ولقدرة الفرد على أن يكون في تناسق وفي موقف متفتّح تّجاه العالم الخارجي،ومن الضّروري أن يشمل البروتوكول أيضا على نسبة من الإجابات اللّونية تتراوح بين 30 و35 %.

  إذا غابت الإجابات اللّونية كليّا عن البروتوكول فذلك دليل على غياب الوجدانات والعاطفة من نوع مرضي، وأمّا إن وجدت بعدد كبير، فيدلّ ذلك عل طغيان العاطفة وربّما فشل نظام صاد-الإثارات في مواجهته للعالم الخارجي،وهوأمرليس أقلّ مرضا من الحالة الأولى.
- ظهورا قليلا للمحدّدات الفاتحة-القاتمة(Clob) الدّالة على الانجذاب نحو الفراغ والنّقص،ممّا يكشف عن ميكانزمات خوافية وعلامات اكتئابية ترجع إلى وضعيات

غير آمنة وعجز أمام التّهديد، وظهورا قليلا أيضا لمحدّدات التّضليل (E) التي تعمل على كبت الهوامات التي يثيرها المنبّه.

- كما ينبغي أن يكون نمط الصّدى الدّاخلي (T.R.I) الذي يعدّ مؤشّرا للحساسية، للتأثّر وللنّفاذية للعالم الخارجي بحيث يكشف عن أسلوب معايشة الفرد للأحداث، من أحد الأنماط التّالية:

* نمط متكافئ (Ambiequal) ، حيث تتساوى فيه الإجابات الحركية الإنسانية مع الإجابات اللّونية (XK=Y?C).

* نمط منبسط مزدوج(Extratensif mixte)، حيث تقلّ فيه الإجابات الحركية الإنسانية عن الإجابات اللّونية (XK<Y?C).

* نمط منطوي مزدوج(Introversif mixte)،حيث تكون الإجابات الحركية الإنسانية أكبر من الإجابات اللّونية (XK>Y?C).

4- <u>من حيث محتوى الإجابات</u>:

- أن تتنوّع محتويات الإجابات ولا يسيطر عليها نوع واحد.
- أن يضمّ البروتوكول إجابات إنسانية كاملة (H) وبنسبة تتراوح ما بين12 و18% فظهورها ضروري لأنّه يبيّن قدرة الفرد على تقمّص صورة إنسانية واعترافه بالانتماء إلى عالم البشر وكذا، إمكانية تصوّر ذاته في نظام علائقي محدّد بوضوح.
- أن تكون المحتويات الإنسانية الجزئية (Hd) التي قد يلجأ إليها الفرد عندما تشكّل الصّور الإنسانية الكاملة خطرا مهدّدا، قليلة،إذ قد يعبّر وجودها بكثرة في البروتوكول عن غياب كامل لصورة الجسد، أوعن قلق الانشطار، أوعن قلق الخصاء.

- أن تكون المحتويات الحيوانية(A) قليلة وأقلّ من المحتويات الإنسانية(H) بحيث يكشف ارتفاعها عن ميكانزم دفاعي لتجنّب ربط علاقات مع الغير.
- أن يتراوح عدد الاستجابات المبتذلة (Les banalités) ما بين 5 و7 وبنسبة تتراوح ما بين20 و25 % ، إذ أنّ قلّة وجودها في البروتوكول دليل على نقص الاتّصال بالواقع الموضوعي والاجتماعي، أمّا وجودها بشكل كبير فهو تعبيرعن امتثالية مفرطة أوعن رغبة في الهروب من الاختبار.على العموم، تدلّ الإجابات المبتذلة على تقاسم الفرد للإدراك الاجتماعي.

3-1- <u>التّحليل الكيفي لمعطيات البروتوكول</u>:

على غرار نتائج التّحليل الكمّي لبروتوكولات الرّورشاخ لأفراد مجموعة البحث والتي استطعنا من خلالها تكوين فكرة أوّليّة عن نوعية السّير النّفسي لكلّ فرد منهم، إن كانت "جيّدة" أو"سيّئة"(هشّة) أو"متوسّطة" بعد مقارنتها بالمعايير النّموذجيّة الخاصّة بالرّاشد وتبعا لهدف البحث وفرضياته حول مدى ارتباط الوضع النّفسي الحالي(وجود صدمة نفسيّة أم عدم وجودها بعد مرور15 شهرا من وقوع الفيضانات) لكلّ فرد من أفراد هذه المجموعة "المميّزة" من المراهقين باعتبارها تعرّضت لفيضانات عنيفة ومفاجئة إمّا بصفة مباشرة أوغيرمباشرة وعايشت أحداثا ومشاهد مرعبة، بنوعية سيره النّفسي ومدى فعالية قدراته الدّفاعية،عمدنا إلى تحليل نوعي للأجوبة المقدّمة من خلال دراسة الدّيناميكية العاطفيّة حيث أخذنا بعين الاعتبار دراسة العناصر الأساسيّة التّالية:

- نمط الصّدى الدّاخلي (T.R.I) ،
- نسبة الإجابات في اللّوحات الملوّنة على مجموع الإجابات (RC%)،
- المعادلة المكمّلة (Formule complémentaire)،
- المعاش الانفعالي والعاطفي،
- وأخيرا، الدّيناميكيّة الدّفاعيّة.

يسمح التّحليل النّوعي الدّقيق للدّيناميكية العاطفية بالكشف عن نوع الإشكالية التي تميّز بروتوكول كلّ مراهق ومراهقة، وعن نوع الصّراعات والصّدمات النّفسية التي يُحتمل ظهورها والتّعبيرعنها، وعن مدى قوّة أو ضعف الأنا في مواجهته لهما وللضّيق الذي قد تتسبّب فيه مادّة الاختبار، وذلك من خلال نوع الآليات الدّفاعية الموظّفة، وأخيرا،عن إمكانيات التخرّج من تلك الصّراعات والصّدمات النّفسية المختلفة من خلال عمل الرّبط (Travail de liaison) بين البنيات الشّعورية واللاّشعورية الذي قد ينجزه.

ومن خلال هذه الدّراسة النّوعية، قد تنكشف الفروق الفردية في طريقة اختباركلّ مبحوث من المبحوثين للوضعيات أمام العالم الخارجي، وفي طريقة معايشته لإشكاليته البارزة، وفي الرّبط بين الواقعين الدّاخلي والخارجي، ممّا قد يسمح كذلك ببروزمظاهرمرضية عند البعض منهم.

وفيما يلي، عرض مفصّل لكيفيّة دراسة العناصر سالفة الذكر:

1-3-1- كيفيّة دراسة وتحليل عناصر الدّيناميكية العاطفية:

1-1-3-1- نمط الصّدى الدّاخلي (Type de résonance intime):

تمّ التعرّف على نمط الصّدى الدّاخلي لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث، أي على أسلوب ردّ فعله إزاء الحوادث الخارجيّة التي يتعرّض لها وعلى مدى حساسيته وتأثّره ونفوذيته للعالم الخارجي، من خلال دراسة التّفاعل بين إجاباته الحركية الإنسانية(K) ومجموع إجاباته اللّونية (∑C).

أمّا عن الإجابات الحركية الإنسانيّة(K) فتعدّ إسقاطا للحياة اللاّشعورية وللرّغبات الدّفينة للفرد وكذا للصّدمات النّفسية التي قد يتلقّاها في حياته،وبالتّالي، فإنّ التّحليل النّوعي والرّمزي لهذه الأجوبة يقوداننا إلى صميم مشاكله وإلى تاريخه الشّخصي المعاش وصراعاته، كما يكشفان عن الدّفاعات الموظّفة ضدّها.

أمّا عن مجموع الألوان،فتعرّفنا بمستوى قابليّة ردّ فعل(La réactivité) كلّ مبحوث ومبحوثة للّون، فقد يكون التّعبير عنه بشكل انفعالي جدّا، أو فجّ أو مُعقلن (Rationalisé)، أو قد ينعدم التّعبير عنه تماما.

وقد ميّز رورشاخ وتابعيه بين أربعة أنماط شائعة قدّمتها ك. شابير (C.Chabert,1998,p.79) كما يلي:

- نمط منطوي(Introversif)، حيث تكون الأجوبة الحركيّة الإنسانية فيه أكثر من الأجوبة اللّونية (?K >?C)، وهو يمنح الامتياز للفكر وللاستدخال (Intériorisation).
- نمط منبسط(Extratensif)، حيث تكون الأجوبة الحركيّة الإنسانية فيه أقلّ من الأجوبة اللّونية (? K < ? C)، وهو أكثر مرونة ويثمّن التّعبير الانفعالي والعاطفي،أي أنّ الشخص " يفقد تحكّمه الانفعالي بسرعة أمام الاستثارات الخارجيّة" (D.Anzieu,C.Chabert,1983,p.89).
- نمط متكافئ (Ambiéqual)، وكان يبدو لرورشاخ النّمط المثالي والمتوازن، حيث يجسّد الموقفين الإنسانيين الأساسيين في آن واحد أي تساوي الأجوبة الحركيّة واللّونية (?K=?C).
- نمط محصور(Coarté) وهو يميّز الأشخاص المنكمشين نفسيّا،أي انكماش شخصيتهم واهتماماتهم الحيويّة واستثماراتهم النّفسيّة، وتكون معادلة هذا النّمط على الشّكل التّالي: (∑K=1ou 0, ?C=1 ou 0).

نشير إلى أنّ نمط الصّدى الدّاخلي يتغيّر بشكل كبير حسب الفئات العمرية وحسب مواقف الحياة التي يتعرّض لها الفرد وبخاصّة منها الوضعيات الضّاغطة التي إمّا أن تمدّده فتجلي تعبير ذاته ولجوءه إلى الخيال، أو تقلّصه فيظهر انكماشه وتنحصر مشاركته في الوضعية الإسقاطية إلى أقصى حدّ، وفي كلتا الحالتين، تنكشف لنا كيفيّة تجنيد المبحوث لدفاعاته إزاء العالم الخارجي.

1-3-1-2- نسبة الإجابات في اللّوحات الملوّنة على مجموع الإجابات (RC%):

لمعرفة وتقدير مدى تفاعل كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث مع الاستثارات الخارجيّة وانعكاساتها عليه، قمنا بحساب نسبة الإجابات المقدّمة في اللّوحات الثلاث الأخيرة من لوحات اختبارالرّورشاخ والمعروفة باللّوحات الباستل،وذلك بقسمة مجموعها على المجموع الكلّي للأجوبة، ثمّ بعد ذلك بمقارنتها بالنّسبة المعتدلة المحدّدة بين(30-35 %).

إذا أفرط المبحوث في إنتاجيته في اللّوحات الباستل وتجلّى ذلك الإفراط في ارتفاع (RC%) فهذا يعني أنّ أثر تلك الاستثارات الخارجيّة كان كبيرا أو شديدا عليه، وفي الواقع لايمكننا تقديم تفسير لذلك الأثر إلاّ من خلال معرفة نوعية الأجوبة التي قدّمها المبحوث، فقد تترجم عند بعض المبحوثين إحساسهم بالرّاحة فيسهل عليهم التّعبير، وقد تترجم عند بعضهم الآخر قلقا شديدا فيحاربونه بإنتاجية زائدة وبتعبئة (remplissage) ذات طابع هوسي وعند بعضهم الأخير، استثارة طافحة لميكانزمات الرّقابة واجتياح مكثّف للتصوّرات أوالعواطف.

وقد تعكس الإثارة المفرطة للمنبّهات الحسيّة وبالتّالي للمحيط ، ضعف وظائف الأنا المانعة لذلك الإفراط، أي ضعف نظام صاد- الإثارات.

1-3-1-3- المعادلة المكمّلة (Formule complémentaire):

سمّيت كذلك لأنّها تدعّم تحليل نمط الصّدى الدّاخلي للمبحوث(T.R.I) ونسبة إجاباته في اللّوحات الملوّنة مقارنة بمجموع إجاباته (RC%)، وقد مكّنتنا من دراسة العلاقة بين مجموع الأجوبة الحركية الصّغرى سواء المرتبطة بالحيوانات(kan) أو بالمواضيع(kob) أوالإنسانية الجزئية(kp) ،وبين مجموع أجوبة التّضليل الخالصة منها(E) أوالمرتبطة بالشّكل(FE)أو(EF) وهي مركّبات فعّالة ولها وزنها على مستوى السّير النّفسي من حيث أنّها تكشف عن مدى ومعنى سيطرة جانب على آخر.

4-1-3-1- <u>المعاش الانفعالي والعاطفي</u>:

من أجل تقدير ديناميكيّة السّير النّفسي لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث من حيث كيفية مواجهته لاستثارات المنبّه وتفاعله معها، والكشف عن المعاش الانفعالي والعاطفي ونوع المواضيع المرتبطة بهما، اقترحنا إبراز بعض عناصر السّير النّفسي ذات دلالة وهذا من خلال ثلاثة أبعاد نفسية وهي: العدوانية، الاكتئاب والقلق، حيث قمنا باستخراج مختلف طرق التّعابير المرتبطة بها لوحة بلوحة مستعينين في ذلك بشبكة تحليل الدّيناميكية العاطفية لـ ن. روش دو تراوبنبرغ وآخرين (N.RAUSCH De TRAUBENBERG et coll, 1990) ، وقد اقتصرت الدّراسة على هذه الأبعاد لارتباطها، في نظرنا، بطبيعة الموضوع المطروح للبحث والذي يدور حول الصّدمة النّفسية.

لكنّ قبل التطرّق إلى كيفية التّعبير عن كلّ عنصر من العناصر سالفة الذكر، نلقي نظرة موجزة على ماهية هذه الشّبكة ووصفها.

أ- <u>تعريف ووصف شبكة تحليل الدّيناميكيّة العاطفية لـ ن. روش دو تراوبنبرغ وآخرين (1990)</u>:

ليس لشبكة " قراءة" الدّيناميكيّة العاطفيّة للفرد هدفا تشخيصيّا، إنّما اقتُرحت لتسهيل فحص واستكشاف الأبعاد النّفسية المختلفة، لكنّها متكاملة بالتّأكيد، في اختبار الرّورشاخ، كما تقدّم معلومات قيّمة حول الطّابع الخاص لاستثارات اللّوحات.

استعملت روش دو تراوبنبرغ وزملاءها من بينهم م.ف. بوازو(M.F.BOIZOU)، ن. دوبلان(N.DUPLANT) وم. مارتان(M.MARTIN)، هذه الشّبكة مرّات عديدة في أبحاث ودراسات عياديّة أجروها على مراهقين فرنسيين متمدرسين من فئات عمرية مختلفة وآخرين فييتنام ، كشفت لهم عن إشكالياتهم المعاشة وعن أنماط دفاعاتهم الموظّفة ، وقد كان تطبيقهم لهذه الشّبكة على أولئك المراهقين الفييتنام عام 1988 بغرض إبراز وبشكل خاص التّأثير النّسبي للخصوصيّة الثّقافية وللمعاش الصّدمي على السّير النّفسي.

تتضمّن هذه الشّبكة ثمانية أبعاد نفسيّة نستعرضها بإيجاز كما يلي:

● **التّعبيرالنّزوي(L'expression pulsionnelle):** هو إسقاط للنّزوات اللّيبيديّة والعدوانية سواء كانت مربوطة أم لا وسواء كانت خاضعة للسّياقات الأوّليّة أو عدّلتها السّياقات الثانوية وقد ميّزت روش دو تراوبنبرغ بين نوعين من التّعبيرالنّزوي هما: تعبيرنزوي مرتبط بموضوع(Expression pulsionnelle objectale) وآخرغيرمرتبط بموضوع (Expression pulsionnelle non objectale)، صريح أومحايد.

? العدوانية (L'agressivité): تضمّ ثلاثة أنواع وهي: عدوانية مرتبطة بموضوع، عدوانية غير مرتبطة بموضوع وعدوانية كامنة(Agressivité potentielle)، كما ميّزت الباحثة بين الوضعيات السّلبية للعدوانية المتكبّدة(Positions passives) والوضعيات النّشطة المعبّرعنها بشكل صريح(Positions actives).

● **صورة الجسم(L'image du corps):** يتعلّق الأمر بمعاينة بنية الهويّة للوصول إلى صورة موحّدة،ويتمّ إدراك صورة الجسم إمّا بشكل كلّي أو مصاب أو جزئي(partiel) أو مجزّأ(fragmentaire).

● **الموضوعية الجنسيّة (La thématique sexuelle):** من خلال هذا البعد، يتمّ الكشف عن التّعبير المباشر أو غير المباشر لجنسية تناسلية، فميّة أو شرجيّة من خلال محتويات إنسانية أو حيوانية أو متعلّقة بمواضيع أو بنشاطات جنسية.

●**النّرجسية (Le narcissisme):**قد يظهرالمعاش النّرجسي على شكل تثمين (valorisation) بل وقد يظهر أيضا على شكل إصابة وانطواء.

●**الاكتئاب (La dépression):** ويتعلّق الأمر بتقدير إمكانية التّعبير عن الفقدان أو الحداد والتي قد تتم من خلال تصوّرات أو صور محدّدة أو أن تكشف، وبشكل بسيط ، عن معاش ذاتي.

● **القلق (L'angoisse):** قد يظهر القلق في البروتوكول من خلال تصوّرات محدّدة وذات مضمون مولّد للقلق، أو من خلال تقديرات نوعيّة لاستجابات انفعالية لعواطف معاشة مؤلمة.

● **الميكانزمات الدّفاعية (Les mécanismes de défense):** حيث يتمّ الكشف عن السّياقات الدّفاعية الموظّفة في كلّ لوحة من لوحات اختبار الرّورشاخ للوصول إلى الطّابع المسيطر أو المركّب للدّيناميكيّة الدّفاعية للفرد.

إلى جانب الميكانزمات الدّفاعية الكلاسيكيّة العصابية منها والذهانية،اهتمّت روش دو تراوبنبرغ وفريق بحثها بميكانزمات التخرّج التي تبرزإمكانيات تكيّف الفرد مع التغيّر وكذا إمكانيات الإبداع والإعلاء.

ب- كيفية استخراج تعابير كلّ بعد من الأبعاد النّفسية الثلاثة من بروتوكولات المبحوثين:

في هذا العنصر، سنتطرّق إلى شرح كيفيّة استخراج التّعابير الخاصّة بالأبعاد النّفسية الثّلاثة التي اخترناها للدّراسة من بروتوكولات المبحوثين:

● **العدوانية:**

قمنا باستخراج كلّ تعابير العدوانية التي ظهرت في بروتوكولات المبحوثين سواء المرتبطة بموضوع أوغيرالمرتبطة بموضوع أوالكامنة، كما ميّزنا بين الوضعيات السّلبية من الوضعيات النّشطة المعبّر عنها بشكل صريح جدّا، وقد تمّ ذلك كلّه كما يلي:

أمّا عن **العدوانية المرتبطة بموضوع**، فقد أدرجنا ضمن هذا النّوع كلّ تعبيرعدواني أو تدميري ظهر في بروتوكول كلّ مبحوث ومبحوثة من خلال تصوّرات إنسانية أو حيوانية كاملة أو جزئية إمّا بصفة نشطة ،أي من خلال وجود فعل عدواني حقيقي وصريح، وكأمثلة توضيحيّة مستمدّة من بروتوكولات المبحوثين نذكر:" زوج رجال وحوش راهم زادمين على زوج نسا حابّين يفرقو ما بيناتهم"،"زوج ڤنينات راهم يضاربو تخابطو وهذا الدم نتاعهم" "حيوانات يضاربو"، أو بصفة سلبية حيث يتضمّن الجواب نتيجة الفعل العدائي فقط والأمثلة التّالية توضّح ذلك:" خڤاش blessé" ،" هذو c'est des hommes ميتين"،" خڤاش مجروح".

وأمّا عن **العدوانية غير المرتبطة بموضوع**، فقد أدرجنا ضمن هذا النّوع كلّ التّعابيرالتي تنسب إلى قوى مدمّرة أو كوارث طبيعيّة والتي ظهرت إمّا بشكل نشط ، أي ذي غاية

مدمّرة ومن أمثلة المبحوثين نذكر:" هذا الما نتاع الحملة، رماد وتراب بدّل قاع الصّفة نتاعو"،" هذا دم وهذي في ضربة الحملة شفت صحابي ميتين"،"هذي كي تنفجر قنبلة ويطلع منها الدّخان"؛ أو بشكل سلبي، وفيما يخصّ هذا النّوع، فإنّنا لم نرصد أيّ جواب من بروتوكولات المبحوث لكن لا بأس أن نستدلّ بالأمثلة التي قدّمتها روش دو تراوبنبرغ لتوضيح ذلك وهي:" صورة ملطّخة بالدّماء"،" تمثال متآكل"،" قطعة خشبية تآكلت بفعل مياه البحر".

وأخيرا،**العدوانية الكامنة** التي تتجسّد في تلك الأجوبة الإنسانية كليّة كانت أو جزئية أو المرتبطة بمواضيع (objets) وذات صبغة خطرة أو عدوانية و التي لا يمكن معرفة إن كانت نشطة أو سلبية بسبب ميكانزمات العزل التي تمنع التّعبيرعنها بشكل صريح، ومن الأمثلة التي استخرجناها من بعض البروتوكولات :" شيطان،عقرب"،" وحش"،" خفّاش يخوّف"، " عنكبوت باشعة bizarre".

- **الاكتئاب:**

قمنا بتقدير(apprécier) قدرة كلّ مبحوث ومبحوثة على التّعبير عن الفقدان أو الحداد من خلال تصوّرات معيّنة إمّا أن تكون مرفقة بمعاش ذاتي واضح كما جاء في بعض البروتوكولات:"هذي الحزن والكآبة"،" قط عينيه حمورا كشغل راه يبكي، حزين" أو أنّها تعطى بشكل معزول، ومن بين الأمثلة التي وردت في إنتاجية المبحوثين نذكر:" ورقة نتاع شجرة شغل مقطعة"،"on dirait كتاب مقطّع".

هذا يعني أنّنا ميّزنا بين اكتئاب مصحوب بعاطفة معاشة (dépression affect vécu) واكتئاب من خلال تصوّر بسيط (dépression simple représentation).

- **القلق:**

قبل استخراج تعابيرالقلق من بروتوكولات المبحوثين وكيفيّة التّعبيرعنها، قمنا بتقدير نسبة ظهورهذا البعد النّفسي في الإنتاجيات المتحصّل عليها من خلال تطبيق معادلة

خاصّة تحصّلنا بواسطتها على نسبة معيّنة،هي حصيلة مجموع الإجابات الإنسانية الجزئية والتّشريحية وإجابات الجنس والدّم على المجموع الكلّي للأجوبة، ثمّ قارنّاها بالنّسبة المعتدلة المقدّرة بـ (12 %) فإذا زادت عنها إمّا بشكل مفرط أو متقلّص، اعتبرناها دليلا(indice)على وجود قلق مرضي كبير وهذا استناد إلى ما ذكره د. أنزيو وك. شابير (D.ANZIEU, C.CHABERT, 1987).

بعد ذلك، قمنا باستخراج كلّ تعابير القلق المدرجة ضمن تصوّرات تعبّر عن قلق واضح وصريح ، أي بعاطفة معاشة (Angoisse affect vécu)، من بين أمثلة المبحوثين الموضّحة لذلك نذكر:"masque يخوّف من بعيد"،"هاد l'image تخلع هادا c'est mon côté obscure" كشغل خفّاش حاجة كحلة كي تشوفيه ظلمة، حاجة ماشي مليحة يغمّك" ؛ أو قلق من خلال تصوّر بسيط وغير مرفق بعاطفة معاشة (Angoisse simple représentation)، ومن الأمثلة التي رصدناها عند بعض المبحوثين نذكر:" un géant عبد كبير"، هذا c'est le mauvais temps إلّي كان هذاك النّهار، كلّش كان gris (وتعني المبحوثة الفيضانات)،" السّحاب كي يكون الحال ماشي مليح ، مغيمة والدخان طالع ملتحت".

ذكرت روش دو تراوبنبرغ وزملاءها (1990) أنّه يمكن استنتاج القلق من خلال المعنى الرّمزي للجواب المعطى، فإمّا أن يظهر من خلال تشوّش واضح للمُدرك أي أن يتضمّن هذا الأخيرغرابة أو وحشية أو تشويه عجزي(mutilation invalidante)،أوأن يظهر الجواب على شكل تشظية مجزّأة(fragmentation morcelée)، أو على شكل موضوع اضطهاد.

1-3-1-5- <u>الدّيناميكية الدّفاعية</u>:

عمدنا إلى دراسة الدّيناميكيّة الدّفاعية للكشف عن الطّابع المسيطرأوالتّركيبي للآليات الدّفاعية التي وظّفها كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث، ولتوضيح الأثر"المميّز" للاستثارات الرّمزية للوحات اختبارالرّورشاخ.

تمّ استخراج الآليات الدّفاعية من بروتوكولات المبحوثين ومن ثمّ تصنيفها حسب السّجلاّت التي تنتمي إليها،أي:الذهانية،الهوسيّة والعصابية المرنة منها والصّلبة، وفق الطّريقة التّحليلية التي قدّمتها روش ذو تراوبنبرغ وزملاءها في ذات الشّبكة التي عرضناها سابقا، أي انطلاقا من التّحليل الشّكلي لعناصر الرّورشاخ ومن تدرّج الموضوع(progression thématique) الذي يظهر من تعاقب الأجوبة واللّوحات؛ كما سعينا إلى إبراز فعاليتها من خلال التحوّل الذي تحدثه على السّير النّفسي للمبحوث والذي إمّا أن ينحى نحو التخرّج الفعّال أو نحو تشوّش ديناميكيّته النّفسية، فإمّا أن يكون فقر بسبب الصّلابة والحصر(blocage)، وإمّا أن يكون اجتياح للنّزوات وطفح للقلق.
تتمثّل الفئات التي عزلتها فرقة البحث تلك في:

أ- **<u>دفاعات السجّل الذهاني</u>:** وتشمل كلّ محاولات الفرد للدّفاع ضدّ قلق التّجزئة والفناء مع الاستعمال المكثف للإسقاط الذي يوضّح وبشكل خاص تشوّه ميكانزمات الفكر واللّجوء إلى الواقع الموضوعي، ومن بين هذه الدّفاعات نذكر:
- إخفاق ضخم للواقع الموضوعي (Mise en échec massif de le réalité objective)،
- إسقاط تأويلي (Projection interprétative)،
- تجريد هاذٍ (Abstraction délirante)،

ب- **<u>دفاعات السجّل الهجاسي</u>:** يؤخذ هذا اللفظ بالمعنى الذي شرحته ميلاني كلاين والذي يهدف إلى رقابة الموضوع وهو يضمّ بذلك:
- رفض (Déni)،
- انشطار(Clivage)،
- تبريرعشوائي(Justification arbitraire)أو تجريد فاشل (Intellectualisation échouée) مثال:اللّوحة IX، "امرأتان تتكلّمان من قارة لأخرى..لأنّ الأولى ورديّة والأخرى خضراء"،

- مثلنة (Idéalisation)،

ج- <u>دفاعات سجلّ التكيّف الأدنى (Adaptation minimale)، التقليص- الكف:</u>

لهذه الدّفاعات اتّجاهان:

- تّجاه النّجاح ويرمز له بـ (+C)، وهو يدلّ على التكيّف الحيادي واللّجوء إلى ما هو واقعي يومي، عادي ومبتذل ناجح،

- اتّجاه الفشل أو(-C) ، وهو يدلّ على فشل اللّجوء إلى الواقع الموضوعي، الرّفض، غموض المعالم الشّكليّة لمحتويات ذات عاطفة حيادية،كأن يقول المبحوث في اللّوحة III:"شخصان".

د- <u>دفاعات السجّل الصّلب:</u> وهي توظف لغرض عزل التصوّر عن العاطفة وتضمّ:

- إلغاء (Annulation)،

- إنكار(Dénégation)،

- عزل موفّق (Isolation réussie)،

- تجريد (Abstraction)،

- عقلنة (Intellectualisation)،

ه- <u>دفاعات السجّل المرن:</u> وهي تضمّ كلّ السّياقات الدّفاعية من النّوع الهستيري والخوافي وتهدف إلى إبقاء صراعات مرتبطة بتصوّرات جنسيّة وليبيديّة في اللاّشعور، وهي:

- كبت(Refoulement)،

- تجنّب(Evitement)،

- إزاحة (Déplacement)،

- إيحائية (Suggestibilité)،

و- <u>مؤشّرات التخرّج</u>: تشهد على تمتّع السّير العقلي بنوع من الحريّة حيث يشمل المرونة إمكانية التكيّف مع التغيّر واللّجوء إلى السّياقات الثانوية، إضافة إلى ظهور قدرات الإعلاء والإبداع.

1-4- <u>تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعية سيرهم النّفسي</u>:

قبل التطرّق إلى الفئات التصنيفيّة التي تحصّلنا عليها من التقييم النّفسي الدّيناميكي للسّير النّفسي لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث، من الضّروري أن نشرح كيفية تحديد نوعية السّير النّفسي عبر اختبار الرّورشاخ.

1-4-1- <u>كيفيّة تحديد نوعية السّير النّفسي عبر اختبار الرّورشاخ</u>:

لتحديد نوعية السّير النّفسي لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث، وفي غياب معايير جزائرية خاصّة بالمراهق،استندنا إلى معايير السّير النّفسي النّموذجي لدى الرّاشد"العادي" لـ ن. روش دوتراوبنبرغ وأ.سنغلاد (N.Rausch de Traubenberg, A.Sanglade, 1990) التي عرضناها سابقا.

وهكذا،إذا اشتمل بروتوكول أيّ مبحوث من المبحوثين على تلك المعايير،اعتبرنا سيره النّفسي "جيّدا"، أمّا إذا سُجّل من خلال الإجابات الواردة في بروتوكول أيّ فرد منهم غياب لتلك المعايير ووجود، في المقابل، مؤشّرات أخرى معاكسة لها إمّا بشكل مفرط ومبالغ فيه أو متقلّص جدّا وضعيف سواء من حيث عدد الإجابات المقدّمة ونوعيتها،أومن حيث موقعها أو محدّداتها أو محتوياتها (وفي كلتا الحالتين،هناك دلالة على وجود خلل في أنماط استقبال قبول واستدخال المنبّه)، اعتبرنا سيره النّفسي هشّا أو"سيّئا".

أمّا إذا احتوى بروتوكول أيّ فرد من أفراد مجموعة البحث على مزيج متباين من معايير النّوعين السّابقين،أي عدم وجود معايير سير نفسي ذي نوعية "جيّدة" وذلك من حيث عدد الإجابات وترابطها وتفاعلها مع بعضها البعض، وكذا عجز عن تناول كلّ الإشكاليات التي تظهر فيها رمزية اللّوحات والتّعامل معها أيضا، وفي نفس الوقت،عدم وجود مؤشّرات سير نفسي ذي نوعية "سيّئة"، اعتبرنا سيره النّفسي "متوسّطا".

وهكذا، وباعتمادنا على نتائج التّحليل الكمّي لبروتوكولات المبحوثين من جهة وعلى دراسة تفاعل عناصر الدّيناميكية العاطفية وعوامل إضافية أخرى لها أهمّيتها في التّحليل من جهة أخرى، تمكّنّا من إجراء تقييم نفسي ديناميكي للسّير النّفسي لأفراد مجموعة البحث سمح لنا بتصنيفه (أي السّير النّفسي) إلى جيّد أو سيّئ أو متوسّط ، وقد تحصّلنا بذلك على ثلاث فئات تصنيفيّة وهي:

- **فئة سير نفسي ذو نوعية "جيّدة":**

وقد ضمّت الأفراد الذين اتّسمت بروتوكولاتهم بتنوّع في الإجابات من حيث المواقع المحدّدات والمحتويات،وبغنى هوامي يعالج إشكاليات اللّوحات بصفة مرنة، وباستراتيجيات دفاعية تظهر قدراتهم على حلّها وبخاصّة قدراتهم على الرّبط المنسجم بين البنيات الشّعورية واللاّشعورية.

- **فئة سير نفسي ذو نوعية "سيّئة" أو"هشّة":**

ضمّت هذه الفئة الأفراد الذين تميّزت بروتوكولاتهم بفقر في الإنتاجية وطغيان نمط واحد من طرق التّناول،أو المحدّدات،أوالمحتويات في جميع الإجابات،فضلا عن عجزهم الواضح عن إرصان مختلف الإشكاليات التي تثيرها لوحات الاختبار، وخصوصا القيام بتسوية بين متطلّبات الواقع الخارجي والواقع النّفسي الدّاخلي.

- **فئة سير نفسي ذو نوعية "متوسّطة":**

وقد أدرجنا ضمن هذه الفئة، الأفراد الذين لم تتوفّر بروتوكولاتهم على المؤشّرات المميّزة للفئتين الأوليين، بمعنى عدم توفّر مؤشّرات السّير النّفسي ذو النّوعية الجيّدة لكن وفي الوقت ذاته، عدم وجود اختلالات كبيرة تجعله ذو نوعية سيّئة،أي أنّها فئة تحتوي بروتوكولاتها على مزيج متباين من مؤشّرات النّوعين الأوّلين من السّير النّفسي .

2- عرض النّتائج:

سيتمّ عرض نتائج اختبارالرّورشاخ حسب المحاورالكبرى المعتمدة في تحليل البروتوكولات وهي:الإنتاج الإسقاطي،موقع الإجابات، محدّداتها ومحتوياتها، إلى جانب عناصر الدّيناميكيّة العاطفيّة والعوامل الإضافية التي ذكرناها في بداية هذا الفصل.

نشير إلى أنّنا صنّفنا النّسب المئوية لكلّ عناصرالبسيكوغرام إلى ثلاث فئات مقارنة بالقيم المعيارية المعتمدة عند الرّاشد"العادي" التي قدّمناها سابقا،حيث ضمّت الفئة الأولى نسبة تقلّ عن النّسبة العاديّة، وضمّت الفئة الثالثة نسبة تفوق عنها، بينما خصّصنا الفئة الثّانية للقيمة المعياريّة المعتمدة في البحث،كما قمنا بحساب معدّل تكرارات و/أونسب المعطيات المتحصّل عليها عند الجنسين، ثمّ عند كلّ أفراد مجموعة البحث.

2-1- الإنتاج الإسقاطي:

سنتناول في هذا العنصرتحليل كميّة الإنتاجية التي أفرزها تنقيط بروتوكولات أفراد مجموعة البحث انطلاقا من عدد الأجوبة المقدّمة القابلة للتّنقيط ومن دون احتساب التّعاليق والإجابات الإضافية الواردة في التّحقيق، كما سنتناول وبشكل موجز، مجمل الأجوبة الإضافية المقدّمة خلال التّحقيق مع الرّبط بين ذلك الكمّ والزّمن الإجمالي الذي استغرقه كلّ بروتوكول وسنتعرّف في الأخيرعلى عدد اللوحات المرفوضة التي امتنع فيها المبحوث أوالمبحوثة عن الإجابة وماهيتها.

2-1-1- عدد الإجابات (R):

قمنا بتصنيف النّسب المسجّلة في هذا العنصر إلى الفئات الثلاث التّالية:

- الفئة الأولى: أقلّ من 10إجابات.
- الفئة الثانية: ما بين10و20إجابة.

- الفئة الثالثة: وهي فئة النّسب التي تطابق النّسبة"العادية" المعتمدة كمعيار،أي ما بين 20 و30إجابة.

جدول رقم (06): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب عدد الإجابات.

	أفراد مجموعة البحث		
عدد الإجابات	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
أقلّ من 10 إجابات	**4** % 40	**0** % 0	**4** %23,52
ما بين 10 و20 إجابة	**6** % 60	**7** % 100	**13** % 76,47
ما بين 20 و30 إجابة	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
مجموع الأفراد	**10** %100	**7** % 100	**17** % 100
مجموع عدد الإجابات	121	92	213
معدّل عدد الإجابات	12	13	12

انحصر عدد الأجوبة التي قدّمها أغلب أفراد مجموعة البحث،كما تشيرإليه معطيات الجدول ما بين 10و20 إجابة، وقد قدّرت نسبة هؤلاء بـ (76,47 %)، في حين، بلغت نسبة أولئك الذين قلّ عدد أجوبتهم عن10إجابات (23,52 %)، وبهذا لم يصل أيّ فرد من أفراد مجموعة البحث إلى العدد النّموذجي المحدّد بين20 و30إجابة.

وإذا كان الفارق في مجموع الإجابات بين الجنسين واضحا (29إجابة)، فإنّ معدّل الإجابات

بينهما كان جدّ متقارب، أي (12)عند الإناث و(13)عند الذكور.

أمّا عن الإجابات الإضافية، فقد بلغ معدّلها عند أفراد مجموعة البحث إجابتان، مع الإشارة إلى وجودها بشكل كبير في بروتوكولات الإناث لاسيما في اللّوحات التي رفضت في المرحلة الأولى من التّطبيق.

وفيما يتعلّق بالزمن الإجمالي لبروتوكولات أفراد مجموعة البحث، فقد بلغ معدّله 14′ و27″. أمّا عند الجنسين، فقد بلغ 12′ و9″ عند الإناث مقابل 16′ و46″ عند الذكور.

2-1-2- <u>الرّفض</u>:

في هذا العنصر، سنتعرّف على عدد اللّوحات المرفوضة من قبل أفراد مجموعة البحث.

جدول رقم (07): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب عدد الرّفض.

	أفراد مجموعة البحث		
عدد اللّوحات المرفوضة	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
عدم وجود رفض	**5** % 50	**3** % 42,85	**8** % 47,05
من1 إلى 2	**4** % 40	**4** % 57,14	**8** % 47,05
من3 فأكثر	**1** % 10	**0** % 0	**1** % 5,88
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100
مجموع عدد الرّفض	10	8	18
معدّل الرّفض	1	1,14	1,05

توضّح معطيات الجدول، تعادل النّسبة بين المراهقين الذين تجاوبوا مع كلّ لوحات اختبار الرّورشاخ ولم يرفضوا أيّة لوحة منها وبين الذين رفضوا لوحة أو لوحتين على الأكثر، حيث قدّرت بـ(47,05 %) لكن مع تباين النّسب بين الجنسين. أمّا أضعف نسبة (5,88 %)، فقد مثّلت الأفراد الذين رفضوا ثلاث لوحات فأكثر، وهم كما توضّحه معطيات الجدول إناث.

أمّا عن معدّل الرّفض عند أفراد مجموعة البحث، فقد قدّر بـ (1,05).

2-1-3- اللّوحات المرفوضة:

ونقصد بها اللّوحات التي سجّل فيها أكبر عدد من استجابات الرّفض لدى المبحوثين.

جدول رقم (08): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب اللّوحات المرفوضة.

	أفراد مجموعة البحث		
اللّوحات	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
اللّوحة I	0	0	0
اللّوحة II	0	1	1
اللّوحة III	1	1	2
اللّوحة IV	2	1	3
اللّوحة V	1	0	1
اللّوحة VI	2	2	4
اللّوحة VII	1	1	2
اللّوحة VIII	1	0	1
اللّوحة IX	2	2	4
اللّوحة X	0	0	0
مجموع الرّفض	10	8	18

كانت اللّوحتان VIوIX من أكثر اللّوحات رفضا من قبل أفراد مجموعة البحث وبتكرار متساوكما توضّحه معطيات الجدول، وفي مرتبة أقلّ،جاءت اللّوحةIV، تلتها وبمرّات متساوية اللّوحتانIII وVII،في حين كانت اللّوحات II، V وVIII أقلّ رفضا من سابقاتها.

يشرح الإدراك المبتذل للّوحتين Vو VIII هذه النّتيجة.

وما يلفت الانتباه، هوعدم رفض اللّوحتين I وX ، علما أنّ اللّوحة I تشكّل أوّل احتكاك وأوّل مواجهة مع مادّة الاختبار، فقد تستثير لدى المراهق تصوّرات وانفعالات قد يصعب عليه التحكّم فيها وربّما يمتنع عن إدلاء إجابات أمامها وبالتّالي يرفضها ، وربّما كان ذلك ما حدث عند أفراد مجموعة البحث لكنّهم لم يرفضوها.

فضلا عن ذلك، يلاحظ اختلاف في رفض اللّوحات بين الإناث والذكور.

2-2- موقع الإجابات:

في هذا العنصر، سنكشف عن الطّريقة التي تناول بها كلّ مبحوث مادّة الاختبارالمقدّمة له ومكان تموقع إجاباته، وفي ذلك تبيان لكيفية مواجهته للواقع وللوضعيات التي يصادفها في حياته اليومية.

قد تكون الإجابات كليّة بأنواعها، أي بسيطة أو مركّبة أو متضمنة لفراغات بيضاء، كما قد تكون جزئية كبيرة أو صغيرة أو متضمّنة هي الأخرى لفراغات بيضاء.

وقد اقتصرنا في عرض النّتائج الخاصّة بطرق تناول هؤلاء المراهقين لمادة الرّورشاخ على التّناولات الكليّة والجزئية دون غيرها إذ كانت أكثر ميزة، أمّا التناولات الأخرى،فكانت ضئيلة.

2-2-1- الإجابات الكليّة (G):

يتضمّن هذا العنصرتحليل الإجابات الكليّة بكلّ أنواعها سواء منها البسيطة(G simples) أوالمركبّة من أجزاءأخرى من البقعة (G combinées) ،أو تلك المتضمنّة للفراغات البيضاء (Gbl) بصفة إجمالية .

جدول رقم (09): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نسبة مجموع الإجابات الكليّة (G% ?).

	أفراد مجموعة البحث		
النّسبة	إناث	ذكور	مجموع
أقلّ من 20%	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
ما بين 20 و23%	**0** % 0	**1** % 14,28	**1** % 5,88
أكثر من 23 %	**10** % 100	**6** % 85,71	**16** % 94,11
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100
معدّل نسبة الإجابات الكليّة (G % ?)	% 54,42	% 46,29	% 51,07

تبيّن معطيات الجدول السّابق، أنّ أكثرمن(94 %) من أفراد مجموعة البحث فاقت نسبة مجموع الإجابات الكليّة لديهم المتوسّط "العادي" الذي يتراوح ما بين 20 و23 % ، والذي مثّلته نسبة ضعيفة جدّا قدّرت بـ (5,88 %).

أمّا عن معدّل نسبة الإجابات الكليّة المركبة بأجزاء كبيرة من اللّطخة (D/G)، فقد بلغ (2,72 %) عند أفراد مجموعة البحث، بينما قدّر معدّل نسبة الإجابات الكليّة المتضمّنة للفراغات البيضاء (Gbl) بـ (5,92 %)، وقد كانت الإناث أكثر انجذابا إلى هذا النّوع من الأجوبة من الذكور، حيث بلغ معدّل النّسبة عندهنّ (9,29 %) مقابل (1,09 %) عند الذكور.

2-2-1-1- الإجابات الكليّة البسيطة (G simples):

جدول رقم (10): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نسبة الإجابات الكليّة البسيطة (G%)

.

النّسبة	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
أقلّ من 20%	0 % 0	0 % 0	0 % 0
ما بين 20 و23%	0 % 0	2 % 28,57	2 % 11,76
أكثرمن 23 %	10 % 100	5 % 71,42	15 % 88,23
مجموع الأفراد	10 % 100	7 % 100	17 % 100
معدّل نسبة الإجابات الكليّة البسيطة (? G simples %)	% 46,54	% 47,46	% 46,92

تظهر معطيات الجدول أنّ أكثرمن (88 %) من أفراد مجموعة البحث فاقت نسبة إجاباتهم الكليّة البسيطة المتوسّط "العاديّ" الذي يتراوح ما بين 20 و23 % ، بينما تضاعفت نسبة فئة المعيار العادي هذه المرّة إذ بلغت (11,76 %).

أمّا عن معدّل نسبة الإجابات الكليّة البسيطة عند الجنسين، فهو متقارب،إذ سجّلنا (% 46,54 عند الإناث مقابل (47,46 %)عند الذكور.

2-2-2- <u>الإجابات الجزئية(D)</u> :

2-2-2-1- <u>الإجابات الجزئية الكبيرة (D):</u>

وهي الإجابات المنصبّة على إدراك أجزاء كبيرة من اللوحات.

جدول رقم (11): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نسبة الإجابات الجزئية الكبيرة (D%).

	أفراد مجموعة البحث		
النّسبة	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
أقلّ من 60 %	**7** % 70	**2** % 28,57	**9** % 52,94
ما بين 60 و68 %	**3** % 30	**4** % 57,14	**7** % 41,17
أكثر من 68 %	**0** % 0	**1** % 14,28	**1** % 5,88
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100
معدّل نسبة الإجابات الجزئية الكبيرة (D% ?)	% 46,34	% 53,55	% 49,31

يتبيّن من الجدول السّابق،أنّ أكثرمن نصف أفراد مجموعة البحث((52,94%) قلّت نسبة ظهورالإجابات الجزئية الكبيرة في بروتوكولاتهم عن النّسبة "العادية" التي تتراوح ما بين 60 و68 % والتي لم تسجّل إلاّ عند (41,17 %) منهم ؛ بينما لم يتعدّ النّسبة النّموذجية إلاّ فرد واحد منهم ، أي بنسبة (5,88 %).

أمّا عن معدّل نسبة الإجابات الجزئية الكبيرة عند الجنسين، فيبدو أنّ الذكور(53,55 %) أكثر لجوء إلى التّفاصيل الكبرى للّوحة من الإناث (46,34 %).

2-3- محدّدات الإجابات:

في هذا العنصر، سنتعرّف على العناصرالتي حدّدت إجابات المبحوثين،أي الميزة الموضوعية أوالذاتية التي أثارت الإجابة ودفعت بهم إلى إعطاءها ،هل هي شكلية توحي بالرّجوع إلى الواقع الملموس،أم لونية توحي باللّجوء إلى العواطف والانفعالات،أم حركية تدلّ على استثمار الفكر و التصوّرات ، أم تضليلية تكشف عن خبايا النّفس؟.

2-3-1- المحدّدات الشكلية (F):

في هذا العنصر، سنعرض نتائج تحليل بروتوكولات أفراد مجموعة البحث من حيث اعتمادهم على محدّد الشكل في إدراك وبناء الإجابات المقدّمة على لوحات الاختبار. سنتعرّض في البداية إلى النّسبة الإجمالية للإجابات الشكلية (F%)، ثمّ نفصّلها من حيث نوعيتها ومطابقتها للشّكل الموضوعي للمحتوى المدرك وذلك بتحليل نسبة كلّ من (F+) (F-) و(F±).

جدول رقم (12): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نسبة مجموع الإجابات الشّكلية (?F%).

	أفراد مجموعة البحث		
النّسبة	إناث	ذكور	مجموع
أقلّ من 50 %	**6** % 60	**2** % 28,57	**8** % 47,05
ما بين 50 و70 %	**3** % 30	**5** % 71,42	**8** % 47,05
أكثر من 70 %	**1** % 10	**0** % 0	**1** % 5,88
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100
معدّل نسبة مجموع الإجابات الشكلية (F% ?)	% 49,83	% 49,39	% 49,65

تبيّن معطيات الجدول تعادل نسبة المراهقين الذين اعتمدوا في إجاباتهم على شكل البقع بنسبة تقلّ عن المتوسّط العادي المحدّد بين 50 و70%، وبين أولئك الذين انحصرت نسبة

أجوبتهم الشّكلية بين هذه الفئة المعياريّة، حيث بلغت النّسبة عند كلتا الفئتين(47,05 %)، بينما لم يفرط في اعتماده على شكل البقع إلاّ فرد واحد فقط من مجموع الأفراد، أي بنسبة (5,88 %).

أمّا عن معدّل النّسبة عند الجنسين، فهو متقارب إذ بلغ (49,83 %)عند الإناث مقابل (49,39 %)عند الذكور.

2-3-1-1- المحدّدات الشكلية الجيّدة (+F):

جدول رقم (13): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نسبة الإجابات الشّكلية الجيّدة (F+%).

	أفراد مجموعة البحث		
النّسبة	إناث	ذكور	مجموع
أقلّ من 70 %	6 % 60	4 % 57,14	10 % 58,82
ما بين 70 و80 %	3 % 30	1 % 14,28	4 % 23,52
أكثر من 80 %	1 % 10	2 % 28,57	3 % 17,64
مجموع الأفراد	10 % 100	7 % 100	17 % 100
معدّل نسبة الإجابات الشكلية الإيجابية (F+%)	% 62,16	% 66,27	% 63,85

يتبيّن من النّتائج الواردة في الجدول، أنّ أغلب أفراد مجموعة البحث(58,82 %) قدّموا إجابات شكلية جيّدة بنسبة تقلّ عن النّسبة "العادية" التي تتراوح ما بين 70 و80 %، وقد سجّلت هذه الأخيرة عند أقلّ من ربع أفراد مجموعة البحث،أي (23,52 %) ؛ في حين، بلغت نسبة المراهقين الذين تجاوزوا المعيار النّموذجي بكثير (17,64 %).

وبخصوص معدّل نسبة الإجابات الشكلية السّلبية (-F) عند أفراد مجموعة البحث، فقد بلغ (15,34 %) بينما قدّر معدّل نسبة الإجابات الشكلية الغامضة (±F) عندهم بـ (3,38 %).

2-3-2- المحدّدات الحركية (K):

يتضمّن هذاالعنصرعرض ومناقشة نتائج المحدّدات الحركية بأنواعها،أي الإنسانية(K) أوالحيوانية(kan) أو المرتبطة بشيء (kob)،أوبحركة إنسانية جزئية صغيرة(kp) مع التّركيز على المحدّدات الأكثر تداولا ونقصد بها الحركية الإنسانية والحيوانية.

سنتطرّق أوّلا إلى عرض نتائج المحدّدات الحركيّة الإنسانية التي ظهرت في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث.

2-3-2-1- المحدّدات الحركية الإنسانية (K):

جدول رقم (14): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب عدد الإجابات الحركية الإنسانية (K).

	أفراد مجموعة البحث		
عدد الإجابات	إناث	ذكور	مجموع
0 إجابة	4 % 40	1 % 14,28	5 % 29,41
إجابة واحدة	4 % 40	3 % 42,85	7 % 41,17
إجابتان	2 % 20	3 % 42,85	5 % 29,41
مجموع الأفراد	10 % 100	7 % 100	17 % 100
معدّل عدد الإجابات الحركية (K)	0,8	1,28	1

تظهر نتائج الجدول أنّ أقلّ من نصف أفراد مجموعة البحث ، وقد بلغت نسبتهم (% 41,17) أعطوا إجابة حركية واحدة ، بينما تعادلت النّسبة بين الذين لم تتوفّر بروتوكولاتهم على أيّة إجابة حركية (K=0) وبين أولئك الذين قدّموا إجابتين حركيتين ، حيث قدّرت بـ (% 29,41).

أمّا عن معدّل الإجابات الحركية عند الجنسين، فيبدو الفرق واضحا ، إذ بلغ (1,28)عند الإناث مقابل (0,8) عند الذكور، فهل هذا يعني أنّ هؤلاء هم أكثر ميلا إلى التخيّل والإرصان النّفسي من الإناث اللّواتي يبدو عليهنّ نوع من الانكماش والكفّ؟.

2-3-2-2- <u>المحدّدات الحركية الحيوانية (kan)</u>:

يتضمّن هذا العنصر عرض ومناقشة نتائج المحدّدات الحركيّة الحيوانية التي لجأ إليها أفراد مجموعة البحث، وما مدى قوّة التّثبيتات الطّفليّة لديهم.

جدول رقم (15): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب عدد الإجابات الحركية الحيوانية (kan).

	أفراد مجموعة البحث		
عدد الإجابات	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
0 إجابة	**5** % 50	**3** % 42,85	**8** % 47,05
إجابة واحدة	**3** % 30	**3** % 42,85	**6** % 35,29
إجابتان	**2** % 20	**0** % 0	**2** % 11,76
ثلاث إجابات	**0** % 0	**1** % 14,28	**1** % 5,88
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100
معدّل عدد الإجابات الحركية الحيوانية (kan)	0,7	0,85	0,76

اختلفت نتائج الأجوبة الحركية الحيوانية عن الإنسانية، حيث قدّرت نسبة المبحوثين الذين لم يقدّموا أيّة إجابة حركية حيوانية بـ (47,05 %) ، مقابل (35,29 %) ممّن قدّموا إجابة واحدة و(11,76 %) ممّن قدّموا إجابتان؛ بينما تمكّن فرد واحد فقط من إعطاء ثلاث إجابات حركية حيوانية، أي بنسبة(5,88 %).

أمّا الإجابات الحركية المرتبطة بالأشياء (kob)، فقد وردت في بروتوكولين فقط من أصل 17 بروتوكولا، بينما ظهرت إجابة حركية إنسانية صغيرة(kp) في بروتوكول واحد فقط وكشفت عن تجربة أليمة مثلما سنوضّحه في الفصل التّاسع الخاص بدراسة الحالات.

2-3-3- المحدّدات اللّونية (C):

سنتناول في هذا العنصرعرض ومناقشة نتائج الإجابات اللّونية التي لجأ إليها أفراد مجموعة البحث سواء كانت أحادية خالصة(C)،أو ثنائية مرتبطة بمحدّد شكلي بتفاوت الأهميّة المعطاة لكلّ منهما ، أي إمّا شكلي لوني (FC) أو لوني شكلي (CF).

جدول رقم (16): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب عدد الإجابات اللّونية (C).

	أفراد مجموعة البحث		
عدد الإجابات	إناث	ذكور	مجموع
0 إجابة	1 % 10	1 % 14,28	2 % 11,76
إجابة واحدة	0 % 0	1 % 14,28	1 % 5,88
إجابتان	1 % 10	1 % 14,28	2 % 11,76
ثلاث إجابات	2 % 20	1 % 14,28	3 % 17,64
أربع إجابات	3 % 30	2 % 28,57	5 % 29,41
خمس إجابات	3 % 30	1 % 14,28	4 % 23,52
مجموع الأفراد	10 % 100	7 % 100	17 % 100
معدّل عدد الإجابات اللّونية (? C)	3,8	2,71	3,35

توضّح النتائج أنّ كلّ المراهقين انفعلوا مع ألوان لوحات اختبار الرّورشاخ، حيث وردت استجابة لونية واحدة على الأقلّ في كلّ بروتوكول.

أمّا الذين كانوا أكثر انفعالا للّون بحيث وصل عدد الأجوبة اللّونية بأنواعها في بروتوكولاتهم إلى أربع إجابات(4)، فقد بلغ عددهم خمسة (5)، أي بنسبة (29,41 %)، بينما بلغ عدد الذين انجذبوا أكثر لألوان المنبّه بحيث سجّلت في بروتوكولاتهم خمسة إجابات لونية وأزيد، أربعة أفراد (4)، أي بنسبة (23,52 %)، وفي رتبة أقلّ كان أولئك الذين احتوت بروتوكولاتهم على ثلاث أجوبة لونية(3) حيث قدّرت نسبتهم بـ (17,64 %)، بينما تعادلت النّسبة بين الذين قدّموا إجابتين فقط (2) وبين الذين لم يتمكّنوا من إعطاء أيّة إجابة لونية (C=0?) حيث قدّرت بـ (11,76 %)؛ أمّا أضعف نسبة (5,88 %)، فقد مثّلها أولئك الذين قدّموا إجابة لونية واحدة (1).

وبخصوص الإجابات اللّونية المتحكّم فيها بالشّكل(FC)، فقد ظهرت عند خمسة أفراد(5) أي بنسبة(29,41 %) وكانت نسبة ظهورها عند الإناث أقلّ من الذكور،أي (40 %) مقابل (60 %).

أمّا الإجابات اللّونية التي تراجعت عنها الرّقابة، أي الممزوجة بين اللّون والشكل (CF)، فقد بلغت نسبة المراهقين الذين ظهر لديهم هذا النّوع من الإجابات (35,29 %)، وقد كانت الإناث أكثر لجوء لهذا المحدّد من الذكور، حيث سجّلنا نسبة (66,66 %) مقابل (% 33,33).

أمّا بخصوص المحدّدات اللّونية الخالصة (C)، فإنّ أكثر من نصف المبحوثين(52,94 %) اعتمدوا عليها حيث وردت،على الأقلّ، استجابة لونية خالصة في بروتوكولاتهم.

2-3-4- <u>المحدّدات اللّونية الأخرى</u>:

يضمّ هذا العنصر إجابات بنيت على تنوّع اللّون الرّمادي من إجابات التّضليل (E)، وكذا التّعارض ما بين الفاتح والقاتم (Clob) وحده، أوبالتّركيب مع محدّدات أخرى كالشّكل (Fclob) ، أو الحركة (KClob) أواللّون (ClobC) .

2-3-4-1- محدّدات التّضليل (E):

كان تواجد الإجابات التّضليلية سواء الخالصة منها (E) ،أو المركّبة بالشّكل (FE) أو(EF) أوبحركة موضوع (Ekob) (عند بعض الحالات) ضعيفا في كافة البروتوكولات، فلم تظهر الإجابات التّضليلية الخالصة(E) مثلا إلاّ في بروتوكولين فقط، أي بنسبة (% 11,76). أمّا تلك المرتبطة بمحدّدات شكلية (FE) و(EF)، فكان ظهورها هو الآخر نادرا جدّا، حيث بلغت النّسبة (5,88 %) لكلّ نوع.

2-3-4-2- محدّدات التّعارض فاتح- قاتم (Clob):

للأجوبة الفاتحة-القاتمة أهمّية كبيرة في التّحليل الكيفي للبروتوكول وكذلك الصّدمات والملاحظات المرتبطة بها، إذ يشير وجودها في البروتوكول بشكل كبيرإلى" صعوبات تكيّفية حقيقيّة ذات أصل مرضي ، وإلى أنّ الشخص غير قادر على تعبئة قدراته الدّفاعية فيترك العنان لقلقه للبروز بصورة طاغية"(C.LOOSLI-USTERI, 1976, pp.86-87).

أمّا عن ظهور هذه المحدّدات عند أفراد مجموعة البحث سواء بصفة خالصة(Clob) أومركّبة بالشّكل (Fclob) أو(ClobF) أوبحركة حيوانية(kanClob)، فقد كان في ستة بروتوكولات(6) من مجموع سبعة عشربروتوكولا،أي بنسبة (35,29 %) وارتبطت بمحتويات مقلقة ومخيفة وعدوانية معظمها حيوانية كشفت عن تجارب عنيفة تعرّض لها أولئك المبحوثين الستّة أوربّما عن خبرات ماضية مضايقة وأليمة عايشوها، وقد تخلّلت أجوبتهم فترات صمت طويلة وحركات سلوكية كثيرة،وقد يدلّ ذلك على نزعة اكتئابية أوعلى تعرّض لصدمة أمام اللّوحات.

وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة عن هذا النّوع من الأجوبة:

- المثال الأوّل، اللّوحة I :" شغل وحوش حابّين يفرقو ما بيناتهم ... من الأهل ديالهم".
- المثال الثاني،اللّوحة VII :" شغل حيوان دموي مفترس يجبد في فراشة".
- المثال الثالث، اللّوحة VIII:" حيوان عنفي مبني على العنف، وحش مبني على الشّر".

أمّا عن إجابات التّعارض فاتح- قاتم المراقبة (Fclob) ، فقد برزت عند أربعة مراهقين(4) أي بنسبة (23,52 %)، أمّا تلك التي ارتبطت بحركة حيوانية (kanClob) ، فقد ظهرت عند مبحوث واحد فقط ،أي بنسبة (5,88 %) وقد سمحت له بالتّعبيرعن إشكالية عدوانية واضطهادية.

2-4- <u>محتوى الإجابات</u>:

يتضمّن هذا العنصرعرض ومناقشة نسب مضامين الإجابات التي تشكّل صلب الإجابة وتكشف عن اهتمامات وانشغالات المراهق،كالإنسانية،الحيوانية،النّباتية، التّجريدية وغيرها.

2-4-1- <u>المحتويات الإنسانية (H)</u>:

نتناول في هذا العنصرعرض ومناقشة نسب مجموع الإجابات الإنسانية سواء الكاملة منها (H)،أوالجزئية (Hd)،أوالخيالية((H)) التي ظهرت عند أفراد مجموعة البحث ومدى اقترابها أو تباينها من المعدّل المحدّد في البروتوكول العادي والمقدّر بين(12-18%).

جدول رقم(17): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نسبة مجموع الإجابات الإنسانية (∑H%).

النّسبة	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
0 %	**2** % 20	**0** % 0	**2** % 11,76
أقلّ من 12 %	**1** % 10	**2** % 28,57	**3** % 17,64
ما بين 12 و18 %	**3** % 30	**0** % 0	**3** % 17,64
أكثر من 18 %	**4** % 40	**5** % 71,42	**9** % 52,94
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100
معدّل نسبة مجموع الإجابات الإنسانية (?H%)	% 17,62	% 24,91	% 20,63

أظهرت معطيات الجدول أنّ أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي(52,94 %) تجاوزت نسبة الإجابات الإنسانية لديهم حدود المعدّل المتراوح بين 12 و18% والذي مثّلته نسبة ضعيفة منهم بلغت (17,64 %) وهي ذات النّسبة التي سجّلت عند أولئك الذين قلّت نسبة إجاباتهم الإنسانية عن 12 %.

أمّا بخصوص معدّل نسبة الإجابات الإنسانية عند الجنسين، فيبدو الفرق واضحا بينهما، إذ بلغ (17,62 %) عند الإناث مقابل (24,91 %) عند الذكور.

أمّا عن الإجابات الإنسانية الكاملة(H)،فقد ظهرت عند ثلاثة عشر فردا،أي بنسبة (76,47 %) بينما ظهرت الإنسانية الجزئية (Hd) منها عند خمسة أفراد (5)، أي بنسبة (29,41 %) ، وأمّا الخيالية منها ((H))، فلم يقدّمها إلاّ ثلاثة أفراد (3) فقط و بنسبة قدرها (17,64 %).

2-4-2- <u>المحتويات الحيوانية (A)</u>:

يتضمّن هذا العنصرعرض نسب مجموع الإجابات الحيوانية سواء الكاملة منها(A) أو أجزاء منها (Ad)، أو الخيالية ((A)) ومقارنتها بالنّسبة النّموذجية المقدّرة بـ (45 %).

جدول رقم(18): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نسبة مجموع الإجابات الحيوانية (?A%).

	أفراد مجموعة البحث		
النّسبة	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
أقلّ من 45 %	**4** % 40	**3** % 42,85	**7** % 41,17
45 %	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
أكثر من 45 %	**6** % 60	**4** % 57,14	**10** % 58,82
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100
معدّل نسبة مجموع الإجابات الحيوانية (A% ?)	% 48,65	% 39,87	% 45,04

فيما يتعلّق بالمحتويات الحيوانية، فيلاحظ من خلال معطيات الجدول أنّ أكثر من (58 %) من المراهقين تجاوزت نسبة إجاباتهم الحدّ العادي المقدّر بـ 45 % والذي لم يسجّل عند أيّ فرد منهم (0 %)؛ بينما وصلت نسبة أولئك الذين قلّت نسبة إجاباتهم عن المعيار"العادي" إلى (41,17 %).

وخلافا عن معدّل نسبة الإجابات الإنسانية، يبدو لجوء الإناث إلى العالم الحيواني أقوى من الذكور، حيث سجّلنا (48, 65 %) مقابل (39, 87 %).

أمّا عن المحتويات الحيوانية الكاملة (A)، فقد ظهرت عند جميع أفراد مجموعة البحث،أي بنسبة(100 %) وأمّا الجزئية منها (Ad)، فقد سُجّل ظهورها عند خمسة أفراد(5) فقط ،أي بنسبة(29,41 %)، وقد كانت قلّة أكثرهم لجوء إلى هذا النّوع من المحتويات، حيث وصلت نسبتها إلى(73,33 %) وكلّها إدراكات مجزّئة لحيوانات مفترسة: ذئب،ثعلب وخنزيربرّي.(*)

أمّا المحتويات الحيوانية الخياليّة((A)) ، فلم تظهر إلاّ عند ثلاثة أفراد (3) من بين سبعة عشر فردا (17)، وبذلك بلغت نسبتهم (17,64 %).

(*): راجع حالة فلة ص 360

2-4-3- المحتويات الأخرى:

يتضمّن هذا العنصرعرض ومناقشة إجابات المبحوثين التي تضمّنت محتويات مختلفة ومتنوّعة قاربت 13 صنفا ، وهو ما يعكس تنوّع انشغالاتهم واهتماماتهم، لذا ارتأينا أن نحوصل أهمّها الذي ورد لدى نسب معتبرة من أفراد مجموعة البحث.

جدول رقم(19): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نسبة الأفراد الذين وردت بقية المحتويات في بروتوكولاتهم.

	أفراد مجموعة البحث		
المحتويات	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
عناصر (Eléments)	**7** % 70	**1** % 14,28	**8** % 47,05
شظايا (Fragments)	**3** % 30	**0** % 0	**3** % 17,64
تشريح (Anatomie)	**1** % 10	**3** % 42,85	**4** % 23,52
منظر (Paysage)	**4** % 40	**0** % 0	**4** % 23,52
دم (Sang)	**2** % 20	**3** % 42,85	**5** % 29,41
أشياء (Objets)	**1** % 10	**3** % 42,85	**4** % 23,52
تجريد (Abstraction)	**6** % 60	**3** % 42,85	**9** % 52,94
نبات (Botanique)	**3** % 30	**5** % 71,42	**8** % 47,05

احتلّت المحتويات التّجريديّة الصّدارة، إذ ظهرت عند(52,94 %) من أفراد مجموعة البحث تلتها وبنسبة متساوية قدّرت بـ (47,05 %) محتويات من نوع عنصر وأخرى نباتية، وفي مرتبة أقلّ مثلها أكثر من ربع أفراد مجموعة البحث(29,41 %)، كانت

المحتويات من نوع دم ، ثمّ وبنسبة متساوية قدّرت بـ (23,52 %) كانت محتويات من نوع تشريح، منظر وأشياء.

أمّا المحتويات من نوع شظايا، فقد مثّلتها نسبة ضعيفة من المبحوثين بلغت (17,64 %).

من جهة أخرى، تظهر معطيات الجدول أنّ الإناث كنّ أكثر لجوءا إلى المحتويات من نوع عناصر،شظايا، منظر وتجريد، من الذكور الذين، بالمقابل، كانوا أكثر لجوءا إلى المحتويات التّشريحية، النّباتية وأخرى من نوع دم وأشياء.

2-5- عرض نتائج التّحليل الكمّي والكيفي لعناصر الدّيناميكية العاطفية:

يتضمّن هذا العنصر عرض ومناقشة العناصر الأساسيّة لدراسة الدّيناميكية العاطفية لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث والممثلة في:نمط الصّدى الدّاخلي (T.R.I)، المعادلة المكمّلة (Formule complémentaire) ، نسبة عدد الإجابات الملوّنة على مجموع الإجابات (RC%) المعاش الانفعالي الذي تناولناه من خلال دراسة الأبعاد النّفسية الثّلاثة المتمثّلة في: العدوانية الاكتئاب والقلق وكيفيّة ظهورها في بروتوكولات المبحوثين والتي ستوضّح لنا أكثر وزن مضامين الإجابات، وأخيرا،نوع الآليات الدّفاعية التي لجأ إليها كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث لمواجهة استثارات اختبار الرّورشاخ المختلفة وللتّعامل مع إشكاليات لوحاته المتنوّعة ومع الصّراعات النّفسيّة التي قد تنشّط من جديد.

2-5-1- نمط الصّدى الدّاخلي (Type de résonance intime):

سنتناول في هذا العنصر دراسة العلاقة بين الإجابات الحركية الإنسانية ومجموع الإجابات اللّونية عند أفراد مجموعة البحث،والتي" تحدّد الموقف الأساسي للشّخصية تّجاه نفسها وتّجاه العالم الخارجي"(N.RAUSCH DE TRAUBENBERG, 1983, p.152). إنّها المعادلة التي تطلعنا على ردّ فعل الفرد إزاء الحوادث التي تقع له عادة، وكيفية تعامله مع العالم الخارجي.

جدول رقم (20): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نمط الصّدى الدّاخلي (T.R.I).

نمط الصّدى الدّاخلي	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
متكافئ (Ambiéqual)	0 % 0	0 % 0	0 % 0
محصور (Coarté)	1 % 10	1 % 14,28	2 % 11,76
منبسط صافي (Extratensif pur)	3 % 30	1 % 14,28	4 % 23,52
منبسط مختلط (Extratensif mixte)	6 % 60	3 % 42,85	9 % 52,94
منطوي صافي (Introversif pur)	0 % 0	1 % 14,28	1 % 5,88
منطوي مختلط (Introversif mixte)	0 % 0	1 % 14,28	1 % 14,28
مجموع الأفراد	10 % 100	7 % 100	17 % 100

بتفحّصنا لتوزيع أفراد مجموعة البحث حسب نمط الصّدى الدّاخلي (T.R.I)، تبيّن لنا أنّ معظمهم يتمتّعون بنمط صدى داخلي من النّوع المنبسط المختلط، حيث بلغت نسبتهم (52,94 %)، بينما قدّرت نسبة الذين يتمتّعون بنمط صدى داخلي من النّوع المنبسط الصّافي بـ (23,52 %)؛ وفي رتبة أقلّ (11,76 %)، أولئك ذوي نمط صدى داخلي محصور ومنطوي بنوعيه، أي صافي ومختلط.

وبتفحّصنا لتوزيع الإناث والذكور حسب نوع النمط السّائد لديهما، وجدنا تفوّق النّمط المنبسط بنوعيه عندهما مع فارق كبير في النّسبة بين الإناث (90 %) والذكور(57,13 %).

2-5-2- نسبة الإجابات في اللّوحات الملوّنة على مجموع الإجابات (RC%):

يتعلّق الأمر بتحليل إنتاج المراهقين في اللّوحات الملوّنة مقارنة بمجموع إجاباتهم في البروتوكول وذلك قصد تقدير مدى تفاعلهم مع الألوان، وبالتالي، مع العالم الخارجي.

جدول رقم(21): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نسبة الإجابات في اللّوحات الملوّنة على مجموع الإجابات (RC%).

	أفراد مجموعة البحث		
النّسبة	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
أقلّ من 30 %	**2** % 20	**1** % 14,28	**3** % 17,64
ما بين 30 و35 %	**1** % 10	**1** % 14,28	**2** % 11,76
أكثر من 35 %	**7** % 70	**5** % 71,42	**12** % 70,58
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100
معدّل نسبة (RC%)	% 40,10	% 39,82	% 39,99

تظهر معطيات الجدول أنّ أغلب أفراد مجموعة البحث (70,58 %) كانوا أكثر إنتاجية في اللّوحات الملوّنة ممّا يعكس انجذابهم وانفعالهم تّجاه الألوان و استثارات المحيط، حيث فاقت نسبة الأجوبة في اللّوحات الملوّنة حدود المعدّل المقدّر بين 30 و35 % ، والذي لم يسجّل إلاّ عند(11,76 %) منهم ، بينما بلغت نسبة أولئك الذين قلّت نسبة (RC%) لديهم عن المتوسّط "العادي"(17,64 %).

أمّا بالنّسبة لمعدّل (RC%) عند هؤلاء المراهقين والمقدّر بـ (40 %)، فإنّه يُظهرانجذابهم نحو الألوان.

3-5-2- المعادلة المكمّلة (Formule complémentaire):

جدول رقم(22): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نوع العلاقة بين مجموع الأجوبة الحركيّة الصّغرى ومجموع أجوبة التّضليل.

نوع العلاقة بين(∑k) و(? E)	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
? **k** =? **E** = **0 ou 1**	**3** % 30	**1** % 14,28	**4** % 23,52
? **k** > ? **E**	**5** % 50	**5** % 71,42	**10** % 58,82
? **k** < ? **E**	**2** % 20	**1** % 14,28	**3** % 17,64
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100

تبيّن معطيات الجدول أنّ أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث كانوا أكثر استعمالا للأجوبة الحركية الصّغرى على اختلاف أنواعها من أجوبة التّضليل، وبالتّالي أكثر انطواء وقد بلغت نسبتهم (58,82 %)، مع تفوّق الذكور(71,42 %) على الإناث(50 %)، بينما قدّرت نسبة أولئك الذين تساوى مجموع أجوبتهم الحركية الصّغرى مع مجموع أجوبة التّضليل إمّا بالإيجاب(1) أو بالسّلب(0)،(23,52 %)، مع تفوّق الإناث هذه المرّة (30 % على الذكور (14,28 %).

أمّا أقلّ نسبة والمقدّرة بـ (17,64 %)، فقد مثّلها أولئك الذين كان مجموع أجوبتهم التّضليليّة أكثر من مجموع أجوبتهم الحركيّة الصّغرى، وقد كانت الإناث أكثر انفعالا من الذكور، حيث سجّلنا نسبة (20 %) مقابل (14,28 %).

2-5-4- المعاش الانفعالي والعاطفي:

يتضمّن هذا العنصرعرض ومناقشة نسب إجابات المبحوثين المرتبطة بالعدوانية بأنواعها الثلاثة(المرتبطة بموضوع ، غير المرتبطة بموضوع والكامنة)، بالاكتئاب وبالقلق.

أمّا عن كيفيّة الحصول على هذه النّسب عند أفراد مجموعة البحث، فقد تمّ بقسمة تكرارات أجوبة كلّ نوع من أنواع البعد النّفسي المدروس على المجموع الكلّي للأجوبة المقدّمة والحاصل يضرب في مائة، ولمزيد من التّوضيح، نقدّم المثال التّالي:

لحساب نسبة ظهور أجوبة عدوانية مرتبطة بموضوع نشطة في بروتوكولات المبحوثين نقوم بقسمة عددها (تكراراتها) على مجموع أجوبة العدوانية المرتبطة بموضوع النّشطة منها والسّلبية التي ظهرت عند كلّ أفراد مجموعة البحث، ثمّ نضرب الحاصل في مائة.

أمّا لحساب نسبة نفس النّوع السّابق عند الجنسين، نقوم بقسمة عدد الأجوبة الموافقة له عند إحداهما وليكن الإناث مثلا على مجموع أجوبة العدوانية المرتبطة بموضوع بنوعيها (نشطة وسلبية) الذي ظهر عند الإناث، والحاصل نضربه في مائة، والطّريقة ذاتها بالنّسبة للذكور وللبعدين النّفسين الآخرين ونقصد بهما الاكتئاب والقلق.

2-5-4-1- العدوانية:

أ- تعابيرالعدوانية المرتبطة بموضوع (النّشطة والسّلبية):

جدول رقم(23): توزيع نسبة تعابير العدوانية المرتبطة بموضوع التي ظهرت في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
تعابير العدوانية المرتبطة بموضوع	إناث	ذكور	مجموع
نشطة	4 % 66,66	5 % 62,5	9 % 64,28
سلبية	2 % 33,33	3 % 37,5	5 % 35,71
مجموع	6 % 100	8 % 100	14 % 100

كانت تعابير العدوانية المرتبطة بموضوع النّشطة أكثر ظهورا في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث، حيث بلغت نسبتها(64,28 %) وبشكل خاص عند الإناث إذ قدّرت نسبتها بـ (66,66 %) مقابل(62,5 %) عند الذكور.

أمّا النّوع السّلبي منها، فقد بلغت نسبته(35,71 %) مع تفوّق ظهوره عند الذكور هذه المرّة حيث قدّرت نسبته بـ (37,5 %) مقابل(33,33 %) عند الإناث.

ب- <u>تعابير العدوانية غير المرتبطة بموضوع(النّشطة والسّلبية)</u>:

جدول رقم(24): توزيع نسبة تعابير العدوانية غير المرتبطة بموضوع التي ظهرت عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
تعابير العدوانية غير المرتبطة بموضوع	إناث	ذكور	مجموع
نشطة	**6** % 100	**1** % 100	**7** % 100
سلبية	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
مجموع	**6** % 100	**1** % 100	**7** % 100

لم يبرز في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث سوى النّوع النّشط من تعابير العدوانية غير المرتبطة بموضوع وبنسبة ساحقة بلغت (100 %) كما يتبيّن من الجدول.

ج- <u>تعابير العدوانية الكامنة</u>:

جدول رقم(25): توزيع نسبة تعابير العدوانية الكامنة التي ظهرت في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
تعابير العدوانية الكامنة	إناث	ذكور	مجموع
عدوانية كامنة	**4** % 100	**3** % 100	**7** % 100
مجموع	**4** % 100	**3** % 100	**7** % 100

بلغت نسبة ظهور تعابير العدوانية الكامنة في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث (100 %) كما تبيّن معطيات الجدول وبشكل متساو بين الإناث والذكور.

2-5-4-2- الاكتئاب:

جدول رقم(26): توزيع نسبة نوع تعابير الاكتئاب التي ظهرت في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث.

نوع تعابير الاكتئاب	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
تعابير اكتئاب مرفق بعاطفة معاشة	4 % 66,66	0 % 0	4 % 57,14
تعابير اكتئاب من خلال تصوّر بسيط	2 % 33,33	1 % 100	3 % 42,85
مجموع	6 % 100	1 % 100	7 % 100

كان التّعبير عن الفقدان أو الحداد مصحوبا بعاطفة معاشة أكثر ظهورا عند أفراد مجموعة البحث، حيث بلغت نسبته (57,14 %) وبشكل خاص عند الإناث (66,66 %)، بينما بلغت نسبة التّعابيرالاكتئابية المقدّمة من خلال تصوّر بسيط (42,85 %) مع ظهور ساحق هذه المرّة عند الذكور، إذ بلغت نسبتها (100 %) مقابل (33,33 %) عند الإناث.

2-5-4-3- القلق:

أ- معادلة القلق (Formule d'angoisse):

في هذا العنصر، سنتناول تحليل نسبة عدد الإجابات ذات المحتوى الإنساني الجزئي والدّموي والجنسي والتّشريحي على مجموع عدد الإجابات. يسمح هذا المؤشّر بتقدير درجة القلق لدى مراهقي مجموعة البحث.

جدول رقم (27): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نسبة معادلة القلق.

	أفراد مجموعة البحث		
النّسبة	إناث	ذكور	مجموع
% 0,00	**6** % 60	**2** % 28,57	**8** % 47,05
أقلّ من 12 %	**2** % 20	**1** % 14,28	**3** % 17,64
% 12	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
أكثر من 12 %	**2** % 20	**4** % 57,14	**6** % 35,29
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100

يتبيّن لنا من معاينة النّسب المتحصّل عليها من معادلة القلق، أنّ (47,05 %) من المراهقين لم تسجّل لديهم هذه المعادلة أيّة قيمة، بينما فاقت نسبة معادلة القلق القيمة العادية المقدّرة بـ (12 %) عند (35,29 %) من أفراد مجموعة البحث، وقد تجلّى القلق في بروتوكولات هؤلاء من خلال عدّة مؤشّرات منها: طول زمن الرّجع، قلّة الأجوبة، كثرة الحركات والإيماءات وكثرة الأجوبة الكليّة البسيطة التي توحي بالكبت ، يضاف إلى ذلك نوعية الإجابات المقدّمة والتي كشفت عن وجود قلق حادّ عندهم، كما سنتعرّف على ذلك في العنصر الموالي.

ب- <u>نوع تعابير(Expressions d'angoisse) القلق عند أفراد مجموعة البحث</u>:

في هذا العنصر، سنستعرض نوع تعابير القلق التي وردت في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث ونسبة ظهورها لديهم.

جدول رقم(28): توزيع نسبة نوع تعابير القلق التي ظهرت في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
نوع تعابير القلق	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
تعابير قلق مرفق بعاطفة معاشة	**10** % 52,63	**5** % 31,25	**15** % 42,85
تعابير قلق من خلال تصوّر بسيط	**9** % 47,36	**11** % 68,75	**20** % 57,14
مجموع	**19** % 100	**16** % 100	**35** % 100

كان التّعبير عن قلق من خلال تصوّر بسيط أكثر ظهورا في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث(57,14 %) من قلق مرفق بعاطفة معاشة والذي بلغت نسبة ظهوره (42,85 %).

أمّا عن توزيع نسبة ظهور هذين النّوعين من تعابيرالقلق بين الجنسين، فهو متباين كما تظهر معطيات الجدول، حيث عاد تفوّق النّوع الأوّل من تعابيرالقلق(مرفق بعاطفة معاشة) لصالح الإناث وبنسبة(52,63 %) مقابل(31,25 %) عند الذكور، وعلى العكس، كان تفوّق ظهور النّوع الثاني من تعابيرالقلق(من خلال تصوّر بسيط) لصالح الذكوروبنسبة(68,75 %) مقابل(47,36 %) عند الإناث.

2-5-5- <u>الآليات الدّفاعية</u>:

في هذا العنصر، سنتعرّف على أهمّ الآليات الدّفاعية من أهمّ السّجلات التي لجأ إليها أفراد مجموعة البحث لمواجهة استثارات الرّورشاخ الشّكلية و واللّونية وإشكاليات اللّوحات، وهي: السّجل الهجاسي، سجل التكيّف الأدنى، التّقليص والكفّ، السّجل الصّلب والسّجل المرن.

أمّا السّجل الذهاني، فلم يدرج لعدم توظيف أفراد مجموعة البحث لأيّ آلية من الآليات الدّفاعية التي يتضمّنها والتي عرضناها سابقا.

2-5-5-1- دفاعات السّجل الهجاسي:

جدول رقم(29): توزيع نسبة الآليات الدّفاعية الهجاسية التي وظّفها أفراد مجموعة البحث.

دفاعات السّجل الهجاسي	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
رفض (Déni)	1 % 33,33	0 % 0	1 % 33,33
انشطار (Clivage)	2 % 66,66	0 % 0	2 % 66,66
تبرير عشوائي (justification arbitraire)	0 % 0	0 % 0	0 % 0
مثلنة (Idéalisation)	0 % 0	0 % 0	0 % 0
مجموع	3 % 100	0 %100	3 % 100

تبيّن معطيات الجدول السّابق انفراد الإناث باستعمال هذا النّوع من الآليات الدّفاعية في بروتوكولاتهنّ وبشكل خاص منها الانشطار الذي بلغت نسبة ظهوره لديهنّ (66,66 %)، تلاه الرّفض بنسبة أقلّ قدّرت بـ (33,33 %).

2-5-5-2- دفاعات سجل التكيّف الأدنى، التّقليص- الكفّ:

جدول رقم(30): توزيع نسبة دفاعات التكيّف الأدنى، التّقليص- الكف عند أفراد مجموعة البحث.

دفاعات سجل التكيّف الأدنى، التّقليص- الكفّ	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
ناجح (C+)	3 % 30	5 % 71,42	8 % 47,05
فاشل (C-)	7 % 70	2 % 28,57	9 % 52,94
مجموع	10 % 100	7 % 100	17 % 100

تبيّن معطيات الجدول أنّ دفاعات التكيّف الفاشل (C-) هي التي ميّزت أكثر بروتوكولات أفراد مجموعة البحث، حيث ظهرت بنسبة (52,94 %) وقد كانت الإناث أكثر توظيفا لمثل هذه الدّفاعات، إذ برزت في بروتوكولاتهنّ بنسبة (70 %) .

بينما بلغت نسبة دفاعات التكيّف النّاجح (C+) (47,05 %)،وقد كان بروزها في بروتوكولات الذكور أكثر من بروتوكولات الإناث مثلما يتبيّن من الجدول.

2-5-5-3- دفاعات السّجل الصّلب:

جدول رقم(31): توزيع نسبة الآليات الدّفاعية الصّلبة التي وظّفها أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
دفاعات السّجل الصّلب	إناث	ذكور	مجموع
إنكار (Déni)	4 % 30,76	0 % 0	4 % 22,22
إلغاء (Annulation)	1 % 7,69	0 % 0	1 % 5,55
عزل (Isolation)	6 % 46,15	3 % 60	9 % 50
تجريد (Abstraction)	2 % 15,38	1 % 20	3 % 16,66
عقلنة (Intellectualisation)	0 % 0	1 % 20	1 % 5,55
مجموع	13 % 100	5 % 0	18 % 100

كان العزل من أكثر آليات الصّلابة توظيفا عند ألمبحوثين، حيث بلغت نسبته(50 %)، تلاه الإنكار بنسبة ظهور بلغت(22,22 %). وبنسبة أقلّ قدّرت بـ (16,66 %)، كان التّجريد، ثمّ الإلغاء والعقلنة بنسبة ظهور متعادلة بلغت(5,55 %).

أمّا عن توزيع نسبة ظهور هذه الآليات الدّفاعية بين الجنسين، فقد كانت الإناث أكثر لجوءا إلى الإنكار والإلغاء من الذكور الذين بالمقابل كانوا أكثر لجوءا إلى العزل، التّجريد والعقلنة.

2-5-5-4- دفاعات السجّل المرن:

جدول رقم(32): توزيع نسبة الآليات الدّفاعية المرنة التي وظّفها أفراد مجموعة البحث.

دفاعات السّجل المرن	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
كبت (Refoulement)	7 % 50	3 % 33,33	10 % 43,47
تجنّب (Evitement)	4 % 28,57	3 % 33,33	7 % 30,43
إزاحة (Déplacement)	1 % 7,14	0 % 0	1 % 4,34
إيحائيّة ، جروحيّة (Suggestibilité,Vulnérabilité)	2 % 14,28	3 % 33,33	5 % 21,73
مجموع	14 % 100	9 % 0	23 % 100

من بين الآليات الدّفاعيّة المرنة الأكثر توظيفا من قبل المبحوثين،كان الكبت الذي ظهر بنسبة

(43,47 %)، تلاه التجنّب بنسبة ظهور بلغت(30,43 %)، ثمّ الإيحائية بنسبة (21,73 %). أمّا الإزاحة، فكانت أقلّ الآليات الدّفاعيّة المرنة توظيفا، حيث ظهرت بنسبة ضعيفة بلغت (4,34 %).

وبخصوص توزيع نسبة توظيف هذه الآليات بين الجنسين، فإنّ الإناث كنّ أكثر لجوءا على الكبت والإزاحة من الذكور لمقاومة استثارات المنبّه ولحماية أنفسهنّ من انبثاق أو اجتياح تصوّرات وعواطف مزعجة ومضايقة؛ وبالمقابل، كان الذكور أكثر تجنّبا للمادّة اللاّشعوريّة التي حرّضها اختبار الرّورشاخ، وفي نفس الوقت، أكثر إيحائيّة وحساسيّة للمحيط الخارجي ولخصائص المثير اللّونية.

2-6- العوامل الإضافية:

في هذه الفقرة ، سنتناول عرض ومناقشة نتائج عناصر إضافية من البسيكوغرام تعطي هي الأخرى دلالات للإجابات المقدّمة، ولها وزنها في سياق السّير النّفسي كذلك،وهي

نسبة الإجابات المبتذلة التي تعدّ مؤشّرا للنّزعةالاجتماعية(Ban%)،الصّدمات واختبار الاختيارات.

2-6-1- نسبة الإجابات المبتذلة (Ban%):

سنهتمّ في هذا العنصر بعرض ومناقشة ظهورالإجابات الأكثر شيوعا حسبما حدّدت في دفتر التّنقيط لـ س.بيزمان (C.BEIZMANN, 1966) ، وذلك من خلال تقدير نسبة عدد هذا النّوع من الإجابات مقارنة بمجموع الإجابات الواردة في البروتوكول.

جدول رقم (33): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نسبة الإجابات المبتذلة(Ban%) .

	أفراد مجموعة البحث		
النّسبة	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
% 0,00	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
أقلّ من 20 %	**4** % 40	**3** % 42,85	**7** % 41,17
ما بين 20 و23 %	**2** % 20	**2** % 28,57	**4** % 23,52
أكثر من 23 %	**4** % 40	**2** % 28,57	**6** % 35,29
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100
معدّل نسبة الإجابات المبتذلة (Ban %)	% 20	% 21	% 20

توضّح معطيات الجدول أنّ (41,17 %) من أفراد مجموعة البحث قلّت نسبة الأجوبة المبتذلة لديهم عن النّسبة العادية التي تتراوح بين 20 و30%، والتي لم يمثّلها سوى (23,52 %) منهم في حين بلغت نسبة أولئك الذين تجاوزوها بكثير(35,29 %).

2-6-2- الصّدمات:

سنتناول في هذا العنصر، عرض عدد الصّدمات التي وردت في بروتوكولات المبحوثين والتي من خلالها، تنكشف لنا كيفيّة تفاعلهم مع مكوّنات المنبّه الشّكليّة واللّونية وردود فعلهم تّجاههم.

جدول رقم (34): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب عدد الصّدمات.

	أفراد مجموعة البحث		
عدد الصّدمات	إناث	ذكور	مجموع
عدم وجود صدمات	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
وجود صدمتين على الأقلّ	**1** % 10	**1** % 14,28	**2** % 11,76
من ثلاث إلى أربع صدمات	**6** % 60	**3** % 42,85	**9** % 52,94
أربع صدمات فما فوق	**3** % 30	**3** % 42,85	**6** % 35,29
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100
معدّل عدد الصّدمات	3,8	2,71	3,35

توضّح معطيات الجدول أنّ أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي(52,94 %) تضمّنت بروتوكولاتهم بين 3 و4 صدمات ، ويبدو أنّ الإناث كنّ أكثر تفاجئا ببعض مكوّنات المنبّه اللّونية والشّكلية من الذكور، حيث سجّلنا نسبة (60 %) مقابل(42,85 %) .
أمّا أولئك الذين احتوت بروتوكولاتهم أكثر من أربع صدمات، فقد بلغت نسبتهم %) (35,29 وهذه المرّة كان الذكور أكثر تفاعلا مع خصائص المنبّه سابقة الذكر من الإناث، حيث بلغت نسبتهم (42,85 %) .

أمّا أضعف نسبة، فمثّلها أولئك الذين احتوت بروتوكولاتهم على صدمتين على الأقلّ، وقد بلغت(11,76 %)، ويبقى الذكور(14,28 %) أكثر انفعالا من الإناث(10 %) حسب ما يتبيّن من الجدول.

أمّا عن معدّل الصّدمات عند أفراد مجموعة البحث، فقد بلغ(4,1) وهو أيضا جدّ متقارب بين الجنسين.

و بخصوص أكثر اللّوحات إثارة للضّيق، للانزعاج وللخوف سواء من حيث اللّون أو الشّكل فكانت حسب ترتيب تواترها: II، IV، IX، VI وX.

2-6-3- <u>اختبار اختيار اللّوحات</u>:

في هذا العنصر، سنتعرّف على اختيار أفراد مجموعة البحث للّوحات المفضّلة لديهم وغير المفضّلة، مع تحديد اللّوحات التي حظيت بأكبر عدد من الاختيارات الإيجابية منها والسّلبية على حدّ سواء.

2-6-3-1- <u>الاختيار الإيجابي</u>:

في هذا العنصر، سنتعرّف على اللّوحات التي فضّلها أفراد مجموعة البحث.

جدول رقم (35): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب اللّوحات المفضّلة.

	أفراد مجموعة البحث		
اللّوحات	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
اللّوحة I	2	0	2
اللّوحة II	1	0	1
اللّوحة III	1	2	3
اللّوحة IV	0	1	1
اللّوحة V	2	3	5
اللّوحة VI	1	2	3
اللّوحة VII	5	0	5
اللّوحة VIII	2	1	3
اللّوحة IX	3	3	6
اللّوحة X	3	2	5
مجموع الاختيارات	20	14	34

توضّح معطيات الجدول تباينا في اختيار أفراد مجموعة البحث للّوحات المفضّلة لديهم، ومع هذا، فإنّ اللّوحة التي لاقت تفضيلا كبيرا وبشكل متساو عند الجنسين هي اللّوحة IX،أي بنسبة (35,29 %) تلتها اللّوحات VII،V وX بنسبة (29,41 %) ، بينما كانت اللّوحتان II وIV أقلّ تفضيلا إذ لم يخترهما إلاّ فردين فقط (2) من مجموع أفراد البحث،أي بنسبة (11,76 %).

والملاحظ أنّ الإناث قد استبعدن اللّوحة IV من اختياراتهنّ الإيجابية، بينما استبعد الذكور اللوحات II،I وVII.

2-6-3-2- <u>الاختيار السّلبي</u>:

في هذا العنصر، سنتعرّف على اللّوحات التي لا يفضّلها مراهقو مجموعة البحث.

جدول رقم (36): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب اللّوحات غير المفضّلة.

	أفراد مجموعة البحث		
اللّوحات	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
اللّوحة I	3	2	5
اللّوحة II	4	3	7
اللّوحة III	2	2	4
اللّوحة IV	6	2	8
اللّوحة V	1	0	1
اللّوحة VI	2	2	4
اللّوحة VII	1	1	2
اللّوحة VIII	0	0	0
اللّوحة IX	1	2	3
اللّوحة X	0	0	0
مجموع الاختيارات	20	14	34

بخصوص التّفضيل السّلبي، يلاحظ أنّ نصف أفراد مجموعة البحث تقريبا، أي (47,05 %) لا يفضّلون اللّوحة IV بالدّرجة الأولى، ثمّ وبدرجة أقلّ اللّوحتانII وI ،حيث بلغت نسبتهما على التّوالي:(41,17 %) و(29,41 %)، فاللّوحتان III وVI وبنسبة متعادلة قدّرت بـ (23,52 %). أمّا أضعف نسبة اختيار سلبي للّوحات(5,88 %) فقد كانت من نصيب اللّوحة V.

ومن الملاحظ أيضا أنّ كلا الجنسين قد استبعدا اختياراللّوحتين VIII وX كلوحتين سلبيتين.

وإذا تأمّلنا تبريرات هؤلاء المراهقين لهذه الاختيارات السّلبية، فنجدها ترتبط إمّا بلون المنبّه و/أو بشكله، كما هو شأن اللّوحة IV ، أو بتصوّرات مزعجة ومضايقة كانت مكبوتة وأعادت بعض من لوحات الاختبار تنشيطها، وقد ارتبطت بإشكالية

الموت،أوالقتل،أوالدّمار أوالاضطهاد أو العنف، وفيما يلي بعض من الأمثلة على ذلك:

- المثال الأوّل،اللّوحةIV:"اللّون نتاعو مخيف يشبّه لحيوان وحشي والجسم نتاعو كذلك"،"هاذي على جال الحال ما نحبش الشتا ، ما نحبش كي يكون الحال مظلام"،" هاذي الدّمار،القتل الموت، الشّر، العنف ، التسلّط".

- المثال الثاني، اللّوحة II:"هاذي اللّون الأحمرإلّي فيها إلّي يشوفو يقول صرى قتال ، خاتش لحمر دايما يدلّ على الدّم"،"هذيا الحملة، شفت فيها ماتو صحابي"،"هذي الدّم"،"هذو موتى".

3- تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعية السّير النّفسي:

في هذا العنصر، سنتعرّف على نوعيّة السّير النّفسي لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث انطلاقا من نتائج التّحليلين الكمّي والكيفي لبروتوكولاتهم.

جدول رقم(37): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نوعيّة السّير النّفسي.

نوعية السّير النّفسي	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
" جيّدة "	**0** % 0	**1** % 14,28	**1** % 5,88
" متوسّطة "	**3** % 30	**3** % 42,85	**6** % 35,29
" سيّئة " (هشّة)	**7** % 70	**3** % 42,85	**10** % 58,82
مجموع الأفراد	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100

يتبيّن من الجدول أعلاه أنّ أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث(58,82 %) يندرجون ضمن فئة السّير النّفسي ذي النّوعيّة السيّئة محتلّين بذلك الصّدارة، مع تفوّق نسبة الإناث(70 %) على نسبة الذكور(42,85 %)، تليها فئة المراهقين ذوي السّير النّفسي"المتوسّط"، حيث بلغت نسبتهم (35,29 %)، لكنّ التفوّق هذه المرّة عاد للذكور

الذين قدّرت نسبتهم بـ (42,85 %)، في حين، بلغت نسبة الإناث المصنّفات ضمن هذه الفئة (30 %).

أمّا المرتبة الأخيرة في هذا التّصنيف، فكانت لفئة المراهقين ذوي سير نفسي "جيّد" والتي لم يمثّلها إلاّ مراهق واحد، أي بنسبة (5,88 %) من مجموع المبحوثين.

خلاصة:

تتمثّل حصيلة النّتائج المتوصّل إليها من خلال التّحليل الكمّي والكيفي لبروتوكولات الرّورشاخ لأفراد مجموعة البحث كما يلي:

- أغلب أفراد مجموعة البحث والذين بلغت نسبتهم(76,47 %) قلّ عدد الإجابات لديهم عن المعدّل "العادي" المحدّد بين 20 و30 إجابة، مع الإشارة إلى وجود تباين بين إجابات كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث.
- أكثر من(88 %) من المبحوثين فاقت نسبة إجاباتهم الكليّة البسيطة (G)المعدّل "العادي" الذي يتراوح بين 20 و23 %، بينما كان أكثر من نصفهم،أي (52,94 %) ممن قلّت نسبة ظهور الإجابات الجزئية الكبيرة لديهم(D) عن النّسبة"العادية" المقدّرة بين60 و70 % والتي لم تسجّل إلاّ عند(41,17 %) منهم.
- أقلّ من نصف أفراد مجموعة البحث، أي(47,05 %) اعتمدوا على المحدّد الشّكلي (F) بنسب قلّت عن المتوسّط النّموذجي المحدّد بين 50 و70 %، وأغلبهم، أي (58,82 %) قدّم إجابات شكلية جيّدة بنسب قلّت بكثير عن النّسبة "العادية" التي تتراوح بين 70 و80 %.

أمّا عن المحدّدات الحركيّة (K)، فقد ظهرت مرّة واحدة على الأقلّ عند (41,17 %) من أفراد مجموعة البحث ، بينما اعتمد أكثر من نصفهم ، أي بنسبة (52,94 %) على المحدّدات اللّونية الخالصة حيث وردت استجابة لونية واحدة على الأقلّ في بروتوكولاتهم، في حين، ظهرت محدّدات لونية مراقبة بالشّكل (FC) عند أكثر من ربع المراهقين،أي (29,41 %).

- أنّ نسبة(52,94 %) من أفراد مجموعة البحث تجاوزت نسبة الإجابات الإنسانية لديهم (H%) حدود المعدّل"العادي" الذي يتراوح بين 12 و18 %، وأكثرمن (58%) منهم تجاوزت نسبة إجاباتهم الحيوانية (A%) النّسبة النّموذجية المقدّرة بـ 45 % أيضا.
- تمتّع معظم المراهقين والذين بلغت نسبتهم (76,46 %) بنمط صدى داخلي من النّوع المنبسط بنوعيه الصّافي والمختلط.
- كما أنّ معظم أفراد مجموعة البحث(70,58 %) كانوا أكثر إنتاجية في اللّوحات الملوّنة متجاوزين بذلك حدود المعدّل المقدّر بين 30 و35 %.
- أمّا نتائج المعادلة المكمّلة، فجاءت معاكسة تماما لنتائج المعادلتين السّابقتين، حيث مال أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث،أي بنسبة (58,82 %) إلى توظيف كبير لأجوبة حركيّة صغيرة معظمها حيوانيّة على حساب أجوبة التّضليل.

وبخصوص النّتائج المتحصّل عليها من تحليل ظهورتعابير الأبعاد النّفسيّة الثّلاثة التي اعتمدنا عليها في هذا البحث من أجل تقدير السّير النّفسي للمبحوثين، فكانت كالتّالي:

- أمّا بشأن **العدوانية**، فقد بلغت نسبة ظهور تعابير تلك المرتبطة بموضوع النّشطة منها والسّلبية(50 %)، وهي أكثر أنواع الأجوبة العدوانية تواجدا في بروتوكولات المبحوثين وعند الذكور بشكل خاص، بينما ظهرت تعابير النّوعين الآخرين، أي عدوانية كامنة وتلك غير المرتبطة بموضوع النّشطة منها فقط بنسبة متساوية قدّرت بـ (25 %).
- وأمّا بشأن **الاكتئاب**، فقد ظهرت تعابير الفقدان المصحوبة بعاطفة معاشة في بروتوكولات الإناث فقط وبنسبة قدّرت بـ (57,14 %)، في حين تواجدت تلك التي قدّمت من خلال تصوّر بسيط بنسبة (42,85 %)، وبشكل مطلق عند الذكور، أي (100 %).
- **القلق:**

- من حيث نتائج معادلة القلق (Formule d’angoisse):

فاقت نسبة القلق القيمة العادية المحدّدة بين 10 و12 % في بروتوكول الشّخص"العادي" عند أكثر من ثلث أفراد مجموعة البحث،أي (35,29 %)، بينما لم تسجّل هذه المعادلة أيّة قيمة عند ما يقارب نصف المبحوثين،أي (47,05 %).

- أمّا من حيث نوع تعابير القلق التي ظهرت في بروتوكولات المبحوثين، فقد كانت تلك التي قدّمت من خلال تصوّر بسيط أكثر بروزا من التي أرفقت بعاطفة معاشة، حيث بلغت نسبتها (57,14 %) ، وعند الذكور أكثر من عند الإناث.

● أفرز تحليل الدّيناميكيّة الدّفاعية لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث عن النّتائج التّالية:

- بخصوص آليات سجلّ التكيّف الأدنى، التّقليص والكفّ، فقد كانت دفاعات التكيّف الفاشل (C-) مع منبّهات الرّورشاخ أكثر تواجدا في بروتوكولات المبحوثين، حيث بلغت نسبتها (52,94 %)، مقابل نسبة (47,05 %) مثّلتها دفاعات التكيّف الناجح (C+).

- ومن آليات السّجل الهجاسي، وظّفت آليتان دفاعيتان هما الرّفض والانشطار ومن قبل الإناث فقط ،وقد كان الانشطار أكثر ظهورا في بروتوكولاتهنّ حيث بلغت نسبته (66,66 %).

- أمّا عن آليات السّجل الصّلب، فقد كان العزل أكثرها تواجدا عند المبحوثين، إذ بلغت نسبته (50 %)، تلاه الإنكار بنسبة قدّرت بـ (30,76 %). أمّا الإلغاء والعقلنة فقد ظهرا بنسبة ضعيفة بلغت عند كلّ منهما (5,55 %).

وقد أوضحت النّتائج أنّ الإنكاروالعزل كانا أكثر ظهورا عند الإناث، في حين عرفت بروتوكولات الذكور تواجدا أكبر لآليات العزل، التّجريد والعقلنة.

- وعن آليات السّجل المرن، فكان الكبت أكثرها ظهورا في بروتوكولات هؤلاء المبحوثين حيث بلغت نسبته (43,47 %)، أمّا أضعف نسبة وقد قدّرت بـ (4,34 %)، فقد مثّلتها الإزاحة لكنّ هذه الأخيرة، مع آلية الكبت كانتا أكثر ظهورا عند الإناث، بينما كان الذكور أكثر توظيفا لآليتي التجنّب والإيحائيّة.

أمّا بخصوص نتائج العوامل الإضافية فقد كانت كما يلي:

● بلغت نسبة أولئك الذين قلّت نسبة الإجابات المبتذلة لديهم عن المتوسّط "العادي" الذي يتراوح ما بين20 و23 % ، (41,17 %) .

وقد عبّر بعض المراهقين عن تضايقهم وخوفهم من ألوان المثير أو من شكله بشكل صريح وبطرق عدّة منها الانتقادات الموضوعية، كثرة الحركة، رفض اللّوحات والقلب

المتكرّر لها أمّا بعضهم الآخر، فلجأ إلى الإنكار أو نقد الذات للتّخفيف من ارتباكه وتأثّره بتلك المثيرات أو لتجنّبها بصفة باتّة.

- وبخصوص الصّدمات، فقد تضمّنت بروتوكولات أكثر من نصف المبحوثين بين 3 و4 صدمات سواء ارتبطت بالشّكل أو باللّون، وقد بدت الإناث أكثر انزعاجا من خصائص المنبّه من الذكور، بينما بلغت نسبة المراهقين الذين كثرت الصّدمات في بروتوكولاتهم (35,29 %)، وكان الذكور أكثر تضايقا وانزعاجا من مثيرات اختبار الرّورشاخ من الإناث.
- أمّا عن الاختيار الإيجابي للّوحات، فقد كانت اللّوحة IX أكثرها تفضيلا من قبل أفراد مجموعة البحث، تلتها اللّوحات VII،V وX، وأمّا عن الاختيار السّلبي، فإنّ نصف المبحوثين لم يفضّلوا اللّوحة IV بالدّرجة الأولى ثمّ I ف II.

- اتّسم السّير النّفسي عند أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث بنوعية سيّئة وبخاصّة منهم الإناث، حيث قدّرت نسبتهنّ (60 %).

كانت هذه أهمّ النّتائج التي توصّلنا إليها من التّحليلين الكمّي والكيفي لبروتوكولات أفراد مجموعة البحث والتي كشفت لنا عن كيفيّة تعاملهم ومواجهتهم لاستثارات اختبار الرّورشاخ.

في الفصل الموالي، سنستعرض ونناقش نتائج تحليل بروتوكولات اختبار تفهّم الموضوع التي ستكشف لنا بدورها عن طريقة تعامل هؤلاء المراهقين مع منبّهات أكثر بناء من الرّورشاخ، حيث تتعامل مع المواضيع وتقيّم قدرات إرصان علاقات صراعيّة وكذا أنماط التّنظيم الدّفاعي.

الفصل السّادس:

عرض نتائج اختبار تفهّم الموضوع

الفصل السادس: عرض نتائج اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T)

في هذا الفصل، سنستعرض خطوات معالجة وتحليل بروتوكولات اختبار تفهّم الموضوع لأفراد مجموعة البحث، يليها عرض مفصّل لنتائج التّحليلين الكمّي والكيفي، ثمّ تصنيف المبحوثين حسب نوعيّة سيرهم النّفسي.

1- خطوات معالجة وتحليل معطيات بروتوكولات اختبار تفهّم الموضوع:

1-1- قراءة أوّلية شاملة للبروتوكول:

قبل الشّروع في تحليل مفصّل ودقيق لكلّ لوحة من لوحات الاختبار، قمنا بقراءة أوّلية شاملة للبروتوكول قصد التعرّف على كيفية تعامل كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث مع هذا المنبّه من حيث بناء القصص ووضوحها، توظيف الخيال أو التمسّك بالمحتوى الظاهر للوحة،الأنماط الدّفاعية الموظّفة لمواجهة الصّراعات التي تنشّطها كلّ لوحة.

1-2- تحليل لوحة بلوحة:

اعتمادا على شبكة التّحليل التي أعدّتها فرقة البحث في علم النّفس الإسقاطي التّابعة لمعهد باريسVعام 1990 ، قمنا بتحليل قصّة كلّ لوحة من لوحات الاختبار وذلك وفق الخطوات التّالية:

1-2-1- استخراج الأساليب الدّفاعية لكلّ لوحة:

ونعني بها الأساليب الدّفاعية التي وظّفها كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث أثناء تخيّل قصّة كلّ لوحة من لوحات اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T) ، وهناك أربعة أنواع من هذه الأساليب الدّفاعية نستعرضها بإيجازكما يلي:

1-2-1-1- أساليب الصّلابة(A):

تعتمد هذه الأساليب على الإدراك"الموضوعي" لمادة الاختبار كدفاع ضدّ توغّل العناصر الذاتية، وهي تميل إلى التصلّب والتّحديد، في حين أنّ العمل العقلي في هذا السّجل يسمح بإرصان الصّراع، كما أنّ الخطاب النّاتج غير خالي من الصّدى الهوامي رغم الرّقابة التي تميّزه.

تنقسم أساليب الصّلابة إلى فئتين:(A1) و(A2) ، حيث تضمّ الفئة الأولى أساليب دفاعية تسمح بالخروج من الوضعية الصّراعية، أمّا الفئة الثانية ، فتضمّ أساليب لا تساعد كثيرا على الخروج من الصّراع المثار.

1-2-1-2- أساليب المرونة(B):

تستعمل هذه الأساليب الوجدانات والخيال لأهداف دفاعية وتدلّ على وجود صراع نفسي داخلي يصوّر، من خلال علاقات بيشخصية،المواجهة بين الأنظمة أوالأركان،وتنقسم هي الأخرى إلى فئتين:(B1) و(B2)، حيث تضمّ الفئة الأولى أساليب التخرّج والتخلّص من الصّراع، أمّا الفئة الثانية، فتضمّ أساليب دفاعية لا تسمح بالتخلّص من الصّراع.

يدلّ وجود أساليب(A1) و(B1) في بروتوكول أيّ فرد كان عن إمكانية تخرّجه من الوضعية الصّراعية التي وجد فيها وعن قدرته على التكيّف في الحياة.

1-2-1-3- أساليب تجنّب الصّراع (C):

تنقسم هذه الأساليب الدّفاعية التي يحاول المبحوث من خلالها تجنّب الصّراع إلى خمس مجموعات هي:

أ- أساليب الكف الخوافية (C/P) التي يتجنّب بها المبحوث الصّراع ويتهرّب منه،

ب- أساليب الكف النّرجسية(C/N)،حيث يرتبط الهروب من وضعية صراعية بمعاش ذاتي،

ج- أساليب الكف الهوسية (C/M)،

د- أساليب الكف السلوكية (C/C) التي تشمل السّلوك والحركات الجسدية التي تضع حدّا للقصّة لتجنّب الاستمرار فيها، كما أنّها تهدف إلى التّخفيف من شدّة الإثارة والضّغط المثار،

ه- أساليب الواقع الخارجي (C/F) وهي أساليب الفكرالعملي بحيث يوظّف العالم الخارجي بإفراط إلى درجة احتلال السّاحة النّفسية الدّاخلية،كما يأخذ الظاهري واليومي مكان الصّدى الهوامي للقصص المتخيّلة.

1-2-1-4- <u>أساليب العمليّات الأوّليّة (E)</u>:

تدلّ هذه الأساليب على تغلّب اللاّشعورعلى الشّعور،أي تغلّب الهوامات ممّا ينقص من القدرة الدّفاعية الجيّدة.

إذا تواجدت هذه الأساليب الدّفاعية في البروتوكول بشكل معتدل أو" معقول"، فذلك دليل على النّفاذية والتّحرّك بين أقسام الجهاز النّفسي، وعلى اللّيونة في إظهار الهوامات و/أوالعواطف القويّة دونما الإخلال بالتّنظيم النّفسي للمبحوث،أمّا إذا تواجدت بشكل مفرط فذلك دليل على وجود خلل في التّنظيم العقلي وعلى طابع مرضي وبخاصّة إذا كان تواجدها بشكل متكرّر.

1-2-2- <u>تحديد مقروئية كلّ لوحة</u>:

قمنا بتقييم مقروئية كلّ لوحة من لوحات اختبار تفهّم الموضوع وتحديد نوعيتها إن كانت جيّدة أومتوسّطة أو سيّئة، بالتّركيز على نوع الأساليب الدّفاعية المستعملة وكيفية ظهورها وتفاعلها مع أساليب نفس النّسق أومع نسق آخر، وعلى نوع العملية النّفسية التي استند عليها كلّ مبحوث ومبحوثة، وكذا نوعية الصّدى الهوامي للخطاب المقدّم.

إذا حدّدنا مقروئية أيّ لوحة بالجيّدة، فهذا يعني أنّ المبحوث(أوالمبحوثة) قد بنى قصّته بناءا سليما ضمّ أساليب دفاعية متنوّعة مرنة ومتينة بقدركاف كأساليب الرّقابة(A1) والمرونة(B1) ، وعواطف ووجدانات متنوّعة أيضا وصدى هوامي مرتبط بالمحتوى الكامن للّوحة مع إمكانية إرصان الصّراعات المستحضرة والخروج منها.أمّا إذا كانت

القصّة المقدّمة مشوّهة أومضطربة أومنحلّة جزئيّا بسبب لجوء المبحوث إلى أساليب(A2) و/أو(B2) و/أو(C) بشكل مكثّف(وهذا ما يصعّب من تحريك النّزوات العدوانية واللّيبيدية) حكمنا على مقروئية تلك اللّوحة أنّها متوسّطة.

أمّا إذا حدّدناها بالسّلبية، فلتصاعد الأساليب الأوّليّة(E) وأساليب الكف(C) ولخلوّ القصّة من أيّ صدى هوامي ممّا قد يدلّ على ثغرة في توظيف ما قبل الشّعور.

بعد تحديد مقروئية كلّ لوحة من لوحات الاختبار، انتقلنا إلى استخراج الإشكالية الخاصّة بكلّ واحدة منها بالطّريقة التي سنشرحها في العنصر الموالي:

1-2-3- استخراج إشكالية كلّ لوحة:

قمنا بتحليل واستخراج إشكالية كلّ لوحة من لوحات اختبار تفهّم الموضوع لكلّ المبحوثين بالتعرّف على كيفية تعامل كلّ واحد منهم مع المتطلّبات الكامنة للمادّة المقدّمة له، أي على كيفية مواجهته للمنبّهات المختلفة التي عُرضت عليه وأنماط إرصان الصّراعات المثارة فهل اختلّ نظامه الدّاخلي أمامها لما أثارت فيه من استدعاءات ربّما شكّل بعضها خطرا على الأنا،أم أنّه تمكّن من مجابهتها وإرصان الصّراع المنشّط من جديد من خلال آليات دفاعية فعّالة؟.

1- 3- تحليل البروتوكول في شكله العام:

بعد الانتهاء من تحليل كلّ اللّوحات وفق الخطوات الثلاث المذكورة، قمنا بتحليل البروتوكول في شكله العام للوصول إلى فرضية السّير النّفسي لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث، وقد تمّ ذلك كما يلي:

1- 3-1- تجميع السّياقات الدّفاعية على شبكة الفرز:

قمنا بتجميع كلّ السّياقات الدّفاعية الخاصّة ببروتوكول كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث على ورقة الفرز، ثمّ عمدنا إلى حساب مجموع سياقات كلّ سلسلة من السّلاسل الأربع المذكورة سابقا، وقد سمحت لنا هذه العملية بالتعرّف على مدى تكرار كلّ نوع منها وسيطرته في البروتوكول، وكذا مدى تفاعله مع سياقات من نفس النّسق أومن نسق آخر وبالتّالي،على النّظام الدّفاعي الذي ميّز السّير النّفسي لكلّ مبحوث ومبحوثة.

1-3-2- استخراج المقروئية العامّة للبروتوكول:

ساعد تقييمنا لمقروئية كلّ لوحة من لوحات اختبار تفهّم الموضوع وعند كلّ مراهق ومراهقة باستخراج المقروئية العامّة للبروتوكول وذلك من خلال تحديد نوعيتها أي: جيّدة متوسّطة أو سيّئة ، وبالتّالي،التعرّف على ديناميكية السّير النّفسي لكلّ مبحوث ومبحوثة.

1-3-3- استخراج الإشكالية العامّة للبروتوكول:

انصبّ اهتمامنا عند استخراجنا للإشكالية العامّة لبروتوكول كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث،على دراسة كيفيّة تعاملهم مع لوحات الاختباروإرصانهم للصّراعات التي نشّطت من جديد، ومن ثمّ التعرّف على ماهية الإشكالية السّائدة ومكانتها في الحياة النّفسية لهؤلاء المبحوثين، وعلى مدى تفاعل التّنظيم الدّفاعي للتصّدي لما يمكن أن يشوّش استقرارالأنا أو يهدّده، أو على العكس، عجزه عن ذلك.

1-4- التّحليل الكيفي للمعاش العاطفي والانفعالي:

لمّا كان اختبار تفهّم الموضوع يساهم في البحث والتّقصّي بصفة معمّقة عن مختلف جوانب شخصية الفرد بصفة عامّة والمراهق بصفة خاصّة من حيث رغباته مخاوفه،انفعالاته،عواطفه وصراعاته النّفسيّة الدّاخليّة والعلائقية الخارجيّة،وآلياته الدّفاعيّة المجنّدة لمواجهتها، ولمّا كان يسمح كذلك بتشخيص وفهم سيره النّفسي وتحديد بنيته النّفسيّة ومعاناته الدّاخليّة، وكذا بتحديد موقعه بالنّسبة لمحيطه الخارجي وللوضعيات الصّراعيّة أو لتجارب الحياة المختلفة وبخاصّة منها الصّعبة والضّاغطة التي يواجه فيها صراعات وصدمات متفاوتة الشّدة والخطورة، فقد يعكس أفراد مجموعة البحث الذين تعرّضوا وعايشوا الفيضانات القويّة التي ضربت منطقة سكناهم،أو بعضهم وبصورة تلقائيّة مخاوفهم قلقهم،عواطفهم الاكتئابيّة ومعاناتهم على لوحات الاختبار التي قد يجدون فيها سندا ملائما للتّفريغ وللتّخفيف من ضغط تلك التّجربة الصّدمية أو من تجارب قديمة مزعجة وغير مُرضية.

وهكذا تمّت دراسة وتحليل المعاش العاطفي والانفعالي لكلّ مبحوث من المبحوثين من ثلاثة أبعاد نفسيّة هي ذاتها التي تناولناها في الفصل السّابق،أي:العدوانيّة،الاكتئاب والقلق، وقد كان الاهتمام أمام هذا الاختبارالأكثرإرصانا من الرّورشاخ بكيفيّة تناول إشكاليّة كلّ لوحة من اللّوحات التي تثير كلّ بعد من الأبعاد النّفسيّة سابقة الذكر، وبنوعيّة المواضيع المتناولة عبر القصص وبشكل خاص أمام اللّوحات المثيرة لها ، وباختبار مدى قدرة كلّ مراهق على القيام بعمل ربط بين التصوّرات المستحضرة والعواطف المصاحبة لها وأخيرا، بنوعية الآليات الدّفاعية التي وظّفها أمام كلّ لوحة من تلك اللّوحات، وقد تمّ كلّ ذلك على النّحو التّالي:

1-4-1- العدوانيّة:

انصبّ اهتمامنا على دراسة نوع التّعابير أو التصوّرات المستحضرة أمام اللّوحات المثيرة لها وهي: 4، 8BM وMF13 ، وتلك المرتبطة بمواضيع عدوانيّة أواضطهاديّة أو مرتبطة بالعنف في العلاقات البيشخصيّة والعواطف المصاحبة لها، والتي تظهر أساسا من خلال بعض سياقات العمليّات الأوّليّة مثل: E8، E9 وE14، بالإضافة إلى كيفيّة تعامل كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث مع المحتوى الكامن للّوحات وإشكالياتها ونوع الأساليب الدّفاعيّة الموظّفة للتّعامل معها.

وقد تمّت دراسة كيفيّة ظهور هذا البعد النّفسي في بروتوكولات هؤلاء المراهقين والتّعبير عنه لوحة بلوحة.

1-4-2- الاكتئاب:

أمّا بالنّسبة لهذا البعد النّفسي الثّاني، فقد تقصّينا الاهتمام بمواضيع القصص المقدّمة أمام اللّوحات المنشّطة للإشكاليات الاكتئابية، وهي: 3BM، 12BG، 13B و16، وبمدى قدرة كلّ مبحوث ومبحوثة على استحضار تصوّرات مرتبطة بفقدان الموضوع ترافقها عواطف اكتئابية، إذ يشير وجود سياقات تبعث إلى عواطف غير معبّر عنها إلى فشل

الرّبط بين التّصوّرات والعواطف المصاحبة لها، وأخيرا، بكيفيّة مواجهة إشكاليات هذه اللّوحات، أي نوع الأساليب الدّفاعيّة الموظّفة ضدّها.
تمّ استخراج مختلف التّصوّرات والعواطف المرتبطة بالاكتئاب والتي تنشّطها اللّوحات المذكورة سابقا على اختلاف محتوياتها الكامنة، لوحة بلوحة كذلك.

1-4-3- القلق:

أمّا عن دراسة كيفيّة ظهور التصورات أو التّعابير المرتبطة بالقلق والعواطف المصاحبة لها في بروتوكولات المبحوثين، فقد تمّت من خلال تقصّي قدرة كلّ مبحوث على النّكوص أمام اللّوحتين11و19 واستحضار تصوّرات مقلقة مرتبطة إمّا بالخوف،أو بالكارثة أو بالدّمار ومرفقة بعواطف ملائمة، ومن خلال الاهتمام بنوع الأساليب الدّفاعيّة الموظّفة أمامهما لمواجهة إشكاليتيهما والتّعامل معهما.

1-5- تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعية السّير النّفسي:

1-5-1- كيفية تحديد نوعية السّير النّفسي عبر اختبار تفهّم الموضوع:

لمقروئية البروتوكول أهمّية كبيرة في إجلاء الواقع النّفسي الدّاخلي للمبحوث،بحيث تسمح بتقديرنوعية وآثارالسياقات الدّفاعية الموظّفة في بناء القصص، وبالتّالي، بإعطاء صورة عن ديناميكية ونوعية سيره النّفسي، وهي تكمّل تحليل ورقة الفرز.
لذلك، تمّ تحديد نوعية السّير النّفسي لكلّ فرد من أفراد مجوعة البحث اعتمادا على نوعية مقروئية بروتوكول كلّ واحد منهم ،أي إن كانت جيّدة أو متوسّطة أو سيّئة من جهة وعلى ورقة الفرز من جهة أخرى، وعليه، توصّلنا إلى ثلاث فئات تصنيفيّة بحيث ضمّت الأولى الأفراد ذوي سير نفسي ذي نوعيّة "جيّدة" يستجيب لشروط المقروئيّة الجيّدة، والثانية أولئك الذين يتميّزون بسير نفسي ذي نوعيّة "سيّئة" يوافق شروط المقروئيّة السّيئة، وأمّا الثالثة فقد ضمّت الأفراد ذوي سير نفسي ذي نوعيّة "متوسّطة" يستجيب هو الآخر لشروط المقروئية المتوسّطة.

وفيما يلي، عرض مفصّل لكيفيّة تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعية السّير النّفسي:

- **<u>سير نفسي ذو نوعية "جيّدة":</u>**

يكون السّير النّفسي لأيّ مبحوث من مبحوثينا ذي نوعية "جيّدة" إذا توفر بروتوكوله على شروط المقروئية الجيّدة ، وهي كالتّالي:

- ألاّ يتميّز بروتوكول المبحوث بالكفّ الذي يظهرعلى شكل أزمنة كمون كثيرة وطويلة في القصص سواء كان ذلك في بدايتها أو أثناءها، ممّا يدلّ على رقابة شديدة تحدّ من الخيال والاسترسال في التصوّرات.
- أن يبني قصصه بناء محكما وسليما وألاّ تكون قصيرة، فقد يدلّ ذلك على هروبه من مواجهة المنبّه الذي ربّما أثار استدعاءات خطيرة.
- أن تشمل تلك القصص أشخاصا معرّفين تربطهم علاقات واضحة .
- ألاّ تكون قصصه مبتذلة أو تشمل صراعات غير معبّرعنها أوتكون أسبابها غامضة بل لابدّ أن تكون قصصه ذات ديناميكية تكشف عن نشاط فكري وعن واقع نفسي داخلي، وتضمّ صراعات مبلورة ومرصنة مع سهولة التخرّج منها.
- أن يكون هناك ربط بين التصوّرات والعواطف المصاحبة لها وبخاصّة أمام اللّوحات التي تثيرالإشكالية الإكتئابية وعمل الحداد ، والعدوانية والقلق، وأن تتنوّع تلك التصوّرات والعواطف تبعا لتنوّع المثير(اللّوحة).
- أن تكون سياقاته الدّفاعية متنوّعة ومرنة تساهم في بناء القصّة والتخرّج من الوضعيات الصّراعية وتعبّرعن قدرته على التكيّف في الحياة،كسياقات(A1) و(B1) وألاّ يفرط في استعمال سياقات الكفّ ومنها:تقليص القصص (CP2) الابتذال والسّطحية (CP4)،الرّفض (CP5)، تناول القصّة في قالب لوحة فنيّة (CN8)،النّقد الذاتي(CN9)، الحاجة إلى السّند (CM1)، التمسّك بالمحتوى الظاهري للّوحة (CF1) واللّجوء إلى اليومي(CF2) والفعلي(CF3)، وكذا سياقات

الرّقابة وبخاصّة منها: التحفّظات الكلامية(A2-3)،الاجترار(A2-8)،الإلغاء-A2) (9،الإنكار(A2-11) والعزل (A2-15). كما يجب ألاّ يفرط المبحوث في استعمال الأساليب الأوّليّة، فظهورها بكثرة يدلّ على عدم التحكّم في التّفكير وتغلّب اللاّشعور على الشّعور، ممّا ينقص من القدرة الدّفاعية الجيّدة.

- أن يرتبط الصّدى الهوامي للقصص بالمحتوى الكامن للصّورممّا يدلّ على قوّة الرّبط بين العالمين الدّاخلي والخارجي ، فإدراك الإشكاليات يسمح بتسيير وظائف الأنا في مواجهة الواقع الخارجي بما فيه من وضعيات صعبة أو ضاغطة أو صدمية.

- **<u>سير نفسي ذو نوعية "سيّئة"</u>:**

يكون السّير النّفسي لأيّ مبحوث من مبحوثينا ذي نوعية سيّئة بتوفر شروط المقروئية السّلبية في بروتوكوله كما يلي:

- كثرة الكفّ من خلال ظهور أزمنة كمون معتبرة وطويلة في قصصه.
- ميل المبحوث إلى اختصار وتقليص القصص ممّا يدلّ على عجزه عن مواجهة الصّراعات أو التهرّب منها وعلى شدّة الرّقابة.
- عدم تعريفه للمواضيع وعجزه عن نسج علاقات واضحة فيما بينها.
- لجوءه إلى ابتذال القصص وإعطاء بعضها في طابع سطحي وغير شخصي.
- رفضه لبعض لوحات الاختبار ممّا يدلّ على عجزه عن التّعامل مع الصّراع الذي أثارته إشكالية اللّوحة أو اللّوحات المرفوضة و إرصانه.
- كف العواطف والتصوّرات وانعدام التّوازن في استعمال السّياقات الدّفاعية، فنجد طغيان تلك الخاصّة بتجنّب الصّراع سواء الخوافية منها أوالسّلوكية أو تلك المرتبطة بالواقع الخارجي وبخاصّة منها،التّمسّك بالمحتوى الظّاهر للوحات إلى جانب السّياقات الأوّليّة، كإلغاء المواضيع الظاهرة(E1) وإبعاد كلّ العلاقات التي تثيرالفقدان وذلك أمام اللّوحات المثيرة للإشكاليات الاكتئابية،أوظهورفجّ لتصوّرات مرتبطة بالعدوان أو بالقتل أو بالموت أوبالدّمار والكارثة(E8) و(E9) مع غياب

عواطف اكتئابية،إضافة إلى تكرارآلي لمواضيع ضاغطة أومخيفة أومرعبة تكشف عن قلق عارم (E10)، وإظهار ضعف بل وحتّى عجزعن التخرّج من تلك الأنواع من الصّراعات.

- خلوّ بروتوكول المبحوث من صدى هوامي مرتبط بالمحتوى الكامن للّوحات أو وجوده بشكل مفرط يدلّ على وجود اضطراب في مجرى تفكيره، و يعكس ذلك كلّه عمل ربط غير منسجم بين البنيات النّفسية الشّعورية واللاّشعورية ، أو فقر ما قبل الشّعور الذي يتكلّف عادة بالرّبط.

- **<u>سير نفسي ذو نوعية "متوسّطة":</u>**

يكون السّير النّفسي لأيّ مبحوث من مبحوثينا ذي نوعية "متوسّطة" إذا توفر بروتوكوله على شروط المقروئية المتوسّطة التي نلمسها من خلال ما يلي:

- ألاّ يطغى الكف على كلّ قصصه، كأن نجد أزمنة كمون طويلة أو كثيرة في بعض منها دون البعض الآخر.
- أن نشهد لفقر تصوّري أحيانا فتكون قصصه قصيرة، ولغنى تصوّري أحيانا أخرى فتكون قصصه طويلة.
- ألاّ يبني كلّ قصصه للمجهول، بل لابدّ أن يشمل بعضها على أشخاص معرّفين تربطهم علاقات.
- أن نجد أحيانا قصصا مبتذلة وسطحية، وأحيانا أخرى قصصا مليئة بالتصوّرات وتضمّ صراعات مرصنة.
- ألاّ يرفض أيّ لوحة من لوحات الاختبار.
- أن نشهد أحيانا لاضطراب وانحلال جزئيين للقصص بسبب دفاعه المكثّف بين النّزوات والآليات الدّفاعية التي تظهربشكل طاغ وهي (A2) و/أو(B2) و/أو(C) وأحيانا أخرى، لظهور أساليب (A1) و(B1) ولو بنسبة قليلة.

- أن يكون هناك تنوّع في تعامل المبحوث مع إشكاليات اللّوحات فيلجأ تارة إلى إرصان بعض الصّراعات المحتمل ظهورها واستحضار تصوّرات تصاحبها عواطف ملائمة وهوامات، وتارة أخرى، يتجنّب بعضها الآخر بلجوئه إلى بعض سياقات الكف أو الرّقابة أو العمليّات الأوّليّة.

2- <u>عرض نتائج اختبار تفهّم الموضوع</u>:

بالاعتماد على شبكة الفرز التي أعدّتها فرقة البحث في علم النّفس الإسقاطي التّابعة لجامعة باريسVعام 1990، تمكّنّا في المرحلة الأولى من التّحليل الكمّي من استخراج الأساليب الدّفاعية التي وظّفها كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث، ثمّ عمدنا في المرحلة الثانية منه ومن خلال قيامنا بجملة من العمليات الحسابية إلى حساب ما يلي:

1- النّسبة المئوية لظهور مجموع أساليب كلّ سلسلة دفاعية عند كلّ مبحوث، فلحساب النّسبة المئوية لظهور أساليب سلسلة الصّلابة(A) مثلا، نقوم بضرب مجموع أساليب(A) في مائة (100) ثمّ نقسم الحاصل على مجموع الأساليب الدّفاعية الموظّفة من قبل نفس المبحوث، أي مجموع (A) و(B) و(C) و(E).

2- معدّل نسبة ظهور كلّ سلسلة من السّلاسل الدّفاعية لدى أفراد مجموعة البحث وذلك بجمع نسب ظهورها عند كلّ المراهقين، ثمّ بقسمة الحاصل على مجموع الأفراد.

3- نسبة ظهور كلّ أسلوب دفاعي وظّفه المبحوث ومن كلّ سلسلة من السّلاسل الدّفاعية الأربع المعروفة وهي: (A)،(B) ،(C) و(E)، حسب المثال التّالي:

لحساب نسبة ظهور(A2-17) مثلا، نقوم بقسمة حاصل ضرب مجموع ذلك الأسلوب في مائة (100) على مجموع (A) عند نفس المبحوث طبعا، وتطبّق العملية ذاتها مع سياقات السّلاسل الثلاث المتبقيّة، أي مع (B) و(C) و(E).

4- معدّل نسبة ظهور كلّ أسلوب دفاعي عند كلّ أفراد مجموعة البحث هذه المرّة، وذلك بجمع نسبة ظهوره عند كلّ فرد ثمّ بقسمة الحاصل على مجموع الأفراد.

5- معدّلات نسب ظهور كلّ سلسلة من السّلاسل الدّفاعية الأربع وكلّ أسلوب دفاعي عند الجنسين، وذلك بقسمة الحاصل على عدد كلّ منهما، أي على 10 إناث وعلى 7 ذكور.

2-1- الأساليب الدّفاعية المميّزة لكلّ البروتوكولات:

في هذا العنصر، سنعرض معدّل نسب ظهور الأساليب الدّفاعية عند كلّ أفراد مجموعة البحث، ومن ثمّ ، وزن كلّ سلسلة من السّلاسل الدّفاعية عند هؤلاء مبرزين نوعية النّظام الدّفاعي المتبنّى من قبلهم لمواجهة مختلف الإشكاليات والصّراعات الكامنة التي ربّما حرّضها منبّه اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T)، أو تجارب ماضية مكبوتة أعاد تنشيطها.

جدول رقم (38): توزيع معدّل النّسب المئوية لظهورالأساليب الدّفاعية لدى أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
سلاسل الأساليب الدّفاعيّة	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
سلسلة أساليب الصّلابة (A)	% 19,78	% 20,43	% 20,08
سلسلة أساليب المرونة (B)	% 4,1	% 6,00	% 4,88
سلسلة أساليب تجنّب الصّراع (C)	% 70,67	% 68,96	% 70,00
سلسلة سياقات العمليّات الأوّليّة (E)	% 5,42	% 4,50	% 5,04
مجموع	% 100	% 100	% 100

تبيّن لنا معطيات الجدول السّابق تفوّق أساليب سلسلة تجنّب الصّراع (C)على حساب الأساليب الدّفاعية الأخرى،حيث ظهرت عند أغلبية المراهقين وبمعدّل نسبة قدره(70 %) تلتها أساليب الصّلابة(A) بمعدّل نسبة بلغ (20,08 %) ، فالأساليب الأوّليّة(E) التي تكرّرت بمعدّل نسبة (5,04 %)، في حين، جاءت أساليب المرونة (B) في المرتبة الأخيرة وبمعدّل نسبة قدره(4,88 %).

أمّا عن توزيع معدّل نسبة هذه الأنساق بين الجنسين،فيكاد يكون متقاربا مثلما يتبيّن من الجدول، لكن بالمقابل، كانت الإناث أكثر لجوءا إلى سلسلتي تجنّب الصّراع والعمليات الأوّليّة من الذكور الذين لجأوا بشكل كبير إلى سلسلتي الصّلابة والمرونة .

سنتعرّف فيما يلي على أهمّ الأساليب الدّفاعية التي ظهرت على مستوى كلّ نسق، وعلى وزنها من خلال معدّل نسبة ظهورها لدى جميع المبحوثين وسنستغني عن الأساليب المتبقيّة ذات التّمثيل الضّعيف.

سنبدأ بأساليب سلسلة تجنّب الصّراع (C) باعتبارها أكثر توظيفا عند هؤلاء المراهقين.

2-1-1- أساليب سلسلة تجنّب الصّراع (C):

جاء الإنتاج الإسقاطي،على العموم، فقيرا متميّزا بالكفّ وبسيطرة الأساليب الخوافية (C/P)على حساب أساليب تجنّب الصّراع الأخرى ونعني بها: النّرجسية (C/N)، الهجاسية (C/M)،السّلوكية (C/C) وأساليب استثمار الواقع الخارجي والاعتماد على الفعلي واليومي (C/F).

يوضّح الجدول الموالي توزيع معدّلات النّسب المئوية للأساليب الدّفاعية سالفة الذكرعند جميع أفراد مجموعة البحث.

جدول رقم(39):توزيع معدّلات النّسب المئوية لأساليب تجنّب الصّراع عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
أساليب سلسلة تجنّب الصّراع (C)	إناث	ذكور	مجموع
الأساليب الخوافيّة (C/P)	% 68,55	% 71,23	% 69,66
الأساليب النّرجسيّة (C/N)	% 6,62	% 5,77	% 6,28
الأساليب الهجاسيّة (C/M)	% 3,11	% 3,85	% 3,42
الأساليب السّلوكيّة (C/C)	% 13,89	% 13,76	% 13,84
أساليب استثمار الواقع الخارجي (C/F)	% 7,78	% 5,36	% 6,79
مجموع	% 100	% 100	% 100

تظهر المعطيات السّابقة تباينا كبيرا بين نسب أساليب سلسلة تجنّب الصّراع التي وظّفها المبحوثون، حيث احتلّت الأساليب الخوافية الصّدارة بمعدّل نسبة قدره(69,66 %) مترجما بذلك محاولة هؤلاء تجنّب انبثاق مواضيع أو إشكاليات قد أزعجت أناهم أوهدّدت استقراره ومن ثمّ، تقليص التّعبير عن صراعات كامنة ومكبوتة.

تلتها الأساليب السّلوكية بمعدل نسبة(13,84 %) التي عكست عند بعضهم صعوبة(مؤقّتة أودائمة) عمل الإرصان النّفسي، أمّا عند البعض الآخر، فقد كانت وسيلة تفريغ وتخفيف الإثارة والضّغط النّفسي الدّاخلي الذي حرّضته بعض تنبيهات الاختبار.

وبرتبة أقلّ، جاءت أساليب استثمارالواقع الخارجي،الفعلي واليومي حيث بلغ معدّل نسبتها (6,79 %)، فالأساليب النّرجسية وبمعدّل نسبة(6,28 %). أمّا الأساليب الهوسية، فقد كانت أقلّ توظيفا من قبل أفراد مجموعة البحث، إذ احتلّت الرّتبة الأخيرة بمعدّل نسبة بلغ (3,42 %).

أمّا عن توزيع معدّل نسبة أساليب تجنّب الصّراع بين الجنسين، فهو متباين حيث كانت الإناث أكثر توظيفا للأساليب النّرجسيّة، السّلوكية وأساليب استثمار الواقع الخارجي من الذكور الذين، بالمقابل، كانوا أكثر لجوءا إلى الأساليب الخوافية والهجاسية منهنّ.

سنتعرّف بشكل مفصّل وبحسب التّرتيب السّابق على أهمّ الأساليب التي ظهرت في كلّ نسق ووزنها.

2-1-1-1- <u>أساليب نسق الكفّ الخوافي (C/P)</u>:

جدول رقم(40): توزيع معدّلات النّسب المئوية لأساليب نسق الكفّ الخوافي (C/P) عند أفراد مجموعة البحث.

أساليب الكفّ الخوافي (C/P)	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
زمن كمون أوّلي طويل و/أو صمت داخل القصّة (CP1)	% 36,10	% 39,27	% 37,39
ميل عام إلى التّقليص (CP2)	% 10,41	% 8,97	% 9,81
عدم التّعريف بالأشخاص(CP3)	% 8,04	% 7,36	% 7,76
صراعات غير معبّر عنها، أسباب غير موضّحة، قصص مبتذلة لحد الإفراط وبدون طابع شخصي (CP4)	% 9,80	% 9,34	% 9,61
ضرورة طرح الأسئلة، الميل إلى الرّفض رفض (CP5)	% 4,17	% 6,28	% 5,04
مجموع	% 100	% 100	% 100

ترجم الكفّ الذي ساد بروتوكولات المبحوثين وجود الأساليب الدّفاعيّة التّالية:

- طول أزمنة الكمون في بداية القصص أو أثناءها، حيث ظهر(CP1) بمعدّل نسبة قدره (37,39 %)،
- قصر القصص، وكان ذلك في أغلب البروتوكولات، وهذا ما عكسه معدّل نسبة(CP2) الذي بلغ(9,81 %)،
- الابتذال وعدم التّعبيرعن الصّراعات المستحضرة أو تحديد أسبابها فبرز (CP4) بمعدّل نسبة (9,61 %)،
- عدم التّعريف بشخصيات اللّوحات، إذ بلغ معدّل نسبة (CP3) (7,76 %)،
- وأخيرا، اللّجوء إلى رفض اللّوحات، حيث رفض ستّة مبحوثين لوحة واحدة على الأقلّ وبذلك قدّر معدّل نسبة (CP5) بـ (5,04 %).

أمّا عن توزيع معدّل نسبة أساليب الكف الخوافي (CP) بين الجنسين، فكانت الإناث أكثر لجوءا إلى تقليص القصص (CP2)،عدم تعريف أشخاصها (CP3) وابتذالها أو عدم التّعبير عن صراعاتها(CP4) من الذكور الذين تميّزت قصصهم بأزمنة كمون كثيرة وطويلة سواء في بدايتها أو أثناءها (CP1) وبالرّفض أو بتدخّلاتنا المتكرّرة (CP5).

وبخصوص رفض لوحات اختبار تفهّم الموضوع، فإنّ أكثر من ربع أفراد مجموعة البحث،أي(29,41 %) امتنع عن الاستجابة للتّعليمة ولم يتمكّن من سرد قصص لكلّ اللّوحات تقريبا باستثناء أربع منها وهي: 1،3BM، 6GF و7GF ، وقد كانت اللّوحات التي لقيت أكبر عدد من الرّفض من المبحوثين الخمسة تلك المرتبطة بالصّورة الأمومية والمثيرة لهوامات بدائية والمولّدة للخوف، ويتعلّق الأمر باللّوحات:5،11 و19، غير أنّ هذه الأخيرة كانت أكثرها رفضا ،إذ بلغت نسبتها (66,66 %)، تلتها اللّوحتان5 و11 بنسبة متساوية بلغت (33,33 %).

2-1-1-2- <u>أساليب نسق الكفّ السّلوكي (C/C)</u>:

جدول رقم(41): توزيع معدّلات النّسب المئوية لأهمّ أساليب نسق الكفّ السّلوكي (C/C) التي ظهرت عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
أساليب نسق الكفّ السّلوكي (C/C)	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
إثارة حركيّة،إيماءات و/أو تعابير جسديّة (CC1)	% 11,43	% 9,06	% 10,45
طلبات موجّهة للفاحص (CC2)	% 1,93	% 3,46	% 2,56

توضّح معطيات الجدول لجوء أفراد مجموعة البحث إلى أسلوب إثارة حركيّة،إيماءات وتعابير جسدية (CC3) بشكل كبير مقارنة بالأساليب الأخرى،حيث بلغ معدّل نسبته (10,45 %) وقد كان أكثر ظهورا عند الإناث (11,43 %) من عند الذكور(9,06 %)، تلاه وبمعدّل نسبة ضعيف بلغ (2,56 %) أسلوب طلبات موجّهة للفاحص (CC2)، وقد كان الذكور هذه المرّة أكثر لجوءا إلى هذا الأسلوب (3,46 %) من الإناث (1,93 %).

2-1-1-3- <u>أساليب نسق عناصرالواقع الخارجي، اليومي والفعلي (C/F)</u>:

جدول رقم(42): توزيع معدّلات النّسب المئوية لأهمّ أساليب نسق عناصرالواقع الخارجي (C/F) التي ظهرت عند أفراد مجموعة البحث.

أساليب نسق عناصر الواقع الخارجي (C/F)	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
التمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة (CF1)	% 4,82	% 2,20	% 3,74
التّركيز على الفعل (CF3)	% 1,67	% 2,02	% 1,81

تبيّن معطيات الجدول استثمارا نسبيّا للواقع الخارجي من قبل أفراد مجموعة البحث، لكن مع ذلك،لجأ هؤلاء إلى التمسّك بالمحتوى الظاهرللّوحة(CF1) بشكل كبيرمقارنة بالأساليب الأخرى، حيث ظهر بمعدّل نسبة بلغ (3,74 %) مقابل معدّل نسبة ضعيف مثّله أسلوب التّركيز على الفعل (CF3) والذي قدّر بـ (1,81 %).

أمّا عن توزيع معدّل نسبة هذين الأسلوبين الدّفاعيين بين الجنسين، فتظهر معطيات الجدول أنّ الإناث كنّ أكثر تمسّكا بالمحتوى الظاهر للّوحة(4,82 %) من الذكور(2,20 %) هؤلاء كان تركيزهم على الفعل أكثر من الإناث (2,02 %) مقابل (1,67 %).

2-1-1-4- أساليب نسق الكفّ النّرجسي (C/N):

جدول رقم(43): توزيع معدّلات النّسب المئوية لأهمّ أساليب نسق الكفّ النّرجسي(C/N) التي ظهرت عند أفراد مجموعة البحث.

أساليب نسق الكفّ النّرجسي (C/N)	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
النّقد الذاتي (CN9)	% 1,49	% 2,38	% 1,86
التّركيز على المعاش الذاتي وعلى ما هو مشعور به (CN1)	% 2,05	% 1,02	% 1,63

من أساليب الكفّ النّرجسي ظهورا عند أفراد مجموعة البحث، كان أسلوب النّقد الذاتي (CN9) الذي كشف عن عجزهم عن التّفكير وسرد قصّة وأحدث انقطاعا في سيرها، حيث بلغ معدّل نسبته(1,86 %)، وقد كانت الإناث أقلّ نقدا لذاتهنّ وعجزا عن التّفكير(1,49 %)

من الذكور(2,38 %)، تلاه وفي رتبة أقلّ، التّركيز على المعاش الذاتي وعلى ما هو مشعور به(CN1)، حيث بلغ معدّل نسبته(1,86 %)، والذي ميّز الإناث(2,05 %) أكثر من الذكور (1,02 %).

2-1-1-5- أساليب نسق الكفّ الهجاسي (C/M):

جدول رقم(44): توزيع معدّلات النّسب المئوية لأساليب الكفّ الهجاسي (C/M).

	أفراد مجموعة البحث		
أساليب نسق عناصر الكفّ الهجاسي (C/M)	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
توظيف مفرط لوظيفة سند الموضوع (CM1)	% 1,73	% 1,63	% 1,69
مثلنة الموضوع(تكافؤات إيجابيّة وسلبيّة) (CM2)	% 1,37	% 2,10	% 1,67

تظهر معطيات الجدول التّقارب الكبير بين معدّلي نسبتي الأسلوبين الدّفاعيين عند أفراد مجموعة البحث، لكن رغم هذا، كان هؤلاء أكثر حاجة إلى سند الموضوع حيث بلغت نسبة هذا الأسلوب الدّفاعي(CM1)، وقد كانت الإناث أكثر توظيفا له من الذكور(1,73 %) مقابل (1,63 %) ؛ أمّا عن مثلنة الموضوع(CM2)، فقد ظهر بمعدّل نسبة(1,67 %)، وكان الذكور أكثر لجوءا إلى هذا الأسلوب الدّفاعي من الإناث كما يتبيّن من الجدول،(2,10 %) مقابل (1,37 %).

2-1-2- أساليب سلسلة الصّلابة (A):

جدول رقم(45):توزيع معدّلات النّسب المئوية لأهمّ أساليب الصّلابة(A) التي ظهرت عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
أساليب سلسلة الصّلابة (A)	إناث	ذكور	مجموع
وصف مع التمسّك بالتّفاصيل (A2-1)	% 9,68	% 10,70	% 10,08
تحفظّات كلامية (A2-3)	% 25,09	% 22,23	% 24,02
تردّد بين تفاسير مختلفة (A2-6)	% 7,48	% 6,74	% 6,05
إجترار(A2-8)	22,71	% 34,42	% 27,50
تكوين عكسي (A2-10)	% 3,48	% 1,58	% 2,77
عقلنة (A2-13)	% 10,77	% 10,09	% 10,32
عزل العناصر أو الأشخاص (A2-15)	% 3,39	% 3	% 3,30
التّأكيد على الصّراعات الدّاخلية (A2-17)	% 7,92	% 3,05	% 6,10

كان توظيف المبحوثين لأساليب الصّلابة بشكل جدّ متباين، حيث تفوّق سياق الاجترار (A2-8) على باقي سياقات الصّلابة الأخرى وبمعدّل نسبة بلغ(27,50 %)، تلاه سياق التّحفّظات الكلامية(A2-3) بمعدّل نسبة(24,02 %) الذي مكّنهم من مراقبة وربّما كبح التصوّرات المقلقة والانفعالات المضايقة ثمّ سياق العقلنة(A2-13) بمعدّل نسبة (10,32 %) والذي تصدّى به هؤلاء لكلّ ما قد سبّب للأنا على مستوى الوعي، فسياق الوصف مع التّمسّك بالتّفاصيل (A2-1) الذي بلغ معدّل نسبة ظهوره في بروتوكولاتهم (10,08 %).

تلت الأساليب السّابقة مجموعة أخرى من سلسلة الصّلابة تكرّرت بمعدّل نسبة أقلّ وهي:

- التّأكيد على صراعات نفسية داخلية (A2-17) والكشف عن وجود بوادرعمل عقلي حيث قدّر معدّل نسبة ظهورها في بروتوكولات المبحوثين بـ (6,10 %)،
- التّردّد بين تفسيرات مختلفة (A2-6) الذي ظهر بمعدّل نسبة بلغ(6,05 %)،

- وأخيرا،عزل العناصرأوالأشخاص(A2-15) والتّكوين العكسي (A2-10) ممثّلين بمعدّل نسبة ضعيف بلغ على التّوالي (3,30 %) و(2,77 %).

وبخصوص توزيع معدّل نسبة ظهورهذه الأساليب عند الجنسين، فتوضّح معطيات الجدول تفوّق ظهور أغلبها عند الإناث، بينما لم يتفوّق الذكور على الإناث إلاّ في توظيفهم لأسلوبي الوصف مع التّمسّك بالتّفاصيل والاجترار.

2-1-3- أساليب سلسلة العمليّات الأوّلية (E):

بغياب الرّقابة أحيانا ورفع الكفّ ، تمكّنت بعض الأساليب الأوّلية من التحرّر والطّفو على ساحة الشّعور على شكل تصوّرات فجّة وعواطف قويّة ارتبطت بإشكاليات مختلفة كالموت،فقدان الموضوع، العجز، التجرّد والهجر والعدوانية، وقد توزّعت أهمّ الأساليب التي وردت في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث كما يلي:

جدول رقم(46): توزيع معدّلات النّسب المئوية لأهمّ الأساليب الأوّلية(E) التي ظهرت عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
أساليب سلسلة العمليّات الأوّليّة (E)	إناث	ذكور	مجموع
إلغاء موضوع ظاهر (E1)	% 14,05	% 18,08	% 15,71
إدراكات خاطئة (E4)	% 25,09	% 22,23	% 24,02
إدراك مواضيع مجزّأة(و/أو فاسدة أو أشخاص مرضى، مشوّهين) (E6)	% 5,11	% 3,57	% 4,47
تعابير فجّة مرتبطة بمواضيع جنسية أو عدوانية (E8)	% 17,64	% 18,55	% 18,02
تعابير عن عواطف و/أو تصوّرات مكثّفة مرتبطة بأيّة إشكالية(العجز،التجرّد،النّجاح التّعاظمي،الخوف،الموت،التّدمير،الاضطهاد وغيرها) (E9)	% 32,06	% 33,59	% 32,69
إدراك موضوع سيّء، مواضيع الاضطهاد (E14)	% 6,36	% 2,04	% 4,58
اضطراب تركيب الكلام (E17)	% 9,80	% 6,94	% 8,62

تظهر معطيات الجدول لجوء أفراد مجموعة البحث وبشكل جدّ متواتر إلى أسلوبين أوّليين هما: تعابيرعن وجدانات و/أو تصوّرات كثيفة مرتبطة بإشكالية العجز،التجرّد،النّجاح التّعاظمي، الخوف، الموت،التّدمير،الاضطهاد وغيرها(E9)، حيث ظهر بمعدّل نسبة بلغ (32,69 %)، وتعبيرات فجّة مرتبطة بموضوع جنسي أو عدواني(E8) قُدّر معدّل نسبة ظهوره في بروتوكولات المبحوثين بـ (18,02 %).

وفي رتبة أقلّ، جاء أسلوب عدم إدراك أشياء ظاهرة(E1) حيث بلغ معدّل نسبته (15,71 %) ،ثمّ أسلوب اضطراب تركيب الكلام(E17) الذي قدّر معدّل نسبته بـ (8,62 %) وأخيرا،أساليب إدراك موضوع سيّء ومواضيع الاضطهاد (E14)، إدراكات خاطئة(E4) وإدراك مواضيع مفكّكة و/أو فاسدة أوأشخاص مرضى، مشوّهين(E6) بحيث جاءت معدّلات نسبها متقاربة وهي على التّوالي: (4,58 %)، (4,47 %) و(4,18 %).

وإذا تفحّصنا توزيع معدّل نسبة هذه الأساليب بين الجنسين، نجد أنّ الإناث كنّ أكثر لجوءا إلى:(E4)،(E14) ،(E17) من الذكور الذين كانوا أكثر توظيفا للأساليب التّالية:(E1)، (E6) (E8) و(E9).

4-1-2- <u>أساليب سلسلة المرونة (B)</u>:

توزّعت أساليب المرونة التي جاءت بنسبة ضعيفة (4,88 %) على الشّكل التّالي:

جدول رقم(47): توزيع معدّلات النّسب المئوية لأهمّ أساليب المرونة(B) التي ظهرت عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
أساليب سلسلة المرونة (B)	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
إدخال أشخاص غير موجودين على الصّورة (B1-2)	% 19,28	% 14,45	% 17,29
تعابيرعن عواطف متدرّجة ومعدّلة من قبل المثير (B1-4)	% 6,74	% 2,73	% 5,09
دخول مباشر في التّعبير(B2-1)	% 6,40	% 3,87	% 5,36
التّركيز على العلاقات بين الأشخاص، قصّة على شكل حوار(B2-3)	% 23,30	% 28,64	% 25,50
تعابيرعن عواطف قويّة أو مفرط فيها (B2-4)	% 25,91	% 27,32	% 26,49
التّركيز على موضوع من نوع ذهاب،جري، قول،هروب،... (B2-12)	% 7,43	% 1,78	% 5,10

تبيّن معطيات الجدول السّابق لجوء أفراد مجموعة البحث وبشكل متواتر إلى أسلوبين مرنين هما: تعابير عن عواطف قويّة أو مفرط فيها(B2-4) الذي ظهر بمعدّل نسبة بلغ %) (26,49 وأسلوب التّركيز على العلاقات بين الأشخاص، قصّة على شكل حوار(B2-3) قدّر معدّل نسبة ظهوره في بروتوكولات المبحوثين(25,50 %).

وفي رتبة أقلّ، كان أسلوب إدخال أشخاص غير موجودين في الصّورة(B1-2)، إذ بلغ معدّل نسبته(17,29 %)، تلاه أسلوب الدّخول المباشر في التّعبير(B2-1) بمعدّل نسبة قدّر بـ (5,36 %).

أمّا الرّتبة الأخيرة، فمثّلها أسلوبا التّأكيد على مواضيع من نوع ذهاب، جري، قول،هروب (B2-12) وتعابيرعن عواطف متدرّجة ومعدّلة من قبل المثير(B1-4) بمعدّلي نسبة متقاربين بلغا على التّوالي (5,10 %) و(5,09 %).

من جهة أخرى، توضّح معطيات الجدول أنّ الإناث كنّ أكثر توظيفا لمعظم الأساليب السّابقة من الذكور عدا أسلوبي التّركيز على العلاقات بين الأشخاص وسرد القصص على

شكل حوار(B2-3) وتعابير عن عواطف قويّة أو مفرط فيها(B2-4) اللّذان كانا بالمقابل أكثر ظهورا في بروتوكولات الذكور.

2-2- <u>نتائج التحليل الكيفي للمعاش العاطفي والانفعالي</u>:

في هذه الفقرة، سنستعرض نتائج التّحليل الكيفي لظهور كلّ بعد من الأبعاد النّفسيّة الثلاثة وهي: العدوانيّة، الاكتئاب والقلق في بروتوكولات المبحوثين، وبشكل خاص في اللّوحات المثيرة والمحرّضة لها، وكيفية تعاملهم مع إشكالياتها المتنوّعة وكذا، نوع الأساليب الدّفاعيّة التي لجأوا إليها لمعالجة الصّراعات النّفسيّة الدّاخلية أو العلائقية المنشّطة من جديد أو لتفاديها تماما.

نشير إلى أنّنا قمنا بالتّعريف بالمحتوى الكامن لكلّ لوحة من اللّوحات الموافقة لكلّ بعد من الأبعاد النّفسيّة سابقة الذكر، كما قدّمنا أمثلة توضيحيّة لكلّ نوع من أنواع المواضيع المتناولة في كلّ لوحة من اللّوحات التّسع التي ندرس من خلالها ظهور الأبعاد النّفسية الثلاثة سابقة الذكر.

2-2-1- <u>العدوانية</u>:

سنتطرّق في هذا العنصرإلى نتائج تحليل قصص كلّ لوحة من اللّوحات الثلاث المحرّضة للعدوانية والمثيرة لصراعات نزويّة ضمن علاقة غيريّة،وهي للتّذكير:4،8BM وF13M.

2-2-1-1- <u>نتائج التّحليل الكمّي والكيفي لقصص اللّوحة 4</u>:

قبل عرض نتائج التّحليل الكمّي والكيفي لقصص اللّوحة 4، نستعرض أمثلة توضيحيّة عن كلّ موضوع من المواضيع المتناولة في هذه اللّوحة.

- **<u>التمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة المقترب من الوصف</u>:**

- "هذي مرى وراجل، هو مدوّر وتشو، وهي شادّة فيه"، زوج وزوجة راهي شادّة فيه باش ما يروحش، وهو داير".

- **التّعبير عن التّجاذب الوجداني ضمن العلاقة الغيرية:**

- "مرى متعلّقة في شاب، jeune بالاك، هي تحبّو وْ هو هارب عليها ما علابالوش بيها" " هاد لمرى تحب هاد الرّاجل، وهو واقيل ما يحبهاش".

- **التّعبير عن الحاجة إلى السّند:**

- "بالاك مرى راهي تشوف بلّي في حياتها لازم يكون راجل قدّامها بجنبها،حاجة essentiel".

- **موضوع مرتبط بالخيال:**

- " هذا فيلم سينيمائي"،" تقولي فيلم، حكاية تاع حب".

- **موضوع مرتبط بصراع نفسي داخلي:**

- " باين تلقى كاش مشكلة، راهي تحلّو فيها"،" هذا عندو مشكل راهو يخمّم فيه وهي تحاول تعاونو".

- **موضوع مرتبط بفعل عدواني غير صريح**:

- " هنا زوج زعما كان راح يضّارب، وهذي ما تخلّيهش"،" هذي الزّوج ديالها، مْنارفي حاب يتشاجر، توقف فيه".

جدول رقم (48): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نوع المواضيع المتناولة في اللّوحة 4.

	أفراد مجموعة البحث		
نوع المواضيع المتناولة	إناث	ذكور	مجموع
التمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة المقترب من الوصف	1 % 10	2 % 28,57	3 % 17,64
التّعبير عن التّجاذب الوجداني ضمن العلاقة الغيريّة	2 % 20	2 % 28,57	4 % 23,52
التّعبير عن الحاجة إلى السّند	3 % 30	1 % 14,28	4 % 23,52
موضوع مرتبط بالخيال	2 % 20	0 % 0	2 % 11,76
موضوع مرتبط بصراع نفسي داخلي	1 % 10	0 % 0	1 % 5,88
موضوع مرتبط بفعل عدواني غير صريح	1 % 10	1 % 14,28	2 % 11,76
رفض اللّوحة	0 % 0	1 % 14,28	1 % 5,88
مجموع	10 % 100	7 % 100	17 % 100

تبعث إشكاليّة اللّوحة إلى صراع نزوي ضمن علاقة جنسيّة غيريّة، بحيث يمكن أن يحمل كلّ أشخاص اللّوحة حركات نزويّة مختلفة عدوانيّة و/أو ليبيديّة.

اختلفت طريقة تناول إشكاليّة هذه اللّوحة بين المبحوثين كما تبيّن معطيات الجدول، فبينما اقترب بعضهم ، وقد بلغت نسبتهم(23,52 %) من صداها الهوامي، حيث استحضروا صراعات علائقيّة وعواطف متجاذبة، ونفس النّسبة مثّلها أولئك الذين عبّروا عن حاجتهم إلى السّند ضمن تلك العلاقة الجنسيّة الغيريّة، لم يكن بمقدور بعضهم الآخر وقد قدّرت نسبتهم بـ (17,64 %) تخيّل قصّة، حيث بقوا متمسّكين بالمحتوى الظاهر للّوحة الذي اقترب أحيانا من الوصف.

ومن المبحوثين من كانت قصصهم في منجى الرّقابة، حيث ارتبطت مواضيعها بالخيال أو بفعل عدواني صريح، وقد بلغت نسبتهم (11,76 %)، أو بصراع نفسي داخلي بقيت أسبابه مبهمة عبّرت عنه إحدى المبحوثات، أي بنسبة (5,88 %).

ولم يرفض هذه اللّوحة إلاّ فرد واحد من أفراد مجموعة البحث، أي بنسبة(5,88 %).
كانت قصص المبحوثين على العموم قصيرة افتقرت للإرصان النّفسي بسبب تدخّل أساليب الرّقابة كالعزل بين شخصيتي اللّوحة، التّجريد أو العقلنة، وأساليب تجنّب الصّراع الخوافيّة كالميل إلى التّقليص،التوقفات المتكرّرة داخل القصّة، الابتذال أو عدم تبرير أسباب الصّراع وعدم التّعريف بأشخاص اللّوحة.

2-2-1-2- نتائج التّحليل الكمّي و الكيفي لقصص اللّوحة 8BM:

قبل عرض نتائج التّحليل الكمّي والكيفي لقصص اللّوحة8BM، نستعرض أمثلة توضيحيّة عن كلّ موضوع من المواضيع المتناولة في هذه اللّوحة.

- **عدوانيّة فجّة مرتبطة بالقتل مرفقة بعواطف اكتئابيّة:**

- " شخصين راهم يقتلو في شخص،راهم يمارسو فالقوّة على الأب، والإبن راهو حزين".

- **عدوانيّة فجّة مرتبطة بالقتل وغير مرفقة بعواطف اكتئابيّة:**

- " هذوما راهم يقتلو في هذيا وهاد لولد شاف le meurtre".

- **عدوانيّة فجّة مرتبطة بموضوع الموت العنيف والثّأر:**

- " هذا إلّي راهو واقف قتلولو باباه، وهو راهو يخمّم كفاش يخلف النّار".

- **عدوانيّة فجّة مرتبطة بالمرض والموت:**

- " هذو راهم يواسولو باراسيون، راهو مريض وهذا راهو خايف يموت، خايف على باباه".

جدول رقم (49): توزيع المبحوثين الذكور حسب نوع المواضيع المتناولة في اللّوحة 8BM.

الجنس / نوع المواضيع المتناولة	ذكور
عدوانيّة فجّة مرتبطة بالقتل مرفقة بعواطف اكتئابيّة	**1** % 14,28
عدوانية فجّة مرتبطة بالقتل وغير مرفقة بعواطف اكتئابيّة	**2** % 28,56
عدوانيّة فجّة مرتبطة بموضوع الموت العنيف والثّأر	**1** % 14,28
عدوانيّة فجّة مرتبطة بالمرض والموت	**2** % 28,56
رفض اللّوحة	**1** % 14,28
مجموع	**7** % 100

تثير اللّوحة تصوّرات قد تكون لها علاقة بقلق الخصاء و/أو بالعدوانيّة تّجاه الصّورة الوالديّة، وهي تطرح إشكاليّة تثير تمثيل صراع وعواطف متجاذبة مرتبطة به.

تبيّن معطيات الجدول تعادلا في النّسبة بين المبحوثين الذكور الذين أظهروا تعابير عدوانيّة فجّة ارتبطت بموضوع القتل ولم ترفق بعواطف اكتئابيّة، والذين عبّروا عن عواطف قويّة ارتبطت بالمرض والموت حيث بلغت نسبتهم(28,56 %)، كما سجّلنا أيضا تعادلا في النّسب بين أفراد أظهر بعضهم تعابير عدوانيّة فجّة ارتبطت بالقتل أرفقت هذه المرّة بعواطف اكتئابيّة، وقد ارتبطت عند بعضهم الآخر بموضوع الموت العنيف والثّأر، حيث بلغت (14,28 %)، وذات النّسبة مثّلها مراهق واحد لم يتمكّن من التّعامل مع إشكاليّة هذه اللّوحة التي خصّصناها للذكور فقط ، فرفضها.

تميّزت قصص هذه اللّوحة بالقصر أيضا وبعجز معظم المبحوثين عن تمثيل الصّراع الذي تثيره، أو التخرّج منه.

2-2-1-3- نتائج التّحليل الكمّي و الكيفي لقصص اللّوحة 13MF:

نستعرض أمثلة توضيحيّة عن كلّ موضوع من المواضيع المتناولة في هذه اللوحة كما يلي:

- **عدوانيّة فجّة مرتبطة بموضوع القتل مرفقة بعواطف اكتئابية:**

- " كشغل هنا قتلها آو يبكي".

- **عدوانيّة فجّة مرتبطة بموضوع القتل غير مرفقة بأيّة عواطف:**

- " Normalement قتلها ولا".

- **عدوانيّة فجّة مرتبطة بموضوع القتل مرفقة بمشاعر ذنب:**

- " رجل قتل المرأة ديالو، حزين ندمان على واش فعل".

- **موضوع مرتبط بموت المرأة غير مرفق بأيّة عواطف:**

- "Une femme moitié nue.. en voyant l'homme peut-être sa femme est morte"

- **عواطف اكتئابية مرتبطة بموت المرأة:**

- " شخص راهو يبكي على مرى بالاك ماتت".

- **عواطف اكتئابيّة مرتبطة بصراع نفسي داخلي:**

- " هاد الرّاجل حالتو تعبانة آو يبكي، الوجه نتاعو حزين، بالاك عند كاش مشكل".

- **التمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة:**

- " مرى راقدة على سرير، تبان راقدة ولا مانعرف، وهذا واقف حاط يدّو على وجهو".

جدول رقم (50): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نوع المواضيع المتناولة في اللّوحة 13MF.

نوع المواضيع المتناولة	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
عدوانيّة فجّة مرتبطة بموضوع القتل مرفقة بعواطف اكتئابية	1 % 10	1 % 14,28	2 % 11,76
عدوانيّة فجّة مرتبطة بموضوع القتل غير مرفقة بأيّة عواطف	1 % 10	1 % 14,28	2 % 11,76
عدوانيّة فجّة مرتبطة بموضوع القتل مرفقة بمشاعر ذنب	0 % 0	1 % 14,28	1 % 5,88
موضوع مرتبط بموت المرأة غير مرفق بأيّة عواطف	2 % 20	0 % 0	2 % 11,76
عواطف اكتئابية مرتبطة بموت المرأة	2 % 20	2 % 28,56	4 % 23,52
عواطف اكتئابيّة مرتبطة بصراع نفسي داخلي	1 % 10	0 % 0	1 % 5,88
التمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة	3 % 30	1 % 14,28	4 % 23,52
رفض اللّوحة	1 % 10	0 % 0	1 % 5,88
مجموع	10 % 100	7 % 100	17 % 100

تبعث إشكاليّة اللّوحة إلى التّعبير عن الجنسيّة والعدوانيّة ضمن العلاقة الزّوجيّة.

اختلف تناول إشكالية هذه اللّوحة بين أفراد مجموعة البحث، حيث بلغت نسبة الذين عبّروا عن عواطف اكتئابيّة ارتبطت بموت الشّخصيّة الأنثويّة(المرأة) (23,52 %)، وذات النّسبة مثّلها أولئك الذين بقوا متمسّكين بالمحتوى الظاهر للّوحة متجنّبين بذلك الخوض في إشكاليتها، بينما سجّلنا تعادلا في النّسب بين الذين أظهروا تعابير عدوانيّة فجّة ارتبطت بموضوع القتل وأرفقت بعواطف اكتئابيّة، والذين لم ترفق تعابيرهم تلك بأيّة عواطف وأخيرا، بين أولئك الذين تناولوا موضوع موت الشّخصيّة الأنثويّة في قصصهم دون إظهار أيّة عاطفة كذلك، حيث بلغت (11,76 %).

أمّا أضعف نسبة وقد قدّرت بـ (5,88 %)، فقد وزّعت بين ثلاثة أفراد : ذكرين أظهر أحدهما تعابير عدوانيّة فجّة ارتبطت بموضوع القتل وأرفقت بمشاعر ذنب قويّة ، ورفض الآخر التّعامل مع اللّوحة، وأنثى عبّرت عن عواطف اكتئابيّة ارتبطت بصراع نفسي داخلي دون أن تتمكّن من تبرير أسبابه.

2-2-2- <u>الاكتئاب</u>:

سنتطرّق في هذا العنصر إلى نتائج تحليل قصص كلّ لوحة من اللّوحات الأربع المنشّطة لإشكالية فقدان الموضوع وإرصان الوضعيّة الاكتئابيّة وهي للتّذكير:3BM،12BG 13B و16.

2-2-2-1- <u>نتائج التّحليل الكمّي و الكيفي لقصص اللّوحة 3BM</u>:

نستعرض أمثلة توضيحيّة عن كلّ موضوع من المواضيع المتناولة في هذه اللّوحة كما يلي:

- **<u>تصوّرات مرتبطة بفقدان الموضوع ترفقها عواطف اكتئابية</u>:**

- " هاد لمرى راهي متكية على هاد الأريكة بالاك يكون كاش شخص ميّت راهي تبكي عليه".

- **<u>تصوّرات مرتبطة بالعجز والوحدة</u>:**

- " Un handicapé seul ,il ne peut rien faire".

- **<u>عواطف اكتئابيّة غير مرتبطة بفقدان الموضوع</u>:**

- " هدا راهو تعبان وحزين".

- **<u>عواطف اكتئابيّة مبرّرة بتصوّرات عدوانيّة</u>:**

- " راهو قاعد يبكي، زعما ضربتو يمّاه".

- **<u>تصوّرات مرتبطة بالتجرّد والفقر دون عواطف اكتئابية</u>:**

- " Un pauvre ما كانش وين يبات، باين بلّي راهو إنسان جيعان، ميّت بالبرد والجوع".

- **<u>تصوّرات مرتبطة بالتجرّد،الاضطهاد والعجز مرفقة بعواطف اكتئابيّة</u>:**

- " هذي تبيّن أنّ المرأة إلّي مظلومة ، تبيّن كشغل هذي المرأة حزينة وما تقدرش كيفاش تتصدّى للمجتمع ديالها".

- **مرجع ثقافي:**

تدور القصّة حول وصيّة فلاّح لأولاده الثلاثة.

جدول رقم (51): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نوع المواضيع المتناولة في اللّوحة 3BM.

	أفراد مجموعة البحث		
نوع المواضيع المتناولة	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
تصوّرات مرتبطة بفقدان الموضوع ترفقها عواطف اكتئابية	**2** % 20	**0** % 0	**2** % 11,76
تصوّرات مرتبطة بالعجز والوحدة	**1** % 10	**0** % 0	**1** % 5,88
عواطف اكتئابيّة غير مرتبطة بفقدان الموضوع	**3** % 30	**3** % 42,85	**6** % 35,29
عواطف اكتئابيّة مبرّرة بتصوّرات عدوانيّة	**3** % 30	**1** % 14,28	**4** % 23,52
تصوّرات مرتبطة بالتجرّد والفقر دون عواطف اكتئابية	**1** % 10	**1** % 14,28	**2** % 11,76
تصوّرات مرتبطة بالتجرّد،الاضطهاد والعجز مرفقة بعواطف اكتئابيّة	**0** % 0	**1** % 14,28	**1** % 5,88
مرجع ثقافي	**0** % 0	**1** % 14,28	**1** % 5,88
مجموع	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100

تبعث اللّوحة إلى إشكاليّة فقدان الموضوع وتطرح مسألة إرصان الوضعيّة الاكتئابيّة.

اختلف التّعامل مع إشكاليّة اللّوحة بين أفراد مجموعة البحث، حيث كان أكثر من ثلثهم،أي (35,29 %) ممّن أظهروا عواطف اكتئابيّة من دون أن ترتبط بفقدان الموضوع، وأقلّ من ربعهم،أي(23,52 %) برّروا تلك العواطف بتصوّرات عدوانيّة، أغلبهم إناث إذ بلغت نسبتهنّ (30 %)؛ بينما سجّلنا تعادلا في النّسب بين الذين استحضروا تصوّرات ارتبطت

بفقدان الموضوع رافقتها عواطف اكتئابيّة وأولئك الذين ارتبطت تصوّراتهم بإشكاليّة التجرّد والفقر من دون عواطف اكتئابيّة، حيث قدّرت بـ (11,76 %).
مثّل أضعف نسبة والبالغة (5,88 %) ثلاثة مبحوثين، استحضر أحدهم تصوّرات ارتبطت بالتجرّد، الاضطهاد والعجز رافقتها عواطف اكتئابيّة، بينما كان تناول الآخر للقصّة في إطار ثقافي، أمّا المبحوثة الثالثة، فقد استحضرت تصوّرات ارتبطت بإشكالية العجز والوحدة.

2-2-2-2- نتائج التّحليل الكمّي و الكيفي لقصص اللّوحة 12BG:

نستعرض الأمثلة التّوضيحيّة لمختلف المواضيع المتناولة في هذه اللّوحة كالتّالي:

- **التمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة:**

- " هذي غابة، فلوكة راهي فالسجر".

- **موضوع مرتبط بالمثلنة:**

- " هذا منظر خلاّب يبعث الرّاحة والاطمئنان في القلب".

- **موضوع مرتبط بالهجر:**

-" شجرة صغيرة راهي تكبر، قدّامها صندوق بالاك يحكي قصّة طفل صغير رْماوه خلاّوه مواليه فالغابة، خمّو عليه شويّة حطّوه تحت الظل، بالاك رماوه بسّيف عليهم".

- **موضوع مرتبط برمزية الفقدان:**

- " منطقة في فصل الخريف، معنتها سجرة مافيهاش لورق".

● **<u>موضوع مرتبط بالتّجريد</u>:**

- هاد التّصويرة تبيّن كيفاش العبد راهو عايش مع الطّبيعة نتاعو، وهذي فلوكة يستعملها الإنسان باش يحافظ على الوسط ديالو، الفلوكة ما تخرّبش".

جدول رقم(52): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نوع المواضيع المتناولة في اللّوحة 12BG.

نوع المواضيع المتناولة	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
التمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة	**6** % 60	**3** % 42,85	**9** % 52,94
موضوع مرتبط بالمثلنة	**1** % 10	**1** % 14,28	**2** % 11,76
موضوع مرتبط بالهجر	**1** % 10	**0** % 0	**1** % 5,88
موضوع مرتبط برمزية الفقدان	**2** % 20	**1** % 14,28	**3** % 17,64
موضوع مرتبط بالتّجريد	**0** % 0	**1** % 14,28	**1** % 5,88
رفض اللّوحة	**0** % 0	**1** % 14,28	**1** % 5,88
مجموع	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100

تبعث اللّوحة قبل كلّ شيء إلى الرّاحة والهدوء، وتدعو الشّخص إلى تنويع استجاباته أو ردود فعله الحسيّة والعاطفيّة، كما يجسّد المظهر الشّكلي والمألوف للمادّة القدرات الأساسيّة للتّمييز بين العالم الدّاخلي والخارجي، ويبعث إلى نشاط إدراكي معروف بالرّجوع إلى التّجارب ماقبل التّناسليّة "الجيّدة".

وفي غياب شخصيّة ممثّلة على الصّورة، تختبر هذه اللّوحة مدى قدرة الشّخص على التعرّف على غياب الموضوع دون أن يخشى فقدانه وذلك بتهيئة فضاء للتصوّر يشغل السّاحة العقليّة.

وجد أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي بنسبة(52,94 %) صعوبة في التّعامل مع إشكاليّة اللّوحة ففضّلوا التمسّك بمحتواها الظّاهر تجنّبا لانبثاق أيّة تصوّرات من شأنها إرباكهم، بينما اقترب بعضهم ، وقد قدّرت نسبتهم بـ(17,64 %) من الإشكاليّة بسرد قصص دار موضوعها حول رمزيّة الفقدان لكن من دون أيّة عواطف، في حين، مال بعضهم الآخر إلى وصف تفاصيل اللّوحة بشكل ممثلن، وقد بلغت نسبتهم(11,76 %)، أكثرهم ذكور، إذ قدّرت نسبتهم بـ (14,28 %).

أمّا أضعف نسبة والمقدّرة بـ (5,88 %)،فقد توزّعت على ثلاثة أفراد: ذكرين فضّل أحدهما تناول قصّته في إطار تجريدي، بينما عجز الآخرعن تخيّل قصّة أمام هذه اللّوحة فرفضها إضافة إلى أنثى دار موضوع قصّتها حول الهجر الذي عجزت عن توضيح أسبابه بشكل جليّ.

على العموم،كانت قصص جميع المبحوثين قصيرة جدّا مال بعضها إلى الابتذال والسّطحيّة واقترب بعضها الآخر من الإشكاليّة التي تثيرها اللّوحة، لكنّ أساليب الكفّ والرّقابة كانت دوما بالمرصاد حيث حالت دون إرصان ومعالجة الإشكاليّة، بالإضافة إلى بعض السّياقات الأوّليّة كإلغاء موضوع ظاهر والذي تمثّل هنا في القارب(E1) والتعثّرات اللّفظيّة (E17).

2-2-2-3- نتائج التّحليل الكمّي و الكيفي لقصص اللّوحة 13B:

نستعرض الأمثلة التّوضيحيّة لمختلف المواضيع التي تناولها المبحوثون في هذه اللّوحة كالتّالي:

- **موضوع مرتبط بالهجر دون عواطف اكتئابيّة:**

- " هاد لولد راهو قاعد وحدو، شغل ماكان حتى واحد فالدّار، خلاوه وحدو".

- **موضوع مرتبط بالفقر و التجرّد دون عواطف اكتئابيّة:**

-" هذي تمثّل حالة البؤس والفقر إلّي يعيشوه الأطفال، وأنّ الطّفل ما عندوش حذاء واللّباس ديالو يبيّن حالة البؤس والفقر".

- **موضوع مرتبط بالفقر، التجرّد والوحدة مرفق بعواطف اكتئابيّة:**

- " طفل صغير بلحفا، باين فقراء، قاعد وحدو حزين، بالاك راهو يشوف في صحابو رايحين لمسي يقراو وْ هو ما عندوش".

- **عواطف اكتئابيّة مرتبطة بصراع نفسي داخلي:**

- " طفل حالتو متدهورة، أو الوجه نتاعو حزين، راهو يخمّم في حلّ المشكلة ديالو".

- **موضوع مرتبط بصراع نفسي داخلي:**

-" Normal ولد راهو قاعد قدّام الباب يخمّم، قاعد برك".

- **موضوع مرتبط بالتجرّد والعجز:**

- " هاد لولد باين بلّي الحالة نتاعو مزرية paceque حفيان، ما عندو ما يدير".

- **التمسّك بالمحتوى الظّاهر للّوحة:**

- " باب تاع دار مخدومة بلحطب، وفالدّخلة تاع الباب كاين لولد قاعد".

جدول رقم(53): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نوع المواضيع المتناولة في اللّوحة 13B.

	أفراد مجموعة البحث		
نوع المواضيع المتناولة	إناث	ذكور	مجموع
موضوع مرتبط بالهجر دون عواطف اكتئابيّة	2 % 20	0 % 0	2 % 11,76
موضوع مرتبط بالفقر والتجرّد دون عواطف اكتئابيّة	1 % 10	5 % 71,42	6 % 35,29
موضوع مرتبط بالفقر،التجرّد والوحدة مرفق بعواطف اكتئابيّة	2 % 20	0 % 0	2 % 11,76
عواطف اكتئابيّة مرتبطة بصراع نفسي داخلي	2 % 20	0 % 0	2 % 11,76
موضوع مرتبط بصراع نفسي داخلي	1 % 10	1 % 14,28	2 % 11,76
موضوع مرتبط بالتجرّد والعجز	1 % 10	0 % 0	1 % 5,88
التمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة	1 % 10	0 % 0	1 % 5,88
رفض اللّوحة	0 % 0	1 % 14,28	1 % 5,88

مجموع	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100

تبعث إشكاليّة هذه اللّوحة إلى الوحدة في سياق بدائيّة الرّمزيّة الأموميّة، وتنشّط بشكل واضح الإشكاليّة الاكتئابيّة وتختبر قدرة الشّخص على البقاء وحيدا في غياب الموضوع وبالتّالي القدرة على إرصان الوضعيّة الاكتئابيّة.

دارت قصص أكثر من ثلث أفراد مجموعة البحث، أي(35,29 %)، معظمهم ذكور بلغت نسبتهم(71,42%) حول موضوع الفقر،التجرّد والوحدة دون أن ترفق تلك التصوّرات بعواطف اكتئابيّة، بينما سجّلنا تعادلا في النّسب بين الذين ارتبطت مواضيع قصصهم بالهجر من دون أن تصاحبها عواطف اكتئابية، والذين عبّروا عنها ضمن صراع نفسي داخلي بقيت أسبابه مجهولة، وكذا بين الذين تناولوا في قصصهم موضوع الفقر والتجرّد رافقته عواطف قويّة ارتبطت بالحزن والبكاء، وأخيرا، بين أولئك الذين كشفوا عن صراع نفسي داخلي دون أن يكون بمقدورهم إجلاء أسبابه وتوضيحها، وقد بلغت عند هؤلاء جميعا (11,76 %).

أمّا أضعف نسبة، فقد بلغت(5,88 %) وتوزّعت على ثلاثة أفراد من مجموعة البحث: ذكر واحد رفض التّعامل مع اللّوحة، وأنثيين فضّلت إحداهما استثمار الواقع الخارجي متجنّبة بذلك ما قد يضايقها أو يزعجها، بينما كشفت الأخرى عن إشكاليّة التجرّد والعجز.

ومثلما تبيّن معطيات الجدول، لم يتمكّن أيّ فرد من أفراد مجموعة البحث من الاقتراب من الإشكاليّة التي ترمي إليها هذه اللّوحة وإرصان الوضعيّة الاكتئابيّة بسبب ثقل أساليب تجنّب الصّراع الخوافية، وبعض أساليب الرّقابة.

2-2-2-4- نتائج التّحليل الكمّي و الكيفي لقصص اللّوحة 16:

نستعرض الأمثلة التّوضيحيّة لمختلف المواضيع التي تناولها المبحوثون في هذه اللّوحة كالتّالي:

- **موضوع مرتبط بالعدوان والقتل:**

- " حكاية تاع الإرهاب، حكاية القتل، الاعتداء، وحالة النّاس كانت متدهورة، كنّا نتخيلو أشياء مرعبة، كنّا أنّومو أشياء كيما الدّم، كنّا نتفكروا الآثار تاع الأماكن إلّي يحطّو فيها العباد".

- **موضوع مرتبط بالاضطهاد:**

- " تمثّل قساوة المجتمع، معنتها البيئة إلّي نعيشو فيها..وداخل المنزل احتقار الأبناء للآباء، احتقار الإخوة لأخواتهم".

- **موضوع مرتبط بالموت:**

- " Le paradis, une femme qui est morte, elle part dans le paradis".

- **موضوع مرتبط بالفقدان والوحدة دون عواطف اكتئابيّة:**

- " ثلث دراري، شغل كاين هنا طريق يمّاهم بعيدة عليهم أو هوما يحوسو يزڤولها... مبصّح ما كانش كيفاش".

- **موضوع مرتبط بالفقدان مرفق بعواطف اكتئابيّة:**

- " جاتني حكاية زوج صحابات كانو كيف كيف، قراو كيف كيف، يقعدو كيف كيف، جا وقت وين ربّي سبحانو فرّق بيناتهم". (تبكي المبحوثة أثناء القصّة)

- **موضوع مرتبط بالمثلية والحاجة إلى السّند:**

" -Je veux une image d'un enfant qui sourit dans la nature, c'est la plus meilleure image pacequ'elle reflète toute l'innocence,tout le bonheur" .

- **موضوع مرتبط بما هو واقعي، يومي وحالي:**

- " ولد جا يقرى هنا فلمسيد، ما عجبوش حاب يبدّل، هذي هيا"، " ولد صغير كان يقرى مليح مبعدتيك كانو مشاكل بين باباه ويمّاه، ولاّ يدور مع دراري يسرقو ولاّ يسرق ومبعد كي سرق حكموه ودخل للحبس".

- **موضوع مرتبط بمرجع ثقافي شعبي واجتماعي:**

- قصّة شعبية عن جحا.

- **موضوع مرتبط بتحقيق السّلام:**

- " بالاك سلام.. بالاك حياة بلا مشاكل، عباد ماشي معقدين".

جدول رقم(54):توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نوع المواضيع المتناولة في اللّوحة 16

	أفراد مجموعة البحث		
نوع المواضيع المتناولة	إناث	ذكور	مجموع
موضوع مرتبط بالعدوان والقتل	1 % 10	1 % 14,28	2 % 11,76
موضوع مرتبط بالاضطهاد	0 % 0	1 % 14,28	1 % 5,88
موضوع مرتبط بالموت	1 % 10	0 % 0	1 % 5,88
موضوع مرتبط بالفقدان والوحدة دون عواطف اكتئابيّة	1 % 10	0 % 0	1 % 5,88
موضوع مرتبط بالفقدان مرفق بعواطف اكتئابية	1 % 10	0 % 0	1 % 5,88
موضوع مرتبط بالمثلية والحاجة إلى السّند	2 % 20	1 % 10	3 % 17,64
موضوع مرتبط بما هو واقعي، يومي وحالي	2 % 20	2 % 28,57	4 % 23,52
موضوع مرتبط بمرجع ثقافي شعبي واجتماعي	0 % 0	2 % 28,57	2 % 11,76
موضوع مرتبط بتحقيق السّلام	1 % 10	0 % 0	1 % 5,88
رفض اللّوحة	1 % 10	0 % 0	1 % 5,88
مجموع	10 % 100	7 % 100	17 % 100

تبعث إشكاليّة هذه اللّوحة إلى كيفيّة بناء الشّخص مواضيعه المفضّلة، وإلى العلاقات التي يقيمها معها.

برزت مواضيع متنوّعة أمام هذه اللّوحة الأخيرة والفارغة، كشفت عن انشغالات أفراد مجموعة البحث، مخاوفهم، رغباتهم وآمالهم، وعن تجارب مكدّرة ومضايقة أيضا.

بلغت نسبة المبحوثين الذين ارتبطت مواضيع قصصهم بما هو واقعي، يومي وحالي وبمرجع اجتماعي (23,52 %) وقد ظهر هذا النّوع من المواضيع عند الذكور أكثر من عند الإناث حيث بلغت نسبتهم (28,57 %)، بينما عبّر بعضهم، وقد بلغت نسبتهم (17,64 %) عن المثلية والحاجة إلى السّند؛ في حين، سمح بعضهم بعودة المكبوت في شكل تصوّرات فجّة ارتبطت بالعدوان الهمجي والقتل، حيث قدّرت نسبتهم(11,76 %) وذات النّسبة مثّلها أولئك الذين اعتمدوا في سرد قصصهم على مرجع ثقافي شعبي.

أمّا أضعف نسبة وهي(5,88 %)، فقد مثّلها ستّة أفراد: خمس إناث تنوّعت مواضيع قصصهنّ بين التّعبير عن فقدان الموضوع مرفق وغير مرفق بعواطف اكتئابيّة، وبين الموت والبحث عن السّلام والطّمأنينة، بينما رفضت إحداهنّ اللّوحة ولم يكن بمقدورها أمام غياب سند موضوعي، بناء مواضيعها المفضّلة،أو إسقاط انشغالاتها عليها وبالمقابل كانت هذه اللّوحة الأخيرة من لوحات اختبار تفهّم الموضوع بمثابة وعاء حقيقي أسقط فيه ذلك المراهق مشاكله ومخاوفه وصورة عن واقعه الخارجي العدواني والمهدّد والدّاخلي المضطهد.

2-2-3- <u>القلق</u>:

في هذا العنصر، سنستعرض نتائج تحليل قصص كلّ لوحة من اللّوحتين المنشّطتين للإشكالية ما قبل التّناسلية وهما:11 و 19.

2-2-3-1- <u>نتائج التّحليل الكمّي و الكيفي لقصص اللّوحة 11</u>:

نستعرض الأمثلة التّوضيحيّة لمختلف المواضيع المتناولة في هذه اللّوحة كالتّالي:

- **<u>التمسّك بالمحتوى الظّاهر للّوحة</u>:**

- " هذو جبولا وهذي طريق ضيقة".

- **تصوّرات مقلقة مرتبطة بعواطف قويّة:**

- "C’est des montagnes, y’a des animaux sauvages, y’a des arbres dans un lieu sombre qui fait peur et la terreur".

- **تصوّرات مقلقة مرتبطة بالدّمار دون أيّة عواطف:**

- " تقول زنزلة، لرض مشقة، تقولي زنزلة"،" كشغل منطقة صعبة، كشغل هنا زلزال.. معنتها تمثّل كارثة طبيعيّة صرات في منطقة".

- **تصوّرات مقلقة مرتبطة بالدّمار مرفقة بعواطف قويّة:**

- " الحال مغيّم وتخوّف هاد الصّورة... باينة بلّي صرات حاجة، كارثة".

- **تصوّرات مرتبطة برمزيّة جنسيّة شقّافة:**

- "طريق الغابة، un petit pont هكذيا شغل يدخل لـ château ولاّ عفسة".

جدول رقم(55): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نوع المواضيع المتناولة في اللّوحة 11.

	أفراد مجموعة البحث		
نوع المواضيع المتناولة	إناث	ذكور	مجموع
التمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة	**5** % 50	**3** % 42,85	**8** % 47,05
تصوّرات مقلقة مرتبطة بعواطف قويّة	**1** % 10	**1** % 14,28	**2** % 11,76
تصوّرات مقلقة مرتبطة بالدّمار دون أيّة عواطف	**2** % 20	**1** % 14,28	**3** % 17,64
تصوّرات مقلقة مرتبطة بالدّمار مرفقة بعواطف قويّة	**1** % 10	**0** % 0	**1** % 5,88
تصوّرات مرتبطة برمزية جنسيّة شقّافة	**0** % 0	**1** % 14,28	**1** % 5,88
الميل إلى رفض اللّوحة أو رفضها	**1** % 10	**1** % 0	**2** % 11,76
مجموع	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100

تنشّط هذه اللّوحة مواد نفسيّة ذات طابع قبل جنسي بحيث نجد في الخطابات هوامات بدائيّة وهي تختبر قدرة الفرد على إرصان القلق ما قبل التناسلي.

اختلفت ردود الأفعال أمام هذه اللّوحة المولّدة للقلق، وكذا كيفيّة تناول كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث لها، فبينما فضّل نصف المبحوثين تقريبا، أي(47,05 %) أكثرهم إناث (50 %) استثمارالواقع الخارجي والتمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة لمنع أيّ انزلاق أو طفح هوامي مكلف، كشف بعضهم، وقد بلغت نسبتهم (17,64 %) عن تصوّرات مقلقة ارتبطت بالكارثة والدّمار لكن من دون أيّة عواطف، وقد سجّل ظهورها عند الإناث أكثر من عند الذكور، وبعضهم الآخرعن تصوّرات مقلقة ارتبطت بتفاصيل اللّوحة ومحتوياتها رافقتها عواطف قويّة، وقد قدّرت نسبة هؤلاء بـ (11,76 %)، وذات النّسبة مثّلتها إحدى المبحوثات التي أعادت لنا اللّوحة رافضة الاستجابة للتّعليمة.

توزّعت أضعف نسبة مسجّلة والمقدّرة بـ (5,88 %) على أربعة أفراد:ذكرين رفض أحدهما اللّوحة، وكشف الآخرعن تصوّرات ذات رمزيّة جنسيّة شفّافة، وأنثيين انتقدت إحداهما محتوى اللّوحة في محاولة لها لرفضها وتجنّب مادّتها التي ربّما أزعجتها، أمّا الثانيّة، فقد كشفت عن تصوّرات مقلقة ارتبطت بالدّمار رافقتها عواطف قويّة.

2-2-3-2- <u>نتائج التّحليل الكمّي و الكيفي لقصص اللّوحة 19</u>:

نتقدّم بأمثلة توضيحيّة عن كلّ موضوع من المواضيع التي تناولها أفراد مجموعة البحث في هذه اللّوحة كما يلي:

- **<u>التمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة</u>:**

- " هاذي دار، تواقي هذوك.. السما مغيمة التلج تقوشي طايح".

- **<u>موضوع مرتبط بالتّجريد والخيال</u>:**

- " رسومات تاع أشخاص العصر الحجري القديم واقيل"،" تقول حيط مديسيني".

- **<u>موضوع مرتبط بالدّمار والكارثة</u>:**

- " نار.. نار.. ماعلابالیش كشغل فيضان أدّا معاه كلّش".

جدول رقم (56): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب نوع المواضيع المتناولة في اللّوحة 19.

نوع المواضيع المتناولة	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
التمسّك بالمحتوى الظّاهر للّوحة	3 % 30	3 % 42,85	6 % 35,29
موضوع مرتبط بالتّجريد والخيال	4 % 40	2 % 28,57	6 % 35,29
موضوع مرتبط بالدّمار والكارثة	1 % 10	1 % 14,28	2 % 11,76
الميل إلى رفض اللّوحة أو رفضها	2 % 20	1 % 14,28	3 % 17,64
مجموع	10 % 100	7 % 100	17 % 100

تبعث محتويات هذه اللّوحة الظّاهرة ضمنيّا ورمزيّا إلى الصّورة الأموميّة، كما ينشّط المثير إشكاليّة ما قبل تناسليّة من خلال استحضار حاو ومحيط يسمحان بإسقاط الموضوع الجيّد والسّيء، ويدفع إلى النّكوص واستحضار هوامات مولّدة للخوف.

ظهرت صعوبة التّعامل مع استثارات اللّوحة، كما يتبيّن من الجدول، حيث بقي أكثر من ثلث أفراد مجموعة البحث،أي(35,29 %) وأكثرهم ذكور بلغت نسبتهم(42,85 %) متمسّكا بمحتواها الظّاهر، وفضّل استثمار الواقع الذي كان يميل أحيانا إلى الرّفض من فرط ما كانت قصصهم جافّة وقصيرة، وذات النّسبة مثّلها أولئك الذين احتموا بالتّجريد والخيال لكبح أيّ تصوّرات مضايقة من شأنها إرباكهم، وقد كانت الإناث أكثر ميلا إلى تلك المواضيع التّجريدية من الذكور، حيث بلغت نسبتها(40 %).

أمّا الذين رفضوا تماما الاستجابة للتّعليمة وتخيّل قصّة أمام هذه اللّوحة، الأمر الذي يدلّ على انزعاجهم منها، فقد بلغت نسبتهم (17,64 %)، وأكثرهم إناث كذلك قدّرت نسبتهنّ (20 %) بينما قدّرت نسبة أولئك الذين تأثّروا بالمادّة واستحضروا تصوّرات فجّة ارتبطت بالدّمار والكارثة الطّبيعيّة(11,76 %)، وقد ظهر هذا الموضوع عند الذكور أكثر من عند الإناث حيث بلغت نسبة هؤلاء (14,28 %).

3- <u>تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعية السّير النّفسي:</u>

جدول رقم (57): تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعيّة السّير النّفسي.

	أفراد مجموعة البحث		
نوعيّة السّير النّفسي	إناث	ذكور	مجموع
"جيّدة"	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
"متوسّطة"	**5** % 50	**4** % 57,14	**9** % 52,94
" سيّئة"	**5** % 50	**3** % 42,85	**8** % 47,05
مجموع	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100

توضّح معطيات الجدول أنّ أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي بنسبة(52,94 %) تميّز سيرهم النّفسي من خلال اختبار تفهّم الموضوع بنوعيّة "متوسّطة"، مع تفوّق هذه الميزة عند الذكور الذين قدّرت نسبتهم بـ (57,14 %) على الإناث اللّواتي بلغت نسبتهنّ (50 %)، بينما بلغت نسبة أولئك الذين تميّزوا بسير نفسي ذي نوعيّة " سيّئة"(47,05 %) لكنّ التفوّق هذه المرّة عاد للإناث وبنسبة (50 %)، مقابل (42,85 %) مثّلها الذكور.

وكما يتبيّن من الجدول، لم يصنّف ولا فرد من أفراد مجموعة البحث ضمن السّير النّفسي ذي النّوعيّة "الجيّدة"، أي (0 %).

خلاصة:

تتمثّل حصيلة النّتائج المتوصّل إليها من خلال التّحليلين الكمّي والكيفي لبروتوكولات اختبار تفهّم الموضوع لأفراد مجموعة البحث كما يلي:

- تفوّق سلسلة أساليب تجنّب الصّراع (C) على باقي الأساليب الدّفاعيّة الأخرى، حيث ظهرت عند أغلبيّة المراهقين وبمعدّل نسبة قدّر بـ (70 %) وقد كانت الإناث أكثر لجوء إلى هذا النّوع من الأساليب الدّفاعيّة، حيث بلغ معدّل نسبة ظهورها لديهنّ(70,67 %) مقابل (68,96 %) عند الذكور.
- جاء الإنتاج الإسقاطي على العموم فقيرا، تميّز بالكفّ وبسيطرة الأساليب الخوافيّة (C/P) على حساب أساليب تجنّب الصّراع الأخرى، حيث بلغ معدّل نسبتها(69,66 %) وكان ظهورها في بروتوكولات الذكور كبيرا، حيث قدّر معدّل نسبتها(71,23 %)، تلتها الأساليب السّلوكيّة (C/C) بمعدّل نسبة(13,84 %). أمّا الهوسيّة (C/M)، فقد كانت أقلّ توظيفا من قبل المبحوثين، واحتلّت الرّتبة الأخيرة بمعدّل نسبة بلغ(3,42 %).

وقد أظهرت نتائج تحليل ظهور هذا النّوع من الأساليب الدّفاعيّة عند الجنسين أنّ الإناث كانت أكثرتوظيفا للنّرجسيّة منها ، السّلوكيّة ولأساليب استثمار الواقع الخارجي من الذكور الذين، بالمقابل، كانوا أكثر لجوء إلى الأساليب الخوافيّة، كما ذكرنا سابقا والهجاسية.

- ترجم الكفّ الذي ميّز بروتوكولات المبحوثين وجود مكثّف لزمن الكمون الأوّلي أو للصّمت داخل القصص(CP1)، حيث بلغ معدّل نسبته(37,39 %)، وفي بروتوكولات الذكور أكثر من بروتوكولات الإناث، حيث قدّر معدّل نسبته لديهم (39,27 %)، تلاه الميل العام إلى التّقليص (CP2) بمعدّل نسبة (9,81 %). أمّا أضعف معدّل نسبة، فتمثّل في سياق ضرورة طرح الأسئلة، الميل إلى الرّفض، رفض (CP5)، حيث بلغ (5,04 %).

وعن اللّوحات التي لقيت أكبر عدد من الرّفض عند أكثر من ربع أفراد مجموعة البحث فكانت 5، 11 و19، هذه الأخيرة كانت أكثرهنّ رفضا.

وعن كيفيّة ظهور أساليب الكفّ الخوافي عند الجنسين، فإنّ الإناث كنّ أكثر لجوء إلى تقليص القصص(CP2)، وعدم التّعريف بشخصيات اللّوحات(CP3)، وكذا التّعبير عن

أسباب الصّراعات المستحضرة(CP4) من الذكور،هؤلاء تميّزت قصصهم بكثرة التوقفات أثناء سرد القصص (CP1) وبرفض بعض اللّوحات أو بتدخّلاتنا لحثّ الاسترسال (CP5).

- ظهرت الإثارات الحركيّة والإيماءات والتّعابير الجسديّة(CC3) بشكل كبير في بروتوكولات المبحوثين مقارنة بالأساليب السّلوكيّة الأخرى(C/C)، حيث بلغ معدّل نسبتها (10,45 %) وعند الإناث أكثر من عند الذكور، وقد قدّر معدّل النّسبة لديهنّ بـ (11,43 %).
- ومن أساليب نسق عناصرالواقع الخارجي،اليومي والفعلي (C/F)، كان لجوء أفراد مجموعة البحث إلى أسلوب التمسّك بالمحتوى الظّاهر للّوحة(CF1) كبيرا، حيث بلغ معدّل نسبته (3,74 %)، وتفوّق ظهوره في بروتوكولات الإناث، إذ قدّر معدّل نسبته (4,82 %) مقابل (2,20 %) عند الذكور.
- احتلّ أسلوب النّقد الذاتي(CN9) صدارة الأساليب النّرجسيّة بمعدّل نسبة(1,86 %)، وقد برز عند الذكور أكثر من عند الإناث، حيث بلغ معدّل نسبته لديهم (2,38 %).
- رغم التّقارب الكبير بين معدّلي نسبة أسلوب توظيف مفرط لوظيفة سند الموضوع (CM1) ومثلنة الموضوع (تكافؤات إيجابيّة وسلبيّة) (CM2)، إلاّ أنّ المبحوثين كانوا أكثر حاجة إلى السّند، حيث بلغ معدّل نسبة ظهوره لديهم (1,69 %)، وبشكل خاص لدى الإناث (1,73 %).
- من أهمّ وأكثر أساليب الصّلابة(A) التي احتلّت الرّتبة الثانية بعد سلسلة أساليب تجنّب الصّراع (C)، ظهورا في بروتوكولات المبحوثين، كان سياق الاجترار(A2-8) وبمعدّل نسبة(27,50 %)، تلاه سياق التحفّظات الكلاميّة (A2-3) بمعدّل نسبة بلغ (24,02 %)، وقد كان التّكوين العكسي (A2-10) أقلّ الأساليب الصّلبة توظيفا، حيث ظهر بمعدّل نسبة قدّر بـ (2,77 %).

كما كشفت نتائج تحليل ظهور أساليب الصّلابة عند الجنسين عن توظيف كبير من قبل الإناث لما يلي:(A2-3)،(A2-6) ،(A2-10) ،(A2-15) و(A2-17)، بينما تفوّق الذكور عليهنّ في لجوءهم إلى (A2-1) و(A2-8).

● كان أسلوب تعابيرعن وجدانات و/أو تصوّرات كثيفة مرتبطة بإشكاليّة العجز، التجرّد النّجاح التّعاظمي، الخوف، الموت، التّدمير، الاضطهاد وغيرها(E9) من أكثر أساليب سلسلة العمليّات الأوّليّة(E) ظهورا في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث، وبمعدّل نسبة بلغ (32,69 %)، تلاه أسلوب تعبيرات فجّة مرتبطة بموضوع جنسي أو عدواني(E8)، قدّر معدّل نسبته بـ (18,02 %)، بينما كان إدراك مواضيع مجزّأة(و/أو فاسدة أو أشخاص مرضى مشوّهين)(E6) أقلّهم توظيفا من قبل المبحوثين، حيث ظهر بمعدّل نسبة (4,18 %).

من جهة أخرى، كانت الإناث أكثر لجوء إلى(E4)،(E14) و(E17) من الذكور الذين كانوا أكثر توظيفا لأساليب(E1)، (E6)، (E8) و(E9) منهنّ.

● لجوء المراهقين وبشكل متواتر إلى أسلوبين مرنين من بين أهمّ وأكثر أساليب المرونة ظهورا في بروتوكولاتهم وهما: تعابيرعن عواطف قويّة أو مفرط فيها(B2-4)، والتّركيز على العلاقات بين الأشخاص، قصّة على شكل حوار(B2-3)، وبمعدّلي نسبة بلغا على التّوالي: (26,49 %) و(25,50 %).

وقد كشفت النّتائج عن بروز مكثّف للأساليب (B1-2)،(B1-4) ،(B2-1) و(B2-12) في بروتوكولات الإناث أكثر من الذكور عدا أسلوبي (B2-3) و(B2-4) اللّذين كانا أكثر ظهورا في بروتوكولات هؤلاء.

أمّا عن نتائج التّحليل الكيفي لظهور كلّ بعد من الأبعاد النّفسيّة الثلاثة التي اعتمدنا عليها (إلى جانب المقروئيّة وورقة الفرز) في تقدير ديناميكيّة ونوعيّة السّير النّفسي عند أفراد مجموعة البحث، وهي: العدوانيّة، الاكتئاب والقلق، فكانت كالتّالي:

● **<u>العدوانية:</u>**

- أقلّ من ربع أفراد مجموعة البحث، أي(23,52 %) تمكّنوا من الاقتراب نسبيّا من الإشكاليّة التي تبعث إليها اللّوحة 4 والتّعبير عن التّجاذب الوجداني ضمن العلاقة الجنسيّة

الغيريّة غير أنّهم عجزوا عن تبرير أسباب الصّراع النّزوي المستحضر؛ وذات النّسبة مثّلها أولئك الذين عبّروا عن الحاجة إلى السّند ضمن تلك العلاقة الغيريّة.

ولم يرفض هذه اللّوحة إلاّ مراهق واحد فقط، أي بنسبة(5,88 %).

- أكثر من ربع الذكور، أي(28,56 %) أظهروا تعابير عدوانيّة فجّة أمام اللّوحة 8BM ارتبطت بالقتل ولم ترفق بعواطف اكتئابيّة، وذات النّسبة مثّلها أولئك الذين عبّروا عن عدوانيّة فجّة ارتبطت هذه المرّة بالمرض والموت.

- أقلّ من ربع أفراد مجموعة البحث،أي(23,52 %) عبّروا عن عواطف اكتئابيّة ارتبطت بموت الشّخصيّة الأنثوية للّوحة 13MF دون تبري أسباب الموت، وذات النّسبة مثّلها أولئك الذين بقوا متمسّكين بالمحتوى الظاهر للّوحة متجنّبين بذلك الخوض في إشكاليتها.

على العموم، كان الذكور أكثر قدرة على إظهار تصوّرات عدوانيّة سواء أرفقت أو لم ترفق بعواطف اكتئابيّة من الإناث.

- **<u>الاكتئاب</u>:**

- عبّر أكثر من ثلث أفراد مجموعة البحث، أي بنسبة(35,29 %) عن عواطف اكتئابيّة أمام اللّوحة 3BM لكنّها لم ترتبط بفقدان الموضوع، وأقلّ من ربعهم، أي(23,52 %) برّروا تلك العواطف بتصوّرات عدوانيّة، ولم يتمكّن من تناول إشكاليّة الفقدان إلاّ مراهقين فقط، أي بنسبة (11,76 %).

- فضّل أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي(52,94 %) التمسّك بالمحتوى الظّاهر للّوحة 12BG تجنّبا لانبثاق أيّة تصوّرات قد تربكهم، بينما لم يقترب من الإشكالية إلاّ ثلاثة مراهقين،أي(17,64 %)، بحيث دار موضوع قصصهم حول رمزيّة الفقدان لكن من دون أيّة عاطفة.

- ابتعد أكثر من ثلث أفراد مجموعة البحث، أي(35,29 %) عن الإشكاليّة التي تبعث إليها اللّوحة13B، حيث دارت مواضيع قصصهم حول الفقر،التجرّد والوحدة لكن دون أن ترفق بعواطف اكتئابيّة، ولم يتمكّن أيّ مبحوث من المبحوثين من استحضار موضوع الفقدان

وإرصان الوضعيّة الاكتئابيّة بسبب ثقل أساليب تجنّب الصّراع الخوافيّة وبعض أساليب الرّقابة.

- ارتبطت مواضيع أقلّ من ربع المبحوثين بما هو واقعي، يومي وحالي، وبمرجع اجتماعي وقد كان الذكور أكثر تناولا لها من الإناث، حيث بلغت نسبتهم (28,57 %) بينما عبّر بعضهم، وقد بلغت نسبتهم (17,64 %) عن المثليّة والحاجة إلى السّند، في حين كانت اللّوحة 16 بمثابة وعاء أسقط بعضهم فيه مواضيع مزعجة ومضايقة سمحت بعودة المكبوت في شكل تصوّرات فجّة ارتبطت بالعدوان والقتل الهمجي، حيث بلغت نسبتهم (11,76 %).

- **القلق:**

- فضّل ما يقارب نصف أفراد مجموعة البحث، أي بنسبة(47,05 %) استثمارالواقع الخارجي بالتمسّك بالمحتوى الظّاهر للّوحة 11 لمنع أيّ انزلاق أو طفح هوامي مكلف متجنّبين بذلك الإشكاليّة التي تبعث إليها،بينما كشف بعضهم والمقدّرة نسبتهم بـ (17,64 %) عن تصوّرات مقلقة ارتبطت بالدّمار والكارثة دون أن ترافقها أيّة عاطفة.

- تمسّك أكثر من ثلث المراهقين، أي(35,29 %) بالمحتوى الظّاهر للّوحة 19 وفضّل استثمار الواقع والابتعاد عن إشكاليتها، وذات النّسبة مثّلها أولئك الذين احتموا بالتّجريد والخيال لكبح أيّة تصوّرات مقلقة، بينما بلغت نسبة الذين رفضوا اللّوحة(17,64 %).

أمّا أضعف نسبة والمقدّرة بـ (11,76 %)، فقد مثّلها أولئك الذين تأثّروا بالمادّة وتناولوا موضوعا ارتبط بالدّمار والكارثة الطّبيعيّة.

- تميّز السّير النّفسي لأكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي(52,94 %) بنوعيّة "متوسّطة" مع تفوّق الذكور على الإناث حيث بلغت نسبتهم (57,14 %).

الفصل السّابع:
عرض وتحليل معطيات المقابلات العيادية

الفصل السابع: عرض وتحليل معطيات المقابلات العيادية.

يتضمّن هذا الفصل عرضا للخطوات المعتمدة في تحليل معطيات المقابلات العيادية، يليه عرض مفصّل للنّتائج المتحصّل عليها، وذلك حسب تدرّج المحاورالثلاثة التي تضمّنها دليل المقابلة، ثمّ تصنيف لأفراد مجموعة البحث حسب الحالة النّفسية الرّاهنة،أي إن كانوا مصدومين أوغيرمصدومين، إضافة إلى تعريف بالأعراضية النّفسية الصّدمية المشتركة بين أولئك المصدومين.

1- خطوات تحليل معطيات المقابلات العيادية:

1-1- كيفية تحليل وتصنيف معطيات المقابلات العياديّة:

بعد قراءة أوّليّة متمعّنة لمعطيات المقابلات العيادية، كان الغرض منها التعرّف على نوعية مشاركة أفراد مجموعة البحث، إن كانت سهلة أو متردّدة أو صعبة أو متخوّفة وكذا نوعية أجوبتهم، إن كانت فقيرة ومتقلّصة، أو كثيرة وغنيّة بالتّفاصيل خاصّة فيما يتعلّق بكيفيّة معايشتهم لتلك الفيضانات المفاجئة والعنيفة التي ضربت منطقة سكناهم وبتقييمهم لحالتهم النّفسية بعد مرور خمسة عشر شهرا من وقوعها، عمدنا إلى تحليل محتوى كلّ سؤال من أسئلة المحاور الثلاثة التي اعتمدنا عليها لدراسة موضوع البحث والإلمام بكلّ تفاصيله من أجل الحصول على وصف موضوعي منتظم وكمّي لمحتوى خطاب كلّ مبحوث ومبحوثة وتحويله إلى معطيات يمكن تلخيصها ومقارنتها من خلال تطبيق قواعد التّصنيف.

لهذا الغرض، نظّمنا جداول ضمّت الفئات الرّئيسيّة التي أردنا استغلالها في كلّ محور من محاورالمقابلة العياديّة الثّلاثة وأدرجنا ضمن كلّ فئة مجموعة من البنود أغلبها أعراض استمدناها من الوصف العيادي لمراحل الباتولوجيا النّفسية الصّدمية الثلاث الذي قدّمه عياديّون وسيكتريّون فرنسيّون عديدون وعلى رأسهم ل. كروك.

بعد فرز الأجوبة المقدّمة عن أسئلة تلك الفئات التّصنيفيّة، حيث نسبنا كلّ جواب مباشر أو إضافي صرّح به المبحوث إلى البند الخاص به، قمنا بإحصاء عدد (تكرار)الأجوبة

الموافق لكلّ بند، ثمّ بعد ذلك، بحساب نسبة ظهور هذا الأخير عند الجنسين ثمّ عند كلّ أفراد مجموعة البحث وذلك كما يلي:

لحساب نسبة ظهور أيّ بند من بنود فئة تصنيفيّة معيّنة عند الإناث مثلا، نقسم عدد أجوبة ذلك البند(التّكرار) على مجموع أجوبة بنود نفس الفئة التّصنيفيّة التي ظهرت عند الإناث.

فمثلا، لحساب نسبة ظهور بند سوابق طبيّة وجراحية عند الإناث والذي يندرج ضمن فئة سوابق شخصيّة وهي إحدى فئات المحور الأوّل الخاصّ بعوامل الاستعداد النّفسي، قمنا بقسمة عدد ظهوره على مجموع أجوبة البنود عند الإناث دائما ، ثمّ بضرب الحاصل في مائة(100)، وكذلك الأمر بالنّسبة للذكور.أمّا عند حساب نسبة ظهور نفس البند عند أفراد مجموعة البحث، قمنا بقسمة عدد ظهوره عند كلّ المبحوثين على المجموع الكلّي للبنود ثمّ بضرب الحاصل في مائة(100).

1-2- تقديم التّصنيفات الرّئيسية والثانوية لمحاور المقابلة العيادية ووصف بنودها:

نستعرض في هذا العنصر، الفئات التّصنيفيّة الرّئيسية والثّانوية منها التي تمّ تنظيمها بعد تحليل محتوى إجابات المبحوثين، والبنود الموافقة لها وذلك محورا بمحور.

1-2-1- المحور الأوّل: عوامل الاستعداد النّفسي.

من خلال معطيات هذا المحور، حاولنا رصد عوامل الاستعداد النّفسي عند أفراد مجموعة البحث، وذلك من خلال التعرّف على سوابقهم الشّخصيّة والعائلية،الطبيّة منها والنّفسيّة الجسميّة والنّفسيّة الصّدمية أيضا، وعلى أحداث وخبرات حياتية ماضية تعرّضوا لها أوعايشوها وربّما اتّسمت عند البعض منهم بالألم أو بالفشل أو بالعنف، أواكتسى بعضها طابعا صدميّا قد أعجزهم عن مواجهتها وانعكس سلبا على نفسيتهم، وكلّها عوامل قد تكسب "جروحيّة نفسيّة vulnérabilité psychique" متزايدة لاعتداءات المحيط الخارجي على اختلاف خطورتها وتفاوت شدّتها وعنفها، فتقلّل من مقاومة النّفسية أو ربّما تضعفها.

وهكذا، ضمّ هذا المحور ثلاث فئات رئيسيّة هي:

1-2-1-1- فئة سوابق شخصية: أدرجنا في هذه الفئة ثلاثة بنود وهي:

أ- سوابق طبيّة وجراحية: ونقصد بها إصابة المبحوث بمرض عضوي خطير في صغره عانى منه أو تطلّب إجراء عملية جراحية، وربّما ترك تأثيرا سلبيا على نفسيته، مثل: تضخّم الغدّة الدّرقية،التهاب السّحايا، التراخوما، التهابات الكبد وما إلى ذلك من الأمراض العضوية.

ب- سوابق نفسية جسمية: ونقصد بها اضطرابات نفسية جسمية بحصر المعنى وليست أعراضا "وظيفية" بسيطة عانى منها المبحوث في صغره، بل اضطرابات مسّت أجهزة عضوية معيّنة وتسبّبت في تشوّشات وظيفيّة مثل الإصابة بالرّبو،أوبالإكزيما،أو بالصّدفية (Psoriasis)،أوبتقرّح معدي عفجي(Ulcus gastro-duodénal)، أوباضطرابات أخرى يصرّح بها المبحوثون.

ج- سوابق طبيّة عقليّة: كإصابة المبحوث باضطرابات سلوكيّة حادّة ،أوباكتئاب أو بأمراض عقلية استدعت الاستشفاء.

1-2-1-2- فئة سوابق عائلية: وقد أدرجنا في هذه الفئة أيضا ثلاثة بنود وهي:

أ- سوابق طبيّة و/أو نفسية جسمية: ونقصد بها إصابة أحد أفراد عائلة المبحوث بأمراض عضوية "خطيرة" أو "مزمنة"، أو بأمراض نفسية جسمية كان لها انعكاس مميّز وربّما سلبي على نفسية المبحوث.

ب- سوابق طبيّة عقلية: وتتمثّل في إصابة أحد أفراد عائلة المبحوث باضطرابات عقلية أو سلوكية حادّة استدعت الاستشفاء وتأثّر منها المبحوث كثيرا.

ج- سوابق نفسية صدمية: تتمثّل في تعرّض أحد والدي المبحوث لتجارب صدمية ووضعيات ضاغطة تسبّبت في اضطرابهما وربّما تركت أثرها على المبحوث حتّى لو لم يعش تلك التّجارب بصفة مباشرة، ومنها: حالات الفقدان والحداد،صراعات عائلية حادّة وغيرها.

1-2-1-3- <u>فئة أحداث حياتية وتجارب صدمية سابقة</u>: ويقصد بها أحداث ولّدت أزمات شخصيات حادّة أو استتبعت تمزّقا عائليّا كوفاة أحد الأبوين،أو طلاقهما،أو وفاة أحد الإخوة أو صراعات عائلية حادّة وغيرها من الأحداث والتّجارب الصّدمية التي كان لها وقع على نفسية المبحوث ولا يزال يذكرها وربّما يعاني منها.

1-2-2-<u>المحور الثاني</u>:استجابات أفراد مجموعة البحث المباشرة وبعد المباشرة للفيضانات.

قبل التعرّف على أهمّ الاستجابات الفردية المباشرة التي تضمّ مظاهرالضّغط بشكليه المتكيّف وغير المتكيّف وتمسّ المستويات المعرفية،الانفعالية والسّلوكية، حاولنا التعرّف في أوّل الأمرعلى الآثارالجسمية التي قد تسبّبت فيها الفيضانات سواء كان المراهق ضحيّة مباشرة أو شاهدا أو منقذا، ثمّ حاولنا التعرّف بعد ذلك على الاستجابات الفردية بعد المباشرة،أي تلك التي ظهرت في الأسابيع الأولى من وقوع الفيضانات على شكل اضطرابات تكيّفية، حصرية واكتئابية، إضافة إلى بعض الأعراض النّفسيّة الصّدميّة التي تمّ استخراجها انطلاقا من أجوبة المبحوثين وأقوالهم والتي ارتبطت بانبعاث متواتر لمشاهد الفيضانات المروّعة ولذوي بعض المراهقين الموتى، وبالأحلام السّيّئة وما يصاحبها من مظاهر عصبية إعاشيّة ،إلى جانب ظهور بعض مظاهر التجنب والاستنفار وقد تمّ التعرّف كذلك على زمن ظهورها و مدّة استمرارها.

ضمّ هذا المحور إذا فئتان رئيسيتان هما:

1-2-2-1- <u>فئة الاستجابات المباشرة المختلفة للفيضانات</u>:

قبل عرض بنود هذه الفئة، نستعرض تلك الخاصّة بالفئة الثانوية التي أدرجناها حول الآثارالجسمية التي قد تسبّبت فيها الفيضانات والتي رصدناها من أقوال وتصريحات المبحوثين وهي:الإصابة بكدمات،أو بجروح،أوالإحساس بتخدّرالأعضاء، أوفقدان الوعي.

أمّا عن بنود الاستجابات المختلفة فتمثّلت في:ذهول وصعق،سلوكات متهيّجة غير منتظمة كالذعر،الجري في اتّجاهات مختلفة،الصّراخ والهيجان، سلوكات الكف، سلوكات خوافية ومنها الرّعب، الخوف ونوبات بكاء وأخيرا، سلوكات القلق والحصر.

1-2-2-2- فئة الاستجابات بعد المباشرة للفيضانات:

تضمّ هذه الفئة الرّئيسيّة أربع فئات ثانوية وهي: اضطرابات تكيّفيّة، اضطرابات حصريّة اضطرابات اكتئابيّة، وأخيرا، مظاهر نفسية صدمية، وقد أدرجنا ضمن كلّ فئة، بنودا مختلفة نستعرضها بالتّرتيب كما يلي:

أ- اضطرابات تكيّفيّة: أدرجنا ضمن هذه الفئة من الاضطرابات أربعة بنود هي:تأخّر في العودة إلى الشّعور الطّبيعي، ونقصد به عجز المبحوث عن استرجاع شعوره الطّبيعي السّابق، ذهن ملبّد بذكرى الفيضانات، فلا ينقطع عن التّفكير بما جرى يوم وقوع الفيضانات اضطرابات في الذاكرة، واضطرابات في التّفكير، كأن يفقد المبحوث القدرة على التّفكير السّليم ،أي أن يصبح تفكيره مشوّشا.

ب- اضطرابات حصريّة: ضمّت هذه الفئة ثلاثة بنود هي: تخوّف ، الإحساس باختلال الأمن(L'insécurité)، وظهور سورة قلق نفسي و/أو جسمي كأن يشعر المبحوث بالضّيق أو بالتوتّر أو بالانفعال.

ج- اضطرابات اكتئابية: تضمّنت هذه الفئة ثلاثة بنود نستعرضها كما يلي: مزاج حزين وكئيب، نوبات بكاء، وفقدان الأمل في العيش بعد وفاة أحد أفراد العائلة مثلا.

د- مظاهر نفسيّة صدميّة: أدرجنا ضمن هذه الفئة الثانوية الأخيرة البنود الثمانية التّالية: انبعاث متواتر لمشاهد الفيضانات أو للموتى، كوابيس متكرّرة أو أحلام سيّئة عن الكارثة الطّبيعيّة أوعن الموتى، وجود المراهق في حالة استنفار دائمة، صعوبة النّوم، اضطرابات السّلوك الغذائي ، سرعة خفقان القلب، وهي مظاهر عصبيّة إعاشية ترافق مظاهر انبعاث الحدث الصّدمي ،وأخيرا ظهور سورات غضب.

1-2-3- المحور الثالث: التّقييم العيادي للوضع النّفسي لأفراد مجموعة البحث بعد 15 شهرا من وقوع الفيضانات.

رغبة منّا في التعرّف على الوضع النّفسي لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث بعد مرور 15 شهرا من وقوع الفيضانات، أي إن كان مصدوما أو غير مصدوم، قمنا بتقييم عيادي من خلال عمليّة جرد للأعراضيّة النّفسيّة الصّدمية المحتمل ظهورها عند هؤلاء أو عند بعضهم والمشار إليها في الوصف العيادي للتّناذرات النّفسية الصّدميّة وللعصاب الصّدمي كذلك ؛أي أنّنا عمدنا إلى جرد كامل لأعراض نفسيّة صدمية خاصّة بتناذرالتّكرار والتعرّف على معاشه النّفسي، مظاهر التّعبير عنه وتواتره، وبتشوّه الشّخصية، إضافة إلى رصد أعراض أخرى غير نوعية تكمّل اللاّئحة العيادية بل وتسهم في حدّتها.

وهكذا، ضمّ هذا المحور الأخير ثلاث فئات رئيسيّة نستعرضها كما يلي:

1-2-3-1- فئة تناذر التّكرار: أدرجنا ضمن هذه الفئة، ثلاثة بنود ضمّت أهمّ مظاهر التّكرارالتي من خلالها يعاود المبحوث وبلا "انقطاع" معايشة التّجربة الصّدمية وهي:ذكريات متكرّرة على شكل صور وأفكار دخيلة، أحلام وكوابيس متكرّرة واجترار عقلي تكراري (Rumination mentale de répétition).

كما أدرجنا ضمن هذه الفئة الرّئيسيّة، ثلاث فئات ثانوية نستعرضها وبنودها كما يلي:

أ- المعاش النّفسي لتناذر التّكرار: ضمّت هذه الفئة البنود الأربعة التّالية: خوف و/أو ذعر ضيق، قلق ورعب.

ب- المُلازمة (Accompagnement)العصبية الإعاشية: أدرجنا ضمن هذه الفئة ثلاثة بنود هي: عرق ، سرعة خفقان القلب (Tachycardie)، ارتجاف.

ج- تواترالتّكرارات: حيث يعتبر دليل الحدّة، ففي الحالات الحادّة ، يعيش المرضى تكرارات الحدث الصّدمي يوميّا بل عدّة مرّات في اليوم ،أمّا في الحالات الهيّنة أو التي يخفّفها الزّمن تتباعد التكّرارات بوتيرة أقل.

تضمّ هذه الفئة البنود التّالية: أبدا، أي لا وجود لذكريات متكرّرة أو لأحلام وكوابيس مزعجة، نادرا، أحيانا، غالبا و دائما، أي كلّ الأيّام أو عدّة مرّات في اليوم.

1-2-3-2- فئة أعراض غير نوعية: أدرجنا ضمن هذه الفئة الرّئيسيّة الثانية ثلاث فئات ثانوية ضمّت بنودا مختلفة نستعرضها بالتّرتيب كما يلي:

أ- أعراض الحصر: تضمّنت هذه الفئة ثلاثة بنود هي: قلق، إحساس بضيق وفقدان التحكّم الانفعالي.

ب- أعراض الوهن(Asthénie) الجسدي والنّفسي: ضمّت هذه الفئة ثلاثة بنود وهي: عياء(Lassitude) كأن يشعر المبحوث دوما بالتّعب والكلل، صعوبة التّركيز واضطرابات في الذاكرة.

ج- اضطرابات السّلوك: تتمثّل بنودها الثلاثة في: نوبات عصبيّة، نوبات عدوانية ونوبات بكاء.

1-2-3-3- فئة تحوّل الشّخصيّة: سعينا من خلال بنود هذه الفئة إلى التعرّف على ما آلت إليه شخصية المبحوث بعد تعرّضه للفيضانات،أي احتمال حدوث تغيّرات تترجم من خلال مواقف وتصرّفات يتبنّاها بعد تعرّضه للكارثة الطّبيعيّة.

وقد أدرجنا ضمن هذه الفئة الرّئيسيّة الأخيرة ،خمس فئات ثانوية وهي: مظاهرالاستنفار تناذر التجنّب، مظاهرفقدان الاهتمامات، مظاهرالنّكوص النّرجسي، وأخيرا،مظاهر التغيّر في العلاقة الاجتماعية.

أ- مظاهرالاستنفار: ومن بنودها:الاحتراس واليقظة الدّائمين، صعوبة النّوم، نوم خفيف بحيث يستيقظ لأدنى صوت، استيقاظ قلق أثناء اللّيل (يرتبط هذا بالأحلام).

ب- تناذرالتجنّب: ضمّت هذه الفئة البنود الثلاثة التّالية: تجنّب الأماكن المذكّرة بالفيضانات تجنّب الأشخاص والمواضيع التي تذكّر بالفيضانات، وكذا بذل جهد لتجنّب الأفكار التي تراود المبحوث حول هذه الكارثة الطّبيعية التي تعرّض لها.

ج- فقدان الاهتمامات: شملت هذه الفئة البنود الثّلاثة التّالية: تقلّص الاهتمام بالنّشاطات انخفاض المردود والإحساس بمستقبل مسدود.

د- النّكوص النّرجسي: ونقصد به الانطواء العاطفي للشّخصيّة، حيث يكرّس الأفراد الذين لم يُسعفوا(نفسيّا وعاطفيّا) لحظة وقوع الحدث الصّدمي كلّ انتباههم وعاطفتهم لدعم ذاتهم، فهم عاجزون عن حبّ الآخرين وعلى العكس، يظهرون لهم حاجتهم الملحّة للاهتمام بهم ولمنحهم الحبّ والاعتبار. وهكذا، فقد أدرجنا ضمن هذه الفئة البنود الأربعة التّالية: طلب مُلح للحنان وللاهتمام وللاعتبار، البحث عن الحماية، الانطواء على الذات والعجز عن الحب.

ه- العلاقة الاجتماعية: من البنود التي نظّمناها ضمن هذه الفئة الثانوية الأخيرة والتي تعكس أجوبة المبحوثين نذكر: انسحاب اجتماعي، عدوانية، حساسية وحذر.

1- 3- كيفيّة تصنيف أفراد مجموعة البحث إلى مصدومين وغير مصدومين:

اعتمادا على نتائج تحليل معطيات المحاور الثلاثة بشكل عام، وعلى المعايير التّشخيصيّة للتّناذرات النّفسيّة الصّدمية بشكل خاص والتي تتمحور حول المحاور الثلاث الكبرى التي استعرضنا فئاتها وبنودها في الفقرة السّابقة وهي للتّذكير: تناذر التّكرار وتشوّه الشّخصيّة اللّذان يعتبران الواسمان المرضيان(Pathognomoniques) لتلك التّناذرات وللعصاب الصّدمي،إضافة إلى أعراض غير نوعية مكمّلة للاّئحة العيادية ومسهمة في حدّتها، قمنا بتصنيف أفراد مجموعة البحث إلى مصدومين وغير مصدومين.

وهكذا، فقد اعتبرنا أيّ مبحوث من المبحوثين مصدوما بتوفّر الشّروط التّالية:

- ظهور الأعراض النّفسيّة الصّدمية المذكورة سابقا.

- الشدّة والتّواتر،وهما المعيارن الأساسيّان للصّحة العقلية، وقد اعتمدنا عليهما أثناء التقييم العيادي للتمييز بين الوضع النّفسي المضطرب للمبحوث من الوضع النّفسي السّوي أو السّليم له.

- مدى انعكاس تلك الأعراض على الحياة الاجتماعية والنّفسية للمبحوث.

4-1 - الأعراضية النّفسية الصّدمية المشتركة بين المصدومين:

في آخر خطوة من تحليل معطيات المقابلات العيادية، وقفنا على الأعراض النّفسية الصّدمية المشتركة بين المصدومين، الأمر الذي يسمح لنا بتمييز الحالات الهيّنة من الحالات الحادّة.

2- عرض نتائج تحليل معطيات المقابلات العيادية:

2-1- المحور الأوّل: عوامل الاستعداد النّفسي.

2-1-1- سوابق شخصية:

في هذا العنصر، سنستعرض توزيع نسبة ظهورسوابق طبيّة جراحية ونفسية جسمية واضطرابات عقلية عند أفراد مجموعة البحث.

جدول رقم (58): توزيع نسبة وجود سوابق شخصية عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
سوابق شخصيّة	إناث	ذكور	مجموع
طبيّة وجراحيّة	**4** % 40	**0** % 0	**4** % 80
نفسيّة وجسميّة	**1** % 20	**0** % 0	**1** % 20
طبيّة عقليّة	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
مجموع	**5** % 100	**0** % 0	**5** % 0

بلغت نسبة السّوابق الطبيّة والجراحية التي كان لها تأثير مميّز على نفسية الإناث دون الذكور، كما توضّحه معطيات الجدول (80 %) من مجموع السّوابق الشّخصية مقابل نسبة ضعيفة مثّلتها السّوابق النّفسية الجسمية إذ قدّرت بـ (20 %) والتي لم تظهر إلاّ عند الإناث كذلك، بينما لم نسجّل وجود أيّة اضطرابات عقلية عانى منها أفراد مجموعة البحث في طفولتهم (0 %).

2-1-2- سوابق عائلية:

في هذا العنصر، سنستعرض توزيع نسبة ظهورسوابق عائلية عند كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث والتي حدّدناها كما يلي: سوابق نفسية جسمية، طبيّة عقلية ونفسية صدمية.

جدول رقم (59): توزيع نسبة ظهور سوابق عائلية عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
سوابق عائليّة	إناث	ذكور	مجموع
طبيّة أو نفسيّة جسميّة	**5** % 50	**2** % 40	**7** % 46,66
طبيّة عقليّة	**1** % 10	**1** % 20	**2** % 13,33
نفسيّة صدميّة	**4** % 40	**2** % 40	**6** % 40
مجموع	**10** % 40	**5** % 0	**15** % 23,52

احتلّ ظهور سوابق نفسية جسمية عند العائلة الصّدارة حيث بلغت نسبتها (46,66 %)، وقد كانت نسبة وجودها عند الإناث أكبر من عند الذكور(50 % مقابل 40 %)، تلتها سوابق صدمية بنسبة (40 %)، وهي ذات النّسبة عند الجنسين.

أمّا عن نسبة وجود سوابق طبيّة عقليّة عند عائلة كلّ فرد من أفراد مجموعة البحث، فقد كانت قليلة حيث قدّرت بـ (13,33 %) مع تفوّق ظهورها عند الذكور(20%) مقابل(10 %) عند الإناث.

2-1-3- أحداث حياتية وتجارب صدمية سابقة:

سنتعرّف في هذا العنصرعلى نوع الأحداث الحياتية و/أوالتّجارب الصّدمية السّابقة التي تعرّض لها المبحوثون وعايشوها ونسبة ظهورها لديهم.

جدول رقم(60): توزيع نسبة ظهورأحداث حياتية و/أوتجارب صدمية عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
أحداث حياتيّة وتجارب صدميّة سابقة	إناث	ذكور	مجموع
وفاة أحد الأبوين	2 % 13,33	1 % 20	3 % 15
وفاة أحد الإخوة	2 % 13,33	0 % 0	2 % 10
طلاق الوالدين	0 % 0	1 % 20	1 % 5
صراعات عائليّة حادّة	5 % 33,33	1 % 20	6 % 30
تجربة عاطفيّة فاشلة	3 % 20	0 % 0	3 % 15
حوادث سير خطيرة	1 % 6,66	0 % 0	1 % 5
إرهاب	2 % 13,33	2 % 40	4 % 20
مجموع	15 % 100	5 % 100	20 % 100

كانت الصّراعات العائليّة الحادّة من أكثر الأحداث الحياتية رصدا عند أفراد مجموعة البحث حيث بلغت نسبتها(30 %)، وقد كانت أكثر ظهورا عند الإناث(33,33 %) من عند الذكور (20 %) ، تلتها الهجمات الإرهابية التي وقعت في التّسعينات وذلك بنسبة(21 %) وبفارق واسع بين الإناث (14,29 %) والذكور(40 %)، ثمّ، وبنسبة متعادلة قدّرت بـ (15 % وفاة أحد الأبوين وتجربة عاطفيّة فاشلة التي خصّت الإناث(20 %) دون الذكور (0 %)، كما يتبيّن من خلال الجدول.

أمّا عن أقلّ الأحداث الحياتية والتّجارب الصّدمية ظهورا عند هؤلاء المراهقين، فتمثّلت في وفاة أحد الإخوة حيث بلغت نسبتها (10 %)، وحوادث سير خطيرة بنسبة ظهور قدّرت بـ (5 %)، وقد برز هذان الحدثان عند الإناث دون الذكور مثلما هو مبيّن على الجدول.

2-2- <u>المحور الثاني</u>: استجابات أفراد مجموعة البحث المباشرة وبعد المباشرة للفيضانات.

2-2-1- <u>الاستجابات المباشرة للفيضانات</u>:

في هذا العنصر، سنتعرّف على الاستجابات الفردية المباشرة للفيضانات والتي تضمّ مظاهرالضّغط بشكليه المتكيّف وغير المتكيّف وتمسّ المستويات التّالية:المعرفية الانفعالية والسّلوكية، لكن قبل ذلك،لابأس أن نستعرض الآثار الجسمية النّاتجة عن تعرّض هؤلاء المراهقين بصفة مباشرة بل وحتّى غير مباشرة للفيضانات، وذلك من خلال الجدول الموالي:

جدول رقم(61): توزيع نسبة ظهورالآثارالجسمية عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
الآثار الجسميّة	إناث	ذكور	مجموع
كدمات	1 % 20	0 % 0	1 % 10
جروح	1 % 20	2 % 40	3 % 30
غطس	1 % 20	1 % 20	2 % 20
الإحساس بتخدّر الجسم	0 % 0	2 % 40	6 % 20
فقدان الوعي	2 % 40	0 % 0	2 % 20
مجموع	5 % 100	5 % 100	10 % 100

كانت الجروح من أكثر الآثار الجسمية التي سبّبتها الفيضانات، حيث بلغت نسبة ظهورها عند أفراد مجموعة البحث(30 %)، تلاها الغطس، فقدان الوعي والإحساس بتخدّر الجسم بنسبة متساوية قدّرت بـ (20 %)، بينما لم تسجّل إلاّ نسبة قليلة من وجود كدمات حيث بلغت (10 %).

أمّا عن توزيع نسبة ظهور هذه الآثار عند الجنسين، فكان الذكور أكثر إصابة بجروح وإحساسا بتخدّر الجسم من الإناث اللواتي كنّ أكثر تعرّضا لكدمات ولفقدان الوعي منهم

جدول رقم(62): توزيع نسبة ظهور الاستجابات المباشرة عند أفراد مجموعة البحث.

الاستجابات المباشرة المختلفة	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
ذهول وصعق	**10** % 26,31	**7** % 25,92	**17** % 26,15
استجابات سلوكيّة متهيّجة غير منتظمة	**2** % 5,26	**1** % 3,70	**3** % 4,61
استجابات الكفّ	**6** % 15,78	**5** % 18,51	**11** % 16,92
استجابات خوافيّة	**10** % 26,31	**7** % 25,92	17 % 26,15
استجابات القلق والحصر	**10** % 26,31	**7** % 25,92	17 % 26,15
مجموع	**38** % 100	**27** % 100	**65** % 100

كانت استجابات الذهول والصّعق،القلق والحصر، والخوافية من أكثرالاستجابات المختلفة التي ظهرت عند أفراد مجموعة البحث مباشرة بعد حدوث الفيضانات حيث بلغت نسبتها (26,15 %) ، ولم يكن الفارق بين نسبتي وجودها عند الجنسين كبيرا حيث سجّلنا (26,31 %) عند الإناث مقابل (25,92 %) عند الذكور.

وبنسبة أقلّ قدّرت بـ (16,92 %)، برزت استجابات الكفّ لكنّ نسبة ظهورها عند الذكور (18,51%) فاقت تلك عند الإناث(15,78 %). أمّا عن الاستجابات السّلوكيّة المتهيّجة وغير المنتظمة، فقد كان ظهورها ضعيفا على العموم (4,61 %)، لكنّها كانت أكثر بروزا عند الإناث(5,26 %) من عند الذكور(3,70 %).

2-2-2- <u>الاستجابات بعد المباشرة للفيضانات</u>:

ونقصد بها أهمّ الاضطرابات التكيّفيّة،الحصريّة والاكتئابية التي ظهرت في الأسابيع الأولى من وقوع الفيضانات، إضافة إلى بعض المظاهر النّفسية الصّدمية التي رصدناها من أقوال المبحوثين.

2-2-2-1- اضطرابات التكيّف:

في هذا العنصر، سنستعرض أهمّ اضطرابات التكيّف التي أمكن لنا رصدها عند أفراد مجموعة البحث من خلال تصريحاتهم وأقوالهم ، ونسبة ظهورها لديهم.

جدول رقم(63): توزيع نسبة ظهور اضطرابات التكيّف عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
اضطرابات التكيّف	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
تأخّر في العودة إلى الشّعور الطّبيعي	**9** % 31,03	**6** % 30	**15** % 30,61
ذهن ملبّد بذكرى الفيضانات	**10** % 34,48	**7** % 35	**17** % 34,69
اضطرابات في الذاكرة	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
اضطرابات في التّفكير	**10** % 34,48	**7** % 35	**17** % 34,69
مجموع	**29** % 100	**20** % 100	**49** % 100

كانت اضطرابات التّفكير وتلبّد الذهن بذكرى الفيضانات من أكثر اضطرابات التكيّف بروزا عند المبحوثين في الأسابيع الأولى من وقوع تلك الكارثة الطّبيعيّة،حيث بلغت نسبتها (34,69 %)، وكما تبيّنه معطيات الجدول، فإنّ الفارق في نسبة ظهورها عند الجنسين لم يكن معتبرا، في حين، لم يبرز تأخّر في العودة إلى الشّعور الطّبيعي إلاّ بنسبة (30,61 %) بينما لم نسجّل ظهور أيّ اضطرابات في الذاكرة عند هؤلاء المراهقين (% 0).

2-2-2-2- اضطرابات الحصر:

من خلال معطيات الجدول الموالي، سنتعرّف على أهمّ اضطرابات الحصر التي أمكن لنا رصدها عند أفراد مجموعة البحث ونسبة ظهورها لديهم.

جدول رقم(64): توزيع نسبة ظهور اضطرابات الحصر عند أفراد مجموعة البحث.

اضطرابات الحصر	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
تخوّف	**10** % 35,71	**7** % 35	**17** % 35,41
الإحساس باختلال الأمن(Insécurité)	**8** % 28,57	**6** % 30	**14** % 29,16
سورة قلق نفسي و/أو جسمي	**10** % 35,71	**7** % 35	**17** % 35,41
مجموع	**28** % 100	**20** % 100	**48** % 100

تعادلت نسبة ظهور التخوّف وسورة قلق نفسي و/أو جسمي عند أفراد مجموعة البحث حيث قدّرت بـ (35,41 %)، وقد كان تواجدهما كبيرا مقارنة باختلال الأمن الذي بلغت نسبة ظهوره (29,16 %). أمّا عن توزيع نسبة ظهور هذه الاضطرابات عند الجنسين، فلا يبدو الفارق كبيرا بين الإناث والذكور.

2-2-2-3- اضطرابات اكتئابية:

في هذا العنصر،سنتعرّف على أهمّ الاضطرابات الاكتئابية التي تحدّث عنها المبحوثون أثناء المقابلة العيادية، وعلى نسبة ظهورها لديهم.

جدول رقم (65): توزيع نسبة ظهور اضطرابات اكتئابية عند أفراد مجموعة البحث.

اضطرابات اكتئابيّة	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
مزاج حزين ومكتئب	**9** % 47,36	**7** % 70	**16** % 55,17
نوبات بكاء	**7** % 36,84	**2** % 20	**9** % 31,03
الإحساس بفقدان الأمل	**3** % 15,78	**1** % 10	**4** % 13,79
مجموع	**19** % 100	**10** % 100	**29** % 100

يعدّ المزاج الحزين والمكتئب من أكثر الاضطرابات الاكتئابيّة ظهورا عند المبحوثين،إذ بلغت نسبته(55,17 %)، مع تفوّق ظهوره عند الذكور(70 %)، وفي رتبة أقلّ، ظهرت نوبات بكاء بنسبة(31,03 %) تلاها إحساس بفقدان الأمل بنسبة قدّرت بـ (13,79 %)، وقد كان بروز هذان الاضطرابان عند الإناث أكبر من عند الذكور.

2-2-2-4- مظاهر نفسيّة صدمية:

في هذا العنصر، سنتعرّف أوّلا على بعض الأعراض النّفسيّة الصّدمية التي ظهرت عند أفراد مجموعة البحث بعد وقوع الفيضانات وتحدّثوا عنها أثناء المقابلة العياديّة، ثمّ على زمن ظهورها، وأخيرا، على مدّة استمرارها.

جدول رقم(66): توزيع نسبة ظهور أعراض نفسية صدمية لدى أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
أعراض نفسيّة صدميّة	إناث	ذكور	مجموع
انبعاث متواتر لمعاش الفيضانات	9 % 13,84	6 % 14,63	15 % 14,15
كوابيس متكرّرة أو أحلام سيّئة	5 % 7,69	3 % 7,31	8 % 7,54
حالة استنفار	9 % 13,84	6 % 14,63	15 % 14,15
مظاهر التجنّب	8 % 12,30	5 % 12,19	13 % 12,26
صعوبة النّوم	10 % 15,38	7 % 17,07	17 % 16,03
اضطراب السّلوك الغذائي	10 % 15,38	7 % 17,07	17 % 16,03
سرعة خفقان القلب	9 % 13,84	6 % 14,63	15 % 14,15
سورات غضب	5 % 7,69	1 % 2,43	6 % 5,66
مجموع	65 % 100	41 % 100	106 % 100

احتلّت صعوبة النّوم واضطراب السّلوك الغذائي صدارة بعض الأعراض النّفسيّة الصّدميّة التي صرّح المبحوثون بوجودها في الأسابيع الأولى من وقوع الفيضانات بل وحتّى في الشّهر الأوّل،حيث بلغت نسبتهما(16,03 %) تلاهما انبعاث متواتر لمعاش الفيضانات وحالة استنفار رافقتهما سرعة خفقان القلب بنسبة(14,15 %)، ثمّ مظاهر التجنّب بنسبة ظهور قدّرت بـ (12,26 %) فكوابيس متكرّرة وأحلام سيّئة عن مشاهد تلك الكارثة الطّبيعيّة أو غرقاها بلغت نسبة ظهورها عند المبحوثين(7,54 %) ، بينما لم نسجّل إلاّ نسبة ضعيفة من ظهور سورات غضب قدّرت بـ (5,66 %).

أمّا بخصوص توزيع نسبة ظهور هذه الأعراض الصّدمية بين الجنسين، توضّح معطيات الجدول تفوّق ظهور معظمها عند الذكور عدا كوابيس متكرّرة وأحلام سيّئة، مظاهر التجنّب وسورات غضب التي كانت أكثر ظهورا عند الإناث.

جدول رقم (67): توزيع أفراد مجموعة البحث حسب زمن ظهور بعض الأعراض النّفسيّة الصّدمية لديهم.

	أفراد مجموعة البحث		
زمن ظهور الأعراض النّفسيّة الصّدميّة	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
أسبوعان بعد وقوع الفيضانات	**5** % 50	**2** % 28,57	**7** % 41,17
شهر بعد وقوع الفيضانات	**4** % 40	**2** % 28,57	**6** % 35,29
خلال ستّة أشهر من وقوع الفيضانات	**1** % 10	**3** % 42,85	**4** % 23,52
سنة بعد وقوع الفيضانات	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
أكثر من سنة من وقوع الفيضانات	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
مجموع	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100

لم يتجاوز زمن ظهور أعراض نفسيّة صدميّة عند أفراد مجموعة البحث السّنة ، والملاحظ من المعطيات المتحصّل عليها،هو التّباين في توزيع الجنسين حسب فترة التعرّض لتلك المشاكل النّفسيّة والمعاناة.

بالفعل، بلغت نسبة المراهقين الذين تأثّروا كثيرا بمشاهد الفيضانات المروّعة وبما خلّفته من موتى لدرجة ظهور بعض الأعراض النّفسيّة الصّدميّة أسبوعان بعد وقوع الحدث الكارثي،(41,17 %)، وقد كانت الإناث أكثر تأثّرا من الذكور، في حين، بلغت نسبة أولئك الذين لم تظهر تلك الأعراض لديهم إلاّ بعد شهر من وقوع الفيضانات(35,29 %)، أغلبهم إناث كذلك، بينما كان أقلّ من ربع المبحوثين، أي(23,52 %) ممن ظهرت لديهم بعض من الأعراض الصّدميّة خلال الأشهر السّتة الأولى، أغلبهم ذكور.

جدول رقم(68): مدّة استمرار الأعراض النّفسيّة الصّدمية التي ظهرت عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
مدّة استمرار الأعراض النّفسيّة الصّدميّة	إناث	ذكور	مجموع
أقلّ من ستّة (6) أشهر	3 % 30	0 % 0	3 % 17,64
أقلّ من سنة	0 % 0	3 % 42,85	3 % 17,64
سنة كاملة	1 % 10	2 % 28,57	3 % 17,64
أكثر من سنة	6 % 60	2 % 28,57	8 % 47,05
مجموع	10 % 100	7 % 100	17 % 100

استمرّت معاناة ما يقارب نصف أفراد مجموعة البحث،أي(47,05 %) من بعض الأعراض الصّدمية التي ظهرت لديهم أكثر من سنة، وبهذا بدت الإناث أكثر" تضرّرا" من الذكور بينما تساوت النّسبة بين الذين لم تتجاوز معاناتهم منها ستّة أشهر، والذين لم تتجاوز السّنة وأخيرا، بين أولئك الذين بقوا يعانون من وجودها لديهم سنة كاملة، حيث بلغت(17,64 %) لكن مع تفاوت كبير في النّسب بين الإناث والذكور.

2-3- <u>المحور الثالث</u>: التّقييم العيادي للوضع النّفسي لأفراد مجموعة البحث بعد 15 شهرا من وقوع الفيضانات.

2-3-1- <u>تناذر التّكرار</u>:

في هذا العنصر، سنتعرّف أوّلا على مدى غنى تناذر التّكرار عند أفراد مجموعة البحث أي هل انحصر في ذكريات متطفّلة أو كوابيس أم كانت هناك مظاهر أخرى كالاجترار العقلي لأحداث الفيضانات، الرّجفات وغيرها؟، بعد ذلك، سنتعرّف على المعاش النّفسي لهذه الأعراض التّكرارية وعلى المُلازمة العصبية الإعاشية له وأخيرا،على مدى تواترها عند أفراد مجموعة البحث والذي سيحدّد لنا حدّتها.

جدول رقم (69): توزيع نسبة ظهور تناذر التّكرارعند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
تناذر التّكرار	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
ذكريات متكرّرة	**9** % 52,94	**6** % 60	**15** % 55,55
كابوس تكراري	**2** % 11,76	**1** % 10	**3** % 11,11
اجترار عقلي تكراري	**6** % 35,29	**3** % 30	**9** % 33,33
مجموع	**17** % 100	**10** % 100	**27** % 100

يتبيّن من الجدول السّابق، تفوّق ظهور ذكريات الفيضانات بشكل مكرّر عند المبحوثين على باقي أعراض التّكرارالتي رصدناها،حيث بلغت نسبتها (55,55 %)، وقد كان ظهورها عند الذكور(60 %) أكبرمن عند الإناث(52,94 %)،بينما لم يبرز الاجترارالعقلي للكارثة الطّبيعيّة عند هؤلاء المبحوثين إلاّ بنسبة (33,33 %). أمّا عن الكابوس التّكراري فقد كانت نسبة ظهوره ضعيفة إذ قدّرت بـ (11,11 %).

وإذا تأمّلنا توزيع نسبة ظهورالعرضين الأخيرين عند الجنسين، فإنّنا نجد أنّ الإناث كنّ أكثر عرضة لكوابيس تكرارية وأكثر اجترارا للفيضانات من الذكور.

2-3-1-1- <u>المعاش النّفسي لتناذر التّكرار</u>:

في هذا العنصر، سنستعرض أهمّ أنماط المعاش النّفسي لتناذر التّكرار التي رصدناها عند أفراد مجموعة البحث وعلى نسبة ظهورها لديهم.

جدول رقم(70): توزيع نسبة ظهور أنماط المعاش النّفسي لتناذر التّكرار عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
أنماط المعاش النّفسي	إناث	ذكور	مجموع
خوف و/أو ذعر	1 % 5,88	2 % 28,57	3 % 16,66
ضيق	9 % 52,94	3 % 42,85	12 % 50
قلق	6 % 35,29	2 % 28,57	8 % 33,33
رعب	1 % 5,88	0 % 0	1 % 4,16
مجموع	17 % 100	7 % 100	24 % 100

من أكثر مظاهر المعاش النّفسي لتناذر التّكرار ظهورا عند أفراد مجموعة البحث، كان الضّيق، حيث بلغت نسبته(50 %) تلاه القلق بنسبة ظهور قدّرت بـ(33,33 %) ثمّ الإحساس بالخوف و/أو بالذعر بنسبة بلغت(16,66 %)،بينما احتلّ الإحساس بالرّعب جرّاء تذكّر الفيضانات ومشاهدها المروّعة،أو الشّخص المتوفى،المرتبة الأخيرة من بين تلك المظاهر المختلفة التي رصدناها من أقوال المبحوثين وبنسبة بلغت (4,16 %).

وبخصوص توزيع نسبة ظهور هذه الأنماط بين الجنسين، فكانت الإناث أكثر إحساسا بالضّيق والقلق والرّعب من الذكور الذين بالمقابل، كانوا أكثر إحساسا بالخوف و/أو بالذعر من الإناث.

2-1-3-2- المُلازمة العصبية الإعاشية (Accompagnement neurovégétatif):

في هذا العنصر، سنستعرض أهمّ أنماط الملازمة العصبيّة الإعاشيّة لتناذر التّكرار التي رصدناها عند أفراد مجموعة البحث.

جدول رقم(71): توزيع نسبة ظهور أنماط الملازمة العصبية الإعاشية عند أفراد مجموعة البحث.

أنماط الملازمة العصبيّة الإعاشيّة	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
عرق	5 % 31,25	1 % 25	6 % 30
سرعة خفقان القلب (Tachycardie)	7 % 43,75	3 % 75	10 % 50
ارتجاف	4 % 25	0 % 0	4 % 20
مجموع	16 % 100	4 % 100	20 % 100

كانت سرعة خفقان القلب من أكثر الأنماط العصبيّة الإعاشيّة التي لازمت تناذر انبعاث ذكريات الفيضانات عند أفراد مجموعة البحث، حيث بلغت نسبة هذا النّمط (50 %) وبنسبة أقلّ قدّرت بـ (30 %) كان العرق، ثمّ الارتجاف بنسبة (20 %).

أمّا عن توزيع نسبة ظهورهذه الأنماط بين الجنسين، فكان العرق والارتجاف أكثر ظهورا عند الإناث من الذكور الذين تميّزوا بسرعة خفقان القلب عند تذكّر وقائع الفيضانات.

2-3-1-3- <u>تواتر التّكرارات</u>:

في هذا العنصر، سنتعرّف على درجة تواتر تناذر التّكرار عند أفراد مجموعة البحث.

جدول رقم(72): توزيع نسبة تواتر تناذر التّكرار عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
درجة تواتر التّكرارات	إناث	ذكور	مجموع
أبدا	**1** % 10	**2** % 28,57	**7** % 17,64
نادرا	**2** % 20	**1** % 14,28	**3** % 17,64
أحيانا	**2** % 20	**2** % 28,57	**4** % 23,52
غالبا	**2** % 20	**2** % 28,57	**4** % 23,52
دائما	**3** % 30	**0** % 0	**3** % 17,64
مجموع	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100

تبيّن معطيات الجدول أنّ أقلّ من ربع المبحوثين، أي بنسبة(23,52 %) لا يعيدون تذكّر أحداث الفيضانات العنيفة والمخيفة بشكل متكرّر إمّا على مستوى التّفكير، أو على مستوى الأحلام إلاّ أحيانا، وهي ذات النّسبة المسجّلة عند أولئك الذين غالبا ما يسترجعون ذكريات أليمة عن الدّمار وصورالغرقى،أو ذويهم الذين فقدوهم إمّا بالتّفكير فيهم مرارا أو بالتعرّض لأحلام وكوابيس مزعجة عنهم.

أمّا عن نسبة تواتر تناذر التّكرار عند الجنسين حسب هاتين الدّرجتين، فقد كان التفوّق لصالح الذكور كما يتبيّن من الجدول.

كما نلاحظ تعادلا بين نسبة المراهقين الذين لم تعد ذكريات الفيضانات المروّعة تراود ذهنهم، أو تزعج أحلامهم، وبين نسبة أولئك الذين نادرا ما تظهر لديهم أعراض تناذر التّكرار، وأخيرا، بين اللّواتي بقين يتذكّرن الأحداث ويجترّرنها بشكل دائم، حيث بلغت (17,64 %).

2-3-2- أعراض غير نوعية:

في هذا العنصر، سنستعرض ظهور أعراض غير نوعيّة عند المبحوثين، أي التي يمكن مشاهدتها في عصابات أخرى،ومنها: الحصر العام، الوهن (Asthénie) الجسمي والنّفسي واضطرابات السّلوك.

2-3-2-1- أعراض الحصر:

جدول رقم (73): توزيع نسبة ظهور أعراض الحصر عند أفراد مجموعة البحث.

أعراض الحصر	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
قلق	**8** % 25,80	5 % 38,46	**13** % 29,54
إحساس بضيق	**7** % 22,58	**4** % 30,76	**11** % 25
فقدان التحكّم الانفعالي	**7** % 22,58	**2** % 15,38	**9** % 20,45
إحساس باختلال الأمن	**6** % 19,35	**2** % 15,38	**8** % 18,18
مجموع	**31** % 100	**13** % 100	**44** % 100

احتلّ القلق صدارة أعراض الحصر العام المختلفة التي رصدناها عند أفراد مجموعة البحث حيث بلغت نسبة ظهوره لديهم (29,54 %)، تلاه إحساس بضيق بنسبة (25 %) ثمّ فقدان التحكّم الانفعالي بنسبة (20,45 %) فإحساس باختلال الأمن بنسبة ظهور قدّرت بـ (18,18 %).

وحسب معطيات الجدول، كانت الإناث أكثر عجزا عن التحكّم في انفعالاتهنّ وإحساسا باختلال الأمن من حولهنّ من الذكور، هؤلاء بالمقابل، كانوا أكثر قلقا وإحساسا بضيق منهنّ.

2-3-2-2- أعراض الوهن الجسمي والنّفسي:

جدول رقم (74): توزيع نسبة ظهور أعراض التّعب عند أفراد مجموعة البحث.

أعراض الوهن الجسمي والنّفسي	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
عياء (Lassitude)	8 % 44,44	3 % 30	11 % 39,28
صعوبة التّركيز الفكري	9 % 50	7 % 70	16 % 57,14
اضطرابات في الذاكرة	1 % 5,55	0 % 0	1 % 3,57
مجموع	18 % 100	10 % 100	28 % 100

من أكثر أعراض الوهن ظهورا عند أفراد مجموعة البحث،كانت صعوبة التّركيز الفكري بنسبة(57,14 %)، ثمّ العياء بنسبة(39,28 %). أمّا عن ظهور اضطرابات في الذاكرة عند هؤلاء المراهقين، فقد كان ضعيفا إذ بلغت نسبته(3,57 %).

من جهة أخرى، توضّح معطيات الجدول أنّ الإناث تعانين من عياء و اضطرابات في الذاكرة أكثر من الذكور الذين يجدون صعوبة في التّركيز أثناء قيامهم بنشاطات فكريّة أكثر من الإناث.

2-3-2-3- اضطرابات السّلوك:

جدول رقم (75): توزيع نسبة ظهور اضطرابات السّلوك عند أفراد مجموعة البحث.

اضطرابات السّلوك	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
نوبات عصبيّة	4 % 22,22	0 % 0	4 % 20
نوبات عدوانيّة	7 % 38,88	1 % 50	8 % 40
نوبات بكاء	7 % 38,88	1 % 50	8 % 40
مجموع	18 % 100	2 % 100	20 % 100

احتلّ ظهور نوبات بكاء وأخرى عدوانية عند المبحوثين الصّدارة بنسبة بلغت(40 %) وقد كان الذكور أكثر معاناة منها من الإناث (50 % مقابل38,88 %) ، بينما قدّرت نسبة ظهور نوبات عصبيّة بـ (20 %) وقد خصّت الإناث(22,22 %) دون الذكور(0 %).

2-3-3- تحوّل الشّخصية:

2-3-3-1- حالة استنفار:

جدول رقم (76): توزيع نسبة ظهور مظاهر الاستنفار عند أفراد مجموعة البحث.

مظاهرالاستنفار	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
الاحتراس واليقظة الدّائمين	**6** % 35,29	**2** % 40	**8** % 36,36
صعوبة النّوم	**5** % 29,41	**1** % 20	**6** % 27,27
نوم خفيف	**2** % 11,76	**0** % 0	**2** % 9,09
استيقاظ قلق أثناء اللّيل	**4** % 23,52	**2** % 40	**6** % 27,27
مجموع	**17** % 100	**5** % 100	**22** % 100

كان الاحتراس واليقظة الدّائمين من أكثر مظاهرالاستنفار بروزا عند المبحوثين، حيث وصلت نسبة ظهورهذا المظهرإلى (36,36 %)، تلاه الاستيقاظ القلق أثناء اللّيل وصعوبة النّوم بنسبة(27,27 %)،بينما لم يظهر النّوم الخفيف إلاّ بنسبة ضعيفة قدّرت بـ (9,09 %).
من جهة أخرى، تبيّن معطيات الجدول تفوّق ظهور الاحتراس واليقظة الدّائمين والاستيقاظ القلق أثناء اللّيل عند الذكور، بينما كانت صعوبة النّوم ونوم خفيف أكثر ظهورا عند الإناث.

2-3-3-2- تناذر التجنب:

جدول رقم (77): توزيع نسبة ظهور تناذر التجنّب عند أفراد مجموعة البحث.

تناذر التجنّب	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
تجنّب الأماكن التي تذكّر بالفيضانات	5 % 35,71	2 % 14,28	7 % 25
تجنّب الأشخاص والمواضيع المذكّرة بالفيضانات	5 % 35,71	5 % 35,71	10 % 35,71
بذل جهد لتجنّب الأفكار بالفيضانات	4 % 28,57	7 % 50	11 % 39,28
مجموع	14 % 100	14 % 100	28 % 100

توضّح معطيات الجدول أنّ أكثر مظاهر التجنّب ظهورا عند المبحوثين كان الجهد المبذول لتجنّب الأفكارالسّيئة المرتبطة بالفيضانات حيث بلغت نسبته(39,28 %)، تلاه تجنّب الأشخاص والمواضيع بنسبة(35,71 %)،ثمّ تجنّب للأماكن المذكّرة بالكارثة الطّبيعية والذي ظهر بنسبة(25 %).

اختلف التّعامل مع ذكريات الفيضانات ومحاولة تجنّب كلّ ما يرتبط بها عند الجنسين، فقد كانت الإناث أكثر تجنّبا للأماكن من الذكور، هؤلاء بالمقابل كانوا يبذلون جهدا معتبرا لتجنّب الأفكار السّيئة المرتبطة بالكارثة الطبيعية التي عايشوها.

2-3-3-3- فقدان الاهتمامات:

جدول رقم (78): توزيع نسبة ظهور مظاهر فقدان الاهتمامات عند أفراد مجموعة البحث.

مظاهر فقدان الاهتمامات	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
تقلّص الاهتمام بالنّشاطات	9 % 34,61	2 % 28,57	11 % 33,33
انخفاض المردود	10 % 38,46	4 % 57,14	14 % 42,42
الإحساس بمستقبل مسدود	7 % 26,92	1 % 14,28	8 % 24,24
مجموع	26 % 100	7 % 100	33 % 100

احتلّ انخفاض المردود الصّدارة من حيث نسبة ظهوره عند أفراد مجموعة البحث والتي قدّرت بـ (42,42 %)، تلاه تقلّص الاهتمام بالنّشاطات بنسبة(33,33 %)، فالإحساس بمستقبل مسدود وذلك بنسبة(24,24 %)،

وبخصوص توزيع نسبة ظهور هذه المظاهر عند الجنسين، فتبيّن معطيات الجدول أنّ الإناث كانت أكثر إحساسا بمستقبل مسدود وعزفا عن النّشاطات اليوميّة من الذكور هؤلاء كانوا أقلّ مردود منهنّ.

2-3-3-4- النّكوص النّرجسي:

جدول رقم(79): توزيع نسبة ظهور مظاهر النّكوص النّرجسي عند أفراد مجموعة البحث.

مظاهرالنّكوص النّرجسي	أفراد مجموعة البحث		
	إناث	ذكور	مجموع
طلب مُلح للحنان، للاهتمام وللاعتبار	4 % 18,18	1 % 16,66	5 % 17,85
البحث عن الحماية	6 % 27,27	3 % 50	9 % 32,14
الانطواء على الذات	6 % 27,27	1 % 16,66	7 % 25
العجز عن الحبّ	6 % 27,27	1 % 16,66	7 % 25
مجموع	22 % 100	6 % 100	28 % 100

كان البحث عن الحماية من أكثر مظاهر النّكوص النّرجسي بروزا عند المبحوثين، حيث بلغت نسبته (32,14 %)، تلاه الانطواء على الذات والعجز عن الحبّ بنسبة قدّرت بـ (25 %)، أمّا عن طلب هؤلاء المراهقين للحنان، للاهتمام بهم وللاعتبار فقد احتلّ الرّتبة الأخيرة بنسبة ظهور بلغت (17,85 %).

وأمّا عن توزيع ظهور هذه المظاهر بين الإناث والذكور، فيبدو الفارق في النّسب واضحا من خلال معطيات الجدول وعلى العموم، تبدو الإناث أكثر طلبا للحنان، للاهتمام

وللاعتبار وفي نفس الوقت، أكثر انطواء وعجزا عن الحبّ من الذكور، هؤلاء كانوا أكثر بحثا عن الحماية في وسطهم الأسري والاجتماعي من الإناث.

2-3-3-5- العلاقة الاجتماعية:

في هذا العنصر، سنتعرّض لأهمّ مظاهر التّغيير التي طرأت على العلاقة الاجتماعية لكلّ مراهق ومراهقة.

جدول رقم(80):توزيع نسبة ظهور مظاهر التغيّر في العلاقة الاجتماعية عند أفراد مجموعة البحث.

	أفراد مجموعة البحث		
مظاهر التغيّر في العلاقة الاجتماعيّة	إناث	ذكور	مجموع
إحساس بالغربة عن الآخرين	6 % 18,75	0 % 0	6 % 15,38
انسحاب اجتماعي	4 % 12,5	0 % 0	4 % 10,25
عدوانيّة	6 % 18,75	1 % 14,28	7 % 17,94
حساسيّة	9 % 28,12	2 % 28,57	11 % 28,20
حذر	7 % 21,87	4 % 57,14	11 % 28,20
مجموع	32 % 100	7 % 100	39 % 100

من بين أكثر مظاهر الاضطراب في علاقات المبحوث الاجتماعية ظهورا، الحساسية والحذر وبنسبة متعادلة قدّرت بـ (28,20 %)، تلتهما العدوانية بنسبة(17,94%) ثمّ الإحساس بالغربة عن الآخرين بنسبة قدّرت بـ (15,38 %)، أمّا الانسحاب الاجتماعي، فقد كان آخر المظاهر رتبة إذ بلغت نسبة ظهوره عند هؤلاء المراهقين (10,25 %).

وإذا تأمّلنا توزيع نسب ظهور مختلف مظاهر التغيير في العلاقة الاجتماعية التي رصدناها عند الجنسين، نجده جدّ متباين،إذ كانت الإناث أكثر إحساسا بالغربة عن

الآخرين وانسحابا وعدوانية من الذكورالذين بالمقابل، كانوا أكثر حساسية وحذرا من المحيط الاجتماعي منهنّ.

3- تصنيف أفراد مجموعة البحث إلى مصدومين وغير مصدومين:

اعتمادا على تحليل معطيات محاور المقابلة العياديّة الثّلاثة ، توصّلنا إلى النّتائج التّالية:

جدول رقم(81):توزيع أفراد مجموعة البحث حسب ما كانوا مصدومين أوغير مصدومين.

	أفراد مجموعة البحث		
تصنيف المبحوثين إلى مصدومين وغير مصدومين	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
مراهقون مصدومون	**7** % 70	**4** % 57,14	**11** % 64,70
مراهقون غير مصدومين	**3** % 30	**3** % 42,85	**6** % 35,29
مجموع	**10** % 100	**7** % 100	**17** % 100

بلغت نسبة المراهقين الذين لازالوا مثبّتين على الصّدمة وذلك من خلال توفر أعراض اللاّئحة العياديّة للتّناذر النّفسي (64,70 %)، وكانت الإناث أكثر تأثّرا ومعاناة من عنف الحدث الصّدمي ونتيجته، كفقدانهنّ لأحد أفراد عائلتهنّ أو مواجهتهنّ الحقيقيّة مع الموت من الذكور، حيث بلغت نسبتهنّ (70 %)، بينما قدّرت نسبة أولئك الذين يبدو أنّهم تمكّنوا من تجاوز الحدث والتكيّف معه بـ (35,29 %) أغلبهم ذكور(42,85 %) .

4- الأعراضيّة النّفسيّة الصّدميّة المشتركة بين المراهقين المصدومين:

في هذا العنصر، سنتطرّق في هذا العنصر إلى أهمّ الأعراض النّفسيّة الصّدمية النّوعيّة منها وغير النّوعيّة التي اشترك فيها المراهقون المصدومون الإحدى عشر(11) ونسبة اشتراكهم فيها.

1-4- الأعراض النّوعيّة:

في هذا العنصر، سنستعرض أهمّ الأعراض النّوعيّة التي اشترك فيها المراهقون المصدومون والتي تشمل أعراض تناذر التّكرار وتحوّل الشّخصيّة، ونسب اشتراكهم فيها.

جدول رقم(82): توزيع أكبر نسب اشتراك المراهقين المصدومين في أهمّ الأعراض النّوعية.

تناذر التّكرار	نسبة الاشتراك	تحوّل الشّخصيّة	نسبة الاشتراك
• **غنى تناذر التّكرار:**		• **مظاهر الاستنفار:**	
- ذكريات متكرّرة.	% 100	- الاحتراس واليقظة الدّائمين.	% 72,72
- اجترار عقلي تكراري.	% 81,81	- صعوبة النّوم.	% 45,45
• **المعاش النّفسي لتناذر التّكرار:**		• **مظاهر التجنّب:**	
- ضيق.	% 81,81	- بذل جهد لتجنّب الأفكار المرتبطة بالفيضانات	% 63,63
- قلق.	% 63,63	- تجنّب الأماكن المذكّرة بالفيضانات.	% 54,54
• **الملازمة العصبية الإعاشية:**		• **فقدان الاهتمامات:**	
- سرعة خفقان القلب.	% 81,81	- انخفاض المردود.	% 81,81
- عرق.	% 54,54	- تقلّص الاهتمام بالنّشاطات.	% 63,63
		- الإحساس بمستقبل مسدود.	% 63,63
• **درجة تواتر التّكرارت:**		• **النّكوص النّرجسي:**	
-غالبا.		- البحث عن الحماية.	% 63,63
- دائما.	% 36,36	- الانطواء على الذات.	% 45,45
	% 27,27	- العجز عن الحبّ.	% 45,45
		• **تغيّر العلاقة الاجتماعية:**	
		- حساسية.	% 72,72
		- حذر.	% 72,72
		- إحساس بالغربة عن الآخرين.	% 45,45
		- عدوانية.	% 45,45

تبيّن معطيات الجدول كيفية توزيع نسب اشتراك المراهقين المصدومين في أهمّ الأعراض النّوعية التي تخصّ تناذرالتّكرار و تحوّل الشّخصية، حيث تراوحت بين (100 %) وقد مثّلتها ذكريات متكرّرة عن الفيضانات و(27,27 %) وهي درجة تواتر مظاهر تكرار

الحدث الصّدمي سواء من خلال الأحلام والكوابيس أو من خلال الأفكار والتي كانت بشكل دائم .

خصّت أكبر نسب الاشتراك الاجترارالعقلي التّكراري، ثمّ معاشه النّفسي الذي تميّز بضيق شديد وما لازمه من أعراض عصبية إعاشية ومنها بشكل خاص سرعة خفقان القلب إضافة إلى انخفاض المردود، حيث بلغت نسبة اشتراك المراهقين المصدومين فيهم (81,81 %)، ثمّ الاحتراس واليقظة الدّائمين عند التنقل في الشارع، ظهور حساسية وحذر تّجاه المحيط الخارجي وتّجاه الآخرين، بنسبة(72,72 %)، فالشّعور بالقلق عند تذكّر الأحداث الأليمة أو المشاهد المروّعة عن الغرقى أو عن أحد أفراد العائلة المفقود والذي يؤدّي إلى بذل جهد لتجنّب الأفكارالمرتبطة بالفيضانات ونتائجها، إضافة إلى تقلّص الاهتمام بالنّشاطات المعتادة والإحساس بمستقبل مسدود، ولأنّ بعضهم لم يسعف في اللّحظات الحرجة، فإنّه يصبح أكثر طلبا للحماية أوبحثا عنها، وقد قدّرت نسبة اشتراك المراهقين المصدومين في كلّ هذه الأعراض النّوعية(63,63 %).

أمّا النّسب الأخرى والمقدّرة على التّوالي بـ (54,54 %) و(45,45 %)، فقد مثّلتها باقي الأعراض التي ينتمي بعضها إلى تناذر التّكرار كالعرق ، والبعض الآخر إلى مختلف مظاهر تحوّل الشّخصية، كما يتبيّن من الجدول.

4-2- الأعراض غير النّوعيّة:

جدول رقم(83): توزيع أكبر نسب اشتراك المراهقين المصدومين في أهمّ الأعراض غير النّوعية.

الأعراض غير النّوعية	نسبة الاشتراك
● **أعراض الحصر العام:** - قلق. - إحساس بضيق. - إحساس باختلال الأمن.	% 90,90 % 90,90 % 63,63
● **أعراض الوهن الجسدي والنّفسي (Asthénie physique et psychique):** - صعوبة التّركيز الفكري. - عياء.	% 90,90 % 63,63

● **اضطرابات السّلوك:** - نوبات عدوانية. - نوبات بكاء.	% 63,63 % 54,54

تبيّن معطيات الجدول ارتفاعا ملحوظا في نسب الأعراض النّفسيّة العصابية "غير النّوعية" أيضا، وبشكل خاص منها القلق، الإحساس بضيق وصعوبة التّركيز الفكري الأمر الذي يؤكّد وجودها ضمن اللّوائح العيادية للتّناذرات النّفسيّة الصّدمية.

خلاصة:

أسفر التّحليل الدّقيق لمحتوى كلّ محور من محاور المقابلة العيادية الثّلاثة عن النّتائج التّالية:

● **بشأن المحور الأوّل الخاص بعوامل الاستعداد النّفسي:**

قدّرت نسبة السّوابق الطبيّة و/أو الجراحية التي ظهرت عند الإناث فقط وكان لها تأثير مميّز على نفسيتهنّ، حسب أقوالهنّ،(80 %) من مجموع السّوابق الشّخصيّة، من بينها: نفخة قلبية(souffle cardiaque) استلزمت إجراء عمليّة جراحيّة، أنيميا حادّة، إسهال حاد كذلك نتج عن التهابات معوية، وصداع نصفي لاتزال سهام تعاني منه.

أمّا عن السّوابق العائليّة، فقد كانت الإصابات العضوية والأمراض النّفسيّة الجسميّة أكثر ظهورا من الطبيّة العقلية والنّفسية الصّدمية، حيث بلغت نسبتها(46,66 %)، من بين تلك الإصابات التي برزت أكثر عند عائلات المبحوثات،نذكر:ارتفاع الضّغط الدّموي،السّكري والسّرطان.

ومن أهمّ الأحداث الحياتية والتّجارب الصّدمية السّابقة التي رصدت عند أفراد مجموعة البحث وعند الإناث أكثر من الذكور، كانت الصّراعات العائليّة الحادّة، إذ قدّرت نسبة ظهورها(30 %)، تلتها الهجمات الإرهابية التي تعرّضت لها البلاد طوال عشرية كاملة مفقدة استقرارها وأمنها ومتسبّبة في إصابة عديد من المواطنين بصدمات نفسيّة متفاوتة الخطورة وقد بلغت نسبتها(21 %).

● **بشأن المحور الثّاني الخاص بالاستجابات المباشرة وبعد المباشرة للفيضانات:**

تنوّعت الآثار الجسميّة التي خلّفتها الفيضانات بين كدمات، إحساس بتخدّرالأعضاء ،غطس فقدان الوعي وجروح، غير أنّ هذه الأخيرة كانت أكثرها ظهورا عند المبحوثين وبشكل خاص عند الذكور، حيث بلغت نسبتها (30 %).

أمّا عن الاستجابات المباشرة ، فقد كانت هي الأخرى كثيرة ومتنوّعة كشفت عن نوعيّة مواجهة بعض أفراد مجموعة البحث للمشاهد المروّعة، واستقبال بعضهم الآخر لخبر وفاة أحد من ذويهم، غير أنّ أكثر الاستجابات ظهورا كانت المفاجأة، الذهول والصّعق استجابات القلق والحصر، وأخرى خوافيّة، حيث قدّرت نسبتها بـ (26,15 %)، ولم نلمس اختلافا ذا دلالة بين الإناث والذكور.

وبخصوص الاستجابات بعد المباشرة للفيضانات، أي ردود الفعل الشّائعة التي تظهر عادة في الأسابيع الأولى من وقوع أيّ حدث صدمي، فقد كانت اضطرابات التّفكير وتلبّد الذهن بذكراها من أكثر اضطرابات التكيّف ظهورا، حيث بلغت نسبتهما(34,69 %)، أمّا تلك المرتبطة بالحصر، فتمثّلت أساسا في التخوّف وظهور سورة قلق نفسي و/أو جسمي عند المبحوثين وبنسبة بلغت(35,41 %)، كما كان المزاج المكتئب من أكثر الاضطرابات الاكتئابية بروزا، إذ قدّرت نسبته بـ (55,17 %)، وعند الذكور بشكل خاص، تلته نوبات بكاء بنسبة (31,03 %).

وما ميّز الفترة ما بعد المباشرة لتلك الكارثة الطّبيعيّة كذلك، هو ظهور بعض الأعراض الصّدميّة النّوعيّة التي تعتبر الواسم المرضي للتّناذرات النّفسيّة الصّدمية، كصعوبة النّوم واضطرابات السّلوكات الغذائية اللّذان تواجدا بنسبة(16,03 %)، وعند الذكور أكثر من عند الإناث تلاهما وبنسبة أقلّ بلغت(14,15 %)، انبعاث متواتر لمشاهد الفيضانات أو للأشخاص المفقودين ووجود المبحوثين في حالة استنفار رافقتهما سرعة خفقان القلب.

وعن زمن ظهور تلك الأعراض، فقد تراوح ، حسب معطيات المقابلات، بين أسبوعين وستّة أشهر، حيث بلغت نسبة المراهقين الذين تأثّروا كثيرا بمشاهد الدّمار والضّحايا

النّاجين منهم والغرقى، أو بذويهم الذين فقدوهم فجأة وبشكل عنيف، لدرجة ظهور تلك الأعراض أسبوعين بعد وقوع الفيضانات،(41,17 %)، وكانت الإناث أكثر تأثّرا من الذكور؛ في حين قدّرت نسبة أولئك الذين لم تظهر الأعراضيّة النّفسية الصّدمية النّوعية لديهم إلاّ بعد شهر من الكارثة الطّبيعيّة القويّة(35,29 %)، وأقلّ من ربع المبحوثين أغلبهم ذكور، خلال الأشهر الستّة الأولى.

قد تظهر أعراض إعادة معايشة الصّدمة، والعصبية الإعاشية والاستثارة المفرطة وتختفي في أيّام، بل وحتّى في أشهر قليلة، لكنّها قد تصبح منذرة عن اضطرابات حادّة إذا ما فشل الفرد في استعادة توازنه المفقود، إمّا لهشاشة دفاعاته النّفسية، أو لظروف محيطية غير ملائمة واجتماعية سيّئة. بالفعل، فقد استمرّت الأعراض سالفة الذكر عند ما يقارب نصف أفراد مجموعة البحث، أي(47,05 %)، إلى أكثر من سنة، وقد بدت الإناث أكثر تأثّرا وربّما " تضرّرا" من الذكور، وبالتّالي، فشلا في تجاوز الحدث الصّدمي وحداده، أو في عمل حداد أحد أفراد العائلة المفقود، حيث بلغت نسبتهنّ (60 %) مقابل(28,57 %) عند الذكور.

- **<u>بشأن المحور الثّالث الخاص بالتّقييم العيادى للوضع النّفسي بعد 15 شهرا من وقوع الفيضانات:</u>**

أسفر رصد الأعراض النّفسية الصّدمية النّوعيّة منها وغير النّوعية التي تنتمي إلى اللاّئحة العيادية للتّناذرات النّفسية الصّدمية بشكل عام وللعصاب الصّدمي، عن النّتائج التالية:

- **<u>بشأن تناذر التّكرار:</u>**

كانت ذكريات الفيضانات المتكرّرة من أكثر المظاهر التّكراريّة تواجدا عند المبحوثين حيث بلغت نسبتها(55,55 %)، مقابل(33,33 %) للاجترار العقلي لها، أمّا عن المعاش النّفسي لهذين العرضين، فقد ميّزه ضيق وقلق بلغت نسبتهما على التّوالي (50 %) و %)

(33,33، كما لازمتهما سرعة خفقان القلب بنسبة ظهور قدّرت بـ (50 %) وزيادة في التعرّق بنسبة (30 %).

وأمّا عن درجة تواتر أعراض تناذر التّكرار النّوعية عند المبحوثين، فقد أوضحت النّتائج أنّ أقلّ من ربعهم، أي(23,52 %) لا يعيدون تذكّر أحداث الفيضانات بشكل متكرّر إمّا على مستوى التّفكير أو الأحلام إلاّ أحيانا، وذات النّسبة مثّلها أولئك الذين غالبا ما يسترجعون ذكريات الدّمار والموت الأليمتين إمّا بالتّفكير فيها مرارا، أو بالحلم المزعج بينما تعادلت نسبة كلّ من المراهقين الذين لم تعد أبدا ذكريات الفيضانات المروّعة تراود ذهنهم أو تزعج أحلامهم، وأولئك الذين نادرا ما يتذكّرونها ، واللّواتي(إذ هنّ إناث حسب النّتائج) بقين يتذكّرن أهوال ذلك اليوم وبخاصّة موتاهنّ، حيث بلغت (17,64 %).

- **<u>بشأن الأعراض غير النّوعيّة</u>:**

كان القلق من أهمّ أعراض الحصر العام المختلفة ظهورا عند المبحوثين، حيث بلغت نسبته(31,70 %)، تلاه الإحساس بضيق بنسبة قدّرت بـ (26,82 %)، وقد كان هذان العرضان أكثر ظهورا عند الذكور من عند الإناث.

ومن بين أكثر أعراض الوهن الجسمي والنّفسي بروزا لدى مبحوثينا، كانت صعوبة التّركيز الفكري، وبنسبة(57,14 %)، تلاه الإحساس بالعياء بنسبة ظهور قدّرت بـ (39,28 %) ومن مظاهر اضطراب السّلوك ، كان الظهور "القويّ" نسبيّا لنوبات بكاء وأخرى عدوانية.

- **<u>بشأن تحوّل الشّخصيّة (Altération de la personnalité)</u>:**

من أكثر مظاهر الاستنفار ظهورا عند أفراد مجموعة البحث، كان الاحتراس واليقظة الدّائمين، حيث بلغت نسبته(36,36 %)، ومن أعراض التجنّب، كان الجهد المبذول لتجنّب الأفكار السّيئة والمضايقة المرتبطة بالفيضانات أكثرها ظهورا عند المبحوثين وبنسبة قدّرت بـ (39,28 %).

ومن انعكاسات تلك الفيضانات على شخصيّة المبحوثين، فقدانهم للاهتمامات والنّشاطات التي كانوا يمارسونها من قبل، وانخفاض مردودهم بشكل محسوس، حيث حصل هذا الأخير على أعلى نسبة ظهور له بلغت(42,42 %) مميّزا الذكور أكثر من الإناث.

أمّا عن مظاهر النّكوص النّرجسي والانطواء العاطفي للشّخصية، فقد تصدّرها البحث عن الحماية بنسبة(32,14 %)، تلاه الانطواء على الذات والعجز عن الحبّ بنسبة بلغت (25 %) ومن أهمّ مظاهر التغيير التي طرأت على علاقة المبحوثين الاجتماعية، كانت الحساسية والحذر حيث ظهرا بنسبة متعادلة قدّرت بـ (28,20 %).

هكذا إذا واعتمادا على نتائج تحليل معطيات المقابلة العياديّة الثلاثة التي استعرضناها، لا سيما منها تلك المتعلّقة بالتّقييم العيادي للحالة النّفسيّة لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث بعد مرور 15 شهرا من تعرّضهم لفيضانات مفاجئة وقويّة، سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة واعتمادا على شرطي الشّدة والتّواتر، وعلى مدى انعكاس الأعراضية النّفسية الصّدمية المتواجدة عند بعضهم، على حياتهم الاجتماعية والنّفسيّة، تمكّنّا من تصنيف المبحوثين إلى فئتين:

ـ فئة أولى لا تزال مثبّتة على الحدث الصّدمي وتعاني من ذكرياته الأليمة، من مشاهده المروّعة، ومن فقدانها المفاجئ والمؤلم لأحد أفراد عائلتها، ويظهر ذلك التّثبيت من خلال وجود أعراضية نفسية صدمية تفاوتت في غناها وفي درجة تواتر الذكريات والأفكار المرتبطة بالفيضانات عند كلّ فرد من أفراد هذه الفئة، وقد بلغت نسبتهم(64,70 %) وبدت الإناث أكثر تأثّرا وتضرّرا من الكارثة الطّبيعيّة ونتائجها من الذكور،إذ بلغت نسبتهنّ (70 %) مقابل (57,14 %) مثّلها الذكور.

أمّا عن أهمّ الأعراض النّفسيّة الصّدمية النّوعيّة وغير النّوعيّة التي اشترك فيها المبحوثون المصدومون الإحدى عشر(11) وبنسب مرتفعة، فقد خصّت أعراض تناذر التّكرار، معاشه النّفسي وما يلازمه من أعراض عصبيّة إعاشيّة والتي غالبا ما تظهر عند هؤلاء،الاحتراس واليقظة الدّائمين عند التّنقل في الشّارع، تجنّب الأفكارالمرتبطة والمذكّرة بالفيضانات، فقدان الاهتمامات وتقلّص النّشاطات المعتادة والإحساس بمستقبل

مسدود، وكذا، ظهور حساسيّة وحذر شديدين تّجاه المحيط الخارجي والآخرين؛ إلى جانب القلق والإحساس بضيق، صعوبة التّركيز الفكري والعياء، وظهور نوبات بكاء وعدوانية خاصّة مع أفراد الأسرة.

- فئة ثانية تمكّن أفرادها من استدخال الحدث الصّدمي وتجاوزه، حيث مالت بعض الأعراض النّفسية الصّدمية التي ظهرت لديهم خلال الأشهر السّتة الأولى إلى الاختفاء تدريجيّا، وقد بلغت نسبتهم (35,29 %)، (30 %) منهم إناث و(42,85 %) ذكور.

الفصل الثامن:

مناقشة وتفسير النّتائج

الفصل الثامن: مناقشة وتفسير النّتائج

في هذا الفصل، سنقوم بحوصلة للنّتائج المتحصّل عليها من تطبيق اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع، ومن المقابلة العياديّة.

سنقوم أوّلا بمناقشة وتفسير نتائج تحليل بروتوكولات الرّورشاخ، ثمّ بروتوكولات اختبار تفهّم الموضوع، تليها مناقشة معطيات المقابلات العياديّة وذلك وفق المحاور التي تمّ تنظيمها وتقديم بعض التّفاسير، لننتهي بعد ذلك إلى مقارنة النّتائج التي توصّلنا إليها ومناقشتها مع فرضيات البحث المطروحة.

1- مناقشة وتفسير نتائج اختبار الرّورشاخ:

في هذا العنصر، سنناقش النّتائج المتوصّل إليها من خلال تحليل مفصّل لبروتوكولات الرّورشاخ لكلّ أفراد مجموعة البحث.

1-1- الإنتاج الإسقاطي:

أوضحت النّتائج أنّ أغلب مراهقي مجموعة البحث قلّ عدد إجاباتهم عن المتوسّط العادي المعتمد كمعيار والمقدّر بين 20 و30 إجابة، والذي قدّر بـ 12 إجابة مع وجود تقارب كبير بين الإناث والذكور، ممّا قد يدلّ على وجود كفّ وتجنّب الخوض في الاختبار.

أمّا المعدّل العام، فيقترب من الذي توصّلت إليه فرقة البحث في علم النّفس الإسقاطي لجمعية علم النّفس للجزائر العاصمة(A.P.A) في أولى نتائج دراستها التي حقّقتها حول تكييف اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع في المجتمع الجزائري، وعلى عيّنة ضمّت 808 فردا من بين راشدين، أطفال ومراهقين والذي حدّدته بـ (13) إجابة عند فئة المراهقين ويرى ع. سي موسي، م. بن خليفة وآخرون (A.SIMOUSSI.M.BENKHALIFA et coll, 2004, p.343) أنّ "الكفّ هوالميزة الأساسية لبروتوكولات المراهقين، وأنّه يفرض نفسه عندهم أكثر من عند الأطفال،على عكس ما أشير إليه في دراسات أخرى كدراسة ج. بلومار(J.BLOMART,1998) ".

أمّا عن متوسّط الوقت المستغرق في إعطاء الأجوبة، فقد قدّر بـ 12' و9 " عند الإناث، أي بمعدّل دقيقة لكلّ إجابة، و16' و46" عند الذكور الذين استغرقوا، كما يبدو، وقتا أطول أثناء إعطاءهم الإجابات مقارنة بالمعدّل المقدّر بـ 13 إجابة.

وقد قدّرمتوسّط ظهور الرّفض في كلّ بروتوكول برفض واحد على الأقلّ، سواء عند الإناث أو عند الذكور، وهو يقترب جدّا من المعدّل الذي توصّلت إليه فرقة البحث السّابقة والبالغ(1,02)، وقد أوعز أعضاءها تلك النّتيجة إلى الكفّ الفكري الذي يميّز هذه الفئة من المجتمع وبحكم طبيعة وخصائص المرحلة النّمائيّة التي يمرّون بها.

أمّا بخصوص اللّوحات التي سجّل فيها أكبر عدد من استجابات الرّفض، فتمثّلت بالدّرجة الأولى في اللّوحتين VI وIX، وهي ذات النّتيجة التي توصّلت إليها ج.عبلاش في دراسة أكاديميّة حول الهويّة لدى المراهقين القبائل، وقد كانت دراسة مقارنة بين المقيمين في منطقة تيزي وزو والمقيمين في الجزائر، وبين الإناث والذكور وهما ذات اللّوحتين أيضا اللّتين لقيتا أكبر عدد من الرّفض عند فئة المراهقين الذين كانوا من ضمن مجموعة الدّراسة التي قامت بها ذات فرقة البحث الجزائرية،حيث قدّر العدد على التوالي بـ (57 و47) ، تلتهما اللّوحة IV .

يردّ العدد الكبيرمن رفض اللّوحة VI، في نظرأعضاء فرقة البحث تلك،إلى التصوّرات الخيالية المرتبطة بالتّشريح وباعتداءات الحدود(Les attaques des limites) والغشاء الجسدي(L'enveloppe corporelle)،"كما أنّ الرّوابط اللاّشعورية نوعا ما بأضحية العيد تعيد بلا شكّ تنشيط الهوامات والصّدمات النّفسية من ذلك النّوع ، وممّا يزيد من تفاقم تلك التصوّرات،هوالعنف الشّديد والمتعدّد الجاري في مجتمعنا الجزائري" (A.SIMOUSSI,M.BENKHALIFA et coll, 2004,p.345).

أمّا عن رفض اللّوحة IX ، فيبدو أنّه ناتج عن شكل المنبّه الأكثر إرخاء والأقلّ بنية مثيرا أجوبة متنوّعة ومشتّتة بشكل واضح جدّا، وهذا ما حدث عند كثير من أفراد مجموعة البحث وقد أثارت عند بعضهم تعابير نزويّة قويّة ذات نهاية مدمّرة " كالنّار"، وأخرى مرتبطة بالموت والعدوانية.

وعلى عكس ما قد يمكن توقعه، فإنّ اللّوحة I لم ترفض على الإطلاق ومن كلا الجنسين علما أنّها تشكّل أوّل احتكاك وأوّل مواجهة بمادّة الاختبار، فمن الطّبيعي أن تستثير في نفسيتيهما تصوّرات وانفعالات قد يصعب عليهما التحكّم فيها، ممّا قد يجعلهما أميل إلى الرّفض والامتناع عند الإدلاء بالإجابات.

2-1- <u>موقع الإجابات</u>:

أوضحت النّتائج أنّ أكثر من(94 %) من أفراد مجموعة البحث فاقت نسبة مجموع الإجابات الكليّة (G%?) لديهم المعدّل العادي المحدّد بين20 و23 %، ممّا يكشف عن تجنيد مكثّف للواقع الخارجي بغرض مراقبة الانبثاقات النّزويّة التي قد تضايق الأنا وتقلقه، وكذا احتواء الحركات الدّاخليّة، كما تترجم تلك النّسبة المرتفعة للإجابات الكليّة غياب الفضول والتوغّل في المادة ولهذا علاقة وثيقة بالكبت.

كما كشف معدّل النّسبة عند الجنسين عن ميل الإناث إلى هذا النّوع من طرق التّناول أكثر من الذكور.

لم يختلف الأمر بالنّسبة للإجابات الكليّة البسيطة (G simples)، فقد فاقت نسبتها عند معظم أفراد مجموعة البحث أي (88,23 %) النّسبة " العاديّة" المقدّرة بين 20 و23 % أيضا ممّا قد يدلّ على الرّغبة في التمسّك بالواقع الخارجي أيضا، أو ربّما الرّغبة في إدراك المواضيع في شموليتها وكذا الاحتفاظ بالوحدة. أمّا عن معدّل النّسبة عند الجنسين، فقد عاد التفوّق هذه المرّة للذكور، لكنّه متقارب مع الإناث مقارنة بمعدّل مجموع الإجابات الكليّة.

وعلى عكس النّتائج السّابقة، قلّت نسبة ظهور الأجوبة الجزئيّة الكبيرة(D) عن النّسبة العاديّة المحدّدة بين 60 و68 % عند أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي (52,94 % معظمهم إناث.

أمّا عن معدّل نسبة مجموع هذا النّوع من الإجابات عند الجنسين، فقد بدا الذكور أكثر لجوءا إلى التّفاصيل الكبرى للّوحة من الإناث.

وبخصوص الإجابات الجزئيّة الصّغيرة(Dd)، فقد انعدم وجودها في كلّ البروتوكولات في حين، برزت الإجابات الجزئيّة الكبيرة مرتبطة بالفراغ الأبيض(Dbl) لكن بنسبة ضعيفة بلغت (17,64 %) كاشفة عن بعد اكتئابي.

1-3- محدّدات الإجابات:

أسفر تحليل العناصر التي حدّدت إجابات المبحوثين عن النّتائج التّالية:

1-3-1- المحدّدات الشّكليّة (F):

أوضحت نتائج التّحليل الكمّي أنّ أقلّ من نصف أفراد مجموعة البحث، أي (47,05 %) اعتمدوا على المحدّد الشّكلي بنسبة تندرج ضمن القيمة المعياريّة المحدّدة بين 50 و70 % مع تفوّق الذكور على الإناث، ونفس النّسبة سجّلت عند أولئك الذين اعتمدوا على شكل البقع بنسبة قلّت عن المعيار العادي، ممّا يدعونا إلى القول بغياب الاهتمام بالعالم الخارجي ومواضيعه عند هؤلاء، وباستغلال شبه ضعيف لقدرات التكيّف مع الواقع، وفي نفس الوقت بوجود تبعيّة للمحيط وخصائصه الحسّية.

أمّا عن معدّل نسبة الإجابات الشّكليّة عند الجنسين، فقد كان جدّ متقارب.

وبخصوص الإجابات الشّكليّة الجيّدة (F+) التي تختبر قدرة الفرد على تسيير فكره بانتباه واضح وحكم صحيح، أي أنّها تختبر قوّة الأنا وصلابته، فقد اتّضح أنّ أغلب المبحوثين (58,82 %) قدّموا إجابات شكليّة جيّدة بنسب قلّت بكثير عن النّسبة العاديّة المحدّدة بين 70 و80 % ، ربّما دلّ ذلك على وجود هشاشة في الأنا الذي عجز عن التكيّف مع الواقع أو الاندماج فيه بسبب طفح انشغالات هواميّة أو انفعاليّة قويّة، وعند المقارنة بين معدّل نسبتها بين الجنسين، لاحظنا ارتفاعه عند الذكور أكثر من عند الإناث.

1-3-2- المحدّدات الحركيّة:

ظهرت المحدّدات الحركيّة الإنسانيّة(K) مرّة واحدة على الأقلّ عند أقلّ من نصف أفراد مجموعة البحث، أي(41,17 %) ، وعند الذكور أكثر من عند الإناث، والأمر ذاته بالنّسبة

لمعدّل هذه الإجابات، فربّما دلّ ذلك على قدرتهم على التخيّل من جهة، وعلى وجود مواضيع داخليّة متماسكة تعبّر عن انتماءهم إلى عالم البشر وعن قدرتهم على تقمّص صورة بشريّة من جهة أخرى، خلافا للإناث الذي بدا عليهنّ نوع من الانكماش.

من جهة أخرى، كان بعض من هذه الأجوبة إسقاطا للحياة اللاّشعوريّة وللصّراعات النّفسيّة الدّاخليّة والعلائقيّة عند البعض منهم، حيث برزت علاقات صراعيّة مشحونة بالعدوانيّة والعنف، وعن عواطف اكتئابيّة قويّة ارتبطت بالاضطهاد، وفي جوّ ساده القلق والخوف بينما كان بعضها الآخر سطحيّا، مبتذلا وجامدا مفتقرا للشّحنات النّزويّة ليبيديّة كانت أو عدوانية بفعل حركات الرّقابة والكفّ الدّفاعيّة.

أمّا عن الإجابات الحركيّة الحيوانيّة(kan)، فقد كان ظهورها في بروتوكولات المراهقين قليلا مقارنة بالحركيّة الإنسانيّة، حيث بلغت نسبة أولئك الذين لم يقدّموا أيّة إجابة من هذا النّوع (47,05 %)، وعند الذكور أكثر من عند الإناث، حيث سمحت لبعضهم ، وفي حمى الإزاحة،بمرور حدّ أدنى من المكبوت من خلال تصوّرات سلبيّة عدوانيّة واضطهاديّة مزعجة وأخرى مرتبطة بالقتل رافقتها عواطف اكتئابيّة قويّة وأخرى مقلقة.

كشف ظهور هذا النّوع من الإجابات عند بعض المبحوثين عن قدرات إرصانية لكنّها سرعان ما كانت تثبّط بحركات دفاعية صلبة وأخرى مجنّبة للصّراع.

1- 3-3- <u>المحدّدات اللّونيّة (C)</u>:

أظهرت نتائج التّحليل الكمّي والكيفي أيضا تأثر معظم أفراد مجموعة البحث بخصائص المنبّه اللّونية وانجذابهم إليها بشكل مفرط أحيانا وبشكل خاص منها اللّون الدّاكن.

كان التّفضيل إذا لما هو معاش ومحسوس على حساب محدّدات أخرى كالحركات الفكريّة مثلا، وجاءت مشبعة بتعابير الحصر والقلق بنوعيه، أي المرفق بعاطفة معاشة كالخوف والرّعب، أو المعبّر عنه من خلال تصوّر بسيط ، وقد اعتمد أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي (52,94 %)على محدّد اللّون وحده (C) حيث وردت إجابة لونيّة

واحدة على الأقلّ في بروتوكولاتهم، وقد كانت الإناث أكثر انجذابا إلى الألوان من الذكور، حيث سجّلنا نسبة (66,66 %) مقابل (33,33 %).

قد تكشف الحساسيّة المفرطة لاستثارات الاختباراللّونية عن حساسيتهم وجروحيتهم للواقع الخارجي ورغبتهم في استثماره بهدف التّخفيف من ضغط داخلي، وقد يردّ ذلك أيضا إلى ضعف أناهم وهشاشته وضعف وظائفه المانعة لمثل ذلك الإفراط، بمعنى فشل صاد- الإثارات في مواجهته للواقع الخارجي وفي وضع حدود متينة ومستقرّة بين الدّاخل والخارج.

أمّا عن المحدّد اللّوني الشّكلي (CF)، فقد ظهر عند(35,29 %) من المبحوثين وعند الإناث أكثر من عند الذكور، بينما تواجد المحدّد اللّوني المراقب بالشّكل (FC) عند أكثر من ربع المبحوثين (29,41 %)، وهذه المرّة، عند الذكور أكثر من عند الإناث، أي بنسبة (60 %) مقابل (40 %).

1- 3-4- محدّدات التّضليل (E) والتّعارض فاتح- قاتم (Clob):

كان تواجد الإجابات التّضليليّة سواء المطلقة منها (E) أو المركبّة بالشّكل (FE) و(EF) ضعيفا جدّا في كافّة البروتوكولات، حيث بلغت النّسبة الإجماليّة (23,52 %)، بالمقابل ظهرت محدّدات التّعارض فاتح- قاتم المطلقة منها (Clob) والمركّبة بالشّكل (Fclob) و(clobF)، أو ما ارتبط بعضها بحركة حيوانيّة ارتبطت بمحتويات حيوانيّة مقلقة ومخيفة كشفت عن إشكالية عدوانية وأخرى اضطهاديّة عند (35,29 %) من المبحوثين ، وقد كشف وجودها عند بعض منهم عن وجود مشاعر قلق قويّة، وعن نزعة اكتئابيّة عند البعض الآخر.

1- 4- محتوى الإجابات:

أظهرت النّتائج أنّ أكثر من نصف المبحوثين، أي(52,94 %)، تجاوزت نسبة الإجابات الإنسانيّة الكليّة لديهم حدود المعدّل المتراوح بين 12 و18 %، وقد كان معدّل نسبة

ظهورها عند الذكور(24,91 %) أكبر من عند الإناث (17,62 %)، وفي غياب أجوبة حركيّة كافية فإنّ ارتفاعها قد يدلّ على صعوبة في التقمّص.

أمّا الإنسانيّة وحدها(H)، فظهرت عند(76,47 %) وبمعدّل نسبة قدره(14 %)، بينما وردت الجزئيّة منها(Hd)،عند أكثر من ربع أفراد مجموعة البحث(29,41 %)، في حين، لم تظهر الخياليّة ((Hd)) منها إلاّ عند (17,64 %) منهم.

فيما يتعلّق بالمحتويات الحيوانيّة(A)، فقد أظهرت نتائج التّحليل أنّ أكثر من(58 %) من المراهقين تجاوزت نسبة إجاباتهم من هذا النّوع حدود معدّلها" العادي" المقدّر بـ 45 % وقد كانت الإناث أكثر لجوء إلى هذه الإجابات، حيث بلغ معدّل نسبة مجموعها لديهنّ (48,65 %) مقابل(39,87 %) من الذكور، والواقع أنّ لجوءهم المعتبر إلى العالم الحيواني كان موقفا دفاعيا لإخفاء اهتماماتهم العميقة وقوقعة اجتماعية لتقادي الاتّصال والعلاقة، وهذا ما يظهر بكثرة عند المراهقين بصفة عامّة.

من جهة أخرى، سجّلنا ظهورا ضعيفا نسبيّا للأجوبة الحيوانيّة الجزئيّة(Ad)، أي عند (29,41 %) من المبحوثين، وأضعف بالنّسبة للأجوبة الحيوانيّة الخياليّة ((A))، أي بنسبة (17,64 %) من المراهقين.

أمّا عن المحتويات الأخرى، فقد تنوّعت في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث، حيث سجّلنا قرابة 13 صنفا ممّا يكشف عن تنوّع مجالات اهتمامهم وانشغالهم، وقد احتلّت المحتويات التّجريديّة صدارة التّرتيب، حيث ظهرت عند أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي (52,94 %)، وعند الإناث أكثر من عند الذكور، ومن خلالها، تجرّد كلّ هؤلاء من العواطف واضعين حدّا لإعادة التّنشيط النّزوي وللقلق اللّذين أثارتهما بعض أو كلّ لوحات اختبار الرّورشاخ.

تلتها المحتويات النّباتيّة التي تملك، كما هو معلوم، قيمة نكوصيّة نرجسيّة، وكذلك تلك من نوع عناصر التي تمثّلت أساسا في تعابير نزويّة غير مرتبطة بموضوع صريحة وذات نهاية مدمّرة وهي "نار" وظهرت أمام اللّوحات الباستل وبشكل خاص اللّوحة IX. أمّا المحتوى من نوع دم، فظهر عند أكثر من ربع المبحوثين،(29,41 %) وعند الذكور أكثر

من الإناث وأمام اللّوحة II بشكل خاص حيث كشفت عن موضوع الموت المرتبط بالفيضانات،حيث قال فريد:" هذي تفكّرني فالحملة، شفت فيها ماتوصحابي، الدّم partout c'est du sang versé راهو رايح يموت"، وكذا عن موضوع القتل والاعتداء وفي صبغة اكتئابيّة أو مولّدة للقلق أو مثيرة للخوف .

كما ظهرت مضامين في بروتوكولات بعض المراهقين ارتبطت مباشرة بالفيضانات إمّا على شكل مُدرك بسيط أو مركّب وهي:" سحاب، الحال مغيّم، حال يخوّف ومغموم، الظلام، ألما الحملة، الدّم والموت، هذا شخص تحت التراب يطلب فالنّجدة،هذو صحابي إلّي ماتو فالحملة، تراب ورماد، الموتى".

1- 5- مناقشة نتائج التّحليل الكمّي والكيفي لعناصر الدّيناميكيّة العاطفيّة:

أسفر تحليل عناصر الدّيناميكيّة العاطفيّة عن النّتائج التّاليّة:

1-5-1- نمط الصّدى الدّاخلي (T.R.I):

تبيّن أنّ أكثرمن (76%) من المراهقين يتمتّعون بنمط صدى داخلي منبسط بنوعيه الصّافي والمختلط، وهي أكبر نسبة مسجّلة مقارنة بالأنماط الأخرى، ممّا قد يدلّ على طغيان الانفعالات والاندفاع وربّما عدم الاستقرار، ونفس المنحى اتّخذه ظهور هذا النّمط عند الجنسين، لكنّ نسبة ظهوره عند الإناث كانت أكبر من عند الذكور.

1-5-2- نسبة عدد الإجابات في اللّوحات الملوّنة على مجموع الإجابات (RC%):

جاءت نتائج نسبة عدد الإجابات في اللّوحات الملوّنة مقارنة بمجموع الإجابات مدعّمة لنتائج نمط الصّدى الدّاخلي، حيث تبيّن أنّ معظم أفراد مجموعة البحث والذين بلغت نسبتهم (70,58 %) كانوا أكثر إنتاجيّة أمام اللّوحات الباستل، متجاوزين بذلك حدود المعدّل المقدّر بين 30 و35 %، ممّا يدلّ على تفاعلهم الكبير مع الألوان وبالتّالي مع الواقع الخارجي، وإذا تأمّلنا في نوعيّة الأجوبة التي قدّمها هؤلاء المراهقون الذين يبدو أنّ أثر تلك الاستثارات كان شديدا عليهم ، لوجدنا معظمها عبارة عن محتويات حيوانية بعضها

قويّ ومفترس ارتبطت به تصوّرات عدوانية، وبعضها الآخر ضعيف وأليف، ومن بعض أجوبة المبحوثين نذكر:"نمر، ذيوبا، ضب نتاع الصحراء،حيوانات يضاربو واللّون الأحمر يدلّ على ذلك لون الدّم، فراشة، رتيلة، ذبّانة، خنفوس، قط ودجاج"، إلى جانب محتويات نباتية، تشريحية وأخرى ارتبطت بتصوّرات نزويّة قويّة ذات هدف مدمّر مثل" النّار" التي ظهرت بشكل متواتر أمام اللّوحة IX كما سبق ذكره.

1-5-3- المعادلة المكمّلة (Formule complémentaire):

جاءت نتائج المعادلة المكمّلة معاكسة تماما لنتائج تحليل المعادلتين السّابقتين، فقد مال أكثر من نصف المبحوثين، أي (58,82 %) إلى الانطواء من خلال توظيف كبير لأجوبة حركيّة صغيرة معظمها حيوانية، على حساب أجوبة التّضليل، وقد تمّ التّوظيف الكبير لهذا النّوع من الأجوبة بشكل متعادل بين الإناث والذكور.

1-5-4- المعاش الانفعالي والعاطفي:

من بين الأبعاد النّفسيّة التي اعتمدنا عليها لتقدير(Apprécier) السّير النّفسي لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث، وبالتّحديد المعاش الانفعالي والعاطفي، كانت العدوانيّة بأنواعها الثّلاثة: المرتبطة وغير المرتبطة بموضوع والكامنة، والاكتئاب والقلق مرفقان بعاطفة معاشة أو مقدّمان من خلال تصوّر بسيط ، وقد أسفر تحليلها عن النّتائج التّالية:

1-5-4-1- العدوانيّة:

تميّزت بروتوكولات المبحوثين بوجود تعابير متنوّعة عن العدوانية سواء ارتبطت أو لم ترتبط بموضوع أو الكامنة منها، لكنّ توزيع نسب ظهورها كان مختلفا، حيث كانت أجوبة العدوانية المرتبطة بموضوع النّشطة والسّلبية أكثر الأنواع تواجدا، إذ بلغت نسبتها (50 %) وعند الذكور بشكل خاص إذ قدّرت نسبتها بـ (66,66 %) مقابل (37,5 %) عند الإناث.

كانت اللّوحتان اللّونيتانII وIII واللّوحات الباستل أكثر لوحات اختبار الرّورشاخ تحريضا لمثل هذه التّعابير الفجّة التي ظهر بعضها من خلال محدّدات حركيّة معظمها حيوانيّة والبعض الآخر من خلال محدّدات لونية، ومن أجوبة المبحوثين نذكر: اللّوحة II:" زوج قنينات راهم يضاربو، تخابطو، وهذا الدّم نتاعهم"، اللّوحة III:" زوج نسا دموبين، صفة الشّر تربط بيناتهم، رايحين يرميو طفل صغير"، اللّوحة VIII:" زوج حيوانات طالعين منّا يسيل منهم الدّم"، اللّوحة IX:" وحش دموي مبني على الشّر"، وأخيرا اللّوحة X :" يشبهو لحيوانات يضّاربو".

أمّا عن أجوبة العدوانية غير المرتبطة بموضوع النّشطة منها فقط، فقد تواجدت عند المبحوثين بنسبة (25 %) وهذه المرّة عند الإناث أكثر، حيث بلغت نسبتها(37,5 %) مقابل (8,33 %) عند الذكور، وذات النّسبة، أي (25 %) ظهرت بها أجوبة العدوانية الكامنة وبشكل متساو بين الإناث والذكور، أي (100 %).

ومن أمثلة المبحوثين عن هذين النّوعين من التّعابير نذكر:" نار"، الذي ظهر في اللّوحات الباستل وتردّد كثيرا في اللّوحة IX منها، حيث قالت إحدى المراهقات:" Le feu,c’est la haine"، وقالت أخرى:" On dirait النّار، الموت، puisque النّار.. الموت"، اللّوحة I :" عقرب، diable"، اللّوحة IV:" وحش غريب ضخم ، و لونو شرّير".

1-5-4-2- <u>الاكتئاب</u>:

كانت تعابير الاكتئاب والفقدان مصحوبة بعاطفة معاشة أكثر ظهورا عند المبحوثين، حيث بلغت(57,14 %) وعند الإناث دون الذكور،بينما لم تظهر تلك التي قدّمت من خلال تصوّر بسيط إلاّ بنسبة (42,85 %) ، وبصفة مطلقة هذه المرّة عند الذكور، أي(100 %).

وبخصوص اللّوحات التي حرّضت تلك التّعابير الاكتئابيّة سواء أرفقت بعاطفة الحزن والكآبة ، أو ظهرت من خلال تصوّر بسيط يعبّر عن الاكتئاب أو عن الفقدان والحداد لكن من دون عاطفة، فكانت كالتّالي: II، IV،VI،VII وIX ومن أمثلة المراهقين نذكر اللّوحة II:" قط عينيه حمورا، كشغل راهو يبكي، حزين، شغل محقور، دموع "، اللّوحة IV

Une route très longue, sombre, triste, désertique, c’est une forêt morte et ": triste"، اللّوحة VI:" ورقة تاع شجرة، شغل منحية، مقطعة"، اللّوحة VII:" On dirait كتاب مقطّع، كشغل des feuilles déchirées".

1-5-4-3- <u>القلق</u>:

من معاينتنا للنّسب المتحصّل عليها من تطبيق معادلة القلق، تبيّن لنا أنّ أكثر من ثلث أفراد مجموعة البحث، أي (35,29 %) فاقت نسبة القلق لديهم القيمة" العاديّة" المحدّدة بين (10 و12 %) وشمل التفوّق الذكور أكثر من الإناث، بينما لم تسجّل المعادلة أيّة قيمة (0 %) عند ما يقارب نصف المبحوثين، أي (47,05 %)، هذا لا يعني أنّ بروتوكولاتهم قد خلت تماما من مظاهر الحصر والقلق والخوف التي تنبثق بشكل فجّ أمام اللوحات المحرّضة لها إمّا عن طريق السّلوك ككثرة الحركة أثناء التّطبيق، القلب المتكرّر للّوحات التنهّدات،التوتّر،أوعن طريق الصّمت الطّويل،أوالانتقادات الموضوعيّة المرتبطة بشكل المنبّه أو لونه، أو الذاتية المعبّرة عن العجز والضّيق،أو الرّفض، أو من خلال اللّجوء إلى بعض الدّفاعات الهجاسيّة كالضّحك مثلا.

صحيح أنّ بروز ظاهرة ما بشكل مبالغ فيه ومفرط في البروتوكول هو إشارة على وجود قلق شديد وحصر وربّما أخذت طابعا مرضيّا، خاصّة إذا كانت بشكل آلي وفي كلّ اللّوحات لكن من جهة أخرى، وكما ترى ن. روش دو تراوبنبرغ (N.Rausch de Traubenberg ,1983) فإنّ تقلّص الظاهرة ذاتها، أو بروزها بشكل ضعيف هو دليل أيضا على وجود قلق وحصر وهذا بالفعل ما لاحظناه في بعض بروتوكولات المبحوثين، إنّما الأمر، في نظرنا،متعلّق بنوعيّة الآليات الدّفاعيّة التي وظّفها كلّ فرد من أولئك الأفراد لحماية نفسه من احتمال تدفّق نزوي قد يربكه أو يهدّد نفسيّته وقد كان أغلبها العزل، الإنكار والتجنّب ، أو دفاعات هوسيّة.

من جهة أخرى، أوضحت نتائج تحليل هذا البعد النّفسي، أنّ تعابير القلق من خلال تصوّر بسيط كانت أكثر ظهورا في بروتوكولات المبحوثين، حيث بلغت نسبتها (57,14 %)

وعند الذكور أكثر من عند الإناث،وقد ظهر هذا النّوع من التّعابير وبشكل متواتر أمام اللّوحات:I،II،III وIV.

أمّا عن تعابير القلق المرفقة بعاطفة معاشة كالخوف أو الفزع والرّعب، فلم تظهر إلاّ بنسبة (42,85 %) وهذه المرّة عند الإناث أكثر من عند الذكور، وقد كانت اللّوحات II،IV،V،VIوVII أكثر تحريضا لمثل هذا النّوع من التّعابير، وكأمثلة توضيحيّة عن ذلك نذكر:" اللّوحة I:" عبد تحت التراب يطلب النّجدة، تقولشي كلّش كحل، تراب هلكو بدّلو الصّفة نتاعو، هذي نتاع الحملة"، اللّوحة II:" c'est le visage de la peur، راهو رايح يموت، فكرتني فصحابي إلّي ماتو فالحملة"، اللّوحة IV:" الحال كي يكون مظلام ولاّ مغيّم ما يكونش مليح، زعفان، ما عجبنيش هاد dessin ،" عفسة تاع الشّر، السّحاب كي يكون الحال ماشي مليح، مغيمة والدّخان طالع"، وكلّها تعابير قلق وحصر ارتبطت مباشرة بالفيضانات.

1-5-5- <u>الآليات الدّفاعيّة</u>:

كشف تحليل الدّيناميكيّة الدّفاعيّة لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث عن تنوّع الآليات التي وظّفها هؤلاء لمواجهة استثارات لوحات الاختبار والتّعامل مع إشكالياتها، رغم ذلك، لجأ بعضهم وبشكل مكثّف إلى بعض الآليات دون الآخر إمّا لمقاومة المشاركة والتورّط أكثر أو لحماية أنفسهم من تسرّب عناصر مزعجة من واقعهم النّفسي الدّاخلي، أو للتّخفيف من وطء تصوّرات ومواضيع مقلقة ومخيفة قد تهدّد نفسيتهم.

تمثّلت هذه الآليات في: الانشطار الذي انفردت به الإناث وظهر بنسبة(66,66 %) ، آليات سجلّ التكيّف الفاشل(-C) أو الكفّ والميل إلى التّقليص وعدم تحديد المعالم الشّكليّة وإعطاء محتويات تفتقر لعواطف أو تتضمّن عواطف حيادية، إضافة إلى رفض عدد من اللّوحات وقد ظهرت بنسبة (52,94 %)،العزل(50 %)، آليات التكيّف النّاجح (+C) أو الحيادي وبنسبة (47,05 %)، حيث اكتفى البعض منهم بإعطاء أجوبة سطحية ومُقولبة تعتمد على ماهو واقعي ويومي، والكبت الذي بلغت نسبة ظهوره(43,47 %).

إضافة إلى آليات أخرى كان لها دورها في التصدّي لانبثاقات نزويّة مهدّدة، وفي إفشال تمثيل الصّراعات والعواطف على مستوى التصوّرات، وقد ظهرت بنسب أقلّ مقارنة بالسّلسلة السّابقة وهي:الرّفض(33,33 %)،التجنّب(30,43 %)،الإنكار(22,22 %) الإيحائيّة (21,73 %)، وأخيرا، التّجريد (15,38 %).

6-1- <u>العوامل الإضافيّة</u>:

كانت صعوبة إدراك أجوبة مبتذلة تثيرها بعض لوحات اختبار الرّورشاخ وبقدر كاف واضحة وجليّة ترجمتها نتائج تحليل النّسب والتي أوضحت أنّ أكثر من(41 %) من المبحوثين قلّت نسبة إجاباتهم المبتذلة عن النّسبة "العاديّة" المحدّدة بين 20 و23 % والتي مثّلها ما يقلّ عن ربع أفراد مجموعة البحث؛ قد يعكس ذلك نقص اتّصالهم بالواقع الموضوعي والاجتماعي أو قلّة اهتمامهم به، أو صعوبة التكيّف معه.

أمّا بشأن الصّدمات، فقد كان أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث ممّن تضمّنت بروتوكولاتهم بين 3 و4 صدمات بشتّى أنواعها، وقد كانت الإناث أكثر تأثّرا وتفاجئا بمكوّنات المنبّه اللّونيّة والشّكليّة من الذكور، بينما بلغت نسبة المراهقين الذين تأثّروا كثيرا بالخصائص سالفة الذكر بحيث احتوت بروتوكولاتهم على أكثر من أربع صدمات (35,29 %) ، وتبيّن أنّ الذكور كانوا أكثر تفاعلا وانزعاجا من لوحات اختبار الرّورشاخ من الإناث.

وعن اختبار اختيار اللّوحات، فقد كانت اللّوحة IX من أكثر اللّوحات التي لاقت تفضيلا كبيرا عند أفراد مجموعة البحث تلتها اللّوحات V، VII وX. أمّا عن الاختيار السّلبي، فقد احتلّت اللّوحة IV المرتبة الأولى من بين اللّوحات غير المفضّلة على الإطلاق، تلتها اللّوحتان II وI، وقد كانت الإناث أكثر نفورا من هذه اللّوحات من الذكور.

وإذا تأمّلنا تبريرات الاختيارات الإيجابيّة والسّلبية، نجدها ترتبط إمّا بلون اللّوحة أو بشكلها أو لأنّها أحيت تصوّرات وذكريات مزعجة كانت مكبوتة ، وفيما يلي بعض الأمثلة عن التّعاليق التي رافقت اختيار اللّوحات IX، IV، II وI: اللّوحة IX:" شابّة فيها اللّون

فاتح" " هذي فيها الحياة، الماء، كلّ العناصر لبقاء الإنسان على قيد الحياة،" فيها التّضامن، ألوانها عادية ماشي مخيفة"،اللّوحة IV:" هذا اللّون نتاعو مخيف، يشبّه لحيوان وحشي والجسم نتاعو كذلك"، "هذي على جال الحال ما نحبش الشتا، ما نحبش كي يكون الحال مظلام" " هذي الدّمار، القتل، الموت، الشّر، العنف، التسلّط"، اللّوحة II:" جاني هذا دم"،" راهو يبكي بزّاف دموع حمورا"، " تقوشي راهم موتى"،اللّوحة I:" تقوشي تاع الحملة، تشوفي عبد رايح يموت تحت التراب، ما تقدريش تتحمليها، تلقايها صدمة بزّاف، وين تروحي تتفكري، كلّ دقيقة تتفكريها"، " هذي المنظر نتاعها يخيف، اللّون نتاعها ما يعجبش، تشبّه كأنّها حيوان غريب".

7-1- <u>تصنيف أفراد مجموعة البحث حسب نوعيّة السّير النّفسي</u>:

مكّننا التّقييم المتكامل والتّفاعلي لمختلف عناصرالإجابات التي قدّمها أفراد مجوعة البحث والتي كشفت عن كيفيّة استقبال، قبول واستدخال استثارات لوحات اختبار الرّورشاخ وعن كيفيّة التّعامل مع إشكالياتها المختلفة ومواجهتها عن طريق تحرير نظام دفاعي معيّن، من الوصول إلى نوعيّة السّير النّفسي لكلّ مبحوث ومبحوثة.

كانت نوعية السّير النّفسي عند أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي(58,82 %) "سيّئة"،وعند الإناث أكثر من عند الذكور، أي(70 %) مقابل(42,85 %)، و متوسّطة عند (35,29 %) منهم مع تفوّق ظهور هذه الميزة عند الذكور هذه المرّة، حيث بلغت نسبتهم (42,85 %) بينما قدّرت نسبة الإناث المصنّفات ضمن هذه الفئة (30 %)؛ في حين، تمتّع فرد واحد من مجموع المبحوثين،أي (5,88 %) بسير نفسي ذي نوعيّة "جيّدة".

اتّسمت إنتاجيّة فئة السّير النّفسي ذي النّوعيّة " السّيئة" بالفقر والميل إلى التّقليص، وقد أعطت انطباعا عامّا بالكفّ وتجنّب التورّط في الاختبار ترجمته أزمنة الكمون الطّويلة قبل وأثناء إعطاء الأجوبة، التّعاليق الذاتية على شكل نقد للذات أو إنكار لمحتوى اللّوحة أو للمُدرَك عكست عجز مراهقي هذه الفئة عن إدراك المنبّه وتناوله، أو عن فشلهم في توظيف الفكر والخيال كقولهم مثلا:" ما علابالیش وشنو هذا"، "واللّه ما نقدر نقولك لمن

يشبّه ما عرفتش"،"أنا ما نفهمش الرّسوم التّشكيليّة"،" أوّاه هذا ما يشبّهش لخفاش"،"هذي فراشة مبصّح الفراشة لونها ماشي كحل، ما تخوّفش"،التّعاليق والانتقادات المرتبطة بمحتوى اللّوحات والتي كشفت هي الأخرى عن ضيقهم وانزعاجهم من استثاراتها المختلفة ومحاولة تجنّبها كقولهم أيضا:"وشنو هاد الصّورة؟ ما عندها حتّى معنى"،"هذي تخربيشة برك ما تفهم فيها والو"،"هذي طاشة فوق عفسة هذا ماكان"،" هذو تقولشي رسمهم bébé"، إضافة إلى تعابير الحصر والقلق ترجمتها كثرة تقليب اللّوحات الإيماءات، التنهّد والضّحك أمام بعض اللّوحات، إلى جانب الصّدمات الشّكليّة واللّونية بوجه خاص، ومن تصريحاتهم نذكر :" إييه! هذي بزّاف كحلة وتخوّف"، " صورة كحلة ومظلامة ما كانش إلّي شويّة claire عليها؟"،"هذي تغمّ كتر منهم، تشبّه للحال كي يكون مغيّم"،" هذي صعيبة فيها الدّم، فكّرتني فالحملة والموتى"، وقد تسبّب كلّ ذلك في رفضهم لأكثر من لوحة.

جاءت أجوبة هؤلاء المراهقين جاقّة وبسيطة افتقدت للتّداعيات ولعمل الإرصان، حيث لجأ معظمهم إلى تجنيد الواقع الخارجي بغية مراقبة الانبثاقات النّزويّة التي قد تضايقهم وتقلقهم أو الحدّ من بروز تصوّرات وعواطف مؤلمة، وإلى احتواء الحركات الدّاخليّة رافضين بذلك التوغّل في المادّة ومواجهة إشكالياتها المختلفة، وقد كان للآليات الدّفاعيّة الصّلبة كالإنكار،العزل والعقلنة إلى جانب آليات الكفّ دور كبير في ذلك.

كما لجأ بعضهم إلى تكرارآلي لإدراكات بسيطة رغم تغيّر شكل المثيرات وتنوّع إشكاليّاتها الكامنة، ما يدّل على انغلاقهم للتّغيير أو رغبتهم في التخلّص من الوضعيّة الإسقاطية ومن التّنبيهات التي أثارت ضيقا وانزعاجا في نفسيتهم، وفي تجنّب التورّط المكلف المهدّد للأنا أمّا بعضهم الآخر، فقد كان تكرارهم لمواضيع مقلقة وحصريّة وإبقاءهم على نفس الوضعيّة الإدراكيّة دليلا على ثقلها وضغطها على نفسيتهم من جهة وعلى فشل عمل الرّبط بين البنيات الشّعوريّة واللاّشعوريّة وعجزهم عن التكيّف مع الواقع الخارجي من جهة أخرى.

2- مناقشة وتفسير نتائج اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T):

في هذا العنصر، سنتطرّق إلى مناقشة وتفسير النّتائج المتوصّل إليها من خلال التّحليل الكمّي والكيفي الدّقيقين لبروتوكولات اختبار تفهّم الموضوع للمبحوثين.

2-1- الأساليب الدّفاعيّة الموظّفة في بروتوكولات المبحوثين:

كانت أساليب سلسلة تجنّب الصّراع (C) والرّقابة (A) من أكثر الأساليب الدّفاعيّة توظيفا من قبل معظم أفراد مجموعة البحث لمواجهة إشكاليّات لوحات اختبار تفهّم الموضوع والتّعامل معها، هذا ما أعطى انطباعا عامّا بفقر إنتاجيّتهم وتقلّصها وأظهر عجزهم عن إرصان الصّراعات النّفسيّة الدّاخليّة أو العلائقيّة، أو مظاهر القلق والاكتئاب التي بدت في بروتوكولات بعضهم وما ارتبط منها بالفيضانات التي تعرّضوا لها وعايشوها.

قد يرجع سبب اللّجوء المكثّف إلى أساليب تجنّب الصّراع والرّقابة التي ظهرت بمعدّلي نسبة بلغا على التّوالي (70 %) و(20,08 %)، إلى محاولة كبت ما انبثق ونُشّط مجدّدا في هذه المرحلة العمريّة من صراعات وإشكاليّات مميّزة لها، وإلى الدّفاع ضدّ التدفق النّزوي وضدّ بعض التّجارب المكدّرة والصّدميّة التي طفت على سطح الشّعور، وكلّ ذلك، من أجل الحفاظ على أدنى ثبات ممكن من التوتّر والقلق الدّاخليين، ولردع كلّ ما يقلق ويزعج الأنا ويهدّد استقراره؛ وقد أظهرت النّتائج أنّ الذكور كانوا أكثر توظيفا لأساليب الرّقابة والمرونة من الإناث اللاّئي لجأن بشكل كبير إلى أساليب تجنّب الصّراع والعمليّات الأوّليّة.

كانت الأساليب الخوافية (C/P) من أكثر أساليب تجنّب الصّراع توظيفا من قبل كلّ المبحوثين، حيث بلغ معدّل نسبتها (69,66 %)، ومن الذكور بشكل خاص، إذ قدّر معدّل نسبة ظهورها في بروتوكولاتهم (71,23 %)، ومن بين أكثر تلك الأساليب تجنيدا كانت: التوقفات الطّويلة قبل وأثناء القصص(CP1)،الميل إلى التّقليص(CP2)،الابتذال والسّطحيّة والعجز عن تبرير أسباب الصّراعات المستحضرة والعواطف المصاحبة لها (CP4).

رغم تميّز قصص أفراد مجموعة البحث بالكفّ ، إلاّ أنّنا لمسنا فرقا واضحا في كيفيّة توظيف الأساليب الخوافية بين الجنسين، حيث تميّزت قصص الإناث بالقصر وبقيت شخصيّاتها مجهولة في بعض الأحيان، كما كنّ عاجزات عن تبرير أسباب الصّراعات التي استحضرنها، في حين، تخلّلت قصص الذكور أزمنة كمون طويلة وكانوا أكثر ميلا إلى رفض اللّوحات من الإناث.

وإذا تساءلنا عن المكانة الدّيناميكيّة والاقتصاديّة لمثل هذه السّياقات الدّفاعيّة، فإنّنا نعزوها إلى تجنّب انبثاق مواضيع أو إشكاليّات مزعجة للأنا وتقليص التّعبير عن صراعات كامنة ومكبوتة.

كما كشفت الأساليب السّلوكيّة (C/C) التي ظهرت في بروتوكولات المبحوثين بمعدّل نسبة بلغ(13,84 %)، ومن بينها التّظاهرات والتّعابير الجسديّة (CC1) التي برزت بمعدّل نسبة قدره(10,45 %) عن صعوبة في عمل الإرصان النّفسي عند بعضهم، بينما كانت عند البعض الآخر وسيلة لتفريغ وتخفيف الإثارة والضّغط النّفسي الدّاخلي الذي حرّضته بعض تنبيهات مادّة اختبار تفهّم الموضوع كاللّوحات 3BM، 8BM،13MF،11 و19.

إلى جانب ذلك، كان استثمار عناصر الواقع الخارجي ،اليومي والفعلي (C/F) عند (41,17 %) من أفراد مجموعة البحث من أجل التّعويض عن عالم داخلي ضعيف وعاجز أمّا عند بعضهم الآخر والذين بلغت نسبتهم (58,82 %) حيث كان اللّجوء إلى هذه الأساليب الدّفاعيّة وبخاصّة منها التمسّك بالمحتوى الظاهر للّوحة (CF1) بشكل قويّ، فقد عبّر(أي الاستثمار) عن غياب الصّراع النّفسي الدّاخلي وكذا القلق.

وقد عبّرت الانتقادات الذاتية(CN9) التي كانت سلبيّة في أغلب الأوقات وتواجدت بكثرة في بروتوكولات ما يقارب نصف المبحوثين، عن اعترافهم بوجود كفّ في التّفكير وسرد القصص، وكثيرا ما أحدثت انقطاعا في إنتاجيتهم.

من جهة أخرى، أظهر أكثر من(82 %) من هؤلاء المراهقين وبخاصّة منهم الإناث حاجتهم إلى سند الموضوع خاصّة أمام اللّوحات المثيرة لإشكاليّة فقدان الموضوع والاكتئاب.

سارت أساليب الرّقابة في نفس اتّجاه أساليب الكفّ بأنواعها، بمعنى مواجهة بروز حركات نزويّة مضايقة والتحكّم في التصوّرات والوجدانات المرتبطة بها.

وما ميّز بروتوكولات أفراد مجموعة البحث كذلك ، هو التّمحيص المستمر لنفس عناصر الموضوع المتناول،أي الاجترار(A2-8) الذي ظهر بمعدّل نسبة بلغ(27,50 %) وكشف عن واقع نفسي مثقل بالضّغوط والصّراعات النّفسيّة الدّاخليّة والعلائقيّة، وعن تجارب مكدّرة مقلقة ومحزنة ارتبط بعضها بالعدوان والقتل، وبعضها الآخر بفقدان الموضوع وبعضها الأخير بالدّمار والكوارث الطّبيعيّة.

بدا لجوء معظم المبحوثين إلى هذا الأسلوب الرّقابي، وبشكل خاص الذكور حيث قدّر معدّل نسبة ظهوره لديهم(34,42 %)، كمحاولة لإرصان تلك التّجارب الضّاغطة وللتّخفيف من حدّة التوتّر والقلق المرتبطين بها، لكنّها لم تكلّل في أغلب الأحيان بالنّجاح حيث لم يحقّق ذلك الاجترار تطوّرا في قصصهم ولم نلمس مخرجا واضحا للعناصر المجترّة ؛ كما بذلوا جهدا فكريّا معتبرا لاحتواء المنبّهات ولمواجهة الصّراعات المنشّطة من جديد، حيث بلغ معدّل نسبة التحفّظات الكلاميّة (A2-3) (24,02 %) .

تسبّب التّوظيف المعتبر لهذا الأسلوب الدّفاعي عند بعض المراهقين وبخاصّة منهم الإناث في عرقلة سلاسة الخطاب وسير القصص بشكل واضح ،بينما مكّن البعض الآخر من التّعبير عن الصّراعات النّزويّة المستحضرة سواء ارتبطت بالعدوانيّة أو بالقلق،أوعن العواطف الاكتئابيّة وبخاصّة تلك التي ارتبطت بفقدان الموضوع ولو أنّ ظهورها كان قليلا مثلما سنراه لاحقا.

ولإخماد النّزوات وإفشال تمثيل الصّراعات النّفسيّة والعواطف المصاحبة لها على مستوى التصوّرات، لجأ بعض المبحوثين إلى أسلوب العقلنة والتّجريد(A2-13) وقد بلغ معدّل نسبة ظهوره في بروتوكولاتهم (10,32 %).

لم تمنع أساليب تجنّب الصّراع والرّقابة من انفلات مواد لاشعوريّة وعودة المكبوت على شكل تصوّرات كثيفة وعواطف فجّة كشفت عن رواسب الماضي البعيد والقريب(E8) و(E9)، عن علاقات غيريّة ميّزتها العدوانية، وعن تجارب مكدّرة وأليمة لا تزال تضغط

على نفسيّة بعضهم منها ما ارتبط بعدوان بشري عنيف (الإرهاب)، ومنها ما ارتبط بإشكاليّة الدّمار والموت اللّذان تسبّبت فيهما الفيضانات القويّة التي ضربت منطقة سكناهم منذ أزيد من سنة، إلى جانب إشكاليّات أخرى تعلّقت بالعجز،التجرّد، الخوف والاضطهاد.
بلغ معدّل نسبة(E9) الذي كان أكثر أساليب العمليّات الأوّليّة توظيفا من قبل أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث(32,69 %)، تلاه (E8) بمعدّل نسبة قدره(18,02 %)، إضافة إلى إلغاء بعض شخصيات أو تفاصيل اللّوحات الظاهرة(E1) لتفادي التّعامل مع الاستثارات الكامنة لها والتورّط المكلف في صراعاتها، وقد لمسنا ذلك بوضوح أمام اللّوحات التّالية: 1، 2، 9GF 8BM، 12BG و13MF.
أمّا عن أساليب المرونة (B)، فقد كان تواجدها متواضعا على العموم وقد ظهر منها بكثرة تصوّرات ليبيديّة وعواطف قويّة (اكتئابيّة)(B2-4)، وعلاقات بين شخصيّات اللّوحات الظاهرة منها(B2-3) أو المدرجة(B1-2)،غيرأنّ تفاعلها مع السّياقات المذكورة آنفا لم يكن دوما ناجعا وفعّالا، إذ بقيت الصّراعات العلائقيّة المستحضرة والعواطف القويّة ضمن العلاقات الغيريّة معلّقة وبدون مخرج واضح.
من جهة أخرى، أسفر التّحليل الكيفي لكلّ بعد من الأبعاد النّفسيّة الثلاثة التي استندنا إليها لتقدير ديناميكيّة ونوعيّة السّير النّفسي لأفراد مجموعة البحث، وهي: العدوانيّة، الاكتئاب والقلق عن النّتائج التّالية:

- **<u>بشأن العدوانيّة:</u>**

كان تناولنا لهذا البعد النّفسي في اللّوحات المحرّضة له والمثيرة لصراعات نزويّة ضمن علاقات غيريّة، وهي: 4، 8BM و13MF، وقد كشفت نتائج التّحليل عمّا يلي:

اختلفت طريقة تناول إشكاليّة اللّوحة 4 بين أفراد مجموعة البحث، وظهر الاختلاف بين تمسّك بعضهم بالمحتوى الظّاهر لها وتعبير بعضهم الآخر عن التّجاذب الوجداني ضمن العلاقة الغيريّة، أو عن الحاجة إلى السّند ضمن تلك العلاقة.

ومن مواضيع القصص ما ارتبط بالخيال، ومنها ما ارتبط أيضا بصراع نفسي داخلي أو بفعل عدواني غير صريح (E8?).

على العموم، تمكّن أقلّ من ربع أفراد مجموعة البحث، أي (23,52 %) من الاقتراب نسبيّا من الإشكاليّة التي تبعث إليها هذه اللّوحة والتّعبير عن التّجاذب الوجداني من خلال إظهار عواطف قويّة ، غير أنّهم فشلوا في تبرير أسباب الصّراع النّزوي، أو في إيجاد مخرج له.

تجلّت صعوبة تعامل الذكور مع الاستثارات الكامنة للّوحة 8BM بوضوح ترجمتها بعض أساليب تجنّب الصّراع الخوافيّة كالتوقفات الزّمنيّة الطّويلة، الميل إلى التّقليص وعدم التّعريف بالشخصيّات ، إلى جانب التحفّظات الكلاميّة واللّجوء أحيانا إلى أسلوب العزل بين شخصيّات اللّوحة لكبت التصوّرات المرتبطة بالعدوانية الموجّهة ضدّ الصّورة الوالديّة أو إلى إلغاء إحداها لتفادي الانزلاق المكلف ؛ لكن رغم ذلك ، ظهرت تعابير عدوانيّة فجّة ارتبطت بمواضيع مختلفة كالقتل، الموت، المرض والثأر، وقد أظهر أكثر من ربعهم ، أي (28,56 %) ذلك النّوع من التّعابير لكنّها لم ترفق بأيّ نوع من العواطف.

أمّا عن اللّوحة 13MF، فلم تتمكّن من التّعبير عن العدوانيّة ضمن العلاقة الزّوجيّة والتي ارتبطت بالقتل وأرفقت بعواطف اكتئابيّة إلاّ نسبة ضعيفة من المبحوثين بلغت (11,76 %) والملاحظ أنّ الذكور كانوا أكثر قدرة على إظهار تلك التصوّرات العدوانيّة من الإناث إلاّ أنّهم عجزوا عن تبرير أسباب الفعل العدواني الإجرامي.

- **بشأن الاكتئاب:**

عمدنا إلى دراسة كيفيّة التّعبير عن هذا البعد النّفسي في أربع لوحات وهي:3BM، 12BG 13B و16، وقد أسفر تحليل القصص عن النّتائج التّاليّة:

تميّزت قصص اللّوحات السّابقة بالفقروالابتذال وبسيطرة أساليب تجنّب الصّراع الخوافيّة والسّلوكيّة التي استنجد بها معظم المبحوثين للتّخفيف من حدّة التوتّرالنّفسي والضّغط اللّذان أثارتهما، إلى جانب الهجاسيّة كدفاع ضدّ الاكتئاب، وقد كشفت هذه الدّفاعات عن صعوبة الإرصان النّفسي للعواطف المستحضرة وبشكل خاص منها الاكتئابيّة.

ففي اللّوحة 3BM مثلا، لم يتمكّن من الاقتراب من الإشكاليّة التي تبعث إليها اللّوحة وذلك باستحضار تصوّرات مرتبطة بفقدان الموضوع تصاحبها عواطف اكتئابيّة، إلاّ مراهقتين فقط، أي بنسبة (11,76 %) وهما فلّة وياسمين، حيث فقدت الأولى أمّها بفظاعة ولم ترمن وجهها المشوّه بالمياه والأوحال إلاّ عينيها، أمّا الثّانية، فقد نجت من تلك الفيضانات القويّة بأعجوبة لكنّها بالمقابل، فقدت صديقتها على مرأى منها ولم تتمكّن من إنقاذها، أمّا في اللّوحة 12BG، فكان تمسّك أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي(52,94 %) أغلبهم إناث حيث بلغت نسبتهنّ(60 %) بالمحتوى الظّاهر،الحلّ الأنسب لتفادي انبثاق أيّ تصوّرات مثيرة لغياب الموضوع والتي قد تربكهم، بينما حاولت نسبة ضعيفة منهم بلغت(11,76 %) الاقتراب من إشكاليّة اللّوحة وذلك بسرد قصص دار موضوعها حول رمزيّة الفقدان لكن في غياب عواطف اكتئابيّة حيث قال أمين:" منطقة في فصل الخريف معنتها سجرة ما فيهاش لورق"، أمّا إيناس، فقد كشف تعثّرها الكلامي(E17) ورغم إغفالها للقارب(E1)عن مقاومتها للفقدان، حيث قالت:" تقولي خريف، هذا ما كان، سجر لورق كشغل ناضو".

في حين، لم يتمكّن أيّ مبحوث من المبحوثين من استحضار موضوع الفقدان وبالتّالي إرصان الوضعيّة الاكتئابيّة أمام اللّوحة 13B بسبب ثقل أساليب تجنّب الصّراع الخوافيّة منها بشكل خاص وبعض أساليب الرّقابة، وفي المقابل، دارت مواضيع قصص أكثر من ثلثهم أي بنسبة(35,29 %) حول الفقر، التجرّد والوحدة، لكن من دون أيّة عاطفة اكتئابيّة كانت أم غير ذلك.

تنوّعت خطابات اللّوحة 16 بتنوّع المواضيع والانشغالات الدّاخليّة لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث، فمنها ما ارتبط بإشكاليات القتل والعدوان والاضطهاد والموت، ومنها ما ارتبط بما هو واقعي، يومي وحالي، أو بمرجع ثقافي، وقد ظهر هذا النّوع من الخطابات عند أقلّ من ربع المبحوثين (23,52 %).

من جهة أخرى، سمحت هذه اللّوحة وعند نسبة ضعيفة من المبحوثين قدّرت بـ (5,88 %) بعودة المكبوت على شكل تصوّرات فجّة رافقتها عواطف قويّة ارتبط بعضها بتجربة عنف بشري أليمة عايشتها البلاد خلال سنوات التّسعينات (حالة أماني)، وبعضها الآخر بالموت والفقدان الذي تسبّبت فيه فيضانات العاشر من نوفمبر لعام 2001(حالة فلّة وياسمين).

- **<u>بشأن القلق:</u>**

منعا لأيّ طفح هوامي مكلف وإخفاء للقلق الذي تثيره إشكاليّة اللّوحة 11، فضّل أكثر من (47 %) من المبحوثين التمسّك بمحتواها الظّاهر، بينما تسرّبت تصوّرات مقلقة عند (17,64 %) منهم ارتبطت بكارثة طبيعيّة (الزّلزال)، ومن أمثلة هؤلاء نذكر:"الحال مغيّم وتخوّف هاد الصّورة، باينة بلّي صرات حاجة، كارثة"،" تقول زنزلة ، لرض مشقة" " كشغل هنا زلزال، معنتها تمثّل كارثة هنا صرات".

لم تختلف استجابات المبحوثين كثيرا أمام اللّوحة 19، حيث كان استثمار الواقع الخارجي هو الحلّ الأنسب لأكثر من(35 %) من المبحوثين للابتعاد عن إشكاليتها وعن القلق الذي تنشّطه بينما رفض(17,64 %) منهم الاستجابة للتّعليمة وبالتّالي مواجهة المثير، وقد سجّلنا تأثّر نسبة ضعيفة من المراهقين بلغت (11,76 %) بالتّنبيهات الظّاهرة للّوحة والتي دفعتهم إلى النّكوص واستحضار هوامات تدميريّة ومولّدة للخوف، حيث دارت مواضيع قصصهم حول الفيضانات التي عايشوها وما تسبّبت فيه من دمار وموت، حيث قالت فلّة:" نار.. نار... فيضان أدّا معاه كلّش"، وقالت ياسمين بعد زمن كمون طويل ومحاولة رفض

اللّوحة:" تقول شلاّل، برك"، أمّا أمين فقال بعد محاولة مقاومة واستنجادا بالتّحفّظ الكلامي:" هذي تمثّل شغل منزل في فصل الشّتاء، انهيار المنزل في فصل الشّتاء".

استنادا إلى المعطيات السّابقة وتفاعلها مع بعضها البعض، توصّلنا إلى تحديد نوعيّة السّير النّفسي لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث، وقد تحصّلنا على فئتين تصنيفيتين فقط خلافا للنّتائج التي توصّلنا إليها في اختبار الرّورشاخ، وهما:

- فئة سير نفسي ذي نوعيّة "متوسّطة" مثّلها أكثر من نصف أفراد مجموعة البحث، أي (52,94 %)، مع تفوّق هذه الميزة عند الذكور حيث بلغت نسبتهم(57,14 %) مقابل نسبة (50 %) مثّلتها الإناث.
- وفئة سير نفسي ذي نوعيّة "سيّئة" ضمّت ثمانية أفراد،أي ما يعادل(47,05 %)، وقد ظهرت هذه الميزة عند الإناث أكثر من عند الذكور، أي(50 %) مقابل(42,85 %).

رغم تميّز إنتاجيّة المراهقين ذوي السّير النّفسي "المتوسّط" بالتقلّص، الابتذال والسّطحيّة أحيانا وتجنّب بعض الإشكاليّات وبخاصّة منها الاكتئابيّة، والتّراجع عن معالجتها وإيجاد حلول مناسبة للصّراعات المستحضرة رغم محاولة الشّروع في بلورتها وإرصانها نظرا لقوّة صداها الهوامي واستدعاءاتها الخطيرة وذلك بلجوئهم إلى أساليب تجنّب الصّراع الخوافيّة بشكل خاص، والرّقابة وبعض أساليب العمليّات الأوّليّة ، إلاّ أنّنا لمسنا اقترابهم أحيانا أخرى من إشكاليّات بعض اللّوحات المثيرة للصّراعات النّفسيّة الدّاخليّة أو العلائقيّة وإقامتهم لعلاقات تفاعليّة بين شخصيّات تلك اللّوحات ميّزها التّجاذب الوجداني،أي العدوانيّة تارة واللّيبيدو تارة أخرى، كما لمسنا أيضا إدراكهم الواضح والسّليم للواقع الخارجي ومحاولة تكيّفهم مع إثارات بعض اللّوحات رغم تنوّعها واختلاف إشكاليّاتها وبروزعمل نفسي دفاعي لمواجهة بعض الصّراعات المثارة والتغلّب على العواطف القويّة العدوانيّة منها أو الاكتئابيّة أو المقلقة.

3- مناقشة وتفسير نتائج المقابلات العياديّة:

في هذا العنصر، سنتطرّق إلى مناقشة وتفسير النّتائج المتوصّل إليها من خلال تحليل معطيات المقابلات العيادية التي أجريت مع المبحوثين.

اختلفت نوعيّة المشاركة والتّجاوب مع الأسئلة المطروحة من فرد لآخر، حيث كانت سهلة عند بعضهم وغنيّة بالتّفاصيل، الانفعالات والتّداعيات لاسيما المتعلّقة بكيفية معايشتهم للفيضانات التي تعرّضوا لها، وبشكل خاص عند الإناث، حيث كانت المقابلة العياديّة بالنّسبة لبعضهنّ فرصة للتّفريغ عن مشاكلهنّ الشّخصيّة والعائليّة، عن قلقهنّ ومخاوفهنّ أمّا بالنّسبة لبعضهنّ الآخر، فكانت للتّخفيف من وطأة معاناتهنّ وآلامهنّ جرّاء فقدانهنّ لأحد أفراد عائلتهنّ في تلك الفيضانات القويّة والمفاجئة التي اجتاحت باب الوادي صبيحة العاشر من نوفمبر عام 2001.

أمّا عند البعض الآخر، فكانت المشاركة صعبة ومتخوّفة أحيانا، حيث لمسنا نوعا من التردّد في التّعبير عن العواطف والانفعالات، أو عن مشاكل نفسيّة شخصيّة، أو علائقيّة اجتماعيّة لازالوا يتخبّطون فيها، وذلك خوفا أو خجلا من ردّة فعلنا إزاءها، وهذا ما استنتجناه من تقاسيم وجوههم ونبرات أصواتهم، أو في استرجاع معاش الكارثة الطّبيعيّة وذكرياتها.

على العموم، كشفت معطيات المقابلات العياديّة عن جوانب هامّة من حياة هؤلاء المراهقين عن سوابق شخصيّة مرضيّة و/أو جراحيّة، وأخرى عائليّة كان لها أثر كبير على نفسيّة بعضهم، إلى جانب تعرّض معظم المبحوثين لأحداث حياتيّة مختلفة ولوضعيات ضاغطة اتّسمت بالألم، أو بالفشل أو بالعنف ومنها: فقدان أحد أفراد العائلة انفصال الأبوين أو طلاقهما، التعرّض لحوادث سير خطيرة وعنيفة، أو لتجارب عاطفيّة فاشلة، الصّراعات والمشاكل العائليّة الحادّة التي أدّت بريم مثلا إلى الهروب من البيت وبأماني إلى محاولة انتحار، وأخيرا، التعرّض المباشر لأحداث دمويّة مأساوية تسبّبت فيها جماعات إرهابيّة أفقدت أمن البلاد وأمانه طيلة سنوات التّسعينات، فقد كانت باب الوادي من بين مناطق العاصمة الأكثر نشاطا ونفوذا لها، حيث اتّخذت من أعاليها وتضاريسها شبه الجبليّة مأوى ومركزا لعمليّاتها.

ولّدت تلك الصّراعات والتّجارب الضّاغطة حالة لااستقرارنفسي عند بعضهم واضطراب وتشويش للنّفسيّة عند بعضهم الآخر الذين حضروا وعايشوا تلك الاعتداءات الإجراميّة التي استهدفت كلّ شرائح المجتمع الجزائري وكذا الاعتقالات والجثث المشنوقة والرّؤوس المعلّقة على الأشجار أو أعمدة الكهرباء،إلى جانب الدّمار الذي طال المباني والمنشآت الحكوميّة. تجلّى ذلك الاضطراب على شكل قلق، خوف ورعب، أحلام وكوابيس مزعجة حالة استنفار وترصّد للخطر، إضافة إلى ضعف الانتباه والتّركيز وانخفاض مستوى التّحصيل الدّراسي بشكل محسوس ما أدّى إلى رسوبهم.

قد يعود عجز هؤلاء المراهقين عن مواجهة تلك الظّروف والتّجارب الضّاغطة التي عايشوها في طفولتهم وأولى سنوات مراهقتهم وتجاوزها، إمّا لحداثة سنّهم، أو لغياب الدّعم الأسري، أو لشدّة الحدث أو التّجربة الضّاغطة، أو لتضافر هذه العوامل الثلاثة.

أمّا عن كيفيّة معايشة الفيضانات وانعكاساتها النّفسيّة المباشرة، بعد المباشرة وبعد الصّدميّة أي بعد مرور 15 شهرا من وقوعها، فقد اختلفت هي الأخرى من فرد لآخر كلّ حسب طبيعة تعرّضه لها وحسب قوّة وصلابة بنيته النّفسيّة ودفاعاته أيضا، إلاّ أنّ الجميع كانوا مذهولين وصعقين في ذلك اليوم بسبب الدّمار والخراب والجثث الهامدة المنتفخة المشوّهة بالمياه الموحلة المطفوّة على سطح الماء أو المرتطمة بجدران المنازل والدّكاكين وبسبب أناس يستصرخون ويستنجدون، قلقين على أنفسهم وذويهم، خائفين ممّا سيحدث لهم.

أثارت تلك المشاهد المرعبة والأخبار الموجعة عن فقدان أحد أفراد العائلة في الأسابيع الأولى من وقوع الكارثة الطّبيعيّة اضطرابات انفعاليّة،حصريّة، تكيّفيّة واكتئابيّة متنوّعة لدى معظم أفراد مجموعة البحث، ومن أكثرها ظهورا وتواترا: اضطرابات التّفكير وتلبّد الذهن بذكراها، إلى جانب التخوّف والشّعور بالقلق والحصر، كما تملّكهم حزن شديد اصطحبته نوبات بكاء، وقد كان ظهور هذه الأخيرة قويّا عند الإناث وبخاصّة عند اللّواتي فقدن أحد الأبوين أو أحد الإخوة أو الأخوات مثل فلّة، إيناس، ريم، منال، وفاء، أو ياسمين التي تعرّضت لخطر الموت غرقا وفقدت أعزّ صديقة لها على مرأى منها.

كما استطعنا أن نرصد، من خلال أجوبة معظم المبحوثين وتصريحاتهم لنا،بعض الأعراض الصّدميّة النّوعيّة التي تعتبرالواسم المرضي للتّناذرات النّفسيّة الصّدميّة وللعصاب الصّدمي كصعوبة النّوم، اضطرابات السّلوك الغذائي، انبعاث متواتر لمشاهد الغرقى،الموتى والدّمار أو لصور أفراد عائلتهم أو أقاربهم الذين فقدوهم مسبّبا لهم سرعة في خفقان القلب وشعورا بالضّيق والقلق، إلى جانب وجودهم في حالة استنفار وترصّد لأيّ خطر محتمل. وحسب نتائج التّحليل الكمّي لكيفيّة ظهور هذه الأعراض عند الجنسين فإنّ الذكوركانوا أكثر تأثرا من الإناث اللّواتي كنّ بالمقابل أكثرعرضة للأحلام والكوابيس المزعجة وأكثر تجنّبا لكلّ ما يذكّرهنّ بالحدث الصّدمي، وقد كانت تنتابهنّ من حين لآخر سورات غضب.

أمّا عن زمن ظهور هذه الأعراض، فقد تراوح بين أسبوعين إلى ستّة أشهر، وقد بلغت نسبة الذين تأثّروا كثيرا بالمشاهد العنيفة أو بذويهم الذين فقدوهم فجأة وبشكل فظيع لدرجة ظهور تلك الأعراض الصّدمية أسبوعين بعد الكارثة الطّبيعيّة(41,17 %)، بينما لم تظهر تلك المعاناة عند(35,29 %) من أفراد مجموعة البحث إلاّ بعد شهر من حدوثها ، وعند أقلّ من ربعهم ،أغلبهم ذكور، خلال الأشهر السّتة الأولى.

تنتمي الأعراض الصّدميّة سابقة الذكر إلى سياق الصّدمة، وهي تترجم محاولة الجهاز النّفسي إقصاء كمّ الاستثارات الخارجيّة وتصفيتها، وتصريف الضّغط الدّاخلي الذي تسبّبت فيه، أو ربّما زادت من حدّته، وكذا، تصريف قوّة الانطباع الصّدمي الأوّل من أجل استرداد "التّوازن النّفسي السّابق"، أمّا إذا فشل في ذلك إمّا لهشاشة دفاعاته وعدم فعاليتها أو لتحطّمها، أو لوجود الفرد في وضعيّات ضاغطة جديدة، أو لغياب السّند الأسري، فقد تتطوّر لتستقرّ على شكل تناذر نفسي صدمي مستديم بكلّ انعكاساته على المستوى النّفسي والحياة الاجتماعيّة، هذا ما حدث عند ما يقارب نصف أفراد مجموعة البحث، أي ما يعادل(47,05 %)، حيث استمرّت تلك الأعراض النّفسيّة الصّدميّة النّوعيّة لديهم إلى أكثر من سنة، كما ظهرت في غضون ذلك أعراض أخرى نوعيّة وغير نوعيّة ونقصد بها أعراض الحصر والوهن الجسدي والنّفسي ؛ وقد بدت لنا الإناث أكثر

تأثرا بمشاهد الفيضانات أو ربّما تضرّرا من فقدانهنّ لذويهنّ فجأة وبفظاعة في عزّ أزمة المراهقة حيث بلغت نسبتهنّ (60 %) مقابل نسبة (28,57 %) مثّلها الذكور.

واستنادا إلى نتائج التّقييم العيادي للحالة النّفسيّة لكلّ فرد من أفراد مجموعة البحث بعد مرور 15 شهرا من تعرّضهم المباشر وغير المباشر لفيضانات قويّة ومعايشتهم لها، وكذا إلى شرطي الشّدة والتّواتر، توصّلنا إلى تصنيف المبحوثين إلى فئتين:

- فئة أولى لا تزال مثبّتة على الحدث الصّدمي وتعاني من ذكرياته الأليمة ومشاهده الفظيعة، ومن فقدانها لأعزّ ما تملك، أي أحد الأبوين أو الإخوة، أو حتّى من تجربة الموت الحقيقي والتي كانت أوّل أخطر وأعنف تجربة حياتيّة مرّوا بها، وقد تجلّى ذلك التّثبيت من خلال وجود تناذر نفسي صدمي بلائحته العياديّة المعروفة التي تضمّ أعراضا نوعيّة وغير نوعيّة، وقد تجاوزت نسبة هذه الفئة (64 %) وبدت لنا الإناث أكثر تأثرا وتضرّرا من الذكور كما أشرنا إليه سابقا، حيث بلغت نسبتهنّ(70 %) مقابل نسبة(57,14 %) مثّلها الذكور.

أكثر من نصف أفراد هذه الفئة المصدومة، أي(54,54 %) فقدوا أحد أفراد عائلتهم، ونسبة (18,18 %) منهم تعرّضوا لخطر الموت غرقا ونجوا منه بأعجوبة، وأقلّ من ثلثهم، أي (27,27 %) كانوا شهودا على الدّمار والموتى والجثث المشوّهة المترامية هنا وهناك.

وما لاحظناه عند المراهقين المصدومين الإحدى عشر الموزّعين بين7 إناث و4 ذكور،هو التّباين في غنى اللاّئحة العياديّة من فرد لآخر، وكذا في شدّة المعاناة، وفي تواتر الأعراض النّفسيّة الصّدميّة النّوعيّة منها وغيرالنّوعيّة وبخاصّة تلك المرتبطة بتناذر التّكرار، وهذا راجع إلى قوّة الدّفاعات وفعاليتها وربّما إلى عوامل خارجيّة أخرى كظروف المحيط الخارجي الاجتماعي والأسري غيرالملائمة مثلا، رغم ذلك، اشترك هؤلاء في عدّة أعراض أهمّها: ذكريات الفيضانات المتكرّرة والاجترار العقلي لها وما يصاحبهما من ضيق، قلق وسرعة خفقان القلب وفي ذلك إشارة إلى أنّ هناك شيء ما يزال محصورا(bloqué) في النّفس و لم يُرصن بعد، الاحتراس واليقظة الدّائمين عند التنقّل في الشّارع، أو عند تلبّد السّماء، أو سقوط الأمطار محاولة تجنّب الأفكار التي تذكّر

بالكارثة الطّبيعيّة أو بالمشاهد الفظيعة وصورالغرقى أو الضّحايا النّاجين أو ذويهم المفقودين، فقدان الاهتمامات وتقلّص النّشاطات اليوميّة والإحساس بمستقبل مسدود وكذا ظهور حساسيّة وحذر شديدين تّجاه الآخرين، إلى جانب اشتراكهم في أعراض غير نوعيّة كالقلق والإحساس بضيق، صعوبة التّركيز الفكري والعياء وظهور نوبات بكاء وعدوانيّة خاصّة مع أفراد الأسرة.

● فئة ثانيّة تمكّن أفرادها السّتة الموزّعين بين 3 إناث و3 ذكور، على ما يبدو، من تجاوز الحدث الصّدمي واستدخاله، حيث مالت تلك الأعراض النّفسيّة الصّدميّة التي ظهرت خلال الأشهر السّتة الأولى إلى الاختفاء تدريجيّا وقد استمدّ بعضهم شجاعته وقوّته لتجاوز كلّ ذلك من الدّعم الأسري الذي حظي به بعد وقوع الفيضانات، إلى جانب التصوّرات الفرديّة حول الحدث والمعنى الذي اتّخذه لديهم فمنهم من اعتبره عقابا إلاهيّا بسبب المعاصي والذنوب المرتكبة حيث قالوا في نهاية المقابلة:" الحملة avertissement من عند ربّي للنّاس paceque جهلت"،"ربّي نذر النّاس وعاقب عبادو"،" الحملة نتيجة واش درنا وْ واش رانا أنديرو وهذا غضب اللّه، لوكان كنّا دايرين الصلاح ما يديرنّاش هكّا" ؛ ومنهم من اعتبرها قضاء وقدرا ولا بدّ من الاستسلام لهما، حيث قالوا لنا:" مهما يكون، لا بدّ أن تستمرّ الحياة هذي حاجة تاع ربّي، مقدّرة ومكتوبة، لازم نآمنو بيها"،" هذي حاجة ربّي، ما عندنا ما نديرو، وكل واحد يلحق الأجل نتاعو".

4- ارتباط نوعيّة السّير النّفسي عبر اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع لدى أفراد مجموعة البحث بالوضع النّفسي بعد 15 شهرا من وقوع الفيضانات:

قبل توضيح ارتباط نوعيّة السّير النّفسي عبر اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع لدى المبحوثين بوضعهم النّفسي بعد مرور 15 شهرا على تعرّضهم المباشر وغير المباشر للفيضانات، لا بأس أن نقدّم ملخّص إجماليّا عن الانطباع العام لإنتاجيتهم في كلا الاختبارين.

تميّزت إنتاجيّة أفراد مجموعة البحث أمام اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع على العموم بالفقر والميل إلى التّقليص و تغلّب الكبت الذي يعدّ في الواقع الميزة الأساسيّة لبروتوكولات المراهقين ، ولعلّه أهمّ آلية دفاعيّة يلجأ إليها أناهم لصدّ تدفق النّزوات التي تقلقه وتزعجه وتهدّد أمنه، وكذا لصدّ التّجارب المضايقة والمكدّرة والصّدميّة، بكلمة واحدة، لردع وقمع كلّ ما يهدّد استقراره، فالأنا كما هو معلوم، يسعى دوما إلى ضمان انسجام الجهاز النّفسي وتحقيق توازنه.

ففي الرّورشاخ مثلا، كان تجنّب هؤلاء المبحوثين الخوض في الاختبار وأحيانا فشلهم في توظيف الفكر والخيال جليّا ترجمه جفاف وبساطة الأجوبة وافتقادها للتّداعيات ولعمل الإرصان النّفسي، فكان تجنيدهم للواقع الخارجي حلاّ مناسبا لمراقبة أيّ تدفّق نزوي من شأنه تهديد سلامة أناهم، وللحدّ من انبثاق تصوّرات وعواطف مضايقة بل وربّما مؤلمة وبالتّالي تقليص التّعبير عن صراعات كامنة أو مكبوتة وتجنّب مواجهة إشكاليّات الاختبار المختلفة ؛ وبالمقابل، لمسنا تبعيّتهم لخصائص المنبّه اللّونية وانجذاب بعضهم إليها بشكل مفرط أحيانا وبخاصّة أمام اللّون الأسود الدّاكن، ما قد يترجم ضعف وظائف الأنا المانعة لذلك الإفراط ، أي ضعف نظام صاد-الإثارات.

أمّا أمام لوحات اختبار تفهّم الموضوع، فقد تميّزت قصص المبحوثين على العموم بالميل إلى التّقليص، الابتذال وأحيانا السّطحيّة، وبصعوبة الإرصان النّفسي للصّراعات النّفسيّة الدّاخليّة أو العلائقيّة التي أظهرها بعضهم رغم شروعهم في بلورتها وإيجاد حلول وطرق تسوية مناسبة لها، وكذا للتصوّرات والعواطف وبخاصّة الاكتئابيّة منها.

لكن رغم ذلك كلّه، برزت اختلافات في أنماط استقبال(Réception)، قبول(Admission) واستدخال(Intégration) كلّ من منبّه من المنبّهين السّابقين بين هؤلاء المبحوثين وصبغة فرديّة ميّزت كلّ فرد منهم ، كلّ حسب نوعيّة واقعه الدّاخلي بما فيه من تصوّرات، عواطف ميول وصراعات مكبوتة تتموقع في سجّلات تطوّريّة مختلفة، وآثار ذكرويّة مرتبطة بتجارب سابقة قد يكون بعضها مكدّرا، مقلقا بل وربّما صدميّا، وحسب نوعيّة علاقته بواقعه الخارجي أيضا، فقد كشف تأثّر معظمهم بمادّة الاختبارين من جهة، وسقوط

الرّقابة من جهة أخرى عن واقع نفسي مثقل بالضّغوط والصّراعات النّفسيّة الدّاخليّة والعلائقيّة، وعن عودة المكبوت ، عند بعضهم، على شكل تصوّرات إنسانيّة وحيوانيّة مولّدة للقلق وللخوف ارتبطت بتجربة عنف بشري ماضية مؤلمة وعنيفة (الإرهاب) انبثقت في شكل خام وفجّ تارة ورمزي تارة أخرى، وتصوّرات أخرى مقلقة أيضا ارتبطت مباشرة بالفيضانات التي عايشوها، وقد لمسنا هذا النّوع من الأجوبة عند المراهقين المصدومين بشكل خاص.

يمكن أن نعزو الاختلاف في كيفيّة الاستجابة للاختبارين الإسقاطين إلى طبيعة مادّتيهما من جهة وتعليمتيهما من جهة أخرى.

قبل أن نوضّح كيفيّة ارتباط نوعيّة السّير النّفسي لأفراد مجموعة البحث في كلا الاختبارين الإسقاطيين بوضعهم النّفسي الحالي بالأرقام والنّسب، نذكّر أنّ التّقييم العيادي قد كشف عن وجود 11 مراهق مصدوم و6 مراهقين غير مصدومين.

1-4-ارتباط نوعيّة السّير النّفسي في اختبار الرّورشاخ بالوضع النّفسي الحالي لدى المبحوثين:

جدول رقم (84): توزيع المراهقين المصدومين وغير المصدومين حسب نوعيّة سيرهم النّفسي في اختبار الرّورشاخ.

أفراد مجموعة البحث	مراهقون مصدومون			مراهقون غير مصدومين		
نوعيّة السّير النّفسي في اختبار الرّورشاخ	إناث	ذكور	مجموع	إناث	ذكور	مجموع

" جيّدة "	**0** % 0,0	**1** % 25	**1** % 9,09	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
" متوسّطة "	**3** % 42,85	**0** % 0	**3** % 27,27	**0** % 0	**2** % 66,66	**2** % 33,33
" سيّئة "	**4** % 57,14	**3** % 75	**7** % 63,63	**3** % 100	**1** % 33,33	**4** % 66,66
مجموع	**7** % 100	**3** % 100	**11** % 100	**3** % 100	**3** % 100	**6** % 100

يتراءى لنا من أوّل وهلة، وجود النّوعيّات الثلاث للسّير النّفسي عند المراهقين المصدومين الإحدى عشر مقابل نوعيتين فقط عند المراهقين غير المصدومين وهما المتوسّطة والسّيئة هذه الأخيرة كانت أكثر تمثيلا عند كلتا الفئتين.

فيما يخصّ المراهقين المصدومين، فقد كانت نوعيّة السّير النّفسي "سيّئة" عند 7 أفراد منهم أي ما يعادل(63,63 %)، وعند الذكور أكثر من عند الإناث،أي بنسبة(75 %) مقابل (57,14 %)، بينما كانت "متوسّطة" عند 3 أفراد، أي بنسبة(27,27 %) واقتصر ظهورها عند الإناث دون الذكور، أي بنسبة(42,85 %)، ولم تظهر النّوعيّة "الجيّدة" للسّير النّفسي إلاّ عند مراهق فقط كما يتبيّن من الجدول، أي بنسبة(9,09 %).

أمّا عن المراهقين غير المصدومين، فقد بلغت نسبة الذين تميّز سيرهم النّفسي بنوعيّة "سيّئة"(66,66 %) وقد ظهرت بصفة مطلقة عند الإناث أي(100 %)، أمّا النّوعيّة المتوسّطة فلم تظهر إلاّ عند نسبة (33,33 %) وعند الذكور فقط وبنسبة (66,66 %).

قد يردّ هذا الفشل في السّير النّفسي أمام اختبار الرّورشاخ سواء عند المراهقين المصدومين أو غير المصدومين إلى عدّة أسباب: منها ما يرتبط بمادّة المنبّه في حدّ ذاتها التي تتصف بالغموض، التّشتّت ونقص في البناء وبشكل متفاوت حسب اللّوحات بحيث يجد المبحوث نفسه محصورا بين أشكال واضحة أحيانا وغامضة إلى مبهمة أحيانا أخرى، ومنها وما يرتبط بطبيعة المرحلة النّمائيّة التي يمرّ بها هؤلاء المراهقون وما يحدث فيها من إعادة إحياء للإشكاليّات المختلفة كإشكاليّة الانفصال والتفرّديّة والإشكاليّة الأوديبيّة، وأخيرا، بمدى فعاليّة الآليات الدّفاعية الموظّفة ضدّ ما ينبثق عنها والتي تختلف من مراهق لآخر.

2-4-ارتباط نوعيّة السّير النّفسي في اختبار تفهّم الموضوع بالوضع النّفسي الحالي لدى المبحوثين:

جدول رقم(85): توزيع المراهقين المصدومين وغير المصدومين حسب نوعيّة سيرهم النّفسي في اختبار تفهّم الموضوع.

أفراد مجموعة البحث / نوعيّة السّير النّفسي في اختبار تفهّم الموضوع	مراهقون مصدومون			مراهقون غير مصدومين		
	إناث	ذكور	مجموع	إناث	ذكور	مجموع

" جيّدة "	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0	**0** % 0
" متوسّطة "	**5** % 71,42	**2** % 50	**7** % 63,63	**0** % 0	**2** % 66,66	**2** % 33,33
" سيّئة "	**2** % 28,57	**2** % 50	**4** % 36,36	**3** % 100	**1** % 33,33	**4** % 66,66
مجموع	**7** % 100	**4** % 100	**11** % 100	**3** % 100	**3** % 100	**6** % 100

تظهر معطيات الجدول وجود نوعيتين للسّير النّفسي في اختبار تفهّم الموضوع: متوسّطة وسيّئة وعند كلتا الفئتين، خلافا لنتائج التّصنيف السّابقة، وقد جاء توزيع المراهقين المصدومين حسب نوعيّة سيرهم النّفسي في هذا الاختبار بشكل معاكس تقريبا لتوزيعهم في اختبار الرّورشاخ، حيث بلغت نسبة أولئك ذوي نوعيّة سير نفسي"سيّئة"(36,36 %) وكان ظهورها عند الذكور أكثر من عند الإناث، أي (50 %) مقابل (28,57 %)، في حين، كانت نوعيّة السّير النّفسي "متوسّطة" عند 7 أفراد ، أي بنسبة(63,63 %) وبرزت هذه المرّة عند الإناث أكثر من عند الذكور، أي (71,42 %) مقابل (50 %).

أمّا عن المراهقين غير المصدومين، فلم يختلف توزيعهم حسب نوعيّة سيرهم النّفسي عن الذي ظهر في الرّورشاخ، فهو ذاته تماما عددا ونسبة.

يمكن أن نعزو هذه النّتائج إلى نفس الأسباب المذكورة في العنصر السّابق والتي برّرنا بها فشل كلّ المراهقين أمام اختبار الرّورشاخ ، أي إلى طبيعة مادّة اختبار تفهّم الموضوع التي تمثّل في معظمها صورا إنسانيّة وتثير إشكاليات مختلفة علما أنّ اختبار تفهّم الموضوع مركّز بقوّة حول إثارة صراعات بين الأجيال والجنس، كما أنّ تعليمته تحثّ على تخيّل قصّة مركّبة ومفهومة ما قد يضعف من حظوظ التكيّف النّاجح وربّما هذا ما حدث مع المراهقين غير المصدومين وما قد يفسّر فشلهم في التّعامل مع تلك الصّراعات

والتحكّم في النّزوات التي تثيرها . أمّا عند المراهقين المصدومين، فقد يعود ذلك الاختلاف إلى قدرتهم على التعامل مع منبهات أكثر بناء والتكيف معها ولو بشكل نسبي ، أو إلى الكبت الذي عمل على حمايتهم من انزلاقات مكلفة ومهدّدة للأنا.

5- المناقشة العامّة:

يمكن حوصلة مجمل النّتائج المتوصّل إليها ومناقشتها كما يلي:

5-1- بالنّسبة للفرضيّة العامّة:

كشفت نتائج البحث عن استجابات مختلفة لانعكاسات الفيضانات عند أفراد مجموعة البحث على اختلاف طبيعة تعرّضهم لها، ومن فرد لآخر أيضا، فقد استطاع ستّة (6) مراهقين من أصل سبعة عشر(17) مراهق تجاوز حالة الذهول والهلع والتكيّف مع مختلف الاضطرابات التكيّفيّة الحصريّة والاكتئابيّة التي ظهرت في المرحلة ما بعد المباشرة للفيضانات، أي في الأيّام إلى الأسابيع الأولى التي تلت الكارثة الطّبيعيّة، وكذا مع بعض الأعراض النّفسيّة الصّدمية التي ظهرت خلال الأسبوعين الأوّلين عند بعضهم وستّة أشهر عند البعض الآخر ولم تدم أكثر من سنة،أهمّها وأكثرها تواترا كان: انبعاث متواتر لصورالغرقى وللجثث المنتفخة والمشوّهة بالأوحال وللدّمار، أحلام سيّئة متكرّرة وكوابيس، صعوبة النّوم وأحيانا نوم متقطّع ،اضطرابات السّلوك الغذائي، حالة استنفار وبعض مظاهر التجنّب.

يتوزّع هؤلاء المراهقون بين ثلاث(3)إناث وثلاثة(3) ذكور، وتتراوح أعمارهم ما بين 16 و18 سنة، وكلّهم حضروا مشاهد مرعبة عن الدّمار والموت عدا اثنان منهم إذ زيادة عن ذلك، شارك أحدهما في إنقاذ بعض الضّحايا بينما فقد الآخر خاله.

أمّا المراهقون الإحدى عشر(11) المتبقون، فقد فشلوا في التكيّف مع تلك الأعراض النّفسيّة الصّدمية وتجاوزها ما أدّى إلى استمرارها وتطوّرها إلى تناذر نفسي صدمي تفاوتت لائحته العياديّة في غناها، تواتر ظهور الأعراض الصّدمية وتكرارها ومدى انعكاسها على الصّحة النّفسية والحياة الاجتماعية من فرد لآخر، ما يعني أنّ هناك تفاوت

في القدرات الدّفاعية وفي قدرة الأنا على التكيّف مع الواقع الخارجي وهذا ما لاحظناه في إنتاجيّاتهم.

تتكوّن هذه المجموعة من سبع (7) إناث وأربعة (4) ذكور، تتراوح أعمارهم بين 17 و21 سنة، وقد كانت واحدة منهم شاهدة على الدّمار وعلى مناظر فظيعة لغرقى وموتى ، وتعرّض اثنان(2) لخطرالموت غرقا، بينما شارك اثنان آخران في إنقاذ الضحايا، أمّا الستّة(6) المتبقون فقد فقدوا أحد أفراد عائلتهم غرقا في الفيضانات.

وعليه، يمكن القول أنّ الفرضيّة العامّة القائلة بنسبيّة الصّدمة وبتغيّريّة آثارها التي تتوقف على مدى صلابة البنية النّفسية لكلّ مراهق من هؤلاء المراهقين قد تحقّقت.

2-5- <u>بالنّسبة للفرضيّة الجزئيّة الأولى</u>:

جاءت نتائج تحليل بروتوكولات اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع وتقييم ديناميكيّة السّير النّفسي عند المراهقين غير المصدومين معاكسة تماما لتوقّعاتنا ولفرضيّتنا المطروحة والقائلة أنّه كلّما كانت نوعيّة السّير النّفسي لأيّ فرد من أفراد مجموعة البحث" جيّدة"، تظهر من خلال ثراء الإنتاجية، إدراك الواقع بشكل تكيّفي، إرصان الصّراعات النّفسيّة المنشّطة من جديد باستعمال متوازن للآليات الدّفاعية وإظهار القدرة على التخرّج منها، ووجود عمل ربط منسجم بين البنيات الشعورية واللاّشعوريّة، كلّما عكس ذلك قدرته على التكيّف مع مواقف الحياة، صراعاتها وتجاربها المختلفة، وبالتّالي استدخال انعكاسات الفيضانات التي تعرّض لها وتجاوزها.

ظهر السّير النّفسي عند معظم هؤلاء المراهقين وفي كلا الاختبارين الإسقاطيين بنوعيّة "سيّئة"، أمّا "الجيّدة" منها فلم يكن لها أيّ تمثيل ولعلّ ذلك يعود إلى طبيعة المرحلة العمرية التي يمرّ بها هؤلاء وما يميّزها من تأجّج للنّزوات وللصّراعات العالمية والتي تجعلهم يحدّون من ظهورها وانبثاقها من جديد ويتجنّبون مواجهتها من خلال الكفّ والكبت لئلاّ تهدّد أمن أناهم واستقراره، أو يعود إلى طبيعة المنبّهين كما ذكرنا في العنصر السّابق وإلى تعليمتيهما، حيث يطلب من المراهق في اختبار الرّورشاخ أن يعبّر عمّا يمكن

أن يراه في اللّوحات ويتخيّله ، أمّا في اختبار تفهّم الموضوع، فيطلب منه تخيّل قصّة مركّبة ومفهومة وفي كلتا الحالتين، القيام بتسوية بين الواقع والخيال.

وإذا تمكّنوا رغم ذلك من تجاوز مختلف الاضطرابات التي تسبّبت فيها الفيضانات وبعض الأعراض النّفسيّة الصّدميّة التي ظهرت لديهم في فترات لاحقة لها ومالت تدريجيّا إلى الاختفاء، فلأنّهم حصلوا على طرق تسوية "خارجيّة" مختلفة كالدّعم الأسري الذي حظي به كلّ من هاني، وليد، خديجة وفريال، حيث كان لحضور أفراد الأسرة وبخاصّة الأبوين ودّهما وتواصلهما معهم ومشاركتهم في احتواء الصّدمة دور كبير في التّخفيف عنهم وقع الكارثة الطّبيعيّة وفي مساعدتهم على المقاومة ؛أو الاستثمار اللّيبيدي "لموضوع خارجي" الذي منح لأماني ما عجزت أسرتها عنه، حيث ساعدها حضوره المستمرّ وسنده القويّ كثيرا على تخليصها من الضّرر النّفسي الذي تسبّبت فيه مشاهد وصور الفيضانات الفظيعة أو الاستثمار في نشاطات ترفيهيّة كالرّياضة التي كانت لفوزي وسيلة ناجعة للتخلّص من الضّغط النّفسي الدّاخلي، أو أخيرا، اعتبار الفيضانات قضاء وقدرا ولا بدّ من الاستسلام لهما.

إلى جانب كلّ ذلك، فقد أشارت عديد من البحوث التي اهتمّت بعواقب الكوارث الطّبيعيّة والحوادث الصّدميّة إلى أنّ الأعراض الصّدمية التي قد تظهر في المرحلة ما بعد المباشرة لها، تميل إلى الاختفاء بصفة أسرع ممّا تظهر في حال عنف بشري كالحروب، الاعتداءات الاغتصابات وغيرها.

3-5- <u>بالنّسبة للفرضيّة الجزئية الثانية</u>:

أظهرت النّتائج أنّ المراهقين المصدومين كانوا أكثر"نجاحا" أمام اختبار تفهّم الموضوع ممّا كانوا عليه أمام اختبار الرّورشاخ، وهذا من حيث محاولة تكيّفهم مع محتوى اللّوحات المختلفة باقترابهم من الصّدى الهوامي لبعض إشكالياتها وتقديم قصص احتوت على تصوّرات معتبرة رافقتها عواطف ملائمة وهوامات، وعلى علاقات تفاعليّة بين بعض الشّخصيّات، وعلى بعض الصّراعات النّفسية الدّاخلية و العلائقية، ما كشف عن نوعية

سير نفسي " متوسّطة" لديهم. لكن من جهة أخرى، لمسنا عجزهم عن إدراك إشكاليات بعض اللّوحات ومعالجة بعضها الآخر وبخاصّة تلك المثيرة للعدوانية، الاكتئاب وللقلق، حيث قلّ التّجاوب معها وبقيت صراعاتها معلّقة تفتقر للحلول وللتّسويات بغياب أساليب التخرّج (A1) و(B1) الدّالة على قدرة الفرد على التكيّف في الحياة، وكان التهرّب منها يتمّ إمّا بإلغاء أحد شخصيتي اللّوحة(E1)، أو تنكيرها(CP3) أو العزل بينهما(A2-15)، أو ابتذال الصّراع المستحضر أو عدم تبرير العاطفة وبخاصّة الاكتئابية منها وربطها بفقدان الموضوع (CP4) أو عقلنة الصّراع (A2-13)، أو الميل إلى الرّفض (CP5).

أمّا في الرّورشاخ، فزيادة عن ذلك الانطباع العام الذي تميّزت به إنتاجيّة كلّ المراهقين، من ضآلة من النّاحيّة الكمّية وظهور بعض مظاهر الكفّ والمقاومة، والبناء الضّعيف للأجوبة والميل إلى الكبت أحيانا وأحيانا أخرى إلى الإنكار، الرّفض والعزل وإلى التّجريد والعقلنة أحيانا أخرى لإخماد النّزوات وتجميدها، فإنّ ما لمسناه في بروتوكولات المصدومين هو تثبيت بعضهم على تصوّرات إنسانيّة أو حيوانيّة لا تحمل طابعا تكيّفيّا لارتباطها بعواطف مقلقة ومخيفة رغم تنوّع شكل ولون المثير وإشكاليّته، ما قد يعكس عمل ربط غير منسجم بين البنيات الشّعوريّة وغير الشّعوريّة وتكرار بعضهم الآخر لمواضيع مقلقة ومولّدة للحصر وبشكل آلي بغرض تفريغها والتّخلّص منها لضغطها على السّاحة العقليّة، وقد يرجع ذلك إلى فشل العمل الإسقاطي والإبداعي عندهم بسبب تلك التّصوّرات والمواضيع التي ارتبطت بذكريات أليمة لتجارب صدمية منها ما كان مكبوتا وأعيد تنشيطه كالاعتداءات الإرهابية أو إلى سحب استثمار الواقع الخارجي وإفلاس السّياقات التكيّفيّة .

كما لمسنا استثارة مفرطة للمنبّهات الحسّية وبالتّالي للمحيط الخارجي عند معظمهم وانجذابهم الكبير لها وبخاصّة إلى اللّون الأسود والتّعبير عنه بشكل انفعالي جدّا وأحيانا فجّ ، ما قد يدلّ على ضعف وظائف الأنا لمنع ذلك الإفراط ، أي ضعف نظام صاد - الإثارات، كما تجلّى تأثّرهم الكبير بالاستثارات الخارجيّة من خلال ارتفاع إنتاجيتهم أمام اللّوحات الملوّنة وبالتّالي ارتفاع نسبتها لكنّ نوعية الأجوبة لم تكن دوما جيّدة، إضافة إلى

سوء التكيّف مع الواقع الخارجي أو ضعفه وذلك إمّا من خلال انخفاض محسوس في عوامل التكيّف الاجتماعي وهي (F+%)،(A%)،(H%) و(Ban)، أو تمثيل مفرط لها.

رغم ذلك، ظهرت فروق فردية بين هؤلاء المصدومين في كيفيّة تعاملهم مع مختلف الصّراعات النّفسية والعلائقية، ومجابهتهم للذكريات والتّجارب الأليمة التي أعادت بعض لوحات اختبار الرّورشاخ أو تفهّم الموضوع تنشيطها تَبِعت مميّزات الجهاز النّفسي لكلّ واحد منهم وإمكانيّاته الدّفاعيّة ومدى فعاليّتها، وهذا ما تسبّب في ظهور تفاوت في غنى اللاّئحة العياديّة للتّناذر النّفسي الصّدمي من مراهق لآخر، وفي حدّة الأعراض الصّدمية ومدى عرقلتها لمسار حياتهم الشّخصية، وفي تثبيت بعضهم بشدّة على الصّدمة ترجمته عدّة مظاهر منها: تطفل للمشهد الصّدمي رافقه ضيق وقلق، انشغالات مؤلمة مرتبطة بالحدث الصّدمي وظروف وقوعه وكذا ظروف الشّخص المفقود، وجود مستمر للقلق و/أوفي شكل حَرِج تثيره صور، ذكريات، أماكن أو أشخاص لهم علاقة بالفيضانات أو بالشخص المفقود انسحاب اجتماعي و رجفات مبالغ فيها .

والواقع أنّ هناك علاقة بين انعكاسات الصّدمة النّفسية على الفرد والوضع الصّحي الجسمي والنّفسي السّابقين، فقد سجّلنا بعض العوامل من السّوابق العائلية لهؤلاء المراهقين ومن أحداث حياتية وتجارب أليمة وعنيفة قد تشكّل نوعا من الاستعداد للاستجابة لمختلف الظروف الصّدمية كالفيضانات ،أو جروحيّة لانعكاساتها السّلبية ومنها: الهجمات الإرهابية التي عايشها البعض منهم، الصّراعات والمشاكل العائليّة الحادّة، وفاة أحد أو عدّة أفراد من العائلة، جوّ عائلي مضطرب.

بالمقابل، لمسنا بوادر لعمل الحداد عند بعضهم الآخر من خلال وجود قلق الانفصال والشعور به مرتبط بفقدان الشخص، والتّحقق من عدم عودته وكذا الحنين إليه الذي يدوم مع الزمن، تثيره الذكريات، وأخيرا، الرّغبة في التّحدّث عنه و محاولة التّخفيف والتّلطيف من معاناتهم وآلامهم عن طريق نشاطات ترفيهية أو التّفكير في مشاريع مستقبليّة والتّخطيط لها.

هكذا إذا ومن خلال ما تقدّم ، فإنّ الفرضيّة الثانية القائلة بأنّه كلّما كانت نوعيّة السّير النّفسي لأيّ فرد من أفراد مجموعة البحث "سيّئة" تظهر من خلال إنتاجيّة فقيرة أمام لوحات اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع، بناء ضعيف للأجوبة وللقصص، عجز عن إدراك الواقع والتكيّف معه، تفادي الصّراعات المثارة أو ظهور قدرات إرصان ضعيفة من خلال آليات دفاعيّة صلبة، ومن خلال غياب عمل ربط بين البنيات الشّعوريّة واللاّشعوريّة، كلّما عكس ذلك عجزه عن تحقيق تكيّف إيجابي مع تجارب الواقع وتسييره لمشاكل الحياة وللحوادث العنيفة التي يتعرّض لها بشكل أفضل، وبالتّالي نتوقّع أن يكون مصدوما، أي أنّه لم يتمكّن من دمج وإرصان انعكاسات الفيضانات القويّة والعنيفة التي تعرّض لها، قد تحقّقت.

الفصل التّاسع:
دراسة عيادية لستّ حالات من أفراد مجموعة البحث

الفصل التاسع: عرض وتحليل ست حالات من مجموعة البحث

تدعيما لنتائج تحليل بروتوكولات اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع ومحتوى المقابلات العياديّة لأفراد مجموعة البحث والتي قدّمناها وناقشناها في الفصول السّابقة، نورد في هذا الفصل الأخير عرض دراسة عياديّة مفصّلة لكلّ فرد من الأفراد السّتة الذين اخترناهم من ضمن مجموعة البحث، نجلي من خلالها كيفيّة معايشة كلّ واحد منهم للفيضانات التي تعرّض لها إمّا بشكل مباشر أو غير مباشر، ردود فعله لحظة وقوعها، استجاباته بعد المباشرة ومصيرها ومدى انعكاسها على سيره النّفسي وكذا، مدى قدرته على تجاوز تلك الكارثة الطّبيعيّة واستدخالها من خلال القيام بعمل الحداد، أو العكس، تثبيته على الصّدمة من خلال ظهور تناذر نفسي صدمي بلائحته العياديّة المعروفة، وأخيرا، نعرّف بتلك العوامل التي ساهمت في تفاقم الأعراضيّة النّفسيّة الصّدمية عند بعضهم وفي عرقلة عمل الحداد ودمج التّجربة الصّدمية.

قمنا باختيار الأفراد السّتة بناء على الوضع النّفسي الذي يوجد عليه كلّ واحد منهم، أي مصدوم أو غير مصدوم ونوعيّة سيره النّفسي، وعلى طبيعة تعرّضه للفيضانات، أي أنّه كان شاهدا عليها وعلى الدّمار والموتى الذين خلّفتهم كأماني مثلا، أو مشاركا في إنقاذ بعض الضحايا من خطر الغرق كهاني، أو ضحيّة مباشرة وكاد أن يموت غرقا مثل ياسمين وأمين أو بناء على ما تسبّبت فيه تلك الكارثة الطّبيعيّة من فقدان أليم وفظيع لأحد أفراد العائلة وهو شأن فلّة وإيناس.

يكون تقديم الدّراسة العياديّة لكلّ حالة وفق النّموذج التّالي:

- تعريف مختصر بالمبحوث أو بالمبحوثة،
- عرض وتحليل مفصّل لبروتوكول اختبار الرّورشاخ ومناقشة الفرضيّة التّشخيصيّة حول نوعيّة سيره (ها) النّفسي،
- عرض وتحليل مفصّل لبروتوكول اختبار تفهّم الموضوع ومناقشة الفرضيّة التّشخيصيّة حول نوعيّة سيره (ها) النّفسي،

- عرض وتحليل مفصّل لمحتوى المقابلة العياديّة نصف الموجّهة وفق المحاور الثلاثة التي اعتمدنا عليها للوصول إلى هدفنا، ثمّ تقديم خلاصة عامّة لها نبيّن فيها الوضع النّفسي له (ها) بعد مرور 15 شهرا على وقوع الفيضانات، أي مصدوم (ة) أو غير مصدوم (ة)،
- وأخيرا، تقديم خلاصة عامّة عن الحالة المدروسة نوضّح فيها مدى ارتباط نوعيّة سيره (ها) النّفسي في كلا الاختبارين بذلك الوضع النّفسي الذي (التي) يوجد عليه.

*** <u>حالة أماني ، 16 سنة ، غير مصدومة وذات نوعيّة سير نفسي "سيّئة"</u>:**

أماني، فتاة في السّادسة عشرة من العمر، وهي السّادسة من بين سبعة إخوة وتترشّح لنيل شهادة التّعليم الأساسي للمرّة الثانية بعد رسوبها العام الماضي بسبب مشاكل شخصيّة وصراعات عائليّة حادّة نجليها في المقابلة العياديّة. كانت المبحوثة شاهدة على الدّمار الكبير الذي خلّفته الفيضانات وعلى غرق عدد كبير من المواطنين.

1- <u>عرض وتحليل بروتوكول الرّورشاخ لـ أماني</u>:

النّص	التّحقيق	التّنقيط
اللّوحة I ٨ 8" 1- تشبّه تقول لخقّاش هكّا....هذا ما كان...(تشدّ اللّوحة بيد واحدة، ترتعش قليلا).. هذا واش كاين. 1' 04" (تعطيني اللّوحة)	هنايا فهاد المرسومين منّا (تشيرإلى (D7) يشبّهلو هكّاك...هذا ماكان...هذا قاع خقّاش. (G)	G F+ A Ban
اللّوحة II ٨ 7" 2-هنا القوّة، الاتّحاد... ما عندي حتّى.. إم....خلاص.	قتلك الاتّحاد هنايا.. هنايا فهاد اليد هاد الزّوج (D4) على حساب الشّكل ديالو يبان...هذا واش عندي نقول.	D F± Abst

56" (تعطيني اللّوحة)		
اللّوحة III ٨ 12" ما عنديش أنايا حاجة فهاد الصّورة... (حركة سلبية بالرّأس).. ما عندي حتّى... ما عندي حتّى حاجة نقول عليها فهاد الصّورة...(تنظر إلى اللّوحة).... 1' 13" (تعطيني اللّوحة)	قتلك ما عندي حتى... هنا الخوف (D1).... هذا..... <u>التّحقيق الحدّي</u>: (Ψ: هنا ما يقدروش يشبهو لعباد؟)... إيه هذو هوما، عباد هكذا، هذا واش نقول ، هذا ماكان. [D K H Ban]	رفض اللّوحة
اللّوحة IV ٨ 18" 3- هنا خوف..هنا فهاد الصّورة خوف..الخوف والرّعب فهاد الصّورة.. هذا ما كان. 1' 05" (تعطيني اللّوحة)	يشبّه للعبد،المنظر ديالو يخوّف عندو زعما رجلين (D2) ومنّا الرّاس (D3) ديالو وهذا الجسم نتاعو (Glim)..هذاماكان... اللّون والشكل.	G Fclob H ? C'
اللّوحة V ٨ 20" تانيت هاد الصّورة(حركة بالرّأس) ما عندي حتّى إجابة عليها... ما عندي حتّى إجابة... 1' 05" (تعطيني اللّوحة)	قادر يشبّه لعبد هذا أو يخوّف يعنيك هذا ما كان.. منّا الرّاس ديالو (D6) وهذا اليدّين نتاعو (D10) هذا ماكان، الشكل تانيت واللّون هذا ما كان.	صدمة اللّون الأسود رفض اللّوحة
اللّوحة VI ٨ 43" (تضحك) ما فهمتش كامل هاد الصور ما فهمتش كامل...(ψ: حاولي تشوفي لواش تقدر تشبه)..(تقرّب اللّوحة إليها)...	إيه تقولي يشبّه لعبد هوليك الرّاس نتاعو (D3) وهذا الجسم ديالو (D1) الشّكل ديالو... normal واللون نتاعو ماشي مخيف ماشي كحل هذا ماكان.	

4- تشبّه لوحش هكّا كبيرnormal هذا ماكان. 1' 43" (تعطيني اللّوحة)		صدمة G Fclob (H) C’
اللّوحة VII ٨ 22" 5- هاد التصويرة تضامن تشبّه...هذا ما كان... هذا واش عندي. 1' 12" (تعطيني اللّوحة)	قادرين يشبهو هدوما لحيوانات (D1) الشكل نتاعهم يبانو تقولي حيوانات.. تضامن كي راهم واقفين فوق هاد الجسم (D4) أو متقابلين.	D/G F+ A Abst
اللّوحة VIII ٨ 33" 6- ما عندي حتّى إجابة فهاد الصّورة... ما عندي حتّى إجابة... (تبتسم). 1' 07" (تعطيني اللّوحة)	اللّون ديالو normal ماشي مخيف... قتلك هنا السّلام متاحدين منّايا شادّين منّا(D1) هذا ماكان، منظر تاعهم يخيف ، مخيف ، ما نقدر نقلّك عبد ما نقدر نقلّك... هذا ما كان. [D Fclob H/Abst]	صدمة رفض اللّوحة
اللّوحة IX ٨ 25" 6- هاد التّصويرة تعبّر على السّلام والأخوّة ، هذا واش عندي... واش نقول، هذا ما كان. 1' 12" (تعطيني اللّوحة)	ما عندي حتّى...اللّون نتاعها... الألوان عاديّة ماشي مخيفة من جهة هاد الشكلين(D3) ...(ψ: واش يقدر يكونو؟)...ماعلابالیش... هذا ما كان.	G C Abst
اللّوحة X ٨ 16" 7- هاد التّصويرة تعبّر فالاتّحاد قوّة والمحبّة هذا... ما كان.. هذا ما كان هذا واش عندي.	ألوان عاديّة ماشي مخيفة... قتلك تعبّر على الاتّحاد هنا (D8) هذا ماكان.	D C Abst

1' 10" (تعطيني اللوحة)		

اختبار الاختيارات:

الاختيار الإيجابي:

-IX : فيها التّضامن، ألوان نتاعها عاديّة ماشي مخيفة ، normal.

- X: هاذي الألوان نتاعها جميلة كباقي الألوان normal هذا ما كان.

الاختيار السّلبي:

- I : هذي المنظر نتاعها يخيف ، اللّون نتاعها ما يعجبش، تشبّه كأنّها حيوان غريب.

- IV : هذا اللّون نتاعو مخيف يشبّه لحيوان وحشي والجسم نتاعو كذلك.

1-1- التّحليل الكمّي للبروتوكول:

Le psychogramme البسيكوغرام

		Nbre	%			
R : 7	G	5	85,7	F : 3 {F+ :2	A : 2	F% : 43
Rép addit : 2						
Refus : 3	D/G	1		{F± : 1	H : 1	F+% :83,33
Tps.Total : 12'18"					(H) : 1	F% él : 71
Tps/réponse : 1' 45"	D	1	14,28			F+% él : 90
Tps. Lat.moyen : 29"				C : 2		
				C' :1		A% : 28,5
				(1?)		H% : 28,5
				Fclob : 2		Ban : 1
				Clob : (? 1)		

T.Appr : G D

T.R.I : 0K/4,5 C Chocs : 4

F.Compl : 0 k/0E
RC% : 28,5

2-1 - <u>التّحليل الكيفي للبروتوكول</u>:

1- 2-1- <u>الخصائص العامّة للبروتوكول</u>:

من خلال قراءتنا الشّاملة لبروتوكول أماني ، بدا لنا تأثّرها الكبير بخصائص المنبّه الشّكلية واللّونية وحساسيتها لرمزيته،اللتان واجهتهما بدفاعات صلبة كالإنكار مثلا قاومت بقوّة وبفعالية ضدّ القلق الذي أوقظ ، وضدّ خطر انغماس ذاتي وانزلاق قد يكونا خطرين بالنّسبة لها.

لذلك، جاءت الإنتاجية فقيرة جدّا حيث لم يتعدّ عدد الأجوبة المعطاة سبع إجابات(07) انحصرت في كلمات معدودة، بسيطة وجافّة، غاب عنها التّعبير أو المشاركة الذّاتية.

كما تجلّت مظاهر الكفّ والمقاومة أيضا من خلال:

- طول أزمنة الكمون، وكان هذا في معظم لوحات الاختبار (IV، V، VI،VII،VIII وIX) وكذا التوقفّات المتكرّرة داخل الأجوبة التي ربّما دلّت على تضايقها حيال المنبّه أو حذرها منه.
- كثرة الإجابات التّجريدية التي ربّما أرادت بها التجرّد من العواطف والمقاومة ضدّ التنبيهات النّزوية التي تثيرها اللّوحات،أو وضع حدّ لإعادة التّنشيط النّزوي وللقلق المثارين.
- رفض ثلاث لوحات من الرّائز وهي : III ، V و VIII لأسباب نجليها لاحقا.
- رغبة المبحوثة في التخلّص من المنبّه أو كبح النّداعيات جسّدتها التعاليق المتكرّرة بقولها:"هذا واش كاين، هذا واش عندي، هذا ما كان، ماعندي حتّى حاجة نقول عليها ما عندي حتّى إجابة"، وقد يعكس هذا صرامة الكفّ والرّقابة في التصدّي للقلق وللوجدانات.

● وأخيرا، ندرة الإجابات المألوفة التي قد تكشف عن صعوبة التكيّف مع الواقع الخارجي وقد أبرزت الإجابة المبتذلة الوحيدة التي ظهرت في اللّوحة I، صورة أمومية مخيفة مقلقة وغير مطمئنة، وهي ذات اللّوحة التي نفرت منها المبحوثة قائلة:"هذي المنظر نتاعها يخيف اللّون نتاعها ما يعجبش تشبّه كأنّها حيوان غريب".

1-2-2- <u>السّياقات المعرفية</u>:

كشفت المعطيات الكمّية الشّاملة عن مظهر دفاعي تحكّمي للسّيرالنّفسي،جسّده تجنيد المبحوثة للواقع الخارجي(G% =85,7) بغرض مراقبة الانبثاقات النّزوية التي قد تضايق الأنا وتقلقه و كذا احتواء (la contention) الحركات الدّاخلية ، كما أنّ غياب الفضول والتوغّل في المادة هو على علاقة وثيقة بالكبت.

جاءت الأجوبة الشّاملة بسيطة ارتبطت بمحدّدات شكلية أحادية (I) وثنائيّة(IV وVI)، أمّا عن الإجابات الجزئيّة الكبيرة، فقد كان تواجدها ضعيفا جدّا في هذا البروتوكول، حيث قدّرت نسبتها بـ(D% =14,28)، وهي نسبة بعيدة جدّا عن المعدّل المحدّد بين(60-68 %) في البروتوكول "العادي".

وهكذا، اقتصر تناول مادّة الرّورشاخ عند أماني على نوعين فقط دون سواهما وبصفة غير متوازنة وكان غرضها تجنّب مواجهة تنشيط اهتمامات محدّدة ومظاهر مقلقة للواقع الدّاخلي. ارتبطت تلك الإدراكات بمحدّدات طغى عليها البعد الواقعي، حيث كان اللّجوء إلى الدّفاعات الشّكليّة الإيجابية حثيثا (F+% =83,33) عكس رغبة التحكّم في أيّ انزلاق يمكن أن يهدّد بناء الواقع (F- = 0)، وضمن الرّقابة على الحركات النّزوية العدوانيّة و/أو اللّيبيديّة خشية فقدان السّيطرة عليها عند اجتياحها السّاحة العقليّة (K= 0).

من جهة أخرى،لاحظنا انبثاق فورات قلق (Clob,C') نتجت عن تنشيط حسّي ارتبط بشكل خاص باللّون الأسود ممّا يكشف عن ميكانزمات خوافية ترجع إلى وضعيات اللاّأمن أو ربّما العجز أمام التّهديد.

1-2- 3- الدّيناميكيّة الصّراعيّة والتّظاهرات الحسّية:

1-2-3-1- الدّيناميكية الصّراعية:

طغت الرّقابة والواقع على العالم الدّاخلي والوجدانات ممّا سبّب غيابا كلّيا للحركات الفكريّة (K=0)، وبهذا، تفادت أماني مواجهة تصوّرات وعواطف ربّما كانت مزعجة ومضايقة بالنّسبة لها.

وبصعوبة كبيرة،أعطيت إجابة حركيّة واحدة في التّحقيق الحدّي في اللّوحة III ، فجاء إدراك إنسان سطحيّا ومبتذلا، بقيت هوّيته غامضة وقد يؤكّد هذا صرامة الدّفاع ضد طفو ممثلي العالم الدّاخلي المعنوي أو ربّما الخوف من بروز الصّراعات، واللّوحة مثلما رأينا مرفوضة.

1-2-3-2- التّظاهرات الحسية:

برزت حساسية لألوان المنبّه الدّاكنة أمام اللّوحات I،IV وVI، وقد أوضح اختبار الاختيارات مدى حساسيّة أماني لبعض لوحات الاختبار وللرّمزية المرتبطة بها حيث كشف رفضها للّوحتين I وIV بسب اللّون الأسود المخيف عن عالم داخلي مخيف وعن مواضيع سلبية مقلقة.

أمّا عن اللّوحات الباستيل، فكانت أوّل مواجهة لها ، أي أمام اللّوحة VIII بالرّفض كما لجأت إلى الإنكار ونفي الصّدى الهوامي من خلال التّصريح الشكلي واللّوني العاديين قائلة في التّحقيق:" اللّون ديالو نورمال، ماشي مخيف"، إلاّ أنّ فعاليته لم تدم طويلا وكانت الغلبة للقلق الذي ألغى تصريحها السّابق وأفقدها السّيطرة على مشاعرها فاسحا

المجال لظهور تصوّرات وعواطف مخيفة معاشة، حيث عادت لتقول:"... منظر نتاعهم يخيف ، مخيف ، ما نقدر نقلّك عبد، ما نقدر نقلّك...".

تغيّر موقف المبحوثة أمام اللّوحتين الأخيرتين IX و X فكانت المقاومة ضدّ إثاراتهما النّزوية كبيرة و حركة الإنكار فعّالة هذه المرّة وذلك لضمان القضاء على انبثاق محتمل للقلق، وما لجوءها إلى الأجوبة التّجريدية والمعقلنة إلاّ دليل على ذلك:" ألوان عادية ماشي مخيفة تعبّر على السّلام ، الأخوّة ، الاتّحاد والمحبّة".

تأثّرت المبحوثة كذلك باللّون الأحمر ، وإذا استطاعت التحكّم في النّزوات اللّيبيدية والعدوانية بإعطاء جواب تجريدي في اللّوحة II ، فإنّ الأمر اختلف تماما أمام اللّوحة III ،حيث عجزت

عن المواجهة وفضّلت التّراجع وعدم التورّط فرفضت اللّوحة.

يبرز انخفاض نسبة الأجوبة في اللّوحات الملوّنة (RC% =28,5) الصّعوبات البالغة في التّعامل مع منبّهات حيويّة تثير عادة الاتّجاه الانبساطي في الشّخصية، أمّا عند أماني فلم تولّد إلاّ رفضا (اللّوحة VIII) وإدراكات إنسانية مخيفة في التّحقيق حوصرت بإجابات تجريدية جاءت لتخمد النّزوات وتفصل الفكر عن منابع الطّاقة الحيوية الدّاخلية.

أمّا عن نمط الصّدى الدّاخلي، فهو من النّوع المنبسط المحض(T.R.I : 0k/4,5C) والذي عكس انفعاليتها الكبيرة إزاء الواقع الخارجي وفي صبغة مثيرة للخوف وللقلق.

1-2- 4- <u>المحتويات</u>:

تفوّقت الأجوبة التّجريدية (Abst =04) على الإنسانية والحيوانيّة التي تعادلت نسبتيهما حيث بلغت (A% = H% = 28,5) ، وربّما كان ذلك من أجل مقاومة الانبثاقات الدّاخلية ووضع حدّ لإعادة التّنشيط النّزوي وللقلق الذي أثارته منبّهات اختبار الرّورشاخ.

تكشف معالجة بعض اللّوحات باللّجوء إلى التّجريد عن قلق أماني تجاه مثيراتها الكامنة وهي بذلك قد حاولت مقاومة انبثاقات داخلية واستثارات نزوية حصرية، وإبعاد وجود الموضوع في العالم الدّاخلي بعزم وجرأة ، وهذا ما ظهر في اللوحات II،VII،IX وX.

أمّا عن الأجوبة الإنسانية ، فقد اكتست صفة سلبية مخيفة خطرة و"مرعبة" كما عبّرت عنها أماني في اللوحتينIV وV قائلة:"عبد يخوّف،الرّعب والخوف" وقد استبدل التصوّر الإنساني في الجواب التّلقائي للّوحةIV بحيوان وحشي في اختبار الاختيارات حيث قالت:"هذا اللّون نتاعو مخيف يشبّه لحيوان وحشي والجسم نتاعو كذلك". ولحماية نفسها من طغيان القلق لجأت أماني في اللّوحة VI إلى إنكار الطّابع الخوافي للتصوّرالإنساني المستحضر قائلة :" الشّكل ديالوnormal واللّون نتاعو ماشي مخيف ماشي كحل".

وهكذا، يقترن العنف، الرّعب والخطورة بالتصوّر البشري وقد يفسّر ذلك غموض الهويّة الجنسيّة و ربّما دلّ على تجربة عنيفة في حياة أماني، كان الإنسان مصدرها.

قد يعكس التّكرار الآلي لتصوّرات إنسانية سيّئة أو سلبية عالما داخليّا سلبيا وصورة سلبية ومخيفة للإنسان الذي هو بالنّسبة لها "وحش" و"وحش مرعب" كذلك.

3-1- <u>الإشكالية العامّة للبروتوكول</u>:

كشفت معطيات البروتوكول عن فكر دفاعي ومقاوم لاستثارات المادة تجلّى أثره في ثقل الدّفاعات الموظّفة خاصّة منها الصّلبة كالإنكار والتّجريد إضافة إلى الكبت، والتي خفّفت من وطء تصوّرات ومواضيع مقلقة ومخيفة قد تهدّد النّفسية(Le psychisme) وكبحت التورّط الشّخصي.

والملاحظ أيضا هو إبقاء واستمرار المبحوثة على نفس الوضعيّة الإدراكيّة طيلة التّطبيق بمعنى إدراك وتكرار نفس المواضيع تقريبا المجرّد بعضها من اللّذة كما ظهر أمام اللّوحاتIV،V،VI وVIII رغم تغيّر المنبّه شكلا ولونا ، ربّما كان ذلك علامة على انغلاق للتغيير تجنّبا لتورّط مكلف مهدّد للأنا أو على سيطرة تصوّرات إنسانيّة سلبية، مخيفة ومزعجة ارتبطت بمعاش مؤلم لتجربة عنيفة لم تتمكّن، كما يبدو، من تجاوزها وهذا ما أكّده انطباعها العام عند نهاية التّطبيق بقولها بصوت خائف ومنخفض:"تصاور يخوّفو

حسّيت بالخوف ، فكروني فيامات ...أيّامات تاع الذبيحة والقتل ...الإرهاب، أو أخيرا، على رداءة في عمل الرّبط بين البنيات الشّعوريّة واللاّشعوريّة.

4-1- <u>الفرضيّة التّشخيصيّة حول نوعية السّير النّفسي</u>:

كانت إنتاجيّة أماني أمام اختبار الرّورشاخ فقيرة وشبه جافّة عكسها العدد المحدود جدّا من الأجوبة، طول أزمنة الكمون والتوقفات المتكرّرة أثناء تقديم الإجابات، قلّة التّعاليق، فقر في النّداعيات بسبب عدم الرّغبة أو ربّما التخوّف من التورّط في تناول معمّق وشخصي للّوحات خشية عجزها عن التحكّم في بعض مشاعر القلق، وكذا بعض التصوّرات الإنسانيّة والعواطف المخيفة والمضايقة المصاحبة لها التي انبثقت، هذا ما ترجمه التّمثيل المفرط في نسبة الإجابات الشّاملة البسيطة والشّكليّة الإيجابيّة التي أرادت من خلالها التحكّم في أيّ انزلاق من شأنه أن يهدّد سلامة أناها.

كما سجّلنا رفضها لثلاث لوحات وهي:III،V وVIII إمّا بسبب خصائصها اللّونية أو رمزيتها، إلى جانب الصّدمات أمام الألوان وبخاصة الدّاكنة منها وكذا ندرة الإجابات المبتذلة التي أظهرت قلّة اهتمامها بالواقع الخارجي أو ربّما صعوبة التكيّف معه وهذا ما جسّده تكرارها الآلي لمواضيع تجريديّة وأخرى إنسانيّة مصبوغة بعواطف حصريّة وخوافيّة رغم تغيّر المنبّه، بمعنى آخر، عدم تغيّر التصوّرات وتنوّعها تبعا لتغيّر وتنوّع المثيرات.

على أساس ما تقدّم، نفترض أنّ السّير النّفسي لأماني هو من النّوع "السّيء".

2- <u>عرض وتحليل بروتوكول اختبار تفهّم الموضوع</u>:

<u>اللّوحة :1</u>

10" هاد السّيد باين بلّي عندو مشاكل وراهو يخمّم هذا ما كان...أو لوجه ديالو حزين هذا ما كان خلاص. 1'

السياقات الدفاعية:

بدأت المبحوثة القصّة بعد زمن ابتدائي طويل نسبيّا (CP1) بإدراك خاطئ لشخص اللّوحة (E4) الذي بقي مجهولا(CP3)، محاولة إبرازصراع نفسي داخلي (A2-17) لكن سرعان ما باءت محاولتها تلك بالفشل(CP1).كان الاستئناف بالتّعبير عن معاناة ذاتية (CN1) مرفقة بعاطفة حزن أوقفت بها سياق الإرصان تجنّبا لأيّة تداعيات أخرى من شأنها إزعاجها.

ومثلما يبدو، فالقصّة قصيرة جدّا(CP2) وأسباب الصّراع النّفسي الدّاخلي المستحضر غامضة وغير معرّفة (CP4).

الإشكاليّة:

بإغفالها لموضوع الرّاشد وبإدراكها الخاطئ لشخص اللّوحة،"سيّد"، تفادت المبحوثة إشكالية عدم النّضج الوظيفي و بالتّالي قلق الخصاء، هذا ما يدلّ على تأثّرها برمزية اللّوحة فعمدت إلى كبح التصوّرات الخاصّة بها.

اللّوحة 2:

15" هاد المرأة راهي تشوف كاش منظر ما عجبهاش وجهها حزين..هذا ما كان. 56"

السّياقات الدّفاعيّة:

تواصلت سياقات الكف سيطرتها مانعة المبحوثة من بناء قصّة،هذا ما عكسه الصّمت الابتدائي (CP1) والتمسّك بالمحتوى الظّاهري (CF1) دون التّعريف بشخص اللّوحة(CP3) مع إغفال شخصي المستوى الأوّل منها(E1)، ثمّ التّعبير عمّا هو مشعور به(CN1) رافقته عاطفة اكتئابيّة أوقعت المبحوثة في الصّمت مرّة ثانية (CP1) واضعة حدّا لتداعياتها "هذا ما كان"، والقصّة قصيرة جدّا (CP2) و سطحية وأسبابها مجهولة (CP4).

الإشكاليّة:

ظهرت محاولة تمسّك المبحوثة بالواقع لتفادي خطر الانزلاق، وقد مكّنها لجوءها إلى إلغاء شخصي المستوى الأوّل من اللوحة من تحاشي الصّراع الأوديبي الذي نشّطته.
يبقى التجنّب أوكبح تفعيل الصّراعات النّفسية الدّاخلية التي أثارها المنبّه،المخرج الوحيد والنّاجع بالنّسبة للمبحوثة لإنقاذها من خطر التوّرط.

اللوحة 3BM:

هاد الشّاب حالتو متدهورة تعبان،خايف وحزين ....خلاص. "25

السياقات الدفاعية:

رغم دخولها المباشر في القصّة(B2-1) واعتمادها على وضعيّة الجسم (CN4) للتّعبير عن انفعالات و وجدانات مختلفة اكتسى بعضها صبغة اكتئابية وعمّا هو مشعور به(CN1) ، إلاّ أنّ أماني لم تتمكّن من إرصانها وإجلاء أسبابها، ووضعت حدّا لقصّتها(CP1) المختصرة جدّا (CP2) ومجهولة الأسباب (CP4).

الإشكالية:

ظهرعجز المبحوثة عن ربط عاطفة الحزن المستحضرة بتصوّر فقدان الموضوع الذي تنشّطه هذه اللّوحة كما ظهر عجزها عن بلورة الصّراع وإجلاء أسبابه.

اللوحة :4

18" راهي تتوسّل ف تعاون فيه باين تلقى كاش مشكلة،راهي تحلّو فيها هذا ما كان... خلاص.

"40

السياقات الدفاعية:

بعد زمن كمون طويل نسبيّا(CP1)، استرسلت أماني في القصّة مبرزة عواطف قويّة-B2) (4 قريبة من المنبّه بين شخصين بقيا مجهولين (CP3)،آخذة بعين الاعتبار الضّغط الصّراعي الكامن الذي سرعان ما أوقفته باللّجوء إلى التّكوين العكسي(A2-10)، الذي خفّف من الوضعية السّلبية التي وجدت عليها المرأة وأرجع النّزوة إلى ضدّها تفاديّا للعدوانية.

إنتهت القصّة القصيرة (CP2) باستحضار صراع نفسي داخلي (A2-17) بقيت أسبابه مبهمة (CP4).

الإشكالية:

بعد محاولة إظهار التوتّر الصّراعي، حدث تراجع دفاعي ولم يعد هناك صراع أو عدوانية أو عواطف مزعجة بل وحتّى ليبيديّة،غيرأنّ هناك فروع للمكبوت نلمسها من خلال الميكانزمات الدّفاعيّة الصّلبة الموظّفة.

اللوحة 5:

9" ما عندي حتّى إجابة فهاد الصّورة.....(ψ:حاولي)..... ماعندي حتّى إجابة. 52"

السياقات الدفاعية:

بعد زمن كمون (CP1)، رفضت المبحوثة اللّوحة رغم تدخّل الباحثة (CP5).

الإشكالية:

ظهر تجنّب واضح وصريح للإشكالية التي تبعث إليها اللّوحة والمرتبطة بالصّورة الأموميّة والمشهد البدائي.

اللوحة 6GF:

14" مرى خافت من هاد الرّاجل وراهي حاسّة بلّي رايح يتعدّى عليها والوجه نتاعها راهو يعبّر عن الخوف هدا ما كان. 1' 30"

السياقات الدّفاعية:

بعد زمن كمون (CP1)، ودائما بإبقاء عنصري اللّوحة مجهولين (CP3)، عبّرت المبحوثة من خلال قصّتها عن عاطفة ذاتيّة (CN1) كتبرير لفعل اعتدائي أو سلوك عدواني غير مؤكّد أو مُثبت (←E8) ،.."راهي حاسّة بلّي رايح يتعدّى عليها"، وبحركة اجترارية لعاطفة الخوف المؤكّدة عن طريق التّعبير الوجهي(A2-8/A2-2)،أنهت قصّتها واضعة حدّا للسّياق التّرابطي (CP1) "هذا ما كان" والقصّة متقلّصة جدّا كسابقاتها (CP2).

الإشكالية:

أثارت اللّوحة حركات عدوانيّة غير صريحة ضمن زوج مجهول فشلت المبحوثة في إرصانها، وهنا اختفى هوام الإغراء وحلّ محلّه سلوك عدواني.

اللّوحة 7GF:

هاد الطّفلة باينة بلّي عندها مشكلة والأمّ نتاعها راهي تحاول تساعدها، هاد الطّفلة وجهها حزين...هذا ما كان. 1' 13"

السياقات الدفاعية:

سمح الدّخول المباشر في القصّة (B2-1) بإثارة صراع نفسي داخلي (A2-17) بقيت أسبابه مبهمة (CP4) كاد أن يجلي صراعا علائقيّا محتملا(éventuel) لولا تدخّل الرّقابة من خلال حركة التّكوين العكسي(A2-10) الذي أوقف التوتّر الضمني للعلاقة أم- بنت، وانتهت القصّة القصيرة (CP2) بالتّعبير عن معاناة ذاتية وعاطفة اكتئابيّة دون الإشارة إلى أسبابها.

الإشكالية:

في قصّة قصيرة ومبتذلة، ظهر عجز المبحوثة عن التصرّف في علاقة التّجاذب الوجداني التي تثيرها اللّوحة أو حتّى التّعبير عنها؛ وفي الواقع، حالت العلاقة المعرّفة أم- بنت دون ذلك، وتدخّلت الرقابة متمثّلة في التّكوين العكسي لتوقف التوتّر الضّمني.

اللوحة 9GF:

8" هاد الطفلة باينة بلّي شافت منظر ماشي مليح وراهي تحوّس تفهم واش كاين... هذا ما كان..... (Ψ: إم).... كاش حادث ولاّ ... هذا ما كان. 1' 24"

السياقات الدفاعية:

يبقى بناء قصّة صعبا عند أماني بسب أساليب الكف والرّقابة التي تقف كحاجز أمام المادّة اللاّشعوريّة لتمنع أي تسرّب ويبدو ذلك جليّا من خلال قصر القصّة (CP2)، التوقفات الزّمنية (CP1) وكذا الوصف (A2-1) والتّعبير عن صراع نفسي داخلي (A2-17)، واللّجوء إلى إلغاء العنصر الثّاني من اللّوحة (E1) ، ولم يمكّن التدخّل من إنعاش القصّة (CP5) بل وحتّى إنعاش المبحوثة لبناء وبلورة الصّراع فقد عادت الرّقابة للسّيطرة من جديد على شكل تردّد بين تفسيرات مختلفة (A2-6) واضعة حدّا للقصّة (CP1).

الإشكالية:

منع ثقل الميكانزمات الدّفاعية من الاقتراب من إشكاليّة اللّوحة وبلورة الصّراع الذي تثيره كما أدّى إلغاء العنصر النّسوي الثاني إلى كبت إشكالية التّنافس الأنثوي وبقي التّركيز على عنصر واحد فقط.

اللوحة 10:

الأب راهو يضمّ وليدو لصدرو يعطيلو الحنان هذا ما كان. 15"

السّياقات الدّفاعية:

في قصّة قصيرة جدّا (CP2) ومبتذلة(CP4)، واستنادا لوضعية شخصي اللّوحة المعرّفين (CN4) والمدرجين ضمن علاقة والدية أب- إبن، برزت عواطف قويّة أجلت بها المبحوثة الانطباع الذي تقترحه الصّورة (B2-4).

الإشكالية:

نشّطت اللّوحة هوامات "محرّمة" (fantasmes incestueux) من خلال التّقارب اللّيبيدي أب- إبن. يبدو الأثر الهوامي قويّا ، فقد سمحت المرونة الطّفيفة بالتّعبير عن تصوّرات وعواطف قويّة ،" يضمّ وليدو لصدرو ويعطيلو الحنان".

أوقف التّطبيق بطلب من المبحوثة التي لم تستطع المواصلة بسبب صداع في الرّأس وأجري ما تبقى منه في اليوم الموالي.

اللوحة :11

14" الحال مغيّم وتخوّف هاد الصّورة... باينة بلّي صرات حاجة.. كارثة فيها... فهاد الصّورة هذا ما كان.

'1

السياقات الدّفاعية:

لم تدم فعاليّة أساليب الكف الموظّفة في هذه اللّوحة من صمت في بداية القصّة (CP1) إلى التّعبير عمّا هو مشعور به(CN1) والتي أوقفت عمل التّداعيات (CP1)، فسرعان ما تلاشت لتفسح المجال لتصوّرات فجّة مرتبطة بالدّمار"كارثة"(E9) أسقطتها في الصّمت

ثانية (CP1) الذي وضع حدّا للقصّة وجنّبها تداعيات أخرى مخيفة ، والقصّة قصيرة (CP2) لم تدرج فيها توضيحات كافيّة (CP4).

الإشكالية:

نشّط القلق ما قبل التّناسلي تصوّرات تدميريّة كبحت سياق الإرصان، وهي تكشف إمّا عن قوّة الهوامات التّدميريّة التي تحييها صورة الأمّ البدائيّة أوعن تجربة واقعيّة معاشة كفيضانات العاشر من نوفمبر لعام 2001 مثلا.

اللوحة 12BG:

(يدها على خدها تنظر) 9" صورة هذي طبيعية ما تتأثر في حتّى حاجة يعني كيما .... (Ψ: إم)... هذا ما كان... هذا ما كان. 1' 07"

السّياقات الدّفاعيّة:

لم تتمكّن أماني من بناء قصّة أمام هذه اللّوحة التي يبدو أنّها ضايقتها كثيرا وقد تجلّى ذلك من خلال سلسلة من أساليب الكف المتمثّلة في الحركة(CC1)، الصّمت(CP1) ونقد محتوى الصّورة (CC3) في طابع إنكاري"ما تتأثر في حتّى حاجة" أدّى إلى تعثّر كلامي(E17) ورفض اللّوحة(CP5) رغم تدخّل الباحثة لتعزيز الاسترسال،والقصّة قصيرة(CP2) وسطحية (CP4).

الإشكاليّة:

تبعث اللّوحة قبل كلّ شيء إلى الرّاحة والهدوء بالنّظر إلى سابقتها، وتدعو الشّخص إلى تنويع استجاباته (ردود أفعاله) الحسيّة والعاطفية، لكن هذا لم يحدث فكان تجنّب التّعامل مع إشكالية اللّوحة واضحا.

اللوحة 13B:

حالة الطّفل حالتو متدهورة... أو الوجه نتاعو حزين راهو يخمّم في حلّ المشكلة ديالو...هذا ما كان.

1' 38"

السّياقات الدّفاعية:

تعثّرت المبحوثة أمام هذه اللّوحة أيضا ولم يكن باستطاعتها الاسترسال في القصّة التي جاءت بدايتها المباشرة(B2-1) وصفية لوضعية الطّفل الشّكلية والعاطفية(A2-1/CN1) وبرز بعد ذلك صراع نفسي داخلي (A2-17) تجنّبت بلورته (CP1).

الإشكاليّة:

أمام الوحدة، الفقر والتجرّد، لم تظهر الرّغبة في علاقة موضوعية والحب بل الانطواء على الذات واستحضار صراع نفسي داخلي بقي غامضا وغير محدّد الأسباب.

اللوحة 13MF:

هدا الرّاجل حالتو تعبانة آو يبكي الوجه نتاعو حزين هذا ما كان. 47"

السّياقات الدّفاعيّة:

جاءت القصّة قصيرة (CP2)عبّرت أماني من خلالها عن وجدانات اكتئابية (B2-4) ومعاناة ذاتية (CN1) ملغية العنصر الأنثوي (E1) تفاديا للإشكالية التي تنشّطها اللّوحة.

الإشكاليّة:

أمام هذه اللّوحة التي تُحْي الهوامات الجنسية والعدوانية بقوّة، يستمرّ الانطواء على الذات واستحضار عواطف اكتئابية بقيت أسبابها مجهولة.

اللوحة 19:

(تنظر باستغراب، يدها على خدها) 6" ما عندي حتّى إجابة فهاد الصّورة.... (تنظر بعيدا وتشير لي بالرّأس إلى نهاية القصّة). 21"

السّياقات الدّفاعيّة:

لم يمكّن الكف الشّديد (CC1-CP1) المبحوثة من تناول هذه اللّوحة فرفضتها (CP5).

الإشكاليّة:

رفضت المبحوثة هذه اللّوحة التي تبعث إلى القلق ما قبل التّناسلي لحماية نفسها من صراع مُحتمل(Eventuel)، أو لانبثاق تصّورات مزعجة قد لا يكون بمقدورها مواجهتهما.

اللوحة 16:

12" حكاية نتاع الإرهاب حكاية نتاع القتل الاعتداء وحالة النّاس كانت متدهورة كانو يخافو كانو ما يرقدوش فالليل....كنّا نتخيّلو أشياء مرعبة كنّا أنّومو أشياء كيما الدّم...كنّا نتفكرو الآثار تاع الأماكن إلّي يحطّو فيها العباد..هذا ما كان. 1' 54"

السّياقات الدّفاعيّة:

جاءت القصّة قصيرة(CP2) لكنّها مدجّجة بتصوّرات فجّة عدوانيّة مرتبطة بالخوف ، الموت والقتل(E8-E9)، وهي إسقاط حيّ لمعاش شخصي عنيف (CN2) وقد تخلّلت القصّة توقفات قصيرة (CP1) من أجل التّخفيف من وطء التدفّق الفجّ للتداعيات.

الإشكاليّة:

أمام هذه اللّوحة الفارغة نشهد لعودة المكبوت في شكل تصوّرات فجّة مرتبطة بالعدوان الإرهابي، بالقتل والموت، بذكريات ماضية عنيفة وقاسية عايشتها المبحوثة فترة طويلة ويبدو أنّها لاتزال تضغط على نفسيتها.

2-1- التّحليل الشّامل للبروتوكول:

2-1-1- المقروئية العامّة للبروتوكول:

جاء بروتوكول اختبار تفهّم الموضوع لأماني فقيرا سيطرت عليه أساليب الكف بشكل ملحوظ على حساب سياقات أخرى كالصّلابة، المرونة والعمليّات الأوّليّة ، وقد قدّرت نسبتها بـ (C% =70,63) الأمر الذي حال دون التّعامل مع إشكاليات اللّوحات وإرصان القصص المقدّمة.

تمثّل الكف في سيطرة سياقات التجنّب الخوافية (CP) كالصّمت في بداية القصص وخلالها (CP1) والذي من خلاله كانت المبحوثة تحاول الهروب من الإشكاليات والإفلات منها الميل إلى التّقليص(CP2)، عدم التّعريف بالأشخاص(CP3) حيث بقيت معظم الشّخصيات مجهولة تجنّبا لانبثاق صراع قد تعجزعن التحكّم فيه، وهروبا من الاستثارات الكامنة للوحات، الابتذال و/أو السّطحية (CP4) والميل إلى رفض بعض اللّوحات (CP5) من خلال التّعاليق "هذا ما كان ، خلاص"، وقد ظهر ذلك أمام اللّوحة 12BG التي تثير

الفقدان والقدرة على البقاء وحيدة، بل إنّها رفضت اللّوحتين 5 و19 دليل على انزعاجها أمام مادّتيهما اللّتان أثارتا فيها قلقا وتوتّرا فتجنّبتهما لئلاّ تكشف عنهما أو عن صراعاتها النّفسية الدّاخلية.

كما لجأت المبحوثة إلى بعض السّياقات النّرجسية(CN) منها: التّعبيرعن مشاعر ذاتية (CN1) ارتبطت بالحزن،التّعب والخوف، والمرجع الذاتي(CN2) الذي كشفت من خلاله عن تجربة عنف بشري ماضية وأليمة وأخيرا،اللّجوء إلى الوضعية للتّعبير عن عواطف اكتئابية (CN4).

تبعت أساليب الكف ، أساليب الرّقابة التي بلغت نسبتها(A% =13,49) لتكشف عن فشل أماني في مواجهة مادّة الرّائز وعجزها عن الخروج من الصّراع النّفسي المثار،ورغم قصر القصص إلاّ أنّ بعضا منها لم يخل من الصّدى الهوامي، فقد كشفت المبحوثة عن صراع نفسي داخلي (A2-17) لكنّها عجزت عن إرصانه وكان ذلك واضحا ، كما لجأت إلى التّكوين العكسي(A2-10) للتّخفيف من العواطف المثارة في اللّوحة 4 ، أو لإيقاف التوتّر الضمني الذي لمسناه في اللّوحتين 7GF و12BG ، واكتفت في بعض الأحيان بالوصف والتمسّك بالجزئيّات (A2-1/A2-2) وكلّها سياقات تمنع الخروج من الصّراع وكان ذلك واضحا للعيان.

من جهة أخرى، سمح سقوط الرّقابة أمام بعض اللّوحات بظهور بعض السّياقات الأوّلية وبشكل معتبر(E% = 9,52)، كأسلوب إلغاء الموضوع الظّاهر(E1)الذي جعل المبحوثة تتفادى التّعامل مع الاستثارات الكامنة والتورّط المكلف في صراعات اللّوحات التّالية:1(عتم الكمان) 2(عتم شخصي المستوى الثّاني من اللّوحة، أي الرّجل والمرأة الحامل)، 9GF (عتم العنصر الأنثوي الثّاني) وأخيرا،13MF(عتم العنصرالأنثوي)، ما أدّى إلى غياب عمل الرّبط بين البنى النّفسيّة الشّعوريّة واللاّشعوريّة.

كما برز تعبير فجّ ارتبط بفعل عدواني غير صريح(E8) أو بمعنى آخر مكبوح وكان ذلك في اللّوحة 6GF:"...رايح يتعدّى عليها"، وتعابير عن عواطف و/أو تصوّرات كثيفة (E9) ارتبط بعضها بإشكالية الخوف والدّمار كما جاء في اللّوحة11 :"الحال مغيّم وتخوّف هاد

الصّورة.. باينة بلّي صرات حاجة،كارثة"، وبعضها الآخر بإشكاليّة القتل والموت مثلما ظهر في اللّوحة 16:" حكاية تاع الإرهاب، حكاية القتل،الاعتداء،..كانو يخافو كنّا نتخيلو أشياء مرعبة".

أمّا عن أساليب المرونة، فقد كانت نسبتها ضئيلة(B%=6,34) ولم يسمح تفاعلها مع السّياقات المذكورة آنفا ببلورة القصص،إرصان الصّراع ومن ثمّ التخرّج ، وظهر منها أسلوب الدّخول المباشر في القصّة(B2-1)، التّعبير عن عواطف معدّلة من قبل المنبّه-B1) (4، والتّعبير عن عواطف قويّة (B2-4) اكتئابيّة (يبكي) وليبيديّة (يعطيلو الحنان).

على العموم، يبقى بروتوكول رائز تفهّم الموضوع لأماني مصبوغا بالكفّ والكبت اللّذان حالا دون بلورة الاستثارات الكامنة والصّدى الهوامي الذي برز في بعض اللّوحات وكذا العواطف الاكتئابية ، وبالتّالي ، فإنّ المقروئية سلبية.

2-1-2- <u>الإشكالية العامّة للبروتوكول</u>:

أثارت الإنتاجية المقدّمة حساسية (Vulnérabilité) الجهاز النّفسي في التّعامل مع إشكاليّات الاختبار حيث باءت محاولات المبحوثة في بلورة الصّراعات وإرصانها بالفشل، فكان الكف

والكبت من الوسائل الدّفاعية التي وظّفت للحدّ من التصوّرات النّزوية المثارة من جديد التي حمت الأنا من الاضطراب.

بالفعل، سيطرت أساليب تجنّب الصّراع على إنتاجية المبحوثة فجاءت كلّ القصص قصيرة ومعظم شخصيّاتها مجهولة وذلك هروبا من استثارات اللّوحات الكامنة وتجنّبا للصّراعات التي تنشّطها، فكان التصدّي للتداعيات وكبحها يتمّ إمّا بالصّمت أوالابتذال أوالسّطحية أو الميل إلى الرّفض.

هكذا إذا، فشلت المبحوثة في بناء القصص وتناول الصّراعات التي بقيت مفتوحة وأسبابها مجهولة لما أثارت فيها من هوامات عميقة وشحنات نفسية بدت مهدّدة للأنا الذي ربّما أدرك خطورتها والقلق الذي تسبّبه، فوضع لها حدّا حتّى لا تكتسح السّاحة النّفسية

الشّعوريّة. وبهذا بقيت كلّ الإشكاليات دون معالجة وكان التّجاوب معها ضعيفا ولم يكن بمقدور أماني توظيف سياقات دفاعية تمكّنها من ذلك.

بالمقابل، برزت معاناة ذاتية ارتبطت بها عواطف اكتئابية (الحزن والبكاء) وهذا في اللّوحات:2BM،3GF،6GF وMF13، وصراع نفسي داخلي تكرّرعلى طول البروتوكول تقريبا بقيت أسبابه مبهمة وحلّه صعبا مثلما تبيّنه أمثلة اللّوحات التّالية:1"هاد السيّد باين بلّي عندو مشاكل وراهو يخمّم"،4"...باين تلقى كاش مشكلة"، 7GF "هاد الطفلة باينة بلّي عندها مشكلة"، وأخيرا اللّوحة 13B"...راهو يخمّم في حلّ المشكلة ديالو".

كما أدّى سقوط الرّقابة أمام اللّوحتين11 و16 إلى عودة المكبوت على شكل تصوّرات كثيفة وعواطف فجّة ارتبطت بإشكالية الدّمار(كارثة) وقد يتعلّق الأمر بالفيضانات العنيفة التي عايشتها المبحوثة منذ أكثر من عام ، حيث كانت شاهدة على الدّمار والموتى الذين خلّفتهم وبعدوان بشري أليم وعنيف (الإرهاب)، وفي ذلك دلالة على وطأة محتويات داخلية على نفسيتها.

قد تضعف تلك الضّغوط قدراتها على تسيير حياتها النّفسية وعلى الخروج من الصّراعات النّفسية الدّاخلية، وبالتّالي ، تحقيق التكيّف أمام مشاكل الحياة ومتاعبها.

2-2- <u>الفرضيّة التّشخيصيّة حول نوعيّة السّير النّفسي</u>:

حرّض الرّورشاخ بطابعه البدائي تصوّرات مرعبة ومخيفة عكست واقعا داخليّا مقلقا وضاغطا تصدّت له بسلسلة من أساليب الرّقابة كالعزل، الإنكار والتّجريد، إضافة إلى الكف حيث بقي هذا الأخير مسيطرا أمام منبّه هو أكثر بناءا من الرّورشاخ ويثير أكثر العمليّات الثّانوية وهو اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T)، حيث لم تتمكّن أماني من بناء قصص سليمة من خلال سياقات(A1 وB1)، ومن بلورة الصّراعات التي نشّطتها بعض اللّوحات وإرصانها والتي كان أغلبها صراعا نفسيّا داخليّا بدا ضاغطا عجزت عن إيجاد مخرج حقيقي وواضح له، وكذا من تنمية التّعبيرعن العواطف الاكتئابيّة التي رافقته ما قد

يكشف عن عمل ربط غير منسجم بل وربّما ضعيف بين البنيات الشّعوريّة واللاّشعوريّة، إضافة إلى رفضها للوحتين 5 و19 المثيرتين للصّورة الأموميّة وللقلق ما قبل التّناسلي.

كما لم تتمكّن المبحوثة من تحقيق التّوازن في استعمالها للدّفاعات أمام قصص كانت قصيرة مفتقرة للتّداعيات بسبب ثقل أساليب الكف الخوافي والرّقابة ، ما جعل مقروئيّة البروتوكول سلبيّة.

نظرا لكلّ ما تقدّم، يمكن القول بأنّ السّير النّفسي لأماني هو من النّوع "السّيئ".

3- المقابلة العيادية:

3-1- تقديم الحالة:

أماني ، فتاة في السّادسة عشرة من العمر، وهي السّادسة من بين سبعة إخوة ، خمسة منهم على قيد الحياة بينما توفّي أكبرهم وهو لايزال رضيعا.

عايشت المبحوثة كباقي سكّان المنطقة أحداث الفيضانات القويّة التي أودت بحياة عدد كبير من المواطنين ودمّرت السّكنات والمنشآت ، وهي لاتزال تذكر بعض صور الدّمار و الموتى واستخراج الجثث مشوّهة من الأوحال.

ليست هذه المرّة الأولى التي تشاهد فيها المبحوثة الجثث الهامدة المشوّهة المنتشرة هنا وهناك وتعيش حالة من الرّعب والفزع، فقد تعرّضت منذ سبع سنوات إلى مشاهد أفظع وأشنع، مشاهد قتل وذبح همجيين بفعل إرهابيين كانوا ينشطون بالمنطقة.

يبدو أنّ الأحداث القاسية والعنيفة قد تراكمت عليها، وهاهي تقبل على الحياة بلهفة وتمرّد لتقع في مشاكل شخصيّة كبيرة وأخرى عائليّة معقّدة، تفقد بسببها ثقة العائلة فتتدهور نفسيتها ودراستها كذلك ويزداد شعورها بالذنب يوما بعد يوم.

ربّما كان قلقها على رسوبها في امتحان الحياة أكبر بكثير من رسوبها في امتحانات شهادة التّعليم الأساسي ، فشغلها الشّاغل الآن وأملها الكبير هو التّصالح مع نفسها ومع أسرتها فهل هي قادرة على تحقيق ذلك؟.

2-3-عرض وتحليل المقابلة العيادية :

أماني، شابّة ضعيفة البنية، متوسّطة القامة، ممشوقة القوام، حزينة الملامح تصطنع الهدوء والبسمة اللّذان تخفي وراءهما معاناة نفسية وصراعا عائليّا خانقا.

تقطن المبحوثة بأحد أحياء باب الوادي العريقة التي كادت الفيضانات أن تغرقه عن آخره وهي تنحدر من أسرة كبيرة العدد ، محدودة الدّخل ، وتعيش في جوّ عائلي متوتّر يغيب عنه الحواروالتّواصل، تسوده العصبيّة، التّسلّط والشجار الدّائم بين الأب وأبناءه في أغلب الأحيان.

كانت تبدو قلقة، تنظر إلينا بخوف وبفضول محاولة التعرّف على نوع الأسئلة التي سنطرحها عليها.

بصوت خافت ومرتجف ، راحت تتحدّث عن طفولة صعبة حافلة بذكريات سيّئة ومرعبة وبداية مراهقة أصعب لم تجن منها إلاّ ألما ، حزنا ، دموعا ومشاكل لم تكن في الحسبان.

لطالما انتظرت المبحوثة هذه السّن التي تجعلها تحلم بأشياء كثيرة وجميلة كما صرّحت لنا فهي لم تعد طفلة ومن حقها أن تتمتّع بالحياة وتتحرّر من قيود العائلة "الخانقة"، وربّما الهروب من جوّ عائلي ضاغط وغير مستقرّ، لكنّها جهلت عواقب التحرّر، اللامبالاة والعناد.

تعاني أماني من نفخة قلبية (Un souffle cardiaque) منذ سنّ السّابعة وقد تقرّر آنذاك إجراء عمليّة جراحيّة قضت على إثرها فترة طويلة في المستشفى كانت تشعر أثناءها بالوحدة الخوف، القلق والضّجر، تنتظر بشوق ولهفة موعد الزّيارات لتجتمع بعائلتها ولو لساعات قليلة.

حظيت المبحوثة طيلة نقاهتها برعاية واهتمام كبيرين ووفرت لها أسرتها أسباب الرّاحة والهدوء ، وربّما كانت تلك (وهذا ما استنتجناه من حديثها) الفترة الوحيدة من حياتها الطّفولية التي نعمت فيها بدفء الأبوين وحنانهما ، حيث بدأ الوضع العائلي يتغيّر شيئا فشيئا وازدادت المسؤوليّة حجما وازداد معها التوتّر، الضّغط والشّجار وغاب عن العائلة التّواصل والحوار.

تزامن ذلك مع مرض الأمّ التي أخضعت هي الأخرى بعد سنة تقريبا لعمليّة جراحية ألزمتها الفراش مدّة طويلة شعرت فيها المبحوثة بالوحدة والخوف عليها ، ومع تدهور الحالة الأمنية في البلاد وتفاقم سلسلة الاختطافات، محاولات الاغتيال ، الاعتداءات والمؤامرات الإجراميّة الإرهابية التي استهدفت كلّ أفراد المجتمع الذين باتوا ينتظرون حتفهم إمّا قتلا أو ذبحا أو شنقا أو نسفا بقنابل موقوتة، وكانت باب الوادي منطقة نفوذ بعضا من تلك الجماعات وأحياءها العتيقة معبرا لها.

كانت المبحوثة التي بلغت آنذاك التّاسعة من العمر، تروي الأحداث بدقّة وتستحضر مشاهد مرعبة عن الهجمات اللّيلية والاشتباكات الحادّة التي كانت تدوم أحيانا إلى بزوغ الفجر، وعن عمليّات اعتقال مشتبهين بهم وسط صراخ الأطفال وعويل النّساء، وكذا عن الجثث المشنوقة والبرك الدمويّة والرّؤوس المعلّقة على الأشجار أو أعمدة الكهرباء.

تغيّرت نبرة صوتها وملامح وجهها ، بدت المشاهد واقعيّة:"حنا نسكنو في حومة يزدمو عليها بزّاف la police ، كنا نخافو بزّاف ونبداو نبكيو، ما نرقدوش قاع ولا رقدنا أنّوضو مخلوعين على الرّصاص ولعياط.. ولغدوة منداك نشوفو الدم ، كنّا نشوفو الميتين معلّقين.. كان عبد معلّق راسو طاير، غير قولي الدم كان معانا ، كنت نتخايلهم بزّاف كي نرقدو ونّومهم جايين يزدمو علينا ، يخلعو، نفطن بالخلعة ، قلبي يخبط ونرعش بزّاف".

ازداد الوضع سوءا ومعه ازداد الرّعب ، الفزع والقلق وكان سكّان المنطقة في حالة استنفار وترصّد لهجوم مباغت وموت أكيد :"ولاّت الحالة صعيبة بزّاف ممبعد، ولّينا نخافو على رواحنا ، نعسّو بـ les projecteurs ، بالشّواقر ولمواس".

أمّا عن المبحوثة ، فقد انعكست الأوضاع الاجتماعية السيّئة والأمنية المتدهورة كثيرا على نفسيتها (قلق ، خوف ، رعب ، أحلام مزعجة)، وعلى دراستها حيث بدأ مستواها الدّراسي يتقهقرعاما بعد عام بسبب ضعف التّركيز والاستيعاب وقلّة الانتباه إلى أن رسبت في امتحانات الثّامنة أساسي وكانت آنذاك في الرّابعة عشرة من العمر.

تركت تلك الأحداث الدموية الأليمة، كما تجلّى لنا في تغيّر ملامحها وانفعالاتها أثناء سردها للأحداث آثارا تعذر عليها محوها من ذاكرتها. توقّفت عن الكلام وتنهّدت بعمق

موجّهة لنا نظرة حزينة قائلة:" ماشي ساهل واش جازعلينا ، جوّزنا بزّاف ، عامين وحنا في الإرهاب.. كاين حوايج إلّي ما تقدريش تنسايهم.... كيما الموتى نتاع الحملة وانا عندي كي الحملة كي الإرهاب كيف كيف".

سألناها عن وجه الشّبه بين الحدثين في نظرها فردّت قائلة :"حسّيت بلّي النّاس ما يحمدوش ربّي.. والحملة راهي عبرة للنّاس إلّي يعتبرو الدّنيا غير دراهم وطونوبيل وخلاص...حنا نعيشو toujours فالخوف إلى ماشي الإرهاب، الحملة".

تأثّرت المبحوثة كثيرا بمشاهد الفيضانات العنيفة في ذلك اليوم ، بصور الدّمار،الغرقى والموتى المشوّهين وبمدرستها التي دمّرت عن آخرها وبالسّيارات التي كانت تطفو على الماء وكأنّها لعب أطفال، كان الذهول والصّعق، شعرت حينها بالخوف والقلق الشّديدين :"هذاك النّهار يخوّف بزّاف ، شفت الطونوبيلات يتقلبو، طرولي معمّر بالغاشي.. ماتو كامل شفت كيفاش كانو يجبدو فالموتى بلا حوايج منفخين، ولمسيد نتاعي راب كامل أدّاتو الحملة ما بقى فيه والو، بقيت داهشة ما آمنتش".

اضطربت نفسيتها في الأيّام الأولى بعد الفيضانات، كانت حزينة، قلقة وخائفة كما اضطرب نومها و فقدت الشّهية. ظلّت ذكريات تلك الكارثة تجتاح فكرها على شكل صور فظيعة ومروّعة لغرقى وجثث منتفخة ومشوّهة، ولصراخ الضّحايا وبكاءهم مدّة طويلة قاربت خمسة أشهر رغم مقاومتها وتجنّب الحديث عنها أو التّفكير فيها سواء في البيت،أو في الشّارع ،أو في المدرسة وكان تكرارها يثير فيها إحساسا بالضّيق والانزعاج .

كانت المبحوثة دوما في حالة استنفار وترصّد لأيّ خطر جديد وتتجنّب المرور من الأماكن التي مسّتها الفيضانات وإذا ما اضطرّت إلى ذلك، تتسارع دقّات قلبها وتنبعث تلك الصّور من جديد ولم تتمكّن من نسيان كلّ ذلك ولو بشكل جزئي إلاّ بعد سفرها عند عمّها في عطلة الرّبيع حيث قالت لنا:" ما كنّاش نرقدو... ما كنتش نرقد ، نبكي بزّاف ، ما كنتش قاع ناكل نحسّ لحمي كامل ياكل، مرضنا ، مرضنا كامل... ما كنتش نحبّ يهدرولي على واش صرى كنّا فاللّول نشوفو les cassettes vidéo ونحبّ نسمع حاجة ما

سمعتهاش، مبصّح مبعد خلاص نحبّ يبدلو الموضوع surtout فلمسيد.. بالشوية كنّا ننساو أنا رحت لدارعمّي ف les vacances نتاع الربيع باش ننسى شويّة."

تغيّر سلوك المبحوثة بتغييرها للمؤسّسة التّعليميّة التي كانت تبعد كثيرا عن مقرّ سكناها وبتعرّفها على رفيقات جدد، فصارت تهمل دروسها وضعف بذلك تحصيلها. انقادت وراء أهواءها غير مبالية بالعواقب وعاشت مغامرة عاطفية أوقعتها في أخطاء كثيرة وجنت منها مشاكل لم تكن في الحسبان، كما عرّضتها لعقاب شديد بعدما كشفت عائلتها الأمرحيث حُجزت في البيت مدّة أسبوع.

كانت تشعر بالخوف الشّديد، بالهجر، بالقهر وبالاختناق فقد قاطعها الجميع وبخاصّة الأمّ الأمرالذي جعلها تُقدم على محاولة انتحار:" كان عندي l'acide قريب رهجت روحي" لكنّ شعورها بالذنب جعلها تتراجع عن تنفيذ فكرتها وتقرّر الهروب من البيت:"هربت كرهت دارنا ، كنت معقدة ، مخنوقة ، ما كانوش يهدرو معايا ، surtout يمّا ، كانو يعسّوني بزّاف وحبسوني فالدّار، كنت عايشة بالخوف من واش صرالي.. كيما فاقولي خاوتي".

سمحت العائلة للمبحوثة بالعودة إلى الدّراسة وفرضت عليها رقابة مشدّدة، فلا تغادر البيت إلاّ وهي مصطحبة، وبصعوبة كبيرة انتقلت إلى الصّف الأعلى.

استأنفت أماني حديثها بنبرة حزينة بعد صمت قصير وهي مطأطئة الرّأس خجلا، وأخذت تلوم نفسها على ما أقدمت عليه ، وعلى المشاكل التي سبّبتها للعائلة ولمدير مدرستها فقالت :" أنا ما خرجتش عليّا المراهقة ، عمر صعيب بزّاف ، الطّفلة صعيبة على لولد ، صراولي بزّاف حوايج ودرت بزّاف مشاكل للدّار، يمّا مرضت على جالي ..لبنات يقّرحو كي يخرجو مع واحد، ما كنّاش نخمّو لبعيد، أنا درت حوايج وما نعرفش نخمّم .. ما كنتش ظانّة تصرالي هكّا."

لم تكن المبحوثة تظنّ أنّ سنّ التحرّر(مثلما اعتبرته هي) سيجلب لها التّعاسة ويغرقها في حزن شديد ويجعلها تدفع الثّمن غاليا. أصبحت منطوية على نفسها ، كئيبة ، تفكّر كثيرا في مشكلتها ، وفي كيفية الخروج منها:" ولّيت نقعد بزّاف مع روحي ، نتفكّر واش درت

يجيني لبْكا ، نبكي بزّاف ، راني متمنية ما يصراوليش les problèmes ، راني حابّة ضرك التّفاهم على كلّ حاجة".

انعكست مشكلتها النّفسية على دراستها حيث تدهورت علاماتها بسبب انعدام التّركيز والانتباه ، فهي دائما شاردة الذهن ، تفكّر في ذلك الشّاب الذي انفصلت عنه قهرا وتأمل في لقاءه والارتباط به:" مارانيش نقرى، ما نقدرش نركّز، نخمّم بزّاف فلّي صرالي،فيمّا، فواش داروليي خاوتي ، فهاداك إلّي كنت معاه، نبكي بزّاف عليه، أنا نقول كلّ عطلة فيها خير وهذي دنيا إلا كتبلي ربّي نعيش معاه."

كما تسبّبت في مشاكل أخرى في المدرسة بسبب عدوانيتها تّجاه بعض زملائها وغياباتها المتكرّرة في الآونة الأخيرة رغم الحراسة المشدّدة التي فرضت عليها ، فالكلّ يضيّق عليها الخناق وهذا الذي يشعرها بالغضب والقهر :" حتّى حاجة ما راهي تحلالي ، مارانيش نزهى كيما كنت ، كنت نحب نزهى ، نحوّس دركا والو، المولود ما جوّزتوش ڤاع مليح غير لعياط فالدّار، الضّاريب وزيد العسّة ملفوق، برّى يعسّوني وحتّى هنا فلمسيد ، ولّيت نخاف بزّاف وراني نقرى بالخوف، نخاف لوكان نغيب ما يعطونيشbillet، نخمّم لبعيد".

ارتدت المبحوثة الحجاب للتّخفيف من الشّعور بالذنب بسبب المشاكل التي أحدثتها ولإقناع عائلتها بالتّوبة وأنّها عازمة على تغيير سلوكها:" درت الحجاب وراني نصلّي وراني حابّة نتبدّل وsurtout نتفاهم على كلّش".

تبحث أماني في الوقت الحالي عن حلّ يخرجها من مشكلتها الشّخصيّة ومن ذلك الضّغط النّفسي الذي تولّد عنها، وكذا من حزن وكآبة، وعن أذن صاغية وقلب حنون ومسامح فهمّها الوحيد هو استرجاع الثّقة التي فقدت ووصل الرّوابط العائليّة التي تفكّكت ، لكنّ الأمر بالنّسبة لها يبدو صعب التّحقيق في الوقت الحاضر أو ربّما يتطلّب منها صبرا طويلا.

3-3- خلاصة المقابلة العيادية:

كان التّواصل مع المبحوثة في البداية صعبا إلى حدّ ما بسبب تحفّظها الكبير على أقوالها توتّرها وتخوّفها من ردّة فعلنا إزاء مشكلتها النّفسية التي تعاني منها والتي حاولت التكتّم عليها، لكنّها استطاعت بعد ذلك التّجاوب مع أسئلتنا مبقية على حيطتها وحذرها.

عايشت المبحوثة أحداث الفيضانات العنيفة والمفاجئة التي ضربت منطقة سكناها، فكانت شاهدة على غرقى وجثث هامدة منتفخة شوّهتها المياه والأوحال، على أناس يستصرخون ويبكون، يطلب بعضهم النّجدة والبعض الآخر يعلن الشّهادة توديعا للحياة.

تسبّبت تلك المشاهد المروّعة والصّور الفظيعة في ظهور اضطرابات تكيّفيّة، نفسيّة وسلوكيّة متنوّعة انعكست على حياة أماني الاجتماعيّة والدّراسيّة، وكذا بعض الأعراض النّفسيّة الصّدمية وذلك بعد أسبوعين من وقوع الكارثة الطّبيعيّة على شكل انبعاث متواتر لصور الغرقى المشوّهين والدّمار، ذكريات متكرّرة يرافقها ضيق وقلق شديدين، تجنّب الأماكن والمواضيع المذكّرة بها، ووجود أماني دوما في حالة استنفار وترصّد لأيّ خطر جديد.

مالت الأعراض سالفة الذكر إلى الاختفاء تدريجيّا بعد أن دامت قرابة خمسة أشهر، عادت المبحوثة بعدها وحسب تصريحاتها إلى حياتها العاديّة معتبرة الفيضانات قضاء وقدرا، بل عقابا إلاهيّا لأولئك المتسلّطين والمتجبّرين. من جهة أخرى، أدّى عنف هذه الكارثة الطّبيعيّة وعواقبها المادّية والنّفسية الوخيمتين إلى تحريض ذكريات أليمة تعود إلى سنوات ماضية قاسية وأليمة افتقرت للأمن والأمان ألا وهي سنوات الإرهاب والقتل الوحشي الذي تسبّب في تشويش نفسيتها واضطرابها، ورغم الاختلاف الواضح في طبيعة الحدثين ورمزيتيهما إلاّ أنّ ضررهما بالنّسبة لأماني كان واحدا.

كما كشفت المبحوثة عن صراعات عائلية حادّة ومشكلة نفسية كبيرة تسبّبت فيها أفقدتها الاستقرارالنّفسي الذي استرجعته بعد عنف الفيضانات، فازدياد مشاكل العائلة وتدهور وضعيتها الاقتصاديّة ،التوتّر والضّغط وغياب الحوار والتّواصل جعل المبحوثة تتجّه نحو الشّارع بحثا عن التّحرّر،الأمن والطمأنينة.. بحثا عن البديل.إنّها المتطلّبات الإنمائية البيولوجية والنّفسية الجنسيّة للمراهقة التي جعلتها تبحث عن استثمار موضوع خارجيّ

" جيّد " يحقّق لها التّوازن العاطفي المفقود، وقد وجدت فيه السّند الحقيقي الذي ساعدها على تجاوز ظروف صعبة وبخاصّة منها تلك التي ارتبطت بالفيضانات، لكنّها جهلت عواقب مخاطرتها وتورّطها.

أماني الآن في حالة نفسية مضطربة ومشوّشة بسبب مشكلتها، وقد أدّى شعورها القويّ بالذنب إلى الانطواء والعزلة وإلى ازدياد إحساسها بالأسى، الحزن، الاكتئاب ، الهجر والنّبذ وقد أثّر ذلك على نشاطها العام ، فتعطّلت ملكة التّفكير وانخفض تحصيلها الدّراسي ولم يعد بمقدورها التّركيز والانتباه.

تشعر المبحوثة بالتّعب وبالوهن، بالوحدة وبالضّياع في غياب السّند العائلي وهي تبحث الآن عن سبيل يخرجها من هذا الظّرف القاسي، فهل ستتوصّل إلى ذلك؟.

4- خلاصة الحالة:

تسبّبت الفيضانات القويّة والمفاجئة التي كانت أماني شاهدة على الدّمار،الخراب والعديد من الموتى الذين خلّفتهم في تشوّش نفسيتها وسلوكها من خلال ظهوراستجابات عصبيّة إعاشية نفسيّة وسلوكيّة مختلفة كانت بمثابة رد فعل انعكاسي طبيعي لتصريف الضّغط النّفسي الخوف والقلق إضافة إلى بروز متواترلأعراض نفسية صدمية ابتداء من الأسبوعين الأوّلين اختفت تدريجيّا بعد أن استمرّت مدّة خمسة أشهر.

أبدت أماني القدرة على تجاوز الحدث وتقبّله من خلال إسناده لقضاء الله وقدره وغضبه على بعض المتمرّدين من النّاس من جهة، و كذا بفضل الدّعم العاطفي والسّند القويّ اللّذين وفّرهما لها شاب تعلّقت به في تلك الفترة من جهة أخرى، فحضوره المكثّف إلى جانبها ورعايته لها ساعداها كثيرا على الخروج من الظروف النفسيّة الصّعبة التي كانت تمرّ بها ارتبط بعضها بصراعات عائليّة حادّة والبعض الآخر بمشاهد الفيضانات المروّعة التي أحيت في ذاكرتها ومن جديد تجربة عنف بشري أليمة وعنيفة تأثّرت بها كثيرا في صغرها وقد تجلّى أثرها أمام بعض لوحات اختبارالرّورشاخ حيث ظهرت تصوّرات

إنسانيّة مقلقة وحصريّة اكتست صفة الخوف والرّعب، أمّا في اختبار تفهّم الموضوع، فقد انبثق أثرالعدوان الإرهابي بشكل فجّ وصارخ في اللّوحة الأخيرة،أي(16).

بالمقابل ، فإنّ الحالة الاكتئابية التي توجد فيها الآن، أي بعد 15 شهرا من حضورها لمشاهد مروّعة عن الفيضانات القويّة التي ضربت منطقة سكناها، والصّراع النّفسي الذي تتخبّط فيه والنّاجم عن مشكلة شخصيّة مرتبطة بمتطلّبات المراهقة النّفسية والعاطفيّة هو المسيطر في الوقت الحالي، فالمبحوثة تبحث عن السّلام الدّاخلي والخارجي،عن المحبّة،الأخوّة والتّضامن كما ذكرت في الرّورشاخ ، وعن سند قويّ يساعدها على حلّ مشكلتها والخروج منها ، وهذا ما كرّرته أمام بعض لوحات اختبار تفهّم الموضوع وفي المقابلة أيضا، لكن يبدو أنّ نفسيتها عاجزة عن المواجهة والتكيّف مع الواقع في الوقت الحالي كما تبيّنه نوعيّة السّير النّفسي في كلا الاختبارين.

*** <u>هاني ،17 سنة ، غير مصدوم وذو نوعيّة سير نفسي "متوسّطة":</u>**

يبلغ هاني 17 عاما وهو ثاني إخوته السّبعة، كان شاهدا على الدّمار الذي خلّفته الفيضانات وشارك في إنقاذ بعض الغرقى، وقد كانت تلك أوّل تجربة عنيفة يعيشها في حياته.

1- <u>عرض وتحليل بروتوكول الرّورشاخ:</u>

النّص	التّحقيق	التّنقيط
اللّوحة I ٧ ٨ 8" هكذا نحكمها؟ (Ψ: كيما تحب) ٨ ٧ ... ٨٧٨ 1' 30" 1- هنا صدر تاع إنسان.. لوخر جهاز تاع .. تاعو.. وشنو هذا أستاذة؟(يوري بإصبعه فوق اللّوحة)...	(D4)	صدمة D F+ Hd
2- ٧ هذي كلى أستاذة؟(ينظر إليّ منتظرا إجابة)(Ψ: شوف أنت)... ٨٧٨ ما عرفتهاش قاع أستاذة ٧ ٨ ... > ٧..غامضة غامضة	(Saill méd sup)	D F- Anat

بزّاف عليّا أستاذة ما فهمتهاش(يدير اللّوحة ويقرأ ما كتب عليها) ٨.. جسم نتع إنسان تقولشي كلى مانيش فاهم أستاذة ٧ ٨ مانيش فاهم كيفاه نحكمها أستاذة(ينظر إليّ طالبا المساعدة)(Ψ: أحكمها كما تحب) ٨..(يدقق النّظر، يديرها ويقرأ ما كتب عليها، يحرّك ساقيه كثيرا)		
3- ... ٨ ماشي عبد تقوشي راهو تحت تراب وهذو يدّيه (Saill méd sup) تقوشي يطلب المساعدة؟(ينظر إليّ ويطيل النّظر لأجيبه)..إم؟ (Ψ: شوف أنت).. تقوشي ٨٧..	تقوشي أستاذة في ضربة الحملة كنّا نسلكو فيهم هذو يدّيهم.. يخرجوهم من التراب ويزغدوهم هكذا(يقوم بحركة بيديه).. هذا	D Kp C' H
راني نشوف عبد فوقو تراب راهو يطلب النّجدة راهو تحت التراب.. ما عرفتلهاش	لكحل (D2) ڤاع تراب هاو يدّيه أستاذة رقبتو(D1&22,2&3)..	
واعرة غامضة بزّاف.. تقولشي كلّش كحل..(ينظر إلى السّقف ويفكّر).. عبد تحت تراب يطلب النّجدة.. خلاص. 4' 46"	الشّكل واللّون أستاذة في زوج تقوشي تراب واللّون نتاع الما يسيل فالحملة.. تراب.. رماد (D2) منّا ومنّا..تراب هلكو بدّلو ڤاع الصّفة نتاعو.	
اللّوحة II ٨ (يدير اللّوحة وينظر).... 28" 4- أووه هذي صعيبة!... هذا الدّم واقيل؟ ... 5- دايرين اليد فاليد أستاذة اليد فاليد...(ينظر إلى اللّوحة)... دايرين اليد فاليد زوج عباد تقوشي واحد يعاون فلاخر. 1' 14"	هنا الدّم هنا وهنا (D2)+(D3)	صدمة اللّون الأحمر D/D C Sang D K H
اللّوحة III ٨ 17" 6- هذو أشخاص تقولشي راهم رافدين رافدين واش؟ (يشدّ ذقنه وينظر جيّدا، يفكّر) رافدين... هذا قلب أستاذة؟... شخصان تقوشي رافدين حاجة ثقيلة وهذا القلب (D3).. تقوشي تجمع بينهم رابطة الدّم واقيلا مانيش	زوج عباد هامليك (D1) زوج قلوبا (D3) يبينولك كيفاه يتعاونو، الدّرجة إلّي تلحق فيها التّعاون أستادة. هذا الدّم إلّي ملفوق (D2) إلّي	G K H/Abst Ban

فاهم أستاذة.. كيما الصّورة الثانية شخصان واحد يحبّ يعاون لاخر أستاذة. 3' 07"	جمعهم أستادة.	
اللّوحة IV إييه ! (يقرّب إليه اللّوحة وينظر) ٨٧٨ .. (يقلب اللّوحة ويقرأ ما كتب عليها)... 2' ما فهمت فيها والو أستاذة... ٨٧< هذي التّصويرة... (يزغد أصابعه على الكرسي).. غامضة بزّاف أستاذة ما فهمتهاش. (يقلب اللّوحة ويضعها على الطّاولة) 3 ' 02"	... هذو رجلين؟ رجلين هذو تقوشي (D2) (Ψ: تاع من؟) تاع كاش حيوان. [D F+ Ad] تقوشي راس تنّين (D1) وذنيه (Dd28) عينيه (Dd26) ومنّا وين يطلق النّار، مانيش متأكّد % 100. [D Kan (Ad)]	صدمة رفض
اللّوحة V ٨ 09" 7- أستاذة هذا خقّاش هذا أستاذة عايش غير فالظلام تقوشي كحل يعيش غير فالظلام رجليه شوية رقاق وذنيه طالعين (يظهر ذلك بإصبعه على اللّوحة) خقّاش... (يفكّر) خقّاش أستاذة هذا واش عرفت. 1' 08"	وذنيه طوال (D8) رجليه قصار (D9) جناحتيه طوال بزّاف (D4) وعرفتو خقّاش من شكلو.	G FC ' A Ban ? Clob
اللّوحة VI ٨٧٨ يتمتم ... (يقلبها ويقرأ ثمّ يقلبها ثانية وينظر إلى الصّورة).... 1' 07" ما فهمت فيها والو هذي أستاذة... كحلة. 1' 15"	ما فهمتهاش قاع ، والو.	صدمة للأسود رفض
اللّوحة VII أيهو! غير كحل أستاذة ما كاش حاجة بيضة ولا؟ (ينظر إليّ ثمّ ينظر إلى الصّورة ويفكّر)... 1' 50" 8- جهاز تقوشي جهاز هضمي أستاذة؟ جهاز هضمي؟ .... ما فهمتوش قاع هذا أستاذة واللّه ما فهمتو غامضين بزّاف هذو التصاور واللّه غامضين. (يرتّب اللّوحة مع الأخريات)	جهاز هضمي تاع إنسان (G) الرّنتان (D4)، أنبوب نقل التّغذية (D5) ... تفكّرتو عندي بزّاف ما قريتوش تفكّرتو على الشّكل.	صدمة للأسود G F- Anat

		2' 48"
صدمة D F+ A	هذا الحيوان الأوّل وهذا deuxième أستادة. (D1)	**اللّوحة VIII** إييه ! (يتمتم) .... ٨ (يقلب اللّوحة ويحاول القراءة) ٧٨(يرسم بإصبعه على الجزء السّفلي (D2))... < ٨ > ٨ ... 1' 15" 9- تقوشي زوج حيوانات عندهم رجلين زوج حيوانات.. زوج حيوانات... وشنو هذايا؟ (D4) (يتمتم ويحرّك اللّوحة بين يديه)... ما فهمت والو أستادة فيه، فهمت غير زوج حيوانات. 2' 58"
تسمية ألوان G F- Anat/Dessin	رسم تاع الجهاز الدّاخلي تاع الإنسان. (G) دم (D6) الما يجري فيه الما إلّي ... (D1). تشيني حامق وبارد (D3) مكوّنات تاع الإنسان.	**اللّوحة IX** ٨ 09" خضراء، حمراء وبرتقالية.. (يدقق النّظر)... نقلّك واش تمثّل أستادة؟ آه؟ (Ψ: قلّي واش تقدر تشوف لواش تقدر تشبّه هاد الصّورة)..... ٨٧ 10- رسم تاع لوخر يحتوي الإنسان داخليّا أستادة تقوشي رسم إنسان داخلي ، تقوشي دم ولخر المخ ، الخلايا والأجهزة التي تحتوي جسم الإنسان. 3'
D F- Anat D Kob C' Abst D F+ A D/G F+ Bot D CF Bot	(D9) وهذاك لكحل (D11) تقولشي راهو يجبد الدّم من الإنسان. (Ψ: واش يقدر يكون؟) عنصر قاتل للإنسان أستادة تقولشي مرض ولاّ. (D7) نباتات (D2)+(D10)+(D13) أزهار (D15) اللّون نتاعهم هذا	**اللّوحة X** آو! (يقرّب اللّوحة إليه ويدقق النظر)... 53" 11- تقوشي هذو الزّوج أنبوبين دموبين... 12- تقوشي لكحل حاجة ماشي مليحة تمص الإنسان... 13- هذو عقارب 14- نباتات 15- وأزهار... هذا واش كاين..

1' 50"	واش كاين.	

اختبار الاختيارات:

الاختيار الإيجابي:

-IX : جهاز تاع إنسان ، فيها الحياة ، الماء كلّ العناصر لبقاء الإنسان على قيد الحياة.

-VIII : زوج حيوانات تقولشي راهم دايرين على حاجة يتعاونو فيها أو زوج خاوا يتعاونو على حماية شيء ما. عجبتني على التّعاون إلّي فيها، même اللّون والشّكل نتاعهم ملاح شابّين أستادة.

الاختيار السّلبي:

-I : تقوشي تاع الحملة تشوفي عبد راح يموت تحت التراب ما تقدريش تتحمليها تلقايها صدمة بزّاف، وين تروحي تتفكري تمشي وحدك تتفكري،ترقدي تتفكري،كلّ دقيقة تتفكريها.

-VI : إلّي ما فهمت فيها والو تقولشي المظهر نتاعها كحل ، ما عجبتنيش ،الشّكل واللّون إلّي خلاّوني ما تعجبنيش.

1-1- التّحليل الكمّي للبروتوكول:

Le psychogramme البسكوغرام

		Nbre	%			
R : 15	G	4	33,33	F : 8 {F+ :4	A : 3	F% : 53,33
Rép addit : 2						
Refus : 2	D/G	1		{F- : 4	H : 3	F+% :50
Tps.Total : 25'13"					Hd : 1	F% él : 66,66

Tps/réponse : 1' 34" D 9 66,66 F+% él : 60
Tps. Lat.moyen : 50" D/D 1 K : 2
kp : 1 A% : 20
kob : 1 H% : 26,66
CF : 1 Ban : 2
FC' :1
C : 1
C' :1
Clob : (? 1)

T.Appr : G D Chocs : 6
T.R.I : 2K/4,5 C Nomin .C :1
F.Compl : 2 k/0E
F. angoisse : 40
RC% : 46,66

1- 2- <u>التّحليل الكيفي للبروتوكول</u>:

1-2-1- <u>الخصائص العامّة للبروتوكول</u>:

لفت انتباهنا عند قراءتنا الأوّلية لبروتوكول هاني ذلك الطّابع المميّز للأجوبة المعطاة وللسّلوك أيضا اللّذان كشفا عن قلقه، ضيقه وانزعاجه أمام خصائص المنبّه الشّكلية وبشكل خاص، اللّونية ، تدعّم ذلك الضّيق بامتناعه عن الإجابة أمام لوحتين هما IV وVI.

ساد التّطبيق إذا قلق عارم تجلّى في:

- طول أزمنة الكمون الأوّلية والصّمت المتكرّر والطّويل أحيانا أثناء إعطاء الأجوبة ،

- كثرة الانتقادات الذاتية التي كشفت عن عجزه عن إدراك محتويات المنبّه وتناولها أو ربّما عن فشله في توظيف الفكر والتخيّل،إلى جانب الملاحظات المرتبطة بشكل ولون اللّوحة وكذا التعجّبات والتّعاليق التي عبّرت عن تضايقه من الوضعية الإسقاطية وقلقه إزاء مادّة الاختبار،
- كثرة التحفّظات الكلامية التي أمنت تورّطه في تأكيد مباشر قد يشكّل خطرا عليه وكشفت عن حذره من انبعاث تصوّرات وعواطف من شأنها الإخلال بتنظيمه وتوازنه الاقتصادي الأمر الذي يوحي لنا بوجود مادّة لاشعورية مهمّة ،
- صدمات متكرّرة ارتبطت بمكوّنات المنبّه اللّونية وبخاصّة منها اللّون الأسود ،
- ظهور الحصر من خلال كثرة تقليب اللّوحات والإيماءات ، وتعابير القلق سواء أرفقت بعاطفة معاشة كما ظهر في اللّوحة I أو من خلال تصوّر بسيط وذلك في اللّوحة V،
- ظهور الحاجة إلى الدّعم والمساعدة بطرح أسئلة حول تفصيل من تفاصيل اللّطخة أو حول كيفية تناول اللّوحة ومحاولة إشراك الباحثة في الأجوبة.

لكن وعلى الرّغم من كلّ ذلك ، تمكّن المبحوث من إعطاء ستّ عشرة إجابة (16) ، ولو أنّ العدد ضئيل مقارنة بالمعدّل العادي الذي يتراوح بين 20 إلى 30 إجابة ، إلاّ أنّ الأجوبة المقدّمة لم تخل من صدى هوامي قويّ أعجز هاني عن مواجهته في بعض الأحيان.

1- 2-2- <u>السّياقات المعرفيّة</u>:

لم تتنوّع طرق تناول المادّة عند هاني، فقد اقتصر الإدراك على نوعين دون سواهما: الكلّي والجزئي الكبير وجاءت في نمط تتابعي غير منتظم.

ظهر ميل المبحوث إلى التّناول الجزئي للمادّة وتقصّي تفاصيلها، منذ اللّوحة الأولى التي تعتبر من اللّوحات المتماسكة والتي يُفترض أن يكون تناولها شاملا. هكذا إذا، تفوّقت

الأجوبة الجزئية على الشّاملة في العدد، كما توضّحه معطيات البسيكوغرام، لكنّ نسبتها تبقى معتدلة(D%=66,66) مقارنة بالمعدّل المحصوربين(60-68 %)، وارتبطت بمحدّدات متنوّعة.

أمّا الإجابات الشّاملة، فقد جاءت بسيطة في مجملها تعدّت نسبتها التي بلغت (G%=33,33) المعدّل المحدّد في البروتوكول العادي بين(20- 23 %) .

تنوّعت المحدّدات بين شكلية إيجابية وسلبية، لونية خالصة وحركية، وكان هناك تأرجح بين المراقبة والتحكّم وبين إطلاق العنان للوجدانات.

اتّخذت أغلب الإجابات الشكلية طابعا إيجابيا كشف عن محاولة هاني التحكّم في النّزوات لكنّ المحاولة تلك لم تكن دوما ناجحة وناجعة(F+% = 50)، حيث انفلتت أمام اللّوحات IX،VII وX تصوّرات ارتبطت بمحتويات تشريحيّة صاحبتها تعاليق وتعجّبات كشفت عن تضايق المبحوث من استثاراتها اللّونية.

1- 2-3- الدّيناميكيّة الصّراعية والتّظاهرات الحسّية:

1- 2-3-1- الدّيناميكية الصّراعيّة:

برزت حركتان إنسانيتان(K=2) في اللّوحتين II وIII كشفتا عن قدرة المبحوث التّركيبية والفكرية، وأظهرتا محاولته لإرصان الصّراع النّفسي الذي حرّضتاه، لكنّه سرعان ما وُوجه بحركة دفاعيّة صلبة على شكل تكوين عكسي قاوم الحركات النّزوية العدوانية واللّيبيدية دعّمه التّجريد الذي كبح التأثّرات العاطفية وأخمد النّزوات، حيث قال في كلتي اللّوحتين:"زوج عباد تقوشي واحد يعاون في لاخر"،" زوج قلوبا يبينولك كيفاه يتعاونو". أمّا التقمّصات فبدت ذكرية.

من جهة أخرى، برزت حركة إنسانية جزئية (kp) في اللّوحة I بعد مقاومة شديدة وبنبرة قلقة، حصرية ومخيفة ارتبطت بمحدّد نزوي قوي(C'). سمحت هذه الحركة بعودة المكبوت حيث ارتبطت التصوّرات الإنسانية المقلقة بتجربة أليمة وعنيفة عايشها المبحوث وهي الفيضانات القويّة التي ضربت منطقة سكناه منذ أزيد من عام ، حيث قال:"عبد

تقوشي راهو تحت تراب وهذو يدّيه، تقوشي يطلب المساعدة، يطلب النّجدة، واللّون نتاع الما يسيل فلحملة تراب كلّش كحل"، وهي ذات اللّوحة التي نفر منها هاني واختارها كلوحة مكروهة.

ظهرت حركة موضوع (kob) في اللّوحة الأخيرة X المحرّضة للانفصال بين تصوّرات نكوصية (إدراكات تشريحية) وأخرى مرتبطة بالحياة، ومن خلالها، انكشفت تصوّرات عدوانية فجّة ونشطة ارتبطت بالمرض وخطر الموت، حيث قال المبحوث:"حاجة ماشي مليحة تمصّ الإنسان، تقولشي راهو يجبد الدّم من الإنسان، عنصر قاتل".

1- 2-3-2- <u>التّظاهرات الحسّية</u>:

كان القطب الحسّي أكثر تمثيلا في هذا البروتوكول رغم انطباعات الكف ومحاولات التجنّب وهذا ما يؤكّده نمط الصّدى الدّاخلي المنبسط المزدوج (T.R.I = 2K/4,5C) الذي يعبّر عن الحاجة العاطفية، كما لمسنا انبثاق حساسية مقلقة (Une sensibilité dysphorique) ومخيفة ارتبطت بالألوان الدّاكنة وانجذاب المبحوث إليها وهذا أمام اللّوحات التّالية: I ،V ،VI(وهي لوحة مرفوضة) ثمّ VII و X. لكن بانتقاله إلى اللّوحات الباستيل، برزت إمكانيته في إدراج الألوان التي جعلته ينكص إلى وضعيات ما قبل تناسلية بحث من وراءها عن الحماية والحياة، مثلما عبّر عنه في اختياره الإيجابي للّوحة IX:" جهاز تاع إنسان فيه الحياة، الماء كلّ العناصر لبقاء الإنسان على قيد الحياة".

توحي النّسبة المرتفعة للإجابات في اللّوحات الملوّنة (RC% = 46,66) بوجود حياة عاطفية نشيطة وحساسية للمنبّهات الحيوية وللواقع ، ويميل اختبار الاختيارات إلى الاتّجاه ذاته، أي إلى إدراك إيجابي للألوان(اللّوحتان VIII و IX)، ورفض المنبّهات المزعجة والمضايقة التي ترتبط بالظّلام والاكتئاب (اللّوحتان I و VI).

1-2-4- <u>المحتويات</u>:

تنوّعت أجوبة المبحوث بين حيوانية، نباتية، تجريدية، إنسانية وتشريحية، وقد تجاوزت نسبة الإجابات الإنسانية(H% = 26,66) حدود معدّلها التي تتراوح بين(12و18 %) في البروتوكول العادي.

أمّا عن الأجوبة التّشريحية، فقد توزّعت على أربع لوحات وهي: I، VII، IX و X. يبدو أنّ المبحوث يبحث عن حاو أمومي حام من خلال استحضاره لتصوّرات تشريحية لأجهزة تضمن الحماية والحياة، كالجهاز الهضمي، التنفّسي والدّوراني، وهذا ما أشار إليه في اللّوحة ما قبل الأخيرة من الاختبار.

1- 3- <u>الإشكالية العامّة للبروتوكول</u>:

أظهر تحليل إنتاجية الرّورشاخ حساسية هاني لرمزية الاختبار ولبنيته، حساسية ترجمها الكف الذي تجسّد في طول أزمنة الكمون،التوقفات المتكرّرة أثناء الإجابات،المشاركة الحركية والتّأكيد على عدم المعرفة والعجز.

من جهة أخرى، كانت الإجابات كلّها مصحوبة بتحفّظ كلامي كمؤشّر للتكيّف مع الاختبار وجاء بعضها إسقاطا شفّافا لتصوّرات مكدّرة ومضايقة ارتبطت بتجربة أليمة مرّ بها وتعبيرا عن آثار التعرّض وانعكاسات الحدث الصّدمي ، و كان ذلك في اللّوحة الأولى التي اختيرت كأكثر اللّوحات كرها حيث قال:" تقوشي تاع الحملة، تشوفي عبد راح يموت تحت التراب ما تقدريش تتحمليها تتلقايها صدمة بزّاف، وين تروحي تتفكري، تمشي وحدك تتفكري، ترقدي تتفكري، كلّ دقيقة تتفكريها".

ولحماية نفسه من تورّط قد يكون مكلفا بالنّسبة له، لجأ إلى دفاعات صلبة كالتّجريد، عزل العواطف عن التصوّرات المستحضرة والتّكوين العكسي بإرجاع النّزوة إلى ضدّها كاعتراض للضّرر، وإلى النّكوص إلى مستويات بدائية لضمان الحماية من أخطار العالم الخارجي التي قد لا يقدر، كما يعكسه التّمثيل الضعيف لبعض عوامل التكيّف الاجتماعي (F+% = 50, Ban = 2) على مواجهتها.

4-1- الفرضيّة التّشخيصية حول نوعيّة السّير النّفسي:

رغم تميّز إنتاجيّة هاني بالضّآلة من النّاحية الكمّية ،حيث لم يتمكّن من تقديم سوى 16 إجابة مبتعدا بذلك عن المعدّل "العادي" المحدّد بين 20 و30 إجابة، ووجود مظاهر التّضايق من مكوّنات المنبّه اللّونية بوجه خاص على شكل صيغ تعجّب،تعاليق،كثرة الحركات والتوقفات تعابير إيمائيّة وتقليب اللّوحات ورفض بعض منها ، طول أزمنة الكمون أمام معظمها ترجم انزعاجه منها أو ربّما حذره من الاندفاع في الأجوبة، وأخيرا كثرة التحفّظات الكلاميّة التي منعت تأكيده المباشر للأجوبة المعطاة وكشفت من جهة أخرى عن مقاومته ضدّ انبعاث تصوّرات أخرى أو عواطف من شأنها إرباك توازنه النّفسي، ما يوحي بوجود مادّة لا شعوريّة هامّة، إلاّ أنّ أجوبته لم تخل من صدى هوامي قويّ نشّطته بعض اللّوحات وكشفت أيضا عن محاولة إرصانه لتجربة أليمة وعنيفة عايشها وهي الفيضانات، وعن وجود حياة نفسية وعاطفية نشطة مثلته بعض الأجوبة الحركية والحسّية ونوعيّة بعض المواضيع المقدّمة أمام اللّوحات الباستل، التي كشفت عن علاقته بالعالم الخارجي وحساسيته تّجاهه وبحثه عن الحماية، الاحتواء وضمان الحياة، وهذا ما كشف عنه في اختياره الإيجابي.

ممّا سبق، تبدو نوعية السّير النّفسي لهاني " متوسّطة".

2- عرض وتحليل بروتوكول اختبار تفهّم الموضوع:

اللّوحة 1:

8" هذا وشنو؟ (ينظر إلي) ...(يحكّ رأسه وينظر)...تقوشي ولد غايس هذا غايس تقوشي عندو les problèmes ولاّ ماشي هكذا؟...(ينظر جيّدا إلى اللّوحة ، يضعها على الطّاولة ويحدّق فيها)...(ينظر إلي) تقوشي أستادة ولد صغير غايس ويخمّم في المشاكل نتاعو (يدير اللّوحة ويحاول قراءة ما كتب عليها)...(يأخذ اللّوحة بين يديه وينظر)...خلاص هذا واش فهمت. 3' 34"

السّياقات الدّفاعية:

وجد هاني صعوبة كبيرة في التّعامل مع اللّوحة ترجمها الصّمت المتكرّر(CP1)،السّلوك (CC1) وطلب المساعدة (CC2) بحثا عن سند الباحثة(CM1)، وبتحفّظ كلامي(A2-3) استهلّ قصّته محاولا إثارة صراع نفسي داخلي(A2-17) اقترب من المحتوى الظّاهري للّوحة، لكنّ محاولته تلك باءت بالفشل (CP1) وعاد إلى طلب المساعدة من جديد (CM1 CC2)؟.

حال الصّمت المتكرّر(CP1) وكثرة الحركات(CC1) دون مواصلة القصّة التي انتهت باجترار الصّراع الدّاخلي المستحضر(A2-8) دون إظهار إمكانية التّعامل معه أو تحديد مبرّراته (CP4)، وتدعّم تجنّب المواجهة بتعليق سار في اتّجاه رفض المواجهة مع المثير (CP5←B2-8).

الإشكالية:

تجنّب المبحوث مواجهة القلق الخصائي الذي نشّطته اللّوحة بسلسلة من الآليات الدّفاعية الصّلبة التي تصدّت بقوّة لمرور المادّة اللاّشعورية وبروزها على السّطح، وقد سمح إلغاء موضوع ظاهر (الكمان) بكبت الإشكالية المرتبطة باستثمار الموضوع والرّغبة فيه.

اللّوحة 2:

(يأخذ اللّوحة بين يديه في أوّل الأمر ثمّ يضعها على الطّاولة وينظر)11" تقوشي أستادة ناس في الأرياف والمعيشة نتاعهم كيفاش يعيشو في الأرياف...أستادة زوج نسا وحدة رافدة كتاب أو وحدة ماهيش رافدة كتاب.. تسمّى أستادة ما تعرفش تقرى جاهلة (يشير إلى المرأة المتّكئة على الشّجرة) وهذيا.. تقرى (بصوت منخفض).. تسمّى هذي أميّة وهذي مثقّفة إلّي رافدة كتاب مثقّفة وهذي أميّة.. خلاص. 2' 27"

السّياقات الدّفاعية:

لم يضمن وصف المبحوث لمحتويات اللّوحة الظّاهرة (A2-1) من الاسترسال في القصّة التي تخلّلتها توقفات كثيرة (CP1) ، و حركة (CC1) ترجمت صعوبة التّناول.

لجأ هاني إلى جملة من الآليات الدّفاعية الصّلبة كالعقلنة (A2-13) ، العزل (A2-15) والمثلنة السّلبية (CM2-) لتجنّب ظهور أيّ صراع بين عنصري اللّوحة النّسويين الذين بقيا مجهولين (CP3)، ولظهور أيّ تقارب، وبالتّالي احتمال ظهور صراع نفسي علائقي مُكلف. تعزّز التهرّب من الصّراع و من التّقارب اللّيبيدي بإلغاء العنصر الذكري(E1).

الإشكالية:

تجنّب المبحوث خطر التورّط في صراع أوديبي قد يكون مكلفا بالنّسبة له وذلك من خلال بعض سياقات الرّقابة الصّلبة كالعقلنة ، العزل وسياقات الكف التي شكّلت خطّا دفاعيّا منيعا ضدّ تدفّق التّصوّرات والعواطف المرتبطة بالإشكالية الأوديبية ، بالإضافة إلى إلغاء العنصر الذكري.

اللّوحة 3BM:

(نظرة تعجّب) 9" شخص أستادة في حالة بؤس وحزن يعاني من مشاكل ولاّ.. وكي عندو مشاكل بزّاف راهو يبكي أستادة راهو يبكي باش ينحّي شوية لهموم على روحو...(يأخذ اللّوحة بين يديه ، يديرها ويحاول قراءة ما كتب عليها ، ينظر إليّ ويشير برأسه إلى انتهاء قصّته ثمّ يعطيني اللّوحة). 1' 28"

السّياقات الدّفاعيّة:

بدأ المبحوث قصّته بعد صعوبة ترجمها السّلوك (CC1) والكفّ (CP1) باجتياح تصوّرات ارتبطت بالحرمان رافقتها عواطف اكتئابية (E9) مع تجنّب التّعريف بشخص اللّوحة

(CP3). حاول المبحوث التحكّم في تلك الانبثاقات الفجّة من خلال تردّده بين افتراضات مختلفة (A2-6) لكنّه فشل وعاد إلى الصّمت مجدّدا (CP1).

استأنف هاني القصّة باجترار المعاناة ذاتها (A2-8) "عندو مشاكل بزّاف" مبرزا عواطف معدّلة من قبل المثير وبشكل مجترّ كذلك(A2-8/B1-4) أدّت به إلى إنهاء السّرد(CP1) وبحركة سلوكية (CC1) ربّما جاءت لتخفّف من صدى اللّوحة القويّ.

الإشكاليّة:

جنّد الصّدى الهوامي الهام الخاص بهذه اللّوحة تصوّرات وعواطف فجّة منذ بداية القصّة لكنّها لم ترتبط بفقدان الموضوع بل بصراع نفسي داخلي وإشكالية ذاتية، ولم نلمس أيّة تداعيات بخصوص تلك العواطف الاكتئابية نظرا للرّقابة والكبت اللّذين حالا دون إرصان الصّراع المستحضر الذي بقي مبتذلا وسطحيّا.

اللّوحة 4:

(يأخذ اللّوحة بين يديه ثمّ يضعها على الطّاولة وينظر) 13" شخصان متحابّان أستادة تقوشي راجل راهو يهرب ملمرى وهي راهي تعيّطلو شغل هارب منها أستادة وهي راهي شادّة فيه (يتمتم)... خلاص هذا واش كاين فهاد التصويرة. 1' 05"

السّياقات الدّفاعية:

بعد صمت قصير (CP1) تبعته حركة سلوكية (CC1)، استهلّ هاني قصّته بإظهار مشهد علائقي ليبيدي (B2-9/B2-3) بين زوج مجهول(CP3) اقترب من المحتوى الظّاهر للّوحة (CF1)، محاولا التحكّم في الصّراع المثار(A2-3).

وككلّ مرّة يشعر المبحوث فيها بالتّهديد ممّا قد تثير فيه استثارات اللّوحة من تداعيات خطيرة يلجأ إلى أساليب الكف الخوافي والسّلوكي كما حدث أمام هذه اللّوحة(CP1/CC1) لإيقاف الاسترسال وكبح أيّة تداعيات حول القصّة المقدّمة، وهي هنا قصيرة (CP2) ومبتذلة (CP4).

الإشكاليّة:

حاول المبحوث التطرّق إلى الاستثارات الكامنة للّوحة بإظهاره لعلاقة ليبيديّة ومحاولته إرصان الصّراع العلائقي المثار ، لكنّه فشل في ذلك ، فالرّقابة والكف كانا بالمرصاد.

اللّوحة 5:

....(يتمتم).. أستادة لوخر آ 17" هذي التصويرة تقوشي تقولنا حياة تاع شيوخا تاع بكري تاع l'europe كيفية الحياة للشّيوخ والكهول الأوروبيين... تسمّى على حساب التصويرة كانوا عايشين مليح منظمين... منظمين برك أستادة خلاص هذا واش... 2'

السّياقات الدّفاعية:

تبقى أساليب الكفّ والرّقابة تتحكّم في لاشعور هاني الذي استهلّ قصّة هذه اللّوحة بصعوبة كبيرة تجلّت من خلال التوقفات المتكرّرة (CP1)، التّعبير الإيمائي (CC1) .

لم يكن بوسعه إذا أمام هذه اللّوحة التي يبدو أنّها نشّطت الإشكالية المرتبطة بالصّورة الأمومية والمشهد البدائي إلاّ أن يتناولها على منوال لوحة فنية مجرّدة من الحيوية (CN8) ولقطات مبعدة في الزمان والمكان(A2-4)، وما إرجاع النّزوة إلى ضدّها من خلال حركة التّكوين العكسي المجترّة(A2-10/A2-8) التي أنهى بها قصّته القصيرة(CP2) والمبتذلة (CP4) إلاّ دليل واضح على تضايقه من رمزية اللّوحة.

الإشكالية:

ظهرت مقاومة المبحوث ضدّ انبثاق هوامات المشهد البدائي بصورة جلية جسّدتها محاولة تجريد التصوّرات أو مضمون القصّة من حيويتها والإبعاد الزّماني المكاني.

اللّوحة 6BM:

(يأخذ اللّوحة بين يديه وينظر)...(يضعها على الطّاولة ويحدّق فيها)22" تقوشي أستادة أم والإبن نتاعها راهي مدوّرة راسها للهيه والإبن راهو زعفان... يبيّن لنا عدم رضى الأمّ عن ابنها.. برك. 2'

السّياقات الدّفاعية:

بصعوبة كبيرة تجلّت من خلال الحركات المتكرّرة(CC1)،والصّمت(CP1) ، تمكّن المبحوث أخيرا من الاسترسال في القصّة محاولا ربط عنصري اللّوحة بعلاقة-A2) (3/B2-3 ومتمسّكا بالوصف(A2-1) المرافق بعواطف قويّة (B2-4) ، لكنّ الصّمت يتدخّل من جديد (CP1) للحدّ من الحركات النّزوية المزعجة. ولمقاومة بروز تصوّرات وعواطف أخرى قد تضايقه ، لجأ إلى عقلنة العلاقة المستحضرة(A2-13) معلنا بها عن نهاية القصّة القصيرة (CP2) وعن عجزه عن إجلاء أسباب الصّراع الظاهر(CP4).

الإشكالية:

نشأت عن العلاقة الغيرية (أم- إبن) عواطف قويّة عجز المبحوث عن تبرير أسبابها ، ممّا أدّى به إلى عزل الشّخصيتين عن بعضهما، كما تسبّب ثقل الآليات الدّفاعية الموظّفة في عرقلة إرصان الصّراع الأوديبي التّحتي، وبالتّالي وضع حدّ للمادّة اللاّشعورية حتّى لا تكتسح الحياة الواعية.

اللّوحة 7BM:

6" هذي عكس التصويرة إلّي ورّيتيهالي أستادة.. تسمّى هذا الوالد وهذا الإبن تقوشي باين راهم متفاهمين ويبيننا أستادة الحب الأسري والعائلي (يحكّ رأسه)...التّفاهم الأسري أستادة.. رضى الأب عن ابنه... 1' 36" (يضع اللّوحة على الطّاولة وينظر إليها)

السّياقات الدّفاعية:

بعد زمن كمون قصير(CP1)، استهلّ هاني القصّة بتعليق(B2-8) حاول من خلاله التّخفيف من قلق اللّوحة السّابقة(6BM)، وربّما من القلق الذي تثيره هذه اللّوحة أيضا، وهذا ما عكسته العلاقة الغيرية الممثلنة (CM2+)، والعواطف القويّة النّاجمة عنها، بالإضافة إلى التعثّرات المتكرّرة (CP1) والحركة (CC1) التي من خلالها أخفى المبحوث العدوانية الضّمنية التي لم يستطع التّعبير عنها.

دُعّمت حركات التجنّب بالرّقابة وذلك من خلال العقلنة(A2-13) وتجميد التصوّرات والعواطف المثارة.

الإشكالية:

بلجوء هاني إلى مثلنة العلاقة أب –إبن ، تصبح معالجة العدوانية صعبة وغير قابلة للتّمثيل.

اللّوحة 8BM:

أي ياي يااي 8"(يشير بيده إلى محتوى الصّورة وبتعجّب لما يراه وكأنّه يقول ما هذا؟)...(يضع اللّوحة على الطّاولة وينظر)... أستادة الإبن راهو يسنّى في باباه والأب راهو عند الطّبيب يجريلو في عملية جراحية يعالج فيه والإبن راهو في خوف أستادة على باباه... راهو في حالة خوف أستادة يتسمّى راهو خايف يموتلو باباه ولاّ كي راهو يعالج فيه الطّبيب... خلاص أستادة". 3' 09"

السّياقات الدّفاعية:

بدأ هاني قصّته بتعجّب(B2-8) كشف عن انزعاجه وتضايقه الكبيرين من الصّورة واللّذان جسّدتهما التوقفات والسّلوكات المتكرّرة(CP1)،(CC1) وبصعوبة، واصل قصّته بإظهار مشهد علائقي بين أب وابنه (B2-3) رافقته عواطف قويّة (B2-4) أوقعته في صمت (CP1).

كان الاستئناف باجترارالعواطف القويّة وارتباطها هذه المرّة بالموت والانفصال(E9) وبروز الحاجة إلى السّند(CM1). تدخّلت الرّقابة لتتحكّم ولتخفّف من حدّة الهوامات القوية المستحضرة على شكل تردّد بين افتراضين مختلفين(A2-6) أبقى نهاية القصّة غامضة (CP1).

الإشكالية:

سمح إبعاد العدوانية الموجّهة ضدّ الأب بلا شكّ بتجنّب الشّعور بالذنب النّاجم عن هوام القتل وإعادة تنشيط قلق الخصاء ، كما استحضرت القصّة صراعا وعواطف متجاذبة وجدانيا.

اللّوحة 10:

(يمعن النّظر)14" أستادة شقيقان الأولى تقبّل أختها الثّانية...وهذا يبيّن أستادة التّفاهم والحب الأسري... والشّقيقتان تبان في حالة بؤس.. ماهيش مليحة أستادة أو لوخرى راهي تصبّر فيها.. ما يدلّ على تعاون euh التّعاطف الأسري.. خلاص أستادة". 2' 02"

السّياقات الدّفاعية:

منع ثقل آليات التجنّب الخوافية (CP1) والسّلوكية (CC1) المبحوث في الانطلاقة في القصّة التي جاءت قصيرة كسابقاتها (CP2)، وقد حاول إظهار علاقة ليبيدية غيرية(B2-3/B2-9) بعد تعثّر كلامي(E17) لكنّ الكف تدخّل من جديد (CP1). وللتّخفيف من تلك

العواطف المستحضرة، احتمى هاني في العقلنة (A2-13) لكنّ الحماية لم تدم طويلا وعاد التعثّر ثانية (CP1) لتنكشف بعده مثلنة سلبية (-CM2) لوضعية العلاقة.
منعت التعثرات المتكرّرة التي تخلّلت القصّة(CP1) من تطويره، ومن بلورة الصّراع المستحضر، وجاء تبريره للوضع المزري الذي احتاج إلى الدّعم (CM1) على شكل معقلن (A2-13). جاءت النّهاية مثقلة بالرّقابة(A2-10)،(A2-9)،(A2-13) لصدّ أيّة تصوّرات أخرى قد تضايقه.

الإشكالية:

أبعدت علاقة السّند المستحضرة والتي يبحث عنها هاني، البعد الجنسي للتّقارب اللّيبيدي الذي جاء على شكل علاقة متناظرة(أخت وأختها) استثمرت فيها إحدى الشخصيتين كسند ضروري.

اللّوحة 11:

(يأخذها وينظر، يديرها في اتّجاه معاكس ثمّ يضعها على الطّاولة، يأخذها مرّة ثانية يديرها في كلّ الاتّجاهات، يأخذها بالعرض وينظر) 20" مكان ريفي في بلد أوروبي أستادة...حالته ليست جيّدة أستادة لاتبعث الاطمئنان داخل القلب.. خلاص. 1' 03"

السّياقات الدّفاعية:

بنفس الحركات الدّفاعية السّابقة، أي السّلوك (CC1) والصّمت (CP1)، بدأ المبحوث قصّته بمحاولة وصف محتوى الصّورة(A2-1) معبّرا عن شعور ذاتي قلق (CN1) أنهى به القصّة القصيرة جدّا (CP2) والسّطحية (CP4).

الإشكالية:

تجنّب المبحوث القلق الذي أثارته هذه الصّورة البدائيّة بلجوئه إلى الوصف والاختزال لمنع أي انزلاق أو طفح هوامي مكلف.

اللّوحة 12BG:

أووه!... منظر خلاّب أستادة يمكّن الإنسان من الرّاحة فيه ويبعث الاطمئنان داخل القلب هذا واش كاين أستادة. 1'

السّياقات الدّفاعية:

بعد تعجّب(B2-8) حاول المبحوث من خلاله تصريف الضّغط والقلق اللذان أثارتهما اللّوحة السّابقة في نفسيته وصمت(CP1)أراد به تجنّب احتمال تدفّق تصوّرات قد تضايقه، استحضر هاني تصوّرات إيجابية في صيغة شبه مبالغ فيها "منظر خلاّب" وفي طابع تجريدي مبطل للصّراع (Déconflictué) (A2-13) ومُخمد لأيّة حركة نزوية ضمنية. القصّة قصيرة جدّا (CP2) وسطحية (CP4).

الإشكالية:

بلجوئه إلى الكف الخوافي والتّجريد ، تمكّن المبحوث من تجنّب الإشكالية التي تبعث إليها هذه اللّوحة.

اللّوحة 13B:

ياه! آ ولد أستادة متواجد في مكان..في بيت وسمو في بيت قصديري وهاد الولد تقوشي راهو بلحفا أستادة ممّا يدلّ على حالة الفقر والبؤس الذي يعيش فيه... خلاص. 47"

السّياقات الدّفاعية:

في صيغة تعجّب (B2-8)، بدأ المبحوث قصّته محاولا التمسّك بالمحتوى الظاهر (CF1) لكنّه وقع سريعا في الصّمت(CP1). كان الاسترسال بمثلنة سلبية للموضوع

الظاهر(-CM2) ثمّ وفي شكل رقابي تحكّمي(A2-3)، استحضر هاني تصوّرات وعواطف سلبية ارتبطت بإشكالية التجرّد(E9)، وانتهت القصّة كالعادة بصمت(CP1) مثبّط لأيّ انبثاق تصوّري أو نزوي، جاعلا القصّة قصيرة (CP2) .

الإشكالية:

شكّلت "هشاشة" (La précarité) الرّمزية الأمومية دعامة لإسقاط صورة أمومية هشّة وغير واقية ، وبهذه الطّريقة تجنّب المبحوث إشكالية فقدان الموضوع والاكتئاب.

اللّوحة 13MF:

16" راجل ماتتلو الزّوجة نتاعو أستادة راهي مريضة ولاّ ميتة ويبكي لفراقها أستادة...وراهو يبكي لفراق زوجته... وخلاص. 58 "

السّياقات الدّفاعية:

لم يمكّن الصّمت الأوّلي (CP1) المبحوث من التحكّم في انبثاق فجّ لتصوّرات كثيفة ارتبطت بالموت وبفقدان الموضوع (E9)، لكنّ سرعان ما تدخّلت الرّقابة لمقاومة تلك الهوامات وذلك على شكل تردّد بين افتراضين مختلفين(A2-6) رافقتهما عواطف اكتئابية قويّة(B2-4) تضمّنت الحاجة إلى السّند(CM1). انتهت القصّة القصيرة(CP2) باجترارالعواطف المستحضرة(A2-8)، وبلجوئه إلى الصمت (CP1)، كشف هاني عن عجزه عن مواصلة السّرد ورغبته في وضع حدّ لاحتمال انبثاق تصوّرات أوعواطف أخرى ثقيلة من شأنها إرباكه.

الإشكالية:

تمّ إبعاد العدوانية عن الزّوج ، واستحضرت بالمقابل تصوّرات فجّة ارتبطت بإشكالية الفقدان والشّعور بالوحدة رافقتها عواطف اكتئابية قويّة.

اللّوحة 19:

(يضعها على الطّاولة ثمّ يأخذها بين يديه)14" رسومات.. تعبير رسومات تاع أشخاص العصر الحجري القديم واقيل يبيّن لنا ثقافتهم وكيفيّة التّعبير عن أفكارهم وخلاص هذا واش فهمت... 1'

السّياقات الدّفاعية:

تجنّب المبحوث مواجهة القلق البدائي الذي تثيره اللّوحة من خلال لجوئه إلى سلسلة من أساليب الرّقابة كالعقلنة(A2-13)، الاجترار (A2-8) ، التحفّظ الكلامي (A2-3) والنّكوص إلى مستويات بدائية (A2-4). انتهت القصّة بتعليق أخذ طابع التجنّب أو ربّما رفض التورّط أكثر في القصّة (CP5? B2-8) .

الإشكالية:

مكّنت سلسلة من أساليب الرّقابة الصّلبة المبحوث من الاحتماء من مثيرات بدائية مقلقة وقد تكون مكلفة.

اللّوحة 16:

10" مبصّح فارغة! (أشرح التّعليمة ثانية)... نرسمها ولاّ بالهدرة؟ (ψ:أتخيّل حكاية)...حرت واش نحكي أستادة ماعليش فكاهية؟ (ψ:كيما تحب)... نهدر هكا نورمال.. قالك وحد الخطرة أشعب تعرفي أشعب أستادة؟.. جات ليه جارية عطاتلو دينار تاع ذهب خبّاتو عندو وهذا الدّينار حكمو جحا آه واسمو أشعب دارو فالفراش ومبعد غدوة منداك جاتو هديك الجارية قاتلو أعطيني الدّينار نتاعي أعطالها الدّرهم وقالها الدّينار نتاعك راهو وْلد وفي الثّاني هكدا والثّالث هكداك ومبعد الجارية خمّمت بلّي كل ما إجّي لعندو تدّي درهم ومبعد مع إلخّر تدّي الدّينار نتاعها تسمّى تربح مبصّح فالمرّة الرّابعة تفطّن للحيلة

نتاعها وقالها:" إنّ الدّينار مات في النّفاس" هادي هي لحكاية أستادة تسمّى مع اللّول كان يولد ودرك راهو مات وخلاص أستادة. 3' 56"

السّياقات الدّفاعية:

أمام فراغ اللّوحة وغياب دعم الموضوع الخارجي، ظهرت صعوبة الاستجابة للتّعليمة رغم تدخّل الباحثة لإعادتها (CP5)، وقد كشف التّعليق (B2-8) عجزه عن ذلك ، لكنّه استطاع بعد ذلك إطلاق العنان لمخيّلته ببناء قصّة طويلة استند فيها على مرجع ثقافي شعبي (A1-3) وكأنّها محاولة للتخلّص من أثر وضغط المثيرات السّابقة.

الإشكالية:

أمام لوحة تحرّض إسقاط المواضيع المفضّلة ، فضّل المبحوث اللّجوء إلى الخيال فرارا ربّما من الواقع أو عجزا عن استحضار أيّة تصوّرات أو عواطف ترتبط بمخاوفه أو انشغالاته أو حماية لنفسه من كلّ ذلك.

2-1- التّحليل الشّامل للبروتوكول:

2-1-1- المقروئية العامّة للبروتوكول:

عند اطّلاعنا على ورقة الفرز لهاني، تراءى لنا تنوّع الأساليب الدّفاعية التي وظّفها لبناء قصصه، ومن خلال ذلك التنوّع، كشف عن علاقته بالعالم الدّاخلي والخارجي، وعن ديناميكية سيره النّفسي.

رغم هذا، عاد التفوّق لأساليب تجنّب الصّراع النّفسي (C% = 64,18) وبشكل خاص الصّمت في بداية القصص وأثناء سردها (CP1)، الطابع المبتذل والعجز عن إجلاء

أسباب الصّراع (CP4)، الميل العام إلى التّقليص (CP2) ، مثلنة الموضوع بقطبيها السّلبي والإيجابي (CM2) واللّجوء إلى السّلوك لتفريغ التوتّر والقلق النّاتج عن المنبّهات (CC1).

أمّا أساليب الرّقابة، فكان ظهورها معتبرا (A% = 25,58) سار في نفس اتّجاه أساليب الكف بأنواعها، بمعنى مواجهة بروز حركات نزوية مضايقة، والتحكّم في التصوّرات المستحضرة والوجدانات المرتبطة بها، وكان هذا شأن أساليب التحفّظات الكلامية (A2-3) الاجترار (A2-8)، العقلنة (A2-13) التي ظهرت بنفس التواتر، تلاها الوصف والتمسّك بالجزئيات (A2-1)، الابتعاد الزّماني المكاني (A2-4)، وأخيرا ، التردّد بين تفسيرات مختلفة (A2-6).

رغم كلّ ذلك، برزت حركات مرنة(B% = 06,97) كشفت عن علاقات غيرية واضحة وتفاعلية بين شخصيات القصص المعرّفة، وعن صراع غيري(B2-3) وعواطف قويّة تنوّعت بين العدوانية واللّيبيدو(B2-4) وأخرى متجاذبة وجدانيا(B2-6)، بالإضافة إلى التّعاليق المتكرّرة أمام بعض اللّوحات التي أثارت ضيقا وانزعاجا للمبحوث (B2-8).

وكما رأينا، لم يكن تفاعل حركات المرونة تلك بباقي الأساليب الدّفاعية دوما فعّالا وناجحا إذ بقيت الصّراعات العلائقية التي تمكّن هاني من استحضار بعضها وكذا العواطف القويّة معلّقة وبدون مخرج واضح.

أمّا الأساليب الأوّلية، فكانت قليلة (E% = 3,25) نظرا لسيطرة الرّقابة، ومع ذلك ، لجأ هاني إلى بعض منها كالتّصورات الفجّة(E9) التي ارتبطت بإشكاليتي الموت(13MF) والتجرّد (13B).

بناء على ما تقدّم ، فإنّ مقروئية البروتوكول متوسّطة.

2-1-2- <u>الإشكالية العامّة للبروتوكول:</u>

كشفت إنتاجيّة هاني عن تناول حذر ومقاوم لمادّة الاختبار ترجمته نوعية الأساليب الدّفاعية الموظّفة التي شكّلت خطّا دفاعيّا منيعا لصدّ انبثاق أيّة مادّة لاشعورية من شأنها أن تهدّد توازنه النّفسي.

بلجوءه إلى أساليب الصّلابة (A2) وبخاصّة منها التّجريد والعقلنة اللّذان أبطل بهما بعض الصّراعات المنشّطة وأخمد الحركات النّزوية، وجرّد مضامين بعض القصص من حيويّتها وكذا التحفّظات الكلامية والاجترار اللّذان عرقلا بناء القصص، إلى جانب أساليب تجنّب الصّراع الخوافية والسّلوكية بشكل خاص؛ تفادى المبحوث مواجهة إشكاليّات معظم اللّوحات (رغم إدراكه الواضح للواقع الخارجي ونسجه لعلاقات معرّفة بين شخصيات بعض اللّوحات واقترابه من صداها الهوامي)، كتلك المرتبطة باستثمار موضوع الرّاشد والرّغبة فيه وبقلق الخصاء والتي تحرّضها اللّوحة 1 حيث تعزّز تهرّبه منها بإلغاء "الكمان"، وبالصّراع الأوديبي حيث تجلّى تجنّب هاني لخطر التورّط أمامه بوضوح في اللّوحة 2 من خلال حركة إلغاء ثانية خصّت العنصر الذكري والعزل بين الشّخصيتين الأنثويتين والمثلنة السّلبية للمرأة الحامل، وتلك المرتبطة كذلك بالمشهد البدائي الذي تثيره اللّوحة 5.

لم يختلف الوضع كثيرا أمام اللّوحات المثيرة للإشكاليّات الاكتئابيّة، فعاطفة الحزن التي تمكّن المبحوث من إظهارها أمام اللّوحة 3BM لم ترتبط بفقدان الموضوع، بل بصراع نفسي داخلي بقيت أسبابه مبهمة، وقد غابت تماما أمام اللّوحتين 12BG و13B، بينما أطلق العنان لمخيّلته أمام اللّوحة 16 واستند إلى مرجع ثقافي شعبي لبناء قصّته.

كذلك الأمر بالنّسبة للقلق ما قبل التّناسلي الذي تثيره اللّوحتان 11 و19 الذي تهرّب منه هاني ومن أيّ انزلاق أو طفح هوامي مكلف.

ربّما كان الكفّ الذي ميّز البروتوكول في عمومه والكبت ضروريان بالنّسبة لهاني حتّى يحافظ على توازنه النّفسي، لا سيما وأنّه في مرحلة عمرية حرجة يتأجّج فيها الصّراع الأوديبي متسبّبا في فقدان التّوازن الدّفاعي وفي إحياء عقدة الخصاء، ويعاد فيها أيضا تنشيط إشكاليّة الانفصال وعمل الحداد.

2-2- <u>الفرضيّة التّشخيصيّة حول نوعية السّير النّفسي</u>:

تميّز بروتوكول هاني على العموم بالكفّ ، وأظهرت الإنتاجية تذبذبا واضحا في طريقة تناوله للإشكاليات ، معالجتها وإرصانها، فإذا استطاع أن يقترب من بعضها من خلال إدراك صداها الهوامي، وربط العلاقات وإظهار تصوّرات رافقتها عواطف تلاءمت والمحتوى الكامن للّوحة ، بالإضافة إلى إدراكه الواضح للشّخصيات واستثماره لكلّ لوحات الاختبار حتّى الأخيرة منها التي لا تحتوي على سند موضوعي ، فإنّ الأمر كان مغايرا تماما مع البعض الآخر الذي أثار فيه هوامات عميقة مقلقة فضّل تجنّبها وكان ذلك يتمّ إمّا بالتسطيح أو الابتذال أو عجز عن تبرير الصّراع المستحضر نفسيّا داخليّا كان أو علائقيّا وإيجاد مخرج له، أو بالعزل بين الشّخصيات التي بقي بعضها مجهولا،أو بالعقلنة، أو بالابتعاد الزّماني المكاني كوسيلة نكوصية ناجحة، تماما كما فعل أمام اللّوحات الأخيرة من الرّورشاخ.

ممّا تقدّم، نفترض أنّ لهاني سير نفسي ذي نوعيّة متوسّطة.

3- المقابلة العيادية:

3-1- تقديم الحالة:

هاني شاب وسيم، طويل القامة، ذو ملامح طفولية بريئة، ذكيّ ومهذب، يعدّ من بين المبحوثين الذين وافقوا على المشاركة في البحث دون تردّد. هو ثاني إخوته السّبعة (ثلاثة ذكور وأربع إناث)، يحبّ الرّياضة كثيرا وبخاصّة كرة السّلة، وهو عضو في فريق محلّي ويطمح لأن يصير لاعبا محترفا ومشهورا.

استطاع المبحوث أن يفرض الاحترام والتّقدير بحسن سلوكه، سيرته وأخلاقه العالية، وأن يحظى بتقدير ومحبّة جيرانه وزملاءه، ويشهد له النّاظر بذلك وبانضباطه في المدرسة.

شارك هاني في إنقاذ بعض ضحايا الفيضانات القويّة التي تعرّضت لها منطقة سكناه صباح العاشر من نوفمبر لعام 2001 ، وكانت مشاركته تلك أوّل تجربة عنيفة يعيشها تركت آثارها عليه، وهو يستعدّ هذا العام بكلّ حزم وعزيمة لاستدراك فشله في نيل شهادة التّعليم الأساسي العام الفارط بسبب حالته النّفسيّة السّيئة على حدّ قوله.

2-3- عرض وتحليل المقابلة العياديّة:

استحضر المبحوث ذكريات طفولة سعيدة ومرحة قضاها في كنف أسرة يسودها الاحترام المتبادل، الودّ والحنان، وكان تلميذا نجيبا ومجتهدا ومن بين الأوائل في قسمه، ولم يشك قطّ من أيّ مشاكل صحيّة أو اجتماعية.

أمّا عن المراهقة ، فهو يعتبرها سنّا صعبة ويعي خطورتها ، ويرى أنّه لا بدّ أن يكون حذرا ويقظا في الحياة و يحسن اختيار رفقاءه، و يحسّن معاملاته مع النّاس، وهو يشعر كذلك بتغيّر فكره واهتماماته، وبنوع من المسؤولية:" لعقلية تزيد تكبر من النّاحية الجسمية والعقلية وهو سنّ شوية صعيب من النّاحية الاجتماعية ، تسمّى تولّي تعتمدي على الأولياء 30% وعلى روحك 70% "، نحسّ روحي كبرت و نقدر نتاخذ القرارات نتاعي وحدي بلا ما نستشير الأولياء نتاوعي".

أمّا عن علاقاته بأسرته ، فهي حسنة مثلما ذكر يسودها الاحترام والودّ ، وقد مدح المبحوث كثيرا أبويه وأثنى على طريقة تربيتهما للأبناء واهتمامهما بانشغالاتهم ومشاكلهم ، كما تحدّث عن تلك العلاقة المميّزة التي تربطه بهما:" بابا نحترمو يقْصّر معانا ، ماشي منّوع إلّي جابد روحو، يورّيلك طريقة المعاملة ، ينصح يقولّي تهلّى في خاوتك، يحسّك بلّي كبرت ، يورّيلي كيفاش نكون مع خاوتي كي نزيدو نكبرو"، مبصّح الأمّ نتاعي خير من الأب ، ناخدلها الرّاي وهي تحبني".

وعن سؤالنا له عن احتمال معايشته لمشاكل عائلية أو لتجارب حياتية تركت أثرا في نفسيته أو تعرّضه لوضعيات ضاغطة بقي يذكرها، أجاب بأنّ الحياة لا تخل من أزمات ومشاكل مولّدة للضّغط وللتوتّر، لكنّ تلك التي تحدث من حين لآخر في أسرته،لا تتعدّى حدود مشاكل بسيطة وعادية. أمّا التّجربة التي عايشها وتسبّبت في اضطراب نفسيته

بشكل كبير فكانت الفيضانات القويّة التي راح ضحيّتها مئات المواطنين حيث قال:" التّجربة إلّي أثرت فيا هي الحملة أستادة هاديك إلّي ما تتنساش".

بنبرة صوت شبه مرتبكة، تحدّث المبحوث عن يوم فظيع ومخيف وعن مشاهد مروّعة لم يشهد مثلها قط.

اختبأ المبحوث في مدخل إحدى العمارات للاحتماء من الأمطار الغزيرة ومن منسوب المياه الذي ما انفكّ يرتفع،وأحسّ بشيء فظيع يحدث في الخارج حيث علا الصّراخ،العويل والبكاء فشعر بالرّعب،الخوف والوحدة، وكم كان المنظر مروّعا عندما خرج من مخبئه بعد أن مضى فيه وقتا طويلا، جثث منتفخة يجرفها التيّار فترتطم بأعمدة الكهرباء وبجدران بعض الدّكاكين والمنازل،أناس يصرخون ويستنجدون، أطفال ونساء موتى وعراة منحصرين بداخل السّيارات أو بين حطام بعضها . أحسّ بالذهول التّام ، كان المشهد رهيبا وكأنّه الخيال أو لقطة من فيلم سينمائي كما قال:" تلقّيتها صدمة بزّاف ، غاضوني ، تخيّلت لوكان أنا راني في بلاصتهم كيفاش أندير، كاين إلّي يكبّر، يشهّد كيما وحد لعجوزة أستادة ، ولاّ واحد الرّاجل تقسمت كرشو... لوكان متّ أنا وماشي هوما ... تقولي فيلم".

لم يستطع هاني غضّ طرفه عمّا يحدث، وبقي ينظر بألم وحسرة عاجزا عن المساعدة شاعرا بالذنب (وهو الشّعور الذي يمتلك النّاجي)، كان متردّدا ، خائفا وتائها ، لكنّ صراخ الضّحايا استدرجه فقرّر المشاركة في الإنقاذ ولو أدّى ذلك إلى التضحية بحياته حيث قال لنا:" ما قدرتش نشوفهم يموتو قدّامي، جاتني حشومة بزّاف، ما قدرتش أستادة، قلت يا نسلّكهم يا نموت معاهم ".

كان يروي الأحداث بألم وبشجاعة أيضا مظهرا موقفه البطولي وقراره الرّصين والصّائب وقد استطاع بمساعدة بعض من رفقاء الحيّ إنقاذ ثمانية أشخاص، لكنّه تأثّر بموت أحد المنقذين أمامه، وبأفراد من حيّه:"أنا سلّكت مرى وثلث رجال وربعة كانو ف J5 كنّا متعاونين تلاقيت بصحابي وبناس وحد آخرين، تعاونّا وسلّكناهم مبصّح غاضوني إلّي ماتو أستادة واحد كان يسلّك ومالبرد مات ، ووحد آخرين تانيك نعرفهم تاع الحومة".

بعد ستّ ساعات من الجهد، عاد إلى المنزل حيث وجد عائلته منهارة تنتظر رجوعه بفارغ الصّبر. لم يستطع النّوم تلك اللّيلة رغم تعبه، وكلّما تذكّر تلك المشاهد المروّعة ازداد تعرّقا واضطرابا، رغم ذلك، دفعه فضوله في اليوم الموالي لحضور عمليات الحفر، والبحث عن جثث أخرى وانتشالها، وتنظيف المنطقة من الأوحال، القذرات والأشلاء المبعثرة هنا وهناك.

تجلّى أثر الفيضانات العنيفة والمشاهد المروّعة في الأيّام الأولى على صحّته الجسمية ، حيث كان يشعر دوما بالتّعب،الإرهاق،الأرق، الغثيان وبصداع فظيع، و لم تكن ذكرياتها تبرح ذهنه مولّدة شعورا دائما بالتّوتّر، القلق، التخوّف والفزع من أقلّ مثير خارجي ومتسبّبة في كفّ عام. كان هاني قليل الكلام، كثير الحيطة والحذر عند تنقّله من مكان لآخر، وفي حالة استنفاردائمة، يقاوم النّوم ليتجنّب الأحلام والكوابيس المزعجة التي بدأت تراوده منذ الأسبوعين الأوّلين، أحلام تتكرّر فيها المناظر الفظيعة للغرقى وجوّ ذلك اليوم الماطر فيستيقظ منها فزعا:" ما كنتش قاع مليح ، مقلّق ومغموم ، ما نقدروش ناكلو، غير جنازات هذوك ليامات نتاع الموتى يلاطيف، ما نقدروش نرقدو، كلّ ما نرقد نخاف، يجيوني بزّاف التصاور ونفطن دايما مخلوع". كان يتجنّب النّاس وبخاصّة أولئك الذين يذكّرونه بالكارثة وبالإنقاذ ويشعر بالقشعريرة كلّما اضطرّ إلى المرور من أحد أماكن الحدث، فيتذكّر كلّ ما جرى وبخاصة صور أولئك الذين لم يستطع إنقاذهم.

بانتقاله إلى منطقة أخرى للدّراسة بعدما دمّرت إكماليته عن آخرها، أصبح المبحوث قليل الانتباه ، ضعيف التّركيز والهمّة بسبب تذبذب انفعالاته، وقد أدّى كلّ ذلك إلى انخفاض تحصيله الدّراسي وكانت النّتيجة الحتمية ، رسوبه في امتحانات شهادة التّعليم الأساسي:" ما كنتش حاب نقرى، تبدّل عليّا المكان والظّروف، الأجواء ما كانتش مناسبة أستادة، كنت نركّز شوية ، نفسيّا ما كنتش مليح من الصّدمات، كانو يحبّو يحكو بزّاف، أنا تم تم نعاود نتفكّر قاع واش صرى، يجيوني قاع التصاور".

دامت تلك الأعراض الصّدمية فترة طويلة تجاوزت الخمسة أشهر لكنّها لم تتعدّ السّنة، وقد بذل المبحوث جهودا معتبرة، كما أخبرنا، للتخلّص من تلك الأحلام المزعجة التي كانت

تراوده بصفة مستمرّة طيلة تلك المدّة بل تجاوزتها:" درت courage وقاومت، جاوني تصاور وقاومتهم ، جاوني قاع التصاور ، كانو يجيوني أفكار تانيك نقاومهم"، ممّا اضطر والداه بعد أن ازداد خوفهما عليه اللّجوء إلى العلاج بالرّقية لتخليصه من كلّ ذلك ، وقد أثنى هاني كثيرا على دعمها ووقوفهما إلى جانبه للتّخفيف من معاناته:" مواليا وقفو معايا بزّاف ما خلاّونيش ، surtout يمّا خافت عليّا بزّاف أدّاوني رقيت باش يزل عليا الحال".

بعد 15 شهرا من وقوع الفيضانات، يشعر المبحوث بتحسّن حالته النّفسية واستعادة حيويته نشاطه وهدوءه ، أي العودة إلى وضعه السّابق "السّوي" وإلى هويّته قبل الصّدمية ، فلم تعد تلك المشاهد الحزينة والأليمة تراوده، وأصبح ينام جيّدا وبسرعة في اللّيل، كما عاد إلى انشغالاته وتسلياته و إلى ممارسة رياضته المفضّلة. أمّا الأحلام السّيئة ، فأصبحت نادرة جدّا وتميل تدريجيّا إلى الاختفاء:"راني نحسّ روحي تبدّلت، خير ملّي كنت، كنت ماشي مليح درك راني نمارس الرّياضة نتاعي ، نقصّر مع صحابي ومع دارنا كيما كنت بكري، والحياة تكمّل، ندير كيما النّاس وما لازمش نخلّي الصّور والتّفكير يتغلّب عليّا ، مبصّح كي تصبّ الشتا نرتبك شوية نخاف لوكان تعاود تولّي الحملة".

أمّا عن دراسته، فهي تميل إلى التحسّن، وقد بذل جهدا معتبرا هذا الفصل لرفع علاماته ويبدو متحمّسا لنيل شهادة التّعليم الأساسي.

يطمح هاني إلى أن يصبح لاعب كرة سلّة محترف ومشهور كلاعبه المفضّل"مايكل جوردن" وحلمه الكبير هو انضمامه إلى الفريق الأمريكي المحترف « NBI » ، ثمّ تحقيق عمرة لأبويه عرفانا لهما بالجميل.

3-3- خلاصة المقابلة العياديّة:

في غمرة التحوّل البيولوجي والنّفسي ، عايش هاني تجربة صدمية أليمة عانى من آثارها مدّة طويلة تجاوزت الخمسة أشهر.

كان المبحوث شاهدا على وفاة مروّعة لعديد من النّاس، وعلى مناظر مرعبة ومخيفة، وقد دفعه شعوره القويّ بذنب البقاء إلى المشاركة في إنقاذ بعض الضّحايا، وكان ذلك بالنّسبة له حدثا فريدا من نوعه.

أدّى وجود تلك المشاهد العنيفة وتثبيتها داخل نفسيته بشكل فظّ ومُرهق إلى أحلام تكرارية مزعجة عاشها في جوّ من القلق الحادّ والضّيق النّفسي.

حاول المبحوث مقاومة الذكريات الأليمة وتقبّل الحدث والتحرّر من انعكاساته الصّدمية التي عانى منها فترة طويلة كما ذكرنا آنفا ومن أجل ذلك، بذل جهدا نفسيّا معتبرا مثلما أخبرنا كما كان لحضور عائلته وسندها له وتوفيرها كلّ أسباب الرّاحة النّفسية والجسمية دور كبير وفعّال في التّخفيف من وقع الحدث العنيف عليه.

يعيش هاني في الوقت الحالي ، حالة استقرار نفسي "نسبي"، وهو يشعر بتحسّن كبير مقارنة بالحالة النّفسية السّيئة التي كان عليها، أمّا الأحلام الصّدمية المزعجة، فأصبح تواترها ضعيفا ولعلّ الأمر طبيعي ، فالنّفسية تبحث دائما عن إرصان كمّ الإثارات الخارجية العنيفة التي تلقتها بغتة ، وذلك بتمثيلها بطريقة مكرّرة.

4- خلاصة الحالة:

يقتضي تعرّض فرد لحدث عنيف ومفاجئ قد يأخذ طابعا صدميّا بالنّسبة له القيام بعمل حداد يحاول من خلاله تقبّل ما حدث له ، والعمل على استيعابه ومعالجته وبالتّالي، التحرّر من انعكاساته السّلبية التي قد تنجرّ عن عدم القيام به تماما أو القيام به جزئيّا.

كان الأمر بالنّسبة لهاني، الذي ربّما لم يكن أناه مهيّأ لمثل تلك الوضعية المفاجئة، العنيفة والمكدّرة في الوقت ذاته بسبب المرحلة النّمائية التي يمرّ بها ، صعبا وتطلّب منه وقتا طويلا وجهدا نفسيّا معتبرا، وربّما كان لتلك الأحلام الصّدمية المتكرّرة دور فعّال في التحكّم النّسبي في الحدث الصّدمي وفي تصريف التوتّر الشّديد الذي نجم عنه أو ربّما ساعدت ظروف المحيط الملائمة على القيام بذلك ، حيث وجد في العائلة "الممثلنة" الدّعم والسّند اللّذان كان بحاجة إليهما ، وفي الرّياضة المنفذ الإيجابي والتوجّه الجديد في الحياة.

لكنّ الذي زاده افتخارا بنفسه ، في رأينا ، وربّما ساهم في احتجاب الأعراض الصّدمية شيئا فشيئا ، كما أراد أن يظهره لنا ، هو موقفه البطولي والشّجاع أمام عنف الحدث ومشاهده ففي إنقاذه لغرقى طلبوا مساعدته تعزيز لنرجسيّته وتأكيد لرجولته.

*** فلّة ،17 سنة ، مصدومة وذات نوعيّة سير نفسي "سيّئة":**

تبلغ فلّة 17 عاما وهي بكر ثلاثة إخوة، فقدت والدتها في الفيضانات العنيفة وحضرت لمشاهد فظيعة عن الدّمار والموتى الذين انتشرت جثثهم المشوّهة هنا وهناك.

1-عرض وتحليل بروتوكول الرّورشاخ:

النّص	التّحقيق	التّنقيط
اللّوحة I (تضحك وأنا أعطيها اللّوحة والتّعليمة تضحك ثانية قبل أن تعطي إجابة ثمّ تنظر إليّ) ٨ 13" 1- جابلي ربّي وتش تاع تعلب لالا؟.. (تضحك)... ذيب فاتح فمّو كشغل حاب ياكل هذا ما كان. 50"	بانلي كشغل ثعلب ، ڤاع ثعلب (G)	Gbl Kan Ad
اللّوحة II (تنظر إلى اللّوحة وتضحك) ٨ 10" 2- واللّه غيرnormalement وتش قط ، قط لالا؟.... هذو عينيه (D2)، هذا وتشو (D6)، هذا فمّو (Dbl). 42" (تعيد اللّوحة ضاحكة)	قط عينيه حمورا كشغل راهو يبكي حزين شغل محڤور.... دموع (Dd26)	G Kan C Ad
اللّوحة III ٨ 13"	مقرقرة إم... ضفدع (D1)، لحمر هذا (D2+D3) ما علابالیش	

3- هذا ما بانليش، ما بانليش هذا... وتش الضّفدع كيما يقولو(تنظر إليّ منتظرة إجابة) (Ψ: شوفي إنت)... جاني هكذا. 43 " (تعيد اللّوحة مبتسمة)	وشنو... هنا كشغل ضفدع (D1)... وهنا (D1) كشغل عبد هذو عينيه فمّو (تشير إلى أجزاء صغيرة في (D6)). [G K H Ban]	D F+ Ad
اللّوحة IV (تضحك وتظهر علامات التعجّب على وجهها) ٨ 4- وتش الحلّوف. 10"(تقلب اللّوحة وتضعها مع الأخريات)	حلّوف، كلّش وsurtout هنا (D5) وهذو وذنيه (Dsup lat)... ما بيه والو عادي.. surtout اللّون.	G FC' Ad
اللّوحة V ٨ 5- خقّاش (تبتسم). 10" نزيد نجبد؟ (تقصد اللّوحة الموالية)	شكلو ولونو. (G)	G FC' A Ban
اللّوحة VI (تنظر إلى اللّوحة) ٨٧٨ 11" 6- منّا راس باين ، هذا ما علابالیش والله ما علابالي. 18"	راس، راس normalement تاع قط هكداك ولاّ ذيب. (D3)	D F+ Ad
اللّوحة VII ٨ (تتمعّن اللّوحة) 12" 7- هنا كشغل سحاب مبصّح ما علابالیش كيفاش...أوّاه ماشي راس بانلي كشغل سحاب مبصّح ما علابالیش كيفاش (تنظر إليّ)... ما علابالیش والله ما علابالي. 43"	تنظر ثانية إلى اللّوحة... مبصّح الشّكل نتاعو ماهوش نتاع سحاب. (G)	G FE Frag

اللّوحة VIII (تنظر إليّ وأنا لاأزال أكتب فتأخذ اللّوحة بنفسها) ٨ 7" 8- هذا كشغل الرّاس وهذا الجسم نتاعو ووذنيه، هذو وذنيه... هذا وتش تاع قط وهذا الجسم نتاعو. 30"	(D2+D5) هنا ما بانلي والو... آه زوج ذيوبا (D1) ما علاباليش طالعين الجبال ولاّ .... [D Kan A]	D/D F- A
اللّوحة IX ٨ 12" 9- ما علاباليش هذو... (حركة سلبية بالرّأس) ما علاباليش..زوج تعالب 10- كشغل.. هذا.. ماعلاباليش إلا جبل ولاّ... ما يبانش. 49"	وتش قط ، وتش تعلب، قط ... تعلب وهذا (D6) الجسم نتاعو.(G) (D3)	G F- A D F± Pays
اللّوحة X ٨ (تأخذ اللّوحة بين يديها وتتمعنّها) 14" 11- هذو عينيه وهذو شلاغمو 12- راه مديسيني كشغل نار... 13- هذو نواظر... 14- هذا شعر... 15- هذي رتيلة؟... إيه رتيلة هذي لالا؟..(تنظر إليّ وتعيد اللّوحة مبتسمة مشيرة لي برأسها على نهاية الجواب) 1 ' 03"	عينين و شلاغم القط (D2+D4) (D13) (D6) (D9) (Ψ: نتاع من؟) ما علاباليش تاع حيوان بالاك. (D1)	D/D F- Ad D C Elém D F- Obj D F- Ad D F+ A Ban

<u>اختبار الاختيارات:</u>

<u>الاختيار الإيجابي:</u>

I : تمثّل شخصيّة تورّي في روحها..اللّون والشّكل

V : خفّاش يحبّ يرقد غير فالظّلام يتخبّى برك.

الاختيار السّلبي:

II : شخصية ضعيفة غير تبكي...الضّعف puisque راهو يبكي بزّاف دموع حمورا.

III : وتش ضفدع شخصية تحب تبرز مبصّح ما تقدرش.

1-1- التّحليل الكمّي لمعطيات البروتوكول:

le psychogramme البسيكوغرام

	Nbre	%			
R: 15	G 5	40	F: 9 {F+: 4	A: 4	F% : 60
Rép addit: 2	Gbl 1		{F- : 5	Ad: 7	F+% : 44,44
Refus: 0				H : 0	F% él : 80
Tps.Total: 6'38"	D 7	60			F+% él : 50
Tps/réponse : 23"	D/D 2				
Tps. Lat.moyen : 9"					
			kan : 1	Elém : 1	Ad% : 73,33
			kanC : 1	Fragt : 1	H% : 0
			FC' : 2	Pays : 1	
			C: 1	Obj: 1	Ban: 3
			FE: 1		

T.Appr : G D Chocs : 4
T.R.I : 0K/3 C
F.Compl : 2 k/0,5E
RC% : 53,33

2-1- التّحليل الكيفي للبروتوكول:

1-2-1- الخصائص العامّة للبروتوكول:

وجدت المبحوثة صعوبة كبيرة في التّعامل مع اختبار الرّورشاخ الذي يبدو أنّه نشّط هوامات وصراعات مقلقة ومضايقة، هذا ما عكسته نوعيّة الإنتاجية المقدّمة التي تميل على العموم إلى الكف و الرّقابة من النّاحيتين الكمية والنّوعية.

بالفعل، فقد أعطيت الإجابات وعددها 15 (وهو عدد ضئيل مقارنة بالمعدّل المقدّر بين 20 و 23 إجابة في البروتوكول العادي) في ظرف زمني قصير جدّا "6'38 يوحي إلى رغبة قلّة في التخلّص السّريع من تلك الوضعيّة التي ربّما شكّلت ضغطا كبيرا عليها، وما التّعابير اللّفظية الحاملة ربّما لمعاني الحذر من المثير أو عدم المعرفة وغياب التخيّل في شكل نقد للذات أو ربّما إنكار للاحتماء من طفح هوامي:" ماعلابالیش، ماعلابالیش كفاش، واللّه ما علابالي، ما بانليش، مايبانش"، وكذا التّعابير الإيمائية والضّحك الذي كان حركة دفاعيّة سلوكيّة ضدّ تلك الحساسيّة للحزن، للاكتئاب وللقلق التي نشّطتها بعض لوحات الرّورشاخ إلاّ دليل واضح على ذلك.

جاءت معظم الإجابات جزئيّة ارتبطت بمحدّدات شكلية فرضت سيطرتها وأدّت دورها الرّقابي مانعة بروزمحدّدات أخرى تحرّك الصّراعات النّزوية الدّفينة كالإجابات الحركيّة (K) مثلا التي انعدم وجودها عند التّطبيق.

والملفت للنّظر كذلك، هو الغياب الكلّي للإجابات الإنسانية، وهيمنة المحتويات الحيوانية الجزئيّة واتّسامها بالتّكرار(راس، وتش قط ، وتش تعلب).

من بين الخصائص البارزة التي ميّزت بروتوكول المبحوثة، قلّة الأجوبة المبتذلة حيث سجّلنا اثنتان عند التّطبيق وظهرتا في اللّوحتين VوX (الإجابة 15) وواحدة في مرحلة

التّحقيق وكانت في اللّوحة III، وهذا قد يعبّر عن صعوبة التكيّف الواقعي والاهتمام بمحتويات أخرى تسيطر على الحياة النّفسيّة.

على العموم، حتّى وإن اتّسمت الإنتاجيّة بالفقر كمّيا من حيث عدد الأجوبة، قلّة تنوّع المحدّدات والمحتويات وتكرار بعضها وافتقارها للإرصان، تبقى نوعيتها مميّزة تعكس الحالة النّفسية والعالم الدّاخلي المتألّمين لفلّة.

1-2-2- <u>السّياقات المعرفيّة</u>:

لم تتنوّع طرق تناول اللّوحات في هذا البروتوكول ، فعدا الإدراك الشّامل والجزئي الكبيرين لم تلجأ فلّة إلى نوع آخر.

ومثلما توضّح المعطيات الكميّة، تجاوزت نسبة الإجابات الشّاملة حدود المعدّل النّموذجي الذي يتراوح بين(20-30%)، حيث بلغت(G% = 40) في حين، كانت الاستثمارات الجزئية الكبيرة للبقعة في حدود المعدّل"العادي" الذي يتراوح بين(60-68 %) حيث قدّرت نسبتها (D% =60).

ظهرت الأجوبة الشّاملة وعددها 6 في اللّوحات:I، II ،IV ،V ،VII وIX و ارتبطت بمحدّدات شكلية وحركية حيوانية أحادية ومركبّة، بينما اقترنت معظم الإجابات الجزئيّة بمحدّدات شكليّة.

يدلّ التّواجد الكثيف لمثل هذا النّوع من التّناول(G) كما فسّره الباحثون على قدرات الفرد الفعليّة والحقيقيّة على التّشبّث بالواقع ويبرز طابعا تكيّفا اجتماعيّا وميزة دفاعيّة إذا ما ارتبطت هذه الإدراكات بمحدّدات شكليّة إيجابية مشكّلة حاجزا مكلفا نوعا ما لكنّه فعّال أمام انبثاق هوامات صراعيّة أو عاطفيّة ، فهل هذا ما حدث في بروتوكول المبحوثة؟

إذا أخذنا في الحسبان بقيّة العناصر المكوّنة للجواب فإنّنا نجد أنفسنا أمام تفسير آخر، كيف ذلك؟.

كان هناك صراع كبير بين الرّقابة (التحكّم) والإسقاط ،أي بين الجهد الدّفاعي لاحتواء التصوّرات النّزويّة والعدوانيّة كما هو الحال في اللّوحات: III،IV،V،VI،IX وX (الإجابة

الأخيرة) والانزلاق والإذعان للحركات الإسقاطيّة النّزويّة والهواميّة: IX،VIII (الإجابة التّاسعة)، وX (الأجوبة 11،13 و14) هذا من جهة ، من جهة أخرى وكان ذلك واضحا للعيان برز العجز شبه المطلق لإدراك شامل للمواضيع وهذا بالتّجزئة المستمرّة للمادّة.

أمّا عن المحدّدات، فقد ظهرت محاولة التمسّك بالواقع الخارجي الموضوعي جليّة في هذا البروتوكول من خلال اللّجوء إلى المحدّدات الشّكلية التي بلغت نسبتها(F% =66,66) وتوزّعت بين إيجابيّة ، سلبية وغامضة.

بالنّسبة للمحدّدات الشّكليّة الإيجابيّة (F+) ، فقد بلغ عددها أربعا، واحدة منها مبتذلة وتكيّفية (X) والأخرى دفاعية (III،VI،وIX) اقترنت معظمها بمحدّدات حيوانية مجزّئة. ومثلما توضّحه النّسبة المئويّة لهذه المحدّدات (F+% = 45)، فإنّ الرّجوع إلى الواقع والتكيّف معه لم يكن دوما ناجحا وناجعا في التحكّم في المنبّه وفي مواجهته، ولم تستطع الدّفاعات الصّلبة تحاشي الانزلاقات(F?) أمام اللّوحات الثلاث الأخيرة، فاسحة المجال لانبثاقات لاشعوريّة وعودة تصوّرات مكبوتة ارتبطت هي الأخرى بمواضيع مميّزة تكسب رمزية داخلية خاصّة نجليها لاحقا.

1-2-3- الدّيناميكيّة الصّراعيّة والتظاهرات الحسّية:

1-2-3-1- الدّيناميكية الصّراعية:

شكّلت الرّقابة حاجزا منيعا ضدّ بروز الحركات الفكريّة والنّزوية التي غابت تماما في المرحلة الأولى من التّطبيق ولم يكن ظهورها ممكنا إلاّ عند التّحقيق وبصعوبة كبيرة أيضا فجاء الإدراك الحركي الوحيد (K) في اللّوحة III مبتذلا خال من أيّ صراع أو عاطفة ليبيديّة كانت أم عدوانيّة ، إضافة إلى صعوبة التّموقع أمام تقمّصات واضحة:[هنا كشغل عبد]. بينما كان التّعبير عن عواطف وانفعالات ممكنا من خلال محدّدات حركيّة حيوانيّة(kan) كانت بمثابة النّاطق الرّسمي للضّغوطات الهواميّة والنّزويّة المزعجة والمقلقة التي أثارتها اللّوحتان I وII.

سمحت هذه التّسوية الدّفاعيّة،أي الإزاحة ، بمرور حدّ أدنى من المكبوت الذي أظهر صورة ذاتية سلبية و تصوّرات اكتئابيّة كما جاء في تحقيق اللّوحة II [قط شغل محقور، قط عينيه حمورا، كشغل راه يبكي ، حزين ..دموع] ، بعدما باءت جهودها الدّفاعية الهوسية (ضحك قبل وبعد إعطاء الإجابة) بالفشل ولم تستطع إخفاء تلك التصوّرات والعواطف المصاحبة لها طويلا وبشكل كلّي، تماما كما جاء في الاختيار السّلبي لذات اللّوحة أيضا:" شخصية ضعيفة غير تبكي برك".

1-2-3-2- <u>التّظاهرات الحسّية</u>:

لم تمنع الرّقابة المفروضة على الحركات النّزويّة مرور العواطف ولو بشكل طفيف ومراقب أحيانا مثلما يظهر في البروتوكول.

ففي اللّوحات الحمراء مثلا ونقصد بها II و III ، لمسنا انجذاب المبحوثة إلى اللّون الأحمر في اللّوحة الثّانية واستثمارها له في سياق اكتئابي وربّما عدواني اضطهادي كذلك (محقور) بينما لم يكن ذلك ممكنا أبدا في اللّوحة الثّالثة " لحمر هذا ما علابالیش وشنو" واقتصر الأمر على إدراك اللّون دون ربطه بتصوّر أو عاطفة مميّزة وربّما كانت هذه حركة عزل بل وربّما كبت لتجنّب تصوّرات وعواطف قد تضايق المبحوثة فتعجز عن السّيطرة عليها.

أمّا الاستجابة اللّونية الثّانية (C) ، فقد ظهرت في اللّوحة X بين انزلاقات متكرّرة حيث أخذ الصّدى اللّوني معنى أقوى ترجم حركة نزوية قويّة "نار" قد تعبّر إمّا عن الرّغبة أو عن معاش علائقي أو شخصي أليم أو عن تجارب مكدّرة ومكروهة، كما برزت حساسية اللّون الأسود الدّاكن في اللّوحتين IV وV "شكلو أو لونو".

وهكذا وبينما فرضت رقابة صارمة على الحركات الفكرية (K=0) ، إذ يشير غيابها المطلق إلى تجنّب الصّراع والتّفريغ النّفسي (فمثل هذه الحركات ترتبط دوما بإدراكات إنسانية وهي غائبة تماما عن هذا البروتوكول)، كان ظهور العواطف والوجدانات مسموحا وممكنا ،هذا ما جعل نمط الصّدى الدّاخلي T.R.I ينتمي إلى النّوع المنبسط

الصّافي (0K/03C) الذي يكشف عن انفعالية فلّة الكبيرة إزاء الواقع الخارجي، كما توحي نسبة الإجابات في اللّوحات الملوّنة (RC%=53,33) إلى وجود حساسية مرتفعة للمنبّهات الحيوية لكنّها بقيت مراقبة.

1-2-4- <u>المحتويات</u>:

عكست محتويات البروتوكول حقيقة انشغالات المفحوصة التي تمحورت حول إدراكات حيوانيّة مجزّئة طغى وجودها على البقيّة الباقية (Ad% =73,33)، وهو لا يحمل في رأينا طابعا اجتماعيّا توافقيّا، ربّما كان المراد من هذا الوضع الدّفاعي، التستّر على الاهتمامات الإنسانية العميقة المقلقة التي عجزت المفحوصة عن إظهارها والتّعبير عنها في محتوى آخر غير الحيواني.

سمحت هذه الإزاحة بمرور أدنى لعودة المكبوت في شكل إسقاط لمعاش أليم، محزن وربّما عدواني.

لكنّ الملفت للنّظر حقا هو الغياب المطلق للإجابات الإنسانيّة في كلّ البروتوكول وقد جاء الإدراك الإنساني الوحيد في مرحلة التّحقيق مبتذلا ومتكيّفا لكنّه مصحوب بالشّك "كشغل" وغامضا أو مجهول الهويّة "عبد" هذا ما يؤكّد صرامة الدّفاع وتجنّب طفو تصوّرات إنسانيّة وبالتّالي صراعات قد تكون مزعجة ومضايقة للمبحوثة فتزعزع جهازها الدّفاعي كما ذكرنا آنفا، لذلك فضّلت الاحتماء بالعالم الحيواني.

1-3- <u>الإشكالية العامّة للبروتوكول</u>:

لم يكن بمقدور المبحوثة التّعامل مع الاختبار ومواجهة إشكاليّاته لما أثاره من ضيق وقلق كبيرين تصدّت لهما بدفاعات صلبة كالإزاحة،العزل والإنكار والتي قاومت مشاركتها وتورّطها كما حمتها ولو بشكل نسبي من تسرّب عناصر من واقع داخلي يبدو هشّا، مقلقا ومُوجعا (En souffrance)، إضافة إلى دفاعات هوسيّة وظّفتها أمام بعض اللّوحات ومنها

اللّوحة II والتي فعّلت من خلالها دفاعا ضدّ عواطف اكتئابيّة قويّة مثلما عكسته الإنتاجيّة المقدّمة.

بالفعل، سمح لجوء فلّة إلى العالم الحيواني بإبراز المواضيع المزعجة و بإسقاط انفعالات وعواطف بشريّة لم تكن لتظهر بصفة أخرى أو في مكان آخر مثلما ظهر في اللّوحة I وبخاصّة في II ، حيث مكّن تقمّص صورة حيوان أليف وضعيف "قط" المبحوثة من التّعبير عن معاناة ذاتية مصحوبة بعواطف اكتئابية كما يؤكدّه التّحقيق[قط عينيه حمورا كشغل راهو يبكي، حزين، شغل محقور، دموع] والاختيار السّلبي:" شخصيّة ضعيفة غير تبكي برك puisque راهو يبكي بزّاف ، دموع حمورا"، فبهذه الصّفة ودون غيرها، تمكّنت فلّة عاطفيّا من البقاء على اتّصال مع المنبّه.

والملفت للانتباه هوالغياب المطلق للأجوبة الإنسانيّة من جهة وصعوبة إدراكها الكلّي والشّامل لنفس المحتويات التي تكرّرت في بعض اللّوحات رغم اختلاف شكل الصّورة والمحتوى الكامن لها ، أي أنّ معظم الأجوبة المقدّمة كانت حيوانيّة ومجزّأة وأرجعت إلى نفس الحيوانات وهي: "قط ، ذئب وثعلب"،عدا جوابين فقط وهما:"ضفدع" في اللّوحة III و"حلّوف" في اللّوحة IV ،حيث حاولت إنكار مظهره العدواني ومن ثمّ التحكّم في النّزوة العدوانية التي قد تثيرها اللّوحة ، بقولها في التّحقيق :[حلّوف عادي ما بيه والو]، وقد يعكس مثل هذا النّوع من الأجوبة طفح انشغالات نكوصية تفتقد في رأينا لبعد اجتماعي.

فضلا عن تجزئتها للمحتويات الحيوانيّة، لاحظنا تثبيتها على جزء معيّن من الجسم وهو الرّأس وفي أغلب الأحيان الوجه كما تبرزه اللّوحات التّالية:I "وتش تاع تعلب"،II "وتش قط"،III "وتش الضّفدع" IV "وتش الحلّوف"،VIII "وتش تاع قط"،IX "وتش قط ، وتش تعلب"VI "راس تاع قط هكداك ولاّذيب"، قد يتعلّق الأمر هنا بتكرار اضطراري لهوام شخصي، تحاول المبحوثة من خلاله تصريف الانفعالات والتصوّرات الشّخصية المضايقة والمقلقة والتحكّم فيها.

4-1- <u>الفرضيّة التّشخيصيّة حول نوعيّة السّير النّفسي</u>:

لم يكن بمقدور فلّة التّعامل مع لوحات اختبار الرّورشاخ ومواجهة إشكالياتها المتنوّعة لما أثارته من هوامات تبدو مقلقة حسب طبيعة الإنتاجيّة المقدّمة، قاومتها بالرّقابة حينا والتي حمتها من تدفّق عناصر نفسيّة أخرى مُوجعة ومضايقة، وجنّبتها تورّطا قد يكون مكلفا يفقدها توازنها الاقتصادي فتعجز عندئذ عن المواجهة والتحكّم، وبالكف حينا آخر وبخاصّة منه الكفّ السّلوكي على شكل ضحك أما بعض اللّوحات فعّلته ضدّ القلق الذي ولّدته وضدّ تعابير الاكتئاب التي ظهرت في اللّوحة II و أرفقت بعواطف قويّة معاشة، ومع ذلك، بقيت قدراتها على التخرّج منها ضعيفة، ذلك ما عبّرت عنه في اختيارها السّلبي لذات اللّوحة حيث قالت :" شخصيّة ضعيفة غير تبكي ... الضّعف puisque راهو يبكي بزّاف، دموع حمورا".

فضلا عن ذلك، فشلت المبحوثة في التكيّف مع الواقع الخارجي، فشل ترجمه التّمثيل الضّعيف لعوامل التكيّف الاجتماعي(45= F+% ،00 = H% وBan = 02) وكذا نوعيّة الإجابات الحيوانية المقدّمة بشكل جاف يفتقد للتّداعيات ومختصر وتكرارها لبعضها بشكل آلي رغم تنوّع المحتوى الظّاهر للّوحات وإشكالياتها الكامنة ممّا قد يعكس عمل ربط غير منسجم بين البنيات الشّعوريّة و اللاّشعورية.

على ضوء ما تقدّم، يمكن القول بأنّ السّير النّفسي لفلّة هو من النّوع السّيئ.

2- عرض وتحليل اختبار تفهّم الموضوع:

اللّوحة:1

5" حكاية تاعي ولاّ فالصّورة؟(ψ:أتخيّلي حكاية من هاد الصّورة)..شغل راهو يخمّم فحاجة هنايا كيفاش يستعملها..آ يخمّم.. 46" (تضع اللّوحة فوق الطّاولة وتبتسم)

السّياقات الدّفاعيّة:

برزت صعوبة التّعامل مع محتوى اللّوحة منذ الوهلة الأولى وهذا من خلال الصّمت المتكرّر (CP1) وطلب المساعدة (CC2) الذي يوحي إلى رغبة فلّة تجنّب مواجهة المثيرغير أنّها تمكّنت بعد ذلك وفي حمى الرّقابة (A2-3) من التّعبير عن صراع نفسي داخلي (A2-17) لكن عند شخص مجهول(CP3) دون أن يكون في مقدورها بلورته لينتهي المقال بصمت (CP1) واجترار(A2-8) لذلك الصّراع، والقصّة قصيرة (CP2) وسطحية (CP4).

الإشكالية:

تفادت المبحوثة التعرّف على موضوع الرّاشد (الآلة الموسيقية) وتسميته رغم إدراكها له "حاجة"، كما لم تتمكّن من الدّنو منه بسبب قوّة الممنوع.

اللّوحة 2:

11" هذي الأمّ قاعدة زعما.. وهذي البنت رايحة تقرى..(تتأمّل اللّوحة) وهذا راهو يخدم.

40" (تعيد اللّوحة)

السّياقات الدّفاعيّة:

جاءت القصّة قصيرة (CP2) عبارة عن تمسّك بالمحتوى الظّاهري للّوحة (CF1) ولجوء إلى اليومي (CF2) في سياق سطحي (CP4)، كما بقيت عناصر اللّوحة معزولة عن بعضها (A2-15).

الإشكاليّة:

تبدو صعوبة التموضع أمام المواضيع الأوديبية واضحة من خلال عزل عناصر اللّوحة،التمسّك بالمحتوى الظّاهري لها والابتذال وكلّ ذلك تجنّبا لأيّ صراع محتمل.

اللّوحة 3BM:

9" راهو قاعد يبكي هذا ما كان...(تنظر إلى اللّوحة ثمّ تنظر إليّ مبتسمة)....زعما ضربتّو يمّاه. 32" (تعيد اللّوحة)

السّياقات الدّفاعيّة:

تمكّنت فلّة بعد صمت (CP1) من التّعبير عن عواطف معدّلة من قبل المثير(B1-4) نسبت لشخص مجهول (CP3) لكنّها لم تستطع بلورتها فوقعت في صمت طويل (CP1) وجاءت الحركة السّلوكيّة (CC1) للتّخفيف منها (أي من العواطف) ولمقاومة الوضعية الاكتئابية.
كان استئناف القصّة صعبا بعد محاولة إنعاش من قبل الباحثة (CP5) حيث لجأت إلى استدخال عنصر غير موجود في اللّوحة (B1-2) "يمّاه" لتبرّر العاطفة المستحضرة بشيء من التحفّظ (A2-3) وتكشف عن عدوانية العلاقة(E8)، وبسبب الكف لم نلمس أيّ تداع للتصوّرات البارزة اكتئابية كانت أو عدوانية.

الإشكاليّة:

أثيرت الإشكالية الاكتئابية التي تدعو إليها هذه اللّوحة،غير أنّ العواطف المستحضرة لم ترتبط بفقدان الموضوع إنّما بإشكالية عدوانية لم تتم تنميتها.

اللّوحة 4:

8" زوجة مع الزّوج نتاعها..هنا زوج.. زعما كان راح يضّارب..إيه وهذي ما تخلّيهش هذا ما كان. 34" (تضع اللّوحة فوق الطّاولة)

السّياقات المعرفيّة:

بدت الانطلاقة جيّدة بعد صمت ابتدائي (CP1) وذلك بلجوء المبحوثة إلى سياق المرونة وإظهار علاقة غيرية (B2-3) (ربط عنصري اللّوحة بعلاقة زوجية) لكنّها سرعان ما تفشل وتقع ثانية في الصّمت (CP1).

تحاول فلّة الاستئناف مستندة هذه المرّة على الواقع الموضوعي (A2-1) فيظهر فعل عدائي مكبوح (E8 ?)"كان راح يضّارب"، وينكشف صراع علائقي بقيت أسبابه مجهولة (CP4).

الإشكاليّة:

تبعث إشكالية اللّوحة الرّابعة إلى صراع نزوي ضمن علاقة جنسية غيرية بحيث يمكن أن يحمل كلّ أشخاص اللّوحة حركات نزوية مختلفة: عدوانية و/أو ليبيدية.

أمام هذه اللّوحة، نشهد لتفوّق الحركات العدوانية على اللّيبيدية لكنّ الفعل العدواني بقي مكبوحا كما أنّ أسباب الصّراع العلائقي المستحضر بقيت مجهولة وإرصانه مستحيلا.

اللّوحة 5:

هذي الأمّ راهي داخلة للبيت بالاك رايحة تزقي لوليدها. 15" (تعيد اللّوحة)

السّياقات المعرفيّة:

تدخل فلّة مباشرة في القصّة (B2-1) متمسّكة بالمحتوى الظّاهري للّوحة (CF1) وقد ساعد استدخال عنصر غير موجود في الصّورة(B1-2) على ظهور مشهد علائقي بين شخصين (B2-3) الأمّ والابن لكن في سياق مبتذل (CP4) مستبعدة بذلك أيّة مخاطرة صراعيّة والقصّة كما تبدو جدّ متقلّصة (CP2).

الإشكالية:

تجنّبت المبحوثة إشكالية هذه اللّوحة وبالتّالي صورة الأنا الأعلى باللّجوء إلى الواقع واليومي.

اللّوحة 6GF:

22" ما علابالیش إلا كان یضّارب معاها.. كانو یتناقشو. 30"

السّياقات المعرفية:

جاءت القصّة قصيرة جدّا (CP2) ميّزتها انطلاقة صعبة (CP1) تمكّنت المبحوثة بعدها وفي سياق تحكّمي (A2-3) "ما علابالیش إلا كان یضّارب معاها" من إظهار علاقة عدوانية بين شخصين مجهولين (B2-3,E8/CP3) كبحت بلورتها وإرصانها (CP1) وفضّلت إنهاء القصّة في طابع علائقي مبتذل (CP4) للتّخفيف من الضّغط النّزوي ومن حدّة العواطف المثارة.

الإشكالية:

سمحت المرونة ببروز نزوات عدوانية ضمن علاقة غيرية لكنّ الكف ثبّطها ومنع إرصانها

اللّوحة 7GF:

6" هذي زعما الأمّ مع بنتها رافدة بوبية. 19"

السّياقات الدّفاعية:

عجزت المبحوثة أمام هذه اللّوحة عن بناء قصّة، فجاءت متقلّصة (CP2) أظهرت فيها علاقة غيرية (B2-3) مراقبة (A2-3) بقيت دون حلّ وبلورة (CP4) بل إنّ الرّقابة منعت

ظهورأيّ تقارب نزوي بين عنصري اللّوحة(A2-17) واكتفت بالتمسّك بالمحتوى الظاهري للصّورة (CF1).

الإشكالية:

تحاشت المبحوثة التّقارب أم- بنت وبالتّالي الصّراع الأمومي والتصوّرات المزعجة والمضايقة التي قد تنتج عنها مشاعر الذنب فتعجز عن مواجهتها.

اللّوحة 9GF:

8" هذا ما..هذي زعما كانت تخدم في شغل وهذي زعما هاربة ما علابالیش وين رايحة.
"22

السّياقات المعرفية:

تبقى القصّة قصيرة (CP2) وسطحيّة (CP4) تستند على اليومي والفعلي (CF3) في سياق رقابي تحفّظي (A2-3)، وتبقى عناصر اللّوحة مجهولة ومعزولة عن بعضها (CP3- A2-15) ومحاولة إرصان أو تبرير الفعل الجسدي "هاربة" متجنّبة بنقد ذاتي (CN9) أحدث انقطاعا في استمرارية الخطاب.

الإشكالية:

منعت أساليب الكف والرّقابة ظهور أيّ منافسة بين شخصي اللّوحة اللّذين بقيا غير معرّفين وتفادت فلّة الصّراع الذي أثارته اللّوحة.

اللّوحة 10:

(تبتسم) هاي تشطح معاه هذا ما كان. 13" (تضع اللّوحة)

السّياقات الدّفاعية:

بتعبير إيمائي(CC1) أرادت به تخفيف ثقل الصدى الهوامي الذي تبعث إليه اللّوحة استحضرت المبحوثة علاقة غيرية مجهولة(B2-3/CP3) في سياق ليبيدي شبقي(B2-9) لكنّها عجزت عن إرصان هذا التّقارب اللّيبيدي الذي وضع إدراكه حدّا للقصّة (CP2).

الإشكالية:

تمكّنت المبحوثة من إظهار علاقة ليبيدية لكنّها فشلت في إرصانها.

اللّوحة 11:

هذي normal غابة هذا ما كان هذا كشغل شلاّل وهذا كوخ.....ناس عايشين هنا. 37"

السّياقات المعرفية:

كان دخول فلّة مباشرة في القصّة(B2-1) بمحاولة وصف محتويات اللّوحة مع التمسّك بالمحتوى الظّاهر للّوحة(A2-1/CF1) في سياق رقابي تحفّظي (A2-3) لم يدم طويلا فاسحا المجال لظهور إدراك جزيئي نادر(E2) "كوخ"، ليعود الكفّ من جديد (CP1) . وفي محاولة للإنعاش ورفع الكفّ (CP5)، استأنفت المبحوثة القصّة مستعينة بعناصر غير موجودة في اللّوحة(B1-2)، لكنّ الكف حال مجدّدا دون البلورة أو إظهار صراع مرتبط بإشكالية اللّوحة.

القصّة قصيرة جدّا (CP2) وسطحية (CP4).

الإشكالية:

تجنّبت المبحوثة القلق الذي أثارته هذه الصّورة البدائيّة في نفسيتها بلجوئها إلى الوصف والاختزال لمنع أي انزلاق أو طفح هوامي مكلف.

اللّوحة 12BG:

غابة normal تاع شجر وهذا قارب. 12" (تعيد اللّوحة مبتسمة)

السّياقات الدّفاعية:

جاءت القصّة قصيرة جدّا (CP2)عبارة عن تمسّك بالمحتوى الظّاهر للوحة (CF1) في سياق سطحي مبتذل (CP4).

الإشكالية:

لا تختلف هذه اللّوحة عن سابقتها إذ تجنّبت المبحوثة الإشكالية من خلال التمسّك بالمحتوى الظّاهري للصّورة والابتذال.

اللّوحة 13B:

6" هذا لولد قاعد عند الباب راهو وحدو هذا ما كان....(ψ:إم) شغل ما كان حتّى واحد فالدّار غير هو قاعد وحدو.
27"

السّياقات الدّفاعية:

بقيت المبحوثة بعد زمن كمون قصير(CP1) متمسّكة بالمحتوى الظّاهر للوحة(CF1) ومعبّرة عمّا هو مشعور به(CN1) ومظهرة الحاجة إلى السّند(CM1)، وقد منع الكف (CP1) مرور أيّ تصوّرأوعاطفة مرتبطان بالإشكالية المثارة،كما لم يساعد التدخّل(CP5) كثيراعلى مواصلة القصّة وبلورتها ، إذ أبقت على التصوّر السّابق في حركة اجترارية(A2-8).

الإشكالية:

أثارت اللّوحة إشكالية البعد الاكتئابي والهجري للعلاقة أم - طفل ،فقد نشّطت الصّورة قلق الانفصال وفقدان الموضوع الذي عبّرت عنه فلّة من خلال السّياقات النّرجسية وأظهرت الحاجة إلى السّند، لكنّ الكف والرّقابة منعا الإرصان والتخرّج.

اللّوحة 13MF:

6" كشغل هنا قتلها آو يبكي.... 18"(تنظر إليّ مبتسمة ثمّ تضع اللّوحة بسرعة على الطّاولة)

السّياقات الدّفاعية:

بعد زمن كمون(CP1) استحضرت فلّة في سياق رقابي تحفّظي(A2-3) تصوّرات فجّة متعلّقة بالعدوانية والموت (E8-E9) مبقية شخصي اللّوحة مجهولين (CP3) ومحرّرة عواطف قويّة (B2-4) اكتئابية ترجمت الشّعور بالذّنب النّاتج عن الفعل الإجرامي، وقد أدّى ثقل الهوامات إلى تجنّب التورّط في القصّة وعادت المبحوثة إلى الصّمت(CP1) واضعة به حدّا لها (CP2).

الإشكالية:

ارتبط التّحرير النّزوي بتصوّرات فجّة عدوانية وقاتلة نتج عنها شعورقويّ بالذّنب، ويبقى الصّراع دائما يميّز علاقة غيرية مجهولة ودون إمكانية البلورة الإرصان.

اللّوحة 19:

11" نار.. نار... ما... ماعلابالیش كشغل فيضان إدّا معاه كلّش. 44"

السّياقات الدّفاعية:

عبّر زمن الكمون الطّويل نسبيّا والمتكرّر داخل القصّة(CP1) عن القلق الحادّ الذي أثارته إشكالية اللّوحة، فظهرت تصوّرات فجّة ارتبطت بالدّمار والكارثة(E9) حاولت فلّة التحكّم فيها(A2-3) ، وحتّى تحمي نفسها من طفح هوامات تدميرية أخرى، فضّلت اختصار القصّة (CP2).

الإشكالية:

أثارت هذه اللّوحة قلقا كبيرا عند المبحوثة التي استحضرت تصوّرات خوافيّة كثيفة ارتبطت بالكارثة،الدّمار والموت ولم تتمكّن من حماية نفسها من هذه الانزلاقات العنيفة والقويّة إلاّ باللّجوء إلى الكف.

اللّوحة 16:

تنظر إليّ مبتسمة، تتنهّد بعمق ثمّ تنظر إلى اللّوحة وتفكّر:

15" ثلث دراري شغل هنا كاين طريف (تظهر بإصبعها على اللّوحة) يمّاهم بعيدة عليهم أو هوما يحوسو يزڤولها ...مبصّح ما كانش كيفاش هذا ما كان. 47"

السّياقات الدّفاعية:

بعد حركة سلوكية (CC1) وصمت (CP1) وأمام فراغ المثير،أسقطت فلّة انشغالها الحالي ورغبتها بل أمنيتها وأمنية إخوتها أيضا(A2-5) لاسترجاع الموضوع المفقود، وأظهرت الحاجة إلى السّند (CM1) والعجز عن إدراك الأمنية (E9) "مبصح ما كانش كيفاش".

الإشكالية:

عكست الإشكالية انشغال فلّة وأملها في عودة الأمّ الذي يبدو مستحيلا، فربّما لا تملك في الوقت الرّاهن وبالنّظر إلى سنّها، قدرات التحرّر والحداد وقد لاتزال الطريق بعيدة لتحقيق ذلك.

2-1- التّحليل الشّامل للبروتوكول:

2-1-1- المقروئية العامّة للبروتوكول:

إنّ ما نلتمسه من خلال السّياقات الدّفاعية الموظّفة في بناء قصص رائز تفهّم الموضوع عند فلّة هو سيطرة أساليب الكف منذ البداية حيث قدّرت نسبتها الإجمالية بـ (C% =70,62) خاصّة منها الخوافية التي تواجدت بكثرة إذ بلغت نسبتها(CP% =78,21) ، تمثّلت في زمن الكمون الأوّل والتوقفات المتكرّرة داخل القصص التي كشفت عن القلق والضيق أمام المنبّهات (CP1) الميل إلى التّقليص (CP2) الذي ميّز كلّ اللّوحات، عدم التّعريف بالأشخاص (CP3) وهذا دائما بسبب القلق الذي أثاره هؤلاء في نفسيتها ذلك أنّها بمجرّد تعرّضها لمثير ينشّط صراعا ما أو يدعو إلى تقارب ليبيدي، تلجأ إلى عزل عناصر اللّوحة وإبقاءهم مجهولين كما هو الشّأن في اللّوحات: 2، 6GF، 7GF، 9GF ، 13MF إضافة إلى عدم التّعبير عن أسباب الصّراع (CP4) والطّابع المبتذل للقصص.

هذا وزيادة عن حاجتها لسند الواقع الخارجي، أي الارتكاز أكثر على محتوى الصّورة لبناء قصّة (CF)، عبّرت فلّة عن حاجتها للسّند الموضوعي (CM1) كما جاء في اللّوحتين 13B و16 المثيرتين لإشكالية فقدان الموضوع.

ظهر الاستثمار المتزايد للواقع إذا (CF) من خلال التمسّك بالمحتوى الظّاهر للّوحات (CF1) الذي غالبا ما تلجأ إليه المبحوثة لمنع أيّ تسرّب نزوي أو تجنّب أيّ صراع منشّط. وبدرجة أقلّ لكن بدور فعّال جدّا، جاءت سياقات الرّقابة (A% =16,78) وقد برز منها بكثرة سياق التحفّظ الكلامي(A2-3) الذي مكّن المبحوثة من التحكّم في التصوّرات

والعواطف ومنع التورّط وتوكيد التّعبير، ثمّ العزل (A2-15) فالوصف والتّركيز على الجزئيّات(A2-1).

رغم الصّلابة والكف، ظهرت بعض من أساليب المرونة بنسبة قدرها (B% = 07,69) متمثّلة في استدخال عناصر غير موجودة في الصّورة(B1-2)، الدّخول المباشر في القصّة(B2-1) والتّركيز على العلاقات بين الأشخاص(B2-3) لكنّ فعاليتها بقيت ضعيفة إذ لم تسمح للمبحوثة ببلورة القصص وباءت محاولاتها بالفشل.

أمّا عن السّياقات الأوّلية، فكانت مشاركتها ضعيفة جدّا(E% = 4,89) برزت منها تصوّرات كثيفة كشفت عن ميول عدوانية ضمن علاقة غيرية(E8) كما ظهر في اللّوحتين 4 و6GF وأخرى فجّة معبّرة عن الموت(E9) وقد خصّت اللّوحة 13MF،عن كارثة، دمار وموت أيضا وكان ذلك في اللّوحة 19، وهي تصوّرات ارتبطت بأحداث فيضانات عنيفة عاشتها المبحوثة منذ أزيد من عام وعلى إثرها فقدت والدتها، وأخيرا عن العجز، وقد ظهرت في اللّوحة 16 حيث كشفت المبحوثة من خلالها عن فشل عمل حداد الموضوع المفقود ، أي الأمّ.

من أجل ذلك كلّه ، فإنّ مقروئية البروتوكول سلبية.

2-1-2- <u>الإشكالية العامّة للبروتوكول</u>:

أمام وضعية اختبارية تتطلّب من المفحوص القيام بتسوية بين الواقع والخيال- وهو ما يحدث في اختبار تفهّم الموضوع- ، لم يكن بمقدور المبحوثة سوى المراقبة الواعية والارتكاز على المحتوى الظّاهري للّوحات في بناء القصص على حساب النّكوص واللّجوء إلى الهوامات والعمليّات الأوّلية ، تفاديّا لتورّط مكلف قد يخلّ بتوازنها الاقتصادي فتصعب عندئذ مواجهته والتحكّم فيه.

بالفعل، كان الهروب من مواجهة المثير وإشكالياته واضحا جدّا تجلّى في قصر القصص ضعف بناءها ، تنكير بعض الشّخصيات تارة وتحاشي تقاربها ليبيديّا وتعريف بعضها الآخر تارة أخرى وعزله عن بعضه ، ضعف قدرات التخرّج من الصّراع النّفسي وغياب

ترابط بين البنيات الشّعورية واللاّشعورية بفعل توظيف ميكانزمات دفاعيّة شكّلت حاجزا أمام التّعبير البيشخصي (l'expression interpersonnelle) والنّزوي.

إنّها أساليب تجنّب الصّراع والرّقابة التي احتلّت مكانة هامّة في البروتوكول وفرضت سيطرتها منذ البداية، فمنع ثقلها سيولة التصوّرات والعواطف المصاحبة لها وعودة المكبوت إلاّ بشكل طفيف.

هكذا إذا،عجزت فلّة أمام مادّة أثارت قلقا وضيقا في نفسيتها عن توظيف تصوّرات كثيرة لبلورة الصّراعات البيشخصيّة والنّفسية الدّاخلية وإرصانها، رغم تنوّع محتوى اللّوحات (المحتوى الظّاهري) واقتراب القصص في بعض الأحيان من صداها الهوامي(أي اللّوحات) لذلك جاء بعضها مبتذلا، خال من الصّراع والبعض الآخر غامض الأسباب مفتقرا للحلول والتّسويات رغم ظهور بعض الحركات النّفسية المرنة التي كشفت عن طبيعة العلاقات الغيرية وعن عواطف قويّة ، لكنّها لم تكن تملك قيمة فعّالة فالرّقابة كانت دوما بالمرصاد وذلك من خلال التكوين العكسي ، الإنكار والعزل.

ومع هذا كلّه، تسلّلت بعض التصوّرات والعواطف من اللاّشعور لتكشف عن رواسب الماضي البعيد والقريب، عن علاقات غيرية تميّزها العدوانية بشكلها الصّريح كما ظهر في اللّوحة 3BM أو المكبوح وكان ذلك في اللّوحتين 4 و6GF ، وعن تجربة فقدان أليمة أسقطتها في الوحدة ، الحزن والعجز، فقدان سبّبه فيضان قويّ أخذ معه كلّ شيء بما في ذلك والدتها كما ظهر في اللّوحة 19 حيث قالت:"كشغل فيضان إدّا معاه كلّش"، مضيفة في اللّوحة الأخيرة من الاختبار:" يمّاهم بعيدة عليهم أو هوما يحوسو يزڤيولها مبصّح ما كانش كيفاش".

من خلال ما تقدّم ، يبدو أنّ أنا المبحوثة عاجز عن تسيير وظائفه لمواجهة الواقع الخارجي بما يتضمّن من وضعيات وتجارب صعبة كتلك التي تعيشها في الوقت الرّاهن والمذكورة آنفا.

2-2- <u>الفرضيّة التّشخيصيّة حول نوعيّة السّير النّفسي</u>:

تجلّى تجنّب المبحوثة مواجهة مختلف الصّراعات النّفسيّة الدّاخليّة والعلائقيّة التي تثيرها لوحات اختبار تفهّم الموضوع، بل عجزها عن بلورتها والتّعامل معها عن طريق إيجاد حلول لها وتسويات، من خلال ميلها إلى التّقليص الشّديد للقصص وإعطاء بعضها في طابع سطحي وآخر مبتذل، عدم تعريفها لكلّ الشّخصيّات وفشلها في نسج علاقات واضحة فيما بينها، أو تنمية بعض العواطف المستحضرة كالاكتئابية التي لم تظهر إلاّ في اللّوحتين 3BM و13MF لكنّها لم ترتبط بفقدان الموضوع بل بفعل عدواني صريح في الأولى وبإشكاليّة القتل في الثانية.

وإلى جانب الكف في العواطف والتصوّرات، لم تحقّق المبحوثة التّوازن في استعمالها للآليات الدّفاعية ما أعاقها عن تحقيق عمل ربط منسجم بين البنيات الشعورية واللاّشعورية وعليه، تبدو نوعيّة السّير النّفسي لفلّة عبر اختبار تفهّم الموضوع سيّئة.

3- المقابلة العيادية:

3-1- تقديم الحالة:

فلّة ، فتاة في السّابعة عشرة من العمر، بكر ثلاثة إخوة ، اثنان منهم شقيقان أمّا الثالث فهو أخي (أخ غير شقيق).

لم يكن الحظ حليف المبحوثة العام المنصرم لنيل شهادة التّعليم الأساسي بسبب الظروف الصّعبة التي مرّت بها والتّجربة الأليمة التي عاشتها وهي في مقتبل العمر، حيث توفيت والدتها فجأة وبفظاعة في الفيضانات التي اجتاحت منطقة باب الوادي في الحادي عشر من نوفمبر لعام 2001. كان وقع الكارثة كبيرا جدّا على نفسيتها وحياتها الاجتماعية والدراسية التي أخذت مجرى آخر بعد رحيل الأمّ، حيث انغمست في حزن وكآبة شديدين وفقدت لذّة الحياة والاهتمام بما حولها، وهي الآن تشعر بالضّياع وتخشى من غد مجهول قد يكون أسوء.

2-3-عرض وتحليل المقابلة العيادية:

فلّة فتاة جميلة، خجولة وهادئة، غير أنّ هدوءها يخفي معاناة نفسيّة وصراعات كبيرة انفردت في مواجهتها. كانت تبدو حزينة ، بنفس كارهة للدّنيا لكنّ في الوقت ذاته ، تحاول أن تظهر لنا شجاعتها وصبرها على مصابها ولكن...أحسسنا بثقل ما تخفيه وبشدّة ما تعانيه ففسحنا لها المجال للتّعبير بكلّ حريّة والتّفريغ عن نفسها محترمين ومتّبعين في ذلك تسلسل الأسئلة التي وضعناها.

بنبرة حزينة وبطيئة وبصوت خافت، استعرضت معاش طفولتها ومراهقتها الذي ميّزته أحداث أليمة وعنيفة تركت آثارها في نفسيتها إلى يومنا هذا.

عاشت المبحوثة طفولة متذبذبة بين هدوء ، انسجام وودّ تارة ومشاكل وخلافات عائليّة تارة أخرى كان الأب في أغلب الأحيان السّبب فيها نظرا لصعوبة مزاجه ، صرامته وسلوكه المتزمّت تجاه الجميع وبخاصّة الأمّ التي كانت تسعى دوما لتحقيق التّوازن واسترجاع الطّمأنينة في البيت. رغم تلك الظّروف المشحونة والعلاقات المتوتّرة التي تعكّر من حين لآخر الجوّ العائلي، لم تعترض المبحوثة على حدّ قولها أيّة صعوبات دراسيّة ، إذ كانت تتحصّل دوما على نتائج حسنة.

كان قدوم الخالة للعيش مع أختها بداية لمشاكل حقيقيّة أوربّما مأساويّة. كانت تلك الخالة التي وصفتها بالمتسلّطة والقاسيّة سبب الشّجارات التي ما انفكّت تزداد يوما بعد يوم ، فكم من مرّة تسبّبت في اشتباكات كلاميّة عنيفة بين الزّوجين وصلت إلى حدّ التّفرقة بينهما. كانت تشعر بالغيرة الشّديدة تجاه الأمّ وتحاول منافستها في زوجها، فهي عنيفة وعدوانيّة في غيابه هادئة وحنونة في حضوره، تتظاهر بالبراءة وكأنّها هي الضّحيّة، أمّا فلّة التي كانت في الثالثة عشرة من عمرها آنذاك ،فلم تسلم من سلوكها المتسلّط والعدواني تجاهها ولم يكن بمقدورها الدّفاع عن نفسها ومواجهة تلك الوضعيّة الضّاغطة التي ولّدت كراهيّة، حالة لااستقرار نفسي وضعف في التّحصيل الدراسي وكانت النّتيجة الحتميّة رسوبها في امتحانات الثّامنة أساسي.

توقفت المبحوثة عن الكلام متألمة لما حدث وقد احمرّت عيناها فطأطأت رأسها خجلا ثمّ أجهشت بالبكاء.

بتنهّد عميق مزّق الصّمت السّائد وكأنّها تريد استرجاع قواها ، واصلت حديثها مستحضرة مشهدا وصفته بالرّهيب، كان شجارا عنيفا بين الخالة والوالد الذي انهال عليها ضربا فأصابها بجروح خطيرة في الرّأس:" نشفى كي بابا ضرب خالتي، طار الدّم حتّى للحيط وبقى لاصق ، ما ننساش هداك النّهار.. ماولّيتش قاع نرقد فهذيك البلاصا ، نخاف ، الدّم جا فوق الفراش". كان ذلك آخر شجار وضع حدّا لبقاءها في البيت.

وصفت فلّة كلّ تلك الأحداث بالكابوس الفظيع الذي تخلّص منه الجميع:"كوشمار هذاك إلّي كنّا عايشينو، ما نسمحلهاش هذيك.. نكرها ، نكرها"، لكنّ القدر شاء أن تستمرّ أحزان وآلام الأسرة وألاّ تنعم بعودة الاستقرار الذي تاقت إليه ، ففي صباح يوم ممطر غير عادي ، فُقدت الأمّ بفظاعة في فيضانات عنيفة.

استحضرت المبحوثة أحداث وظروف وفاة الأمّ بدقّة كبيرة وبألم وتأثّر عميقين، لم تظنّ أنّ تلك الأمطار الغزيرة ستتحوّل إلى فيضانات مميتة.

ظلّت تنتظر بشغف ولساعات طوال عودة والدتها من العمل لكنّ خروجها هذه المرّة كان دون رجعة، فقد عُثر عليها بإحدى مقابر العاصمة بعد أربعة أيّام من البحث المستمرّ قضّتها فلّة في حزن وكآبة شديدين، تقاوم الأفكار الرّهيبة التي كانت تراودها.

واجهت المبحوثة خبر الوفاة الذي كان بمثابة الصّاعقة بالرّفض والإنكار وما زاد عذابها، هو حرمانها من رؤية أمّها التي شوّهتها الأوحال والمياه:".. ما ورّاوليش وجهها ، شفت غير عينيها، ما كانش كيفاش نامن". توقّفت عن الكلام ولم تستطع أن تتمالك نفسها فأجهشت بالبكاء.

أمام ذلك الموقف الحزين، حاولنا دعمها بالموقف والنّظرة لئلاّ تطغى عليها انفعالاتها ولتشعر بالأمان فيمكن لها مواصلة الحديث.

مرّت المبحوثة بأوقات عصيبة في الأيّام الأولى بعد حدوث الفيضانات لعلّها كانت من أصعب الأوقات وأشدّها ألما عليها، فقد تسبّب خبر وفاة الأمّ المفاجئ والموجع وكذا بعض

المشاهد المرعبة التي حضرتها في ظهور اضطرابات انفعاليّة، حصرية، تكيّفيّة واكتئابيّة متنوّعة أكثرها تواترا كان: تلبّد الذهن بصورة الأمّ الميّتة والمشوّهة، التخوّف من خطر جديد، القلق، الحزن الشّديد المرافق بنوبات بكاء والشّعور بفقدان الأمل في كلّ شيء.

كما تسبّب موت الأمّ الفظيع ورحيلها عن فلّة إلى الأبد في ظهور بعض الأعراض النّفسيّة الصّدميّة بعد أسبوعين من وقوع الفيضانات على شكل انبعاث متواتر للصّور الفظيعة عن الدّمار، الغرقى وبخاصّة عن وجه الأمّ المشوّه رافقته سرعة خفقان القلب وشعور بالضّيق والقلق، صعوبة النّوم ، أحلام مزعجة وكوابيس تظهر الأمّ فيها بوجه كأنّه محروق، حيث قالت لنا:" كنت أنّومها أجّي بحجابها مديفورمية محروقة في وجهها"، فقدان الشّهيّة وتجنّب الخروج إلى الشّارع الذي يذكّرها بالفيضانات والموت بالإضافة إلى سورات غضب كانت تنتابها من حين لآخر.

تزامن هذا الاضطراب والتّذبذب النّفسيين مع زواج الأب بعد أشهر من وفاة الأمّ وقدوم "امرأة غريبة" إلى البيت ممّا زاد الأمور سوءا وتعقيدا ، وهكذا، وجدت فلّة نفسها من جديد في مشاكل وصراعات، في وضعية ضاغطة جديدة شبيهة بتلك التي عاشتها مع خالتها ووجدت نفسها عاجزة للمرّة الثّانية عن المواجهة والتصدّي لها:" تقلّقني مرت بابا بـ Les gestes دياولها ، كنت ندّاوس بزّاف معاها ، قريب 5 أشهر هكداك ،... ملّي جات لدارنا".

فقدت المبحوثة الاهتمام بنشاطاتها اليوميّة التي كانت تمارسها من قبل ولم تعد تكترث لمن حولها، كما أصبحت أكثر عزلة وبعدا عن الآخرين، تتجنّب قدر الإمكان الشّارع وبخاصّة المكان الذي غرقت فيه الوالدة:" كنت نخاف نجوز من هذيك البلاصا ، نتفكّر دايما يمّا كي كانت تسنّى فالـ Bus هي وبابا، هو حبط وهي بقات، نطوّل الطّريق غير باش ما نجوزش منّو.. نتخايل الموتى و كيفاش كانت الدّنيا هداك النّهار".

أمّا عن دراستها ، فلم تؤهّلها علاماتها الضّعيفة لنيل شهادة التّعليم الأساسي إذ لم تكن قادرة على التّركيز و استيعاب الدّروس ومتابعتها.

بعد 15 شهرا من وفاة الأمّ في الفيضانات القويّة، لا تزال فلّة تعاني وتتألّم حسرة على رحيلها عنها، رحيل أفقدها كلّ شيء في الحياة وجعلها تشعر بالوحدة والضّياع :"راحت عليّا يمّا مابقى والو"، بل إنّها تشعر بفقدان ذاتها " فمن خلال فقدان الموضوع ، كما يقول أ. ڤرين نكون بصدد تجربة فقدان أخرى، أليمة وحادّة أكثر إنّها تجربة فقدان الأنا " (A.GREEN, 1989, p.425).

تشعر المبحوثة بقلق شديد بشأن مصيرها في البيت العائلي ومستقبلها وتعاني من أرق في اللّيل وكثرة النّوم في النّهار هروبا من التّفكير الطّويل والاجترارات العقلية المتعبة، كما تشعر بإرهاق جسدي وفكري دائمين ، وهي كثيرة البكاء، سريعة الانفعال الذي يتحوّل إلى عدوانية تعرقل نشاطها اليومي وتزيد من حدّة الصّراعات في البيت ما يجعلها تميل إلى العزلة وتفضّلها على الاختلاط والصّحبة ومشاركة عائلتها حياتها اليومية وأنشطتها، إلى جانب الأحلام المزعجة والكوابيس التي لم تنقطع عنها والتي تستيقظ منها فزعة وقلقة ترتجف أطرافها وتتصبّب عرقا، وبنظرة كلّها ألم وحزن وبنبرة صوت منكسرة قالت:"راني مقلقة، دايما عيّانة ماندير والو فالدّار نقعد غير مع télévision مبصّح مانتفرّجش،عقلي ماهوش فيه نخمّم فكلّش وحتّى فلمسيد نخمّم ،même العام إلّي فات، أو تاني ما نرقدش مليح نتقلّب بزّاف كيما البارح ، بقيت نخمّم فيمّا أو ڤاع واش صرى، في بابا ، خاوتي ، قلبي ولاّ يخبط ولّيت نرعش، نخمّم ففّاع واش جوّزنا، واش دارت فينا خالتي ، نقول نروح نهدرمعاها على الشّي إلّي دارتو فينا... ولاّ les cauchemars ، مازالني منين داك نديرهم أنّوم يمّا محروقة أنّومها أجّي بحجابها مديفورميا وتقول أنا فريدة ، وأنّوم تاني مرت بابا مبصّح يتبدّل وجهها ونولّي نشوف وتش يمّا مبصّح محروق أومديفورمي، غير كيما نمتها جات قعدت مع جارتنا أو تمتم دخلت لدارنا لابسة فولارا حمرا، قاتلي كاش ما تسحقّي، قلتلها والو، قاتلي والو ماتسحقي والو والو.. حكمتني فرحة"، ثمّ بنبرة صوت حزينة جدّا ويائسة قالت :" ساعات أنّوم طريق طويلة ، يمّا بعيدة وانا منّا ".

كما لا تزال المبحوثة تتجنّب كثيرا الشّارع الذي يذكّرها بالحدث العنيف حيث قالت لنا:" كي نخرج ملباب normal ، نهبط لترييولي ، نتخيّل كلّش ، نشوف الحمّام نخافو ، ماتو فيه لعباد بزّاف".

أمّا عن علاقاتها الأسريّة، فلا تزال هي الأخرى مضطربة ومتوتّرة وبشكل خاص مع زوجة الأب التي ترى أنّها لا تتعدّى باستمرار على ذكرى الأمّ باحتلالها بيتها ،غرفة نومها وكلّ ركن من المنزل فحسب، بل تسعى إلى مضايقتها على حدّ قولها:" نخاف ، نهرب ملفيقورة نتاعها ، تحوّس تشارشي وتخلّط فيا ، أنا درك عرفت العقليّة نتاعها، مبصّح نهار نكون مقلقة وعيّانة نردّلها".

أمّا عن أبيها، فلم تجد فيه ما يعوّض عنها حنان الأمّ وسندها، لقد كان دائما متزمّتا ومتسلّطا :" بابا sûr نجبد روحي منّو ، مزيّر بزّاف ، ما نقدرش نداصرو"، لكنّه كما تذكر المبحوثة يتدخّل من حين لآخر ليصلح بينها وبين زوجته فيذكّرها ذلك بالشّجارات العنيفة السّابقة فتشعر وكأنّها حلّت محلّ خالتها أو تقمّصت دورها فتزداد انفعالا وتهيّجا:" بابا منين داك يقولّي سايسيها وانا كي يقولّي هكداك ، نتبدّل في وتشي ، نتخيّل بلّي راني كيما خالتي نحسّ روحي كيما هي".

إضافة إلى كلّ ذلك ، فهي تشعر الآن بذنب كبير تجاه أمّها التي تشتاق إليها كثيرا ويشقّ عليها تقبّل وفاتها ورحيلها عنها إلى الأبد، ذنب ارتبط بسوء معاملتها لها،عنادها ومشاجراتها وصراخها في وجهها:" نخاف لوكان ما تكونش سمحتلي ، ça dépend القلب نتاع الأمّ ، كي نتفكّر واش كنت نديرلها ، نزقّي عليها ، ما نعاونهاش، نندم"، أو ذنب مرتبط ببقائها على قيد الحياة:" لوكان إلاّ ما طلعتش فالـ bus وما خلاّتنيش وحدي"، أو مرتبط بزواج الأب علما بأنّ المبحوثة هي من اختارت له العروس:" لوكان إلاّ حبطت مع بابا ولاّ لوكان إلاّ طلعو في زوج فالـ bus أو ماقعدوش مفرّقين ، كانت مع بابا في ترييولي ، هو حبط وهي قعدت".

وعن دراستها، تذكر المبحوثة أنّ علاماتها لازالت ضعيفة نظرا لصعوبة التّركيز وضعف الانتباه:" ما نقدرش نخمّم ولاّ نركّز، فاشلة déjà من بكري مفرفشة ، أجّي كلمة

على دارنا ننسى كلّش، شحال من خطرة نغيس بزّاف ، نخمّم فيمّا ، فهداك خويا الصّغير نقعد نتخايل قوتشُو لمن يشبّه لوكان جابتو يمّا"، وهذا ما يشعرها بالذنب، فلطالما تمنّت الحصول على الشّهادة وتحقيق أمنية أمّها وما يزيدها عذابا هو تأنيب أبيها كلّما وجدها نائمة أو منشغلة عن دراستها إمّا بمشاهدتها التّلفاز أو استماعها للموسيقى الحزينة أو اللّعب مع أخويها:" بابا كان دايما يقولّي العام إلّي فات يمّاك ، يمّاك كانت حابّة أجّيبي B.E.F ، نبقى أنا نخمّم لوكان راهي عايشة معايا ، نجيب B.E.F..أنا راني مْسُوريا نجيبو..راني خير".

لكنّ حالتها النّفسيّة الحاليّة تظهر أنّها غير قادرة على ذلك:"منين داك نقول نحبّس لقراية نقطع قاع لحبل نتاع لقراية "، وهذا ما بدا لنا فعلا من ملامحها ونبرة صوتها الضّعيفة ففقدانها لأمّها ومعايشتها لأحداث مؤلمة جعلها تشعر بألاّ مستقبل لها وتفقد الأمل في كلّ شيء.

3-3- خلاصة المقابلة العياديّة:

فقدت فلّة ذات 17 ربيعا أمّها بفظاعة في الفيضانات المباغتة والعنيفة التي ضربت منطقة سكناها في العاشر من نوفمبر لعام 2001، وقد واجهت خبر الموت الحقيقي والانفصال الواقعي عنها باعتبارها موضوع مستثمر ونموذج تقمّصي كذلك بالإنكار والرفض.

انعكست أحداث ذلك اليوم المرعب والسّيئ وذكريات الوفاة الفظيعة التي لازمت المبحوثة فترة طويلة تعدّت السّنة كما ذكرت، على صحّتها الجسميّة والنّفسية وعلى حياتها الاجتماعية والدّراسية، وفي وجودها في محيط عائلي مضطرب وضاغط يفتقر للتّواصل ومع غريمة أخرى(زوجة الأب)، وفي غياب تكفّل نفسي عائلي وسند أبوي قويّ، لم يكن بمقدورها استرجاع توازنها النّفسي المشوّش والتّخلّص من جملة الأعراض النّفسيّة الصّدميّة التي كانت تعاني منها وبخاصّة منها الاجترار العقلي لظروف الوفاة والأحلام المزعجة، ما جعلها مثبّتة على الصّدمة، تثبيت ترجمه وجود الأعراض النّفسيّة الصّدميّة التي تندرج ضمن اللاّئحة العياديّة للتّناذر النّفسي الصّدمي وهي كما يلي:

- اجتياح ذكريات الفيضانات وموت الأمّ فكر فلّة على شكل صور وأفكار وتكرارها مثيرة إحساسا بالضّيق والقلق.
- الاستثارة الفسيولوجية عند التّفكير في الحدث الصّدمي ، إذ غالبا ما توجد لدى فلّة زيادة في التعرّق، ضيق في الحنجرة وسرعة في خفقان القلب والفزع لأدنى صوت.
- صعوبة النّوم أو استيقاظ قلق أثناء اللّيل.
- الأحلام المتكرّرة والكوابيس المزعجة حول وفاة الأمّ حيث تظهر هذه الأخيرة دائما بوجه مشوّه ومحروق، أي بمظهر آخر مغاير للواقع ولكلّ ما كان مألوفا للحياة النّفسية ومعروفا لديها، وهذا ما يذكّرنا بأحد أشهر مقالات فرويد (1933) التي حاول من خلالها شرح وتطبيق مبادئه التّحليلية ألا وهو" الغرابة المقلقة " (L'inquiétante étrangeté).

عرّف سجموند فرويد الغرابة المقلقة على أنّها " ذلك الشّيء المفزع ، المرعب الذي يرتبط بأشياء معروفة منذ زمن بعيد وبكلّ ما هو مألوف ، ويثير القلق" (S.FREUD, 1933, p.165) ، ومن بين الحالات التي تثير هذا الإحساس ، ذكر فرويد بعض الوضعيات التّكرارية غير الإرادية،الموت وكلّ ما يرتبط بالجثث وبعودة الموتى أو بأشباحهم ، إذ تحوّل هذه العوامل أو الحالات ما لم يكن مقلقا إلى غرابة مقلقة ، وهكذا الأمر بالنّسبة إلى فلّة ، حيث تحوّل وجه الأمّ المألوف دائما وبفعل سياق الكبت إلى شيء مقلق بغرابة.

- الجهود المبذولة لتجنّب الأفكار أوالأحاسيس أو حتّى الحديث عن الحدث لكنّها تفشل في كثير من الأحيان، كما أنّها تتجنّب بعض الأماكن وبخاصّة تلك التي غرقت فيها الأمّ .
- تقلّص الاهتمامات والنّشاطات وتجلّى ذلك في عزلتها ، انفصالها عن الآخرين وغربتها عنهم:"كي ندخل لدارنا، نحسّ بلّي راني داخلة لدار وأخرى"، والإحساس بمستقبل مسدود.
- صعوبة التّركيز وانخفاض المردود.
- وأخيرا، التهيّجية وسرعة الغضب الذي يتحوّل إلى عدوانية.

4- خلاصة الحالة:

إذا كانت المبحوثة قد قاومت إلى حدّ ما انبثاق تصوّرات وعواطف مزعجة أمام اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع ، فإنّ الأمر اختلف في المقابلة العيادية التي استحضرت فيها أحداثا حياتية مختلفة كانت صعبة عليها وقاسية عايشتها دون أيّ دعم نفسي واجتماعي.

يبدو أنّ تراكم تلك الظروف القاسية عليها والاستثارات الكثيرة والقويّة في ظرف زمني قصير قد أرهقها وأفسد دفاعاتها التي تبدو ضعيفة (رفض ،إنكار، تجنّب)، وربّما شوّش نفسيتها وفكرها وجعلها مثبّتة على الفيضانات التي أودت بحياة أمّها ومُنكرة لوفاتها ورحيلها عنها إلى الأبد ، وجعلها راكدة في حاضر مغمور بأعراض نفسية صدمية كما استعرضناها سابقا، فلا تزال المبحوثة حبيسة اجترارات عقلية مقلقة ومضايقة وذات صبغة اكتئابية وكلّها تدور حول مشاهد الشّجار والعدوانية بين الأمّ والخالة، بينها وبين الخالة أو بينها وبين زوجة أبيها، وقد لمسنا هذه العدوانية في العلاقات في بعض من قصص اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T).

يضاف إلى ذلك، الكوابيس المتواترة المزعجة التي يتكرّر فيها مشهد وجه الأم المشوّه والمحترق، وهذا ما قد يفسّر تثبيتها على إدراك جزئي "الوجه" في الرّورشاخ وتكراره على طول البروتوكول إلى غاية اللّوحة X حيث ظهرت تفاصيل دقيقة منه كالعينين والشّعر ارتبطت بحركة نزوية قويّة " نار" وهي ذاتها التي تكرّرت في اللّوحة 19 من رائز تفهم الموضوع وارتبطت بتصوّرات تدميرية ، بالكارثة والموت حيث قالت:" نار، نار كشغل فيضان إدّا معاه كلّش". للتّذكير، فإنّ المبحوثة لم تر إلاّ عيني الأمّ وجزءا من وجهها المشوّه بالأوحال، هذا الوجه الذي يظهر لها دائما في الحلم محروقا.

ممّا سبق، تبدو صعوبة دمج أو إرصان التّجربة الأليمة وعدم فعالية الآليات الدّفاعية أو ضعفها مثلما ظهر في التّحليل الكمّي والكيفي لبروتوكولي الرّورشاخ واختبار تفهّم الموضوع ، كما يبدو أنّ تلك الأحلام المتكرّرة والمتواترة لا تملك في الوقت الحالي وظيفة تفريغية مخفّفة لحدّة التوتّرات وللضّغط النّفسي الدّاخلي، وهذا ما يفسّر ربّما فشلها في حداد الموضوع المفقود وحداد الكارثة الطبيعية، حيث قالت باكية متألّمة:" ما نقدرش

ننسى ، وما نقدرش ما نخمّمش فيمّا ، نقول راحت وخلاّتني فهاد لعمر إلّي نسحقها فيه ، راحت وخلاّتني مع الغول نتاع بابا ".

*** <u>ياسمين ، 20 سنة ، مصدومة وذات نوعية سير نفسي "متوسّطة"</u>:**

تبلغ ياسمين 20 سنة وتحتلّ الرّتبة الثانية من بين أربعة إخوة، تعرّضت لخطر الموت غرقا وفقدت صديقتها الحميمة على مرأى منها، و تترشّح ثانية لنيل شهادة البكالوريا.

1- <u>عرض وتحليل بروتوكول الرّورشاخ</u>:

النّص	التّحقيق	التّنقيط
اللّوحة I ٨ "18 1- un papillon... (تزغد رأسها)... 2- زوج حاجات متلاصقين هذا ما كان. "52	(G) هذو جناحين (D7) . Malgré الألوان شغل غامقة يبينلي الموت فاللّون لكحل، اللّون لكحل لون الشّؤم ولاّ ما علابالش كاين فتحات بيض فيهم الصّفا (Ddbl 26) مبصّح كشغل مطّابقين (D4).	G F+ A Ban Ddbl/G C' Abst
اللّوحة II ٨ "21 لحمر، لكحل، لبيض les couleurs هذو شغل مغمومين جابلي ربّي شغل حزن كاش عفسة 3- شغل دم... 4- شغل كحل منّا فالوسط لبيض شغل الصّفا هذا ما كان. "06 '1	(D2) و(D3) دم هذا لكحل (D6) وهذا الصفا صراع بين الخير والشّر و toujours الخير ينتصر.	تسمية ألوان صدمة D/D C Sang D/Dbl C' Abst
اللّوحة III		

٨ "14 5- يبانولي هنا زوج شغل متقابلين كاينة رابطة مبيناتهم راهم يشدّو في حاجة، شادّين في حاجة كيف كيف شغل مترابطين كاينة حاجة تربط مبيناتهم... هذا ما كان. '1 18"	زوج عباد (G)	G K H Ban
اللّوحة IV ٨ "19 6- تبانلي حاجة شغل سحاب شغل دخّان ولّي منّا كاين منّا شغل متناظرين ، شغل يبان جاتني عفسة تقوشي تاع الشّر. '1 16"	هاد اللّون لكحل مخلّط بـ gris شغل الشّكل تاع قلعة ولاّ (D1). [D F+ Archi] فهاد السّحاب كاين نقطات بيض السّلام سحاب ودخان (G) السّحاب كي يكون الحال ماشي مليح ، مغيمة الحال ماشي مليح والدّخان طالع ملتحت كيف كيف كي تكون قنبلة ولاّ.	G E Kob Frag ملاحظة تناظر
اللّوحة V ٨ "21 7- شغل حاجة شخص راهو ينقسم يتفكّك شغل إنسان حاجة راهي تنهار الانهيار... '1 14"	في البداية يبانولي نص منّا ونص منّا مبصّح كي شفت مليح راهو شخص واحد يدمّر ينهار. (G)	G K H
اللّوحة VI ٨ "28 ما بانتلي والو هذي ، كحل ، بيض كشغل غمق.... 8- بانتلي هذي شمس طلعت 9- وهنا ظلام .... مغمومة. '1	نص تاع شمس ، أشعّة شمس اللّون أصفر malgré اللّون كحل مبصّح أنا راني نتخايل فيها باللّون نتاع الشّمس (D3) . الظلام (D1+ ½ D5) .	D CF Frag D C' Abst
اللّوحة VII		

٨ "11 10- بانولي زوج مترابطين بانلي هنا شغل قلب كاين رابطة حب ما بينتهم كاين هنا شغل ....شغل كاين لون كحل كره ولاّ كاش حاجة ، مع هذا الحب كاين كره ما علابالیش أنایا حاجة حبّت تفرّق ما بيناتهم . 1' 55"	قلب هنا بانلي شغل نصف من الشخص ومنّا قلب كيف كيف (D6) ... قلب ورابطة حبّ.	D/D FC' H/Abst
اللّوحة VIII ٨ "13 11- يبانولي هنايا زوج رجال شادّين فهاد الشجرة هذيا لخضر، فالحياة شغل شادّين فالحياة. 12- هاد لحمر يبانلي حبّ الحياة والتمسّك بها. 1' 45"	هذا شخص وهذا شخص (D1) شجرة (D8). (D2)	D/G F- H/Abst D C Abst
اللّوحة IX ٨ "11 ألوان شابّين،حمر، خضر، تشيني تصاعد فالألوان..... 13- شغل الخير، حبّ الخير الصفا ملفوق مع لزرق كاين فتحة فلفوق بالاك الانفراج، وقت مليح. 1' 53"	هاد الصّورة ڤاع (G) وهنايا (Dbl8) شغل صفا راهو جاي فهاد اللّون الأبيض. وردة (D12) وهاد الوسط ديالها (Dbl 8). [D/Dbl FC Bot]	Gbl CC' Abst
اللّوحة X ٨ "22 14-السّعادة، الخير، لصفر الغيرة، الصفا مع ألحّر لكحل الشّر... ڤاع مترابطين كلّش مترابط متمسّكين مع بعضاهم. 1 ' 43"	مترابطين ڤاع les couleurs متماسكين متفرقين شويّة مبصّح هكّاك متماسكين، مع ألحّر كاين لون كحل لون ... (G). وردة مقلوبة؟ .. وردة وهادا لعرف ديالها (D11).. هدي وردة منّا وهادي منّا (D9) [D F+ Bot] نقلبو.. ٧ هنا قلب بانلي دوكا (D6)	G CC ' Abst

	[D F- Anat]، حشيش منّا (D13) [D FC Bot]، الما (D1) [D F+ Elém] هكذا ٨ تبانلي مقلوبة .	

اختبار الاختيارات:

الاختيار الإيجابي:

VII : على جال تبيّنلي رابطة تاع الحب بين شخصين والتمسّك malgré اللّون أكحل يبيّن الحقد،malgré المشاكل، مترابطين، malgré كحل والقلب يبان صفا منّا، شغل يحيط الصّفاء.

VIII : شغل التمسّك بالحياة ، les couleurs ملاح ، الحياة.

الاختيار السّلبي:

IV : هاذي الدّمار، القتل ، الموت ، الشّر، العنف ، التسلّط.

V : وهذي تبيّن الموت ، الحزن.

1- التّحليل الكمّي للبروتوكول:

البسيكوغرام le psychogramme

Nbre %

R : 14	G	5	57	F : 2 {F+ :1	A : 1	F% : 14,28
Rép Addit: 6	Gbl	1		{F- : 1	H: 4	F+% :50
Refus : 0	D/G	1				F% él : 28
Tps.Total: 14'03"	Ddbl/G	1				F+% él : 75
Tps/réponse : 23"					Fragt : 1	
Tps. Lat.moyen : 9"					Sang : 1	
	D	3	43	K: 2	Abst: 7	A% : 7,14
	D/D	2		E kob: 1	Obscur: 1	H% : 28,57
	D/Dbl	1		FC':1		Ban: 2
				CF : 1		
				C: 3		
				C': 5		
				E: 0,5		

T.Appr: G D	Chocs: 2
T.R.I : 2K/13,5 C	Rem.Sym : 1
F.Compl : 1 k/1E	Rem.C : 2
RC% : 28,6	

2-1- التّحليل الكيفي للبروتوكول :

1-2-1- الخصائص العامّة للبروتوكول:

يلاحظ القارئ المتأمّل لبروتوكول ياسمين تناولا مميّزا لمنبّه الرّورشاخ، ظهر في نوعية الإجابات المقدّمة رغم قلّة عددها (R=14) ، وارتباط بعضها بصدى هوامي قويّ ساهمت بعض اللّوحات في تنشيطه.

وما يلفت النّظر أيضا، هو تأثّر المبحوثة بخصائص المنبّه اللونية وذلك منذ اللوحة الأولى وانجذابها إليها، ممّا سمح بظهور تصوّرات كثيفة ارتبطت بإشكاليات مختلفة، كالدّمار العدوانية والموت، وحركات نزوية قويّة في سياق انشطاري كشفت عن عالمها الدّاخلي الذي تطبعه المعاناة كما يبدو أو ربّما الاكتئاب ، وعن علاقتها بالعالم الخارجي أيضا.

2-2-1- السّياقات المعرفية:

أظهرت معطيات البروتوكول تناولا متنوّعا للواقع شمل إدراكات كليّة بسيطة (اللّوحات I III ،IV ، V وX) وأخرى مركّبة (اللّوحات I (الجواب الثاني) ، VIII وIX) اكتسى بعضها طابع الإرصان، وأخرى جزئية كبيرة ، جاء بعضها أحاديّا (اللّوحتان VI و VIII) والبعض الآخر ثنائي التّركيب (اللّوحتان II وVII) شمل فراغات معيّنة من اللّوحات.

رغم تنوّع التّناول، بقي الطّابع الشّامل للأجوبة هو المسيطر حيث بلغت نسبته (G% = 57) متجاوزا بذلك بكثير حدود المعدّل الذي يتراوح بين(20 و23%) في البروتوكول العادي، بينما بقيت نسبة الطّابع الجزئي (D% = 43) منخفضة جدّا عن معدّلها المحدّد بين (60 و86%).

ارتبطت الأجوبة الشّاملة بمحدّدات مختلفة غلب عليها الطّابع الحسّي ، وهذا ما يفسّر النّسبة الضّعيفة جدّا للإجابات الشّكلية (F% = 14,28) والشّكلية الإيجابية (F+% = 50) ، وفي ذلك دليل على فشل التحكّم أمام الحركات النّزوية القويّة وبالتّالي صعوبة الاحتواء الفكري للمنبّهات والتكيّف مع الواقع.

كما سمحت التّركيبية منها بارتباطها ببعض المحدّدات اللّونية والحركية بشكل خاص بإظهار تصوّرات قويّة منشطرة ارتبطت بها رمزية مميّزة ، وبقيت معزولة عن أيّة عاطفة تفاديا للخطر.

والأمر ذاته بالنّسبة للأجوبة الجزئية الكبيرة(D) التي بارتباطها ببعض المحدّدات النّزوية القويّة (CF,C,C') وبمحدّد شكلي سلبي (F-) ، شكّلت مجالا للتّعبير الإسقاطي عن تصوّرات فقدت صبغتها التكيّفية.

قد يكشف انجذاب المبحوثة إلى الفراغات البيضاء(Dbl/Ddbl) لبعض اللّوحات عن شخصية محرومة(Personnalité carencée)، ويظهر هذا الانجذاب بشكل خاص عند الشّخصيات النّرجسية كما قد يكشف كذلك عن بعد اكتئابي.

1-2-3- الدّيناميكية الصّراعية والتّظاهرات الحسّية:

1-2-3-1- الدّيناميكية الصّراعية:

فرضت رقابة نسبية على حركة النّزوات العدوانية واللّيبيدية التي جاء تواجدها ضعيفا نسبيّا بالمقارنة مع الاستثمار الحسّي المفرط للمنبّه(T.R.I = 2K/13,5C) ، لكن رغم ذلك سمحت تلك الحركات بإسقاط انشغالات المبحوثة ومعاناتها الدّاخلية التي ربّما اتّخذت طابعا حصريّا اكتئابيّا.

جاءت الحركة الأولى التي ظهرت في اللّوحة III متكيّفة ومبتذلة، كشفت عن محاولة إرصان علائقي:" كاينة رابطة ما بيناتهم، راهم يشدّو في حاجة كيفكيف، شغل مترابطين كاينة حاجة تربط ما بيناتهم" ، لكنّ التقمّصات بقيت غامضة.

أمّا الحركة الثانية ، فظهرت في اللّوحة V المثيرة عادة لإدراك مبتذل، وكشفت عن صورة ذات مصابة ومفكّكة وعن هشاشة نرجسية:" شخص واحد يدمّر، ينهار الانهيار"، وهي ذات اللّوحة المكروهة عند المبحوثة والتي تمثّل بالنّسبة لها "الموت" و"الحزن"، أي ربّما موت الذات، حيث تعرّضت هي بذاتها لخطر الموت غرقا وكادت فعلا أن تفقد حياتها، وأمّا الحزن فربّما يكون بسبب فقدانها لصديقتها الحميمة في الفيضانات.

إلى جانب الحركات الإنسانية، ظهرت حركة موضوع (kob) في اللّوحة IV ارتبطت بمحدّد تضليلي وسمحت بالتّعبير عن تصوّرات كثيفة مقلقة ومزعجة ارتبطت بالعنف والدّمار.

1-2-3-2- التّظاهرات الحسّية:

كان القطب الحسّي أكثر تمثيلا من الحركي وقد عكس حساسية انفعالية كبيرة ومميّزة للواقع الخارجي وكشف عن غنى العالم الدّاخلي، وهذا ما يوضّحه نمط الصّدى الدّاخلي المنبسط المزدوج (T.R.I = 2K/13,5C).

ومن الملفت للانتباه أيضا، هو انجذاب المبحوثة للفراغات البيضاء وللألوان وبشكل خاص لتباين (contraste) اللّونين الأسود والأبيض، وربّما كشف ذلك عن بعد اكتئابي

تحاول ياسمين إرصانه. وهذه بعض الأمثلة عن الأجوبة التي تظهر ذلك : I " اللّون كحل ، لون الشّؤم كاين فتحات بيض فيهم الصفا"، II " شغل كحل منّا و فالوسط لبيض شغل الصفا صراع بين الخير والشّر، وtoujours الخير ينتصر"، IV " سحاب ودخان، فهاد السّحاب كاين نقطات بيض"، VI " كحل ، بيض ، كشغل غمق ، شمس وظلام "، X " الصفا مع ألخّر لكحل الشّر".

سمحت تلك الحساسية اللّونية بظهور تصوّرات كثيفة وفجّة ارتبطت بالكره، بالعنف وبالموت وجاءت في سياق انشطاري ، لكنّ البعد الاكتئابي الذي تتضمّنه تلك الأجوبة لا يبدو مسيطرا تماما على السّاحة النّفسية بما أنّ المبحوثة لجأت في اللّوحات الأخيرة من الاختبار إلى دفاعات مضادّة كنمط تعبيري لسيطرة حركات الحياة ، حيث قالت في اللّوحة VIII :" زوج رجال شادّين فهاد الشجرة، هذيا لخضر، فالحياة، شغل شادّين فالحياة، لحمر حبّ الحياة والتمسّك بها"، وأمّا في اللّوحتين IX و X فقالت:" شغل الخير، الصفا ملفوق كاين فتحة بالاك الانفراج ، وقت مليح ، شغل صفا راهو جاي فهاد اللّون الأبيض".

أمّا بخصوص اللّوحتين الحمراوين ، فنشهد تركيز المبحوثة على الجزأين الأحمرين للّوحة II والذي يكشف عن مواجهة للحركات النّزوية المنشّطة من جديد التي أثارت إحساسا بالخطر وبالاضطراب:" دم، صراع بين الخير والشّر"، الأمر الذي جعلها تتجنّب أجزاء اللّوحة III .

ربّما كان الإفراط في الأجوبة الحسّية إشارة إلى وجود حواجز هشّة بين الدّاخل والخارج أو إلى اضطراب نظام صاد- الإثارات.

1-2-4- <u>المحتويات</u>:

طغت الأجوبة التّجريدية (Abstr = 7) على باقي الأجوبة التي تنوّعت بين إنسانية ، حيوانية وأخرى ارتبطت بالدم وبالشّظايا.

عكست تلك الأجوبة التّجريدية انشغالات المبحوثة الدّاخلية التي اكتست طابعا حصريّا اكتئابيّا وجاءت في صيغة انشطارية أو تعارضية كما توضّحه الأمثلة التّالية: الشّؤم والصفا الخير والشّر ، الحبّ والكره ، الغيرة ، الصفا والظلام.

جاءت تلك الأجوبة لإخماد النّزوات والصّراعات التي تمكّنت من استحضار بعض منها بفضل بعض الحركات الفكرية ، وربّما لإفقار الدّيناميكية الدّاخلية للمبحوثة.

3-1- <u>الإشكالية العامّة للبروتوكول</u>:

بعد التّحليل المفصّل لإنتاجية المبحوثة، تراءت لنا عناصر أساسية كشفت عن كيفية استجابتها ومواجهتها لتحريضات المنبّه وعكست ديناميكية سيرها النّفسي.

تتمثّل هذه العناصر الهامّة في:

- الحساسية النّوعية والمميّزة للألوان بصفة عامّة ولتباين اللّونين الأبيض والأسود بشكل خاص، والتي كشفت عن بعد اكتئابي حاولت المبحوثة مقاومته لئلاّ يطغى بشكل تام على السّاحة النّفسية، وهذا ما قد يفسّر انهيار بعض عوامل التكيّف الاجتماعي (F+% = 50 , Ban = 2, A% = 7,14).
- وجود حياة نفسية فعلية (Une vie psychique effective) من خلال التنوّع النّسبي في أنماط تناول المادّة، وكذا بعض الأجوبة الحركية التي كشفت عن تصوّرات كثيفة مزعجة ومكدّرة ارتبطت بالدّمار، بالعنف وبالموت،إلى جانب بعض الأجوبة الإضافية المقدّمة ونوعية محتوياتها وهي عبارة عن حركات نفسية حيوية لإبقاء الحياة .
- اللّجوء المتكرّر إلى التّجريد كحركة دفاعية لإخماد النّزوات وفصل الفكر عن منابع طاقته الحيوية والدّاخلية، ولإفشال تمثيل الصّراعات والعواطف على مستوى التصوّرات، وقد جاءت الأجوبة التّجريدية الكثيرة في صيغة انشطارية بين مواضيع جيّدة مثل: الخير، الصفا الشّمس،الحبّ ،الحياة والسّعادة ، وبين مواضيع سيّئة مقلقة مثل:الشّر، الظلام،الكره ، الموت والشّؤم.
- الانتقال الواضح من حالات حصر، عنف ، تدمير واكتئاب ارتبطت بالمنبّه وبألوانه بشكل خاصّ مثلما عكسته لنا أجوبة اللّوحات I ، II، IV ، V وVI ، ولو أنّها لجأت في

هذه اللّوحة الأخيرة بعد وقت زمني طويل نسبيّا وتعليق يميل إلى رفضها إلى حركة دفاعية مضادّة للاكتئاب على شكل رفض كما جاء في قولها:" أشعّة شمس، اللّون أصفر malgré اللّون كحل، مبصّح أنا راني نتخايل فيها باللّون نتاع الشّمس"، إلى حساسية الألوان الباستيل وهذا ما يكشف عن تنظيم دفاعي ضدّ تصوّرات ضمنية خطيرة يستثمر الألوان تفاديا لعنف الأثر النّزوي الدّاخلي.

على العموم، حتّى وإن بدا التكيّف مع الواقع الخارجي ضعيفا كما أظهرته لنا العناصر السّابقة، فقد يكشف ذلك التّوظيف الدّفاعي عن سير نفسي مقاوم من أجل البقاء.

4-1- الفرضيّة التّشخيصية حول نوعيّة السّير النّفسي:

رغم قلّة الإنتاجية من النّاحية الكميّة حيث لم تقدّم ياسمين سوى 14 إجابة فقط، وهو عدد ضئيل مقارنة بالمعدّل المقدّر بين20 و30 إجابة في البروتوكول "العادي"، وكذا ظهور بعض مظاهر الكفّ والمقاومة تجلّت في أزمنة كمون طويلة نسبيّا، توقّفات متكرّرة أثناء إعطاء الإجابات، تحفّظات كلامية كثيرة أمنت بها التورّط في تأكيد مباشر قد يكون خطرا بالنّسبة لها، واختلال التّوازن بين عوامل التكيّف الاجتماعي الذي قد يكشف عن تكيّف غير ناجح مع الواقع الخارجي، إلاّ أنّ المبحوثة لم ترفض أيّ لوحة من لوحات الاختبار وكان تناولها للواقع متنوّعا، كما ارتبطت بعض أجوبتها بصدى هوامي قويّ ساهمت بعض اللّوحات في تنشيطه وكشفت عن هشاشة نرجسيّة وبعد اكتئابي وصراع نفسي داخلي حاولت إرصانه كما في قولها في اللّوحة II حيث قالت:" هذا لكحل وهذا الصفا، صراع بين الخير والشّر و toujours الخير ينتصر"، كما كشفت عن حركات نفسية مقاومة من أجل البقاء وذلك ما عكسته نوعيّة الأجوبة التي قدّمتها أمام اللّوحات الباستل وكذا الإضافية دعّمهما اختيارها الإيجابي للّوحتين VII وVIII.

ممّا تقدّم، نفترض أنّ لياسمين سير نفسي ذي نوعيّة متوسّطة.

2- عرض وتحليل اختبار تفهّم الموضوع:

اللّوحة:1

5" كيفاه نتخيّل حكاية؟ ما فهمتش..(ψ: أتخيلي حكاية من هاذي التّصويرة)... ما عندي حتّى حكاية (تبتسم)...(تنظر إلى الصّورة ، تفكّر)... هذا ما كان ما عنديش...(تنظر ثانية).. واحد راهو يقرى جابلي ربّي..آلة موسيقية لالا؟ (تنظر إلي منتظرة إجابة) (ψ: شوفي إنت).. جابلي ربّي آلة موسيقية.. راهو يشوف آلة موسيقية يحبّ الموسيقى mais ما قدرش يلحقلها بالاك غالية هذي الآلة بالاك يحب guitare بالاك راهو يتخايل لو كان جات عندو هاد الآلة tellement تمنّاها.. هذا ما كان (بصوت خافت جدّا). 3'

السّياقات الدّفاعيّة:

بصعوبة بالغة ترجمها الصّمت المتكرّر(CP1)، السّلوك (CC1) ، النّقد الذاتي الذي يميل إلى رفض اللّوحة(CP5? CN9)، والذي كشف عن انزعاج وتضايق المبحوثة أمام اللّوحة ومحاولة التّخلّص منها، تمكّنت أخيرا من إعطاء قصّة قصيرة (CP2) مفضّلة إبقاء شخصية اللّوحة مجهولة (CP3)، ومركّزة في البداية على المحتوى الظّاهري لها (CF1) . وفي منجى تحفّظات كلامية(A2-3)، حاولت ياسمين إيجاد تبرير لإشكالية العجز المستحضرة(E9) متردّدة بين تفسيرات مختلفة(A2-6)، تبعث إحداها إلى مثلنة الموضوع (CM2+) أو" الكمان" لتجنّب قلق الخصاء، والأخرى، إلى التّعبير عمّا هو مشعور به (CN1)، لكن دون أن يكون بمقدورها بلورة الصّراع النّفسي الدّاخلي وإرصانه بإيجاد مخرج للقصّة المتخيّلة (CP4).

الإشكالية:

لم تتمكّن المبحوثة من مواجهة إشكالية اللّوحة والتّعامل معها رغم تناولها لعنصرها الأساسي ألا وهو موضوع الرّاشد واعترافها بعدم النّضج الوظيفي:" يحبّ الموسيقى mais ما قدرش يلحقلها " والعجز عن استعماله ، وهذا بسبب ثقل الآليات الدّفاعية الموظّفة.

اللّوحة 2:

9" شغل طفلة شادّة كتابات دايرة ظهرها للقرية ، الفقر شادّة لكتابات يعني راهي تخمّم لوكان ما تقراش يكون مصيرها كيما هاد لمرى ألّي راهي هنايا ، بالاك هاد الزّوج نتاعها وهي راهي تشوف فيه يخدم.. راهي شادّة لكتابات متمسّكة بيهم... أنشوف في عينيها نظرة أمل كيفاش تغيّر المجتمع إلّي كانت فيه والعزيمة باش تقرى. 2' 03" (تقلب اللّوحة)

السّياقات الدّفاعيّة:

بعد صمت طويل (CP1) ، وفي منجى تحفّظ كلامي (A2-3) ، بدأت ياسمين قصّتها بوصف شخصية المستوى الثّاني من اللّوحة ، أي الفتاة والتّمسّك بالتّفاصيل (A2-1)، وإظهار الانطباع العامّ لمحتوى اللّوحة في إطار عقلنة (A2-13).

سمحت الحركة الاجترارية للعناصر الوصفية السّابقة (A2-8) ببروز صراع نفسي داخلي (A2-17) كشفت المبحوثة من خلاله عن عدوانية ضمنية تجسّدت من خلال مثلنة سلبية للشّخصية النّسوية الثانية (-CM2)، أي المرأة الحامل التي بقيت مجهولة (CP3).

وبنوع من التّحفّظ (A2-3)، حاولت ربط شخصيتي المستوى الأوّل من اللّوحة(الرّجل والمرأة) بعلاقة متمّسكة دائما بالمحتوى الظّاهري ومركّزة على ما هو فعلي(CF3/CF1).

تدخّل الصّمت(CP1) والعزل(A2-15) ليكبحا بروز تداعيات أخرى من شأنها مضايقتها وتنتهي القصّة بتقدير شخصي (A2-13/B2-8) منحت المبحوثة من خلاله قيمة للعمل الذهني وللتّعليم ومفضّلة إيّاه على حياة الرّيف.

الإشكاليّة:

لجأت ياسمين إلى سياقي العزل و العقلنة بالدّرجة الأولى للهروب من الجنسيّة و للاحتماء من الإشكالية الأوديبية التي حرّضتها اللّوحة ، وبالتّالي من خطر التورّط فيها.

كما لمسنا عدوانية ضمنية وجّهت إلى الشّخصية الأنثوية الثانية (المرأة الحامل) وذلك من خلال احتقار وضعيتها، وكأنّه رفض لتقمّصها.

اللّوحة 3BM:

(تنظر جيّدا إلى الصّورة) 15 " هذا شخص راهو يبكي بالاك مشاكل ، بالاك حالة فقر دفعاتو باش يبكي ، ألم ، بالاك فقد كاش ما واحد عزيز عليه...(تشير لي برأسها عن نهاية قصّتها) (تبقى تنظر إلى اللّوحة قبل وضعها على الطّاولة، تتنهّد). 1' 53 "

السّياقات الدّفاعيّة:

بعد زمن كمون طويل نسبيّا (CP1) ، استهلّت المبحوثة القصّة بعواطف قويّة (B2-4) مبقية شخصية اللّوحة مجهولة (CP3) ، وفي سلسلة من التّحفّظات الكلامية (A2-3) ، حاولت تبرير تلك العواطف المستحضرة متردّدة بين تفسيرات مختلفة (A2-6) تضمّنت تصوّرات وعواطف سلبية ، لتنتهي بإبراز تصوّرات كثيفة ارتبطت بفقدان الموضوع (E9) مع إشارة ضمنية إلى السّند (CM1) . لم تجد المبحوثة سبيلا للتّخلّص من مثير كان قويّا بالنّسبة لها سوى الصّمت (CP1) والسّلوك (CC1) اللّذان وضعا حدّا لمحاولة إرصان نفسي للصّراع المثار.

الإشكاليّة:

حرّض إدراك المبحوثة لإشكالية فقدان الموضوع رقابة مكثّفة لتبرير التصوّرات والعواطف الاكتئابية المستحضرة بقوّة.

منعت تلك الرّقابة من إرصان الوضعية الانهيارية ، كما عمل الكف على التهرّب من بلورة أسباب الصّراع المستحضر وإجلاءها.

اللّوحة :4

8" راني نشوف مرى متعلّقة في شاب jeune بالاك هي تحبّو أو هو هارب عليها عطاها بالظهر وهي متمسّكة فيه ، شادّة فيه بقوّة....Sûrement تحبّو.. وهو ما علابالوش بيها.

1 ' (تقلب اللّوحة وتضعها على الطّاولة)

السّياقات المعرفيّة:

ارتكزت المبحوثة على الواقع الموضوعي الذي يمثّله المحتوى الظاهر للّوحة لبناء قصّتها (CF1) وبحركة رقابية تحفّظية (A2-3) كشفت عن عواطف متجاذبة وجدانيا(B2-6) بين شخصين بقيا مجهولين(CP3) تضمّن الحاجة إلى السّند CM1). جاءت القصّة قصيرة (CP2) ومبتذلة (CP4) عجزت المبحوثة فيها عن بلورة الصّراع الحاصل وتبرير أسبابه.

الإشكاليّة:

رغم إظهارها لعلاقة غيرية متجاذبة وجدانيا ، لم تتمكّن المبحوثة من إرصان الصّراع النّاشئ عنها ، فالرّقابة والكفّ كانا لها بالمرصاد.

اللّوحة :5

11" مرى أطّل من الباب بالاك كاين شخص ، وليدها ولاّ بنتها راهم يقراو من جهة منّا (تشير بإصبعها على اللّوحة) puisque كاين كتابات الضّو راهو مشعول يعني أم تطمّن على ولادها...(تشير لي برأسها بالانتهاء).. هذا ما كان. 1' 04"

السّياقات المعرفيّة:

بعد صمت طويل (CP1)، بدأت المبحوثة قصّتها متمسّكة بالمحتوى الظاهر للّوحة (CF1) دون التّعريف بشخصها (CP3) ، وللتّخفيف من حدّة الضّغط الهوامي ، لجأت وبتحفّظ كلامي (A2-3) إلى إدراج أشخاص غير موجودين في اللّوحة(B1-2) تردّدت في جنسهم

(A2-6) وبقي المشهد هكذا مبنيّا على ما هو حالي وواقعي (CF2) مدعّما بتفصيل من تفاصيل اللّوحة (A2-2) وبعنصر حسّي (CN5) ومبرزا لصورة أمومية مُمثلنة(+CM2)، وضعت ياسمين بها حدّا لنهاية القصّة (CP1).

الإشكالية:

بلجوئها إلى سلسلة من سياقات تجنّب الصّراع ، تفادت المبحوثة الاستثارات الكامنة للّوحة المرتبطة بالمشهد البدائي.

اللّوحة 6GF:

9" مرى راهي قاعدة جا واحد عندها ، تبان مخلوعة راهي خافت منّو تخزر فيه بخوف وهو يبتسم sûrement كاين بيناتهم كاش قصّة تاع.. تار ولاّ خيانة... فاجئها جاها بصدفة. 1' 19"

السّياقات المعرفية:

جاءت القصّة قصيرة جدّا (CP2) ميّزتها انطلاقة صعبة (CP1) تمكّنت المبحوثة بعدها من وصف مشهد صراعي بين شخصين مجهولين (CP3) اقترب من المحتوى الظاهر للّوحة (CF1? A2-1)، مبرزة عواطف قويّة (B2-4). حاولت ياسمين شرح أسباب تلك العلاقة الصّراعية، فتردّدت بين تفسيرات مختلفة(A2-6) أخذت كلّها طابعا عدوانيّا(E8) ممّا اضطرّها إلى التوقّف (CP1) الذي أعلن عن نهاية القصّة وتجميد النّزوة العدوانية المنبثقة .

الإشكالية:

برزت إشكالية الخوف والإحساس بالخطر أمام هذه اللّوحة التي تبعث إلى التّقارب اللّيبيدي بين المواضيع، وقد أثارت حركات عدوانية لم تتمكّن المبحوثة من إرصانها نظرا لقوّة الآليات الدّفاعية التي كبحت التّداعيات وسياق الإرصان.

اللّوحة 7GF:

12" طفلة شادّة خوها ولاّ ختها ، طفل صغير... مدوّرة وتشها sûr هي ختو إلّي فوقو هي غيرة نظرة تاع غيرة، كره والأمّ تحنّ عليه تطلّ عليه..الشّيء إلّي زاد خلاّ الطّفلة أدوّر وتشها تغير من خوها الصّغير. 1' 16"

السّياقات الدّفاعية:

بعد صمت قصير (CP1) ، بدأت المبحوثة قصّتها واصفة محتوى اللّوحة ومتمسّكة بتفاصيلها (A2-1) لكن بنوع من التردّد(A2-6) "خوها ولاّ ختها "، وربّما كان ذلك تخفيفا من الرّمزية التي تبعث إليها اللّوحة، وسرعان ما زال الغموض وحلّت محلّه علاقة غيرية (B2-3) سادتها عواطف قويّة (B2-4) أدّى اجترارها (A2-8) إلى تصوّرات عدوانية فجّة (E8) " كره".

تسبّب استثمار الأمّ للموضوع الذكري على حساب العلاقة " أم- بنت " في حدّة العدوانية وكذا العزل (A2-15) مع إحساس ضمني باللّوم تّجاه العلاقة التّفضيلية، وجاء الصّمت ليحدّ من انبعاث تصوّرات أخرى مضايقة (CP1).

القصّة قصيرة (CP2) تفتقر للإرصان ولإجلاء أسباب الصّراع (CP4) .

الإشكالية:

سمح تقمّص وظيفة الأمّ ببروز مشاعر عدائية تّجاه الموضوع الأوديبي ، ولتجنّب مشاعر الذنب التي قد تنتابها جرّاء ذلك التقمّص ، لجأت ياسمين إلى العزل.

اللّوحة 9GF:

10" وحدة راهي تجري فرحانة... وحْد أخرى تبانلي مسمومة أطّل عليها...(تتأمّل شخصي اللّوحة).. بالاك يكونو صحابات...هاذي إلّي ملفوق يسمّى راهي تعسّ فهادي صحبتها إلا جات صحبتها. 1' 08"

السّياقات المعرفية:

جاءت القصّة قصيرة(CP1) مالت في النّهاية إلى السّطحية(CP4) ، سيطرت عليها تصوّرات عدائية ذات صبغة اضطهادية(E14) ظهرت بين شخصيتين نسويتين بقيتا مجهولتين (CP3).

حاولت المبحوثة الحدّ من اختلال التّنظيم الذي وقع والتّخفيف من وطء التصوّرات السّيئة السّابقة، فلجأت إلى بعض آليات الرّقابة كالتّحفّظ الكلامي(A2-3) والتّكوين العكسي (A2-10) الذي من خلاله خفّفت من تصوّرات الموضوع السّيء المستحضرة آخذة طابعا علائقيّا مبتذلا (CP4) " بالاك صحابات راهي تعسّ إلى جات صحبتها ".

الإشكالية:

أدّت المواجهة بين عنصريين نسويين إلى انبثاق تصوّرات عدوانية، كما سمح إدراك موضوع سيّء بظهور صريح لهوام الاضطهاد.

عكست الحركة الرّقابية عجز المبحوثة عن تحمّل النّزوات العدوانية النّي نشّطها التّنافس الأنثوي من جديد.

اللّوحة 10:

7" بالاك راني نشوف أب ووليدو معنقو مغمضين عينيهم في زوج، راهم يحسّو بهدوء ... حبّ ارتياح طمأنينة ولاّ بالاك عندهم بزّاف ما تشاوفوش ولاّ برى من كاش مرض هاد الإبن. 1'

السّياقات الدّفاعية:

بدأت ياسمين القصّة كعادتها بعد صمت (CP1) مبرزة عواطف قويّة بين أب وابنه ربطتها بالهيئة (CN4)، ثمّ بقيت متردّدة بين افتراضات مختلفة (A2-6) ظهرت من خلالها الحاجة إلى السّند (CM1) و مثلنة العلاقة (+CM2) .

الإشكالية:

من خلال إدراك " مُعْوج "، ظهر هوام محرّم من خلال التّقارب أب- إبن نظّم بشكل جيّد حيث تحكّمت المبحوثة فيه بإبراز سند أب حامي و مُمثلن ، وفي هذه العلاقة السّندية ، تمكّنت من تصريف وإبعاد أيّة عاطفة اكتئابية.

اللّوحة 11:

(تنظر مطوّلا إلى الصّورة) 20" طريق طويلة باينة في وسط واد ولاّ حجر، شجر كاينة حفرة.... ظلام... (تحرّك رأسها مشيرة إلى نهاية القصّة). 1' 46 "

السّياقات المعرفية:

بعد صمت طويل(CP1)، استرسلت المبحوثة في القصّة معتمدة على الوصف والتمسّك بمحتويات اللّوحة (A2-1)، لكنّها بقيت متردّدة، كعادتها، بين تفسيرين مختلفين(A2-6) أوقعاها في صمت (CP1). بين توقفات متكرّرة(CP1)، استأنفت القصّة بتصوّر مقلق (CP6) فضّلت كبحه بصمت نهائي (CP1).

الإشكالية:

تسبّبت إعادة تنشيط الإشكالية ما قبل التّناسلية في تفعيل آليات الرّقابة والكفّ الخوافي التي منعت من تحقيق " غوص نكوصي " (Une plongée régressive).

اللّوحة 12BG:

12" شجرة صغيرة تمتدّ الأعراف نتاعها راهي تكبر قدّامها صندوق بالاك يحكي قصّة طفل صغير رْماوه خلاّوه مواليه فالغابة... مغطّي بالظّل تاع الشجرة يعني malgré مواليه رْماوه خمّو عليه شوية حطّوه تحت الظّل شويّة.. بالاك رْماوه بسّيف عليهم.... ظروف. 1' 23"

السّياقات الدّفاعية:

بعد صمت عوّدتنا عليه المبحوثة في بداية كلّ قصّة (CP1) ، بدأ السّرد بوصف محتويات اللّوحة متمسّكة بتفاصيلها (A2-1) ، وقد تسبّب إدراك خاطئ لتفصيل اللّوحة (E4) وإدراج لشخص غير ظاهر على الصّورة (B1-2) في بروز تصوّرات كثيفة ارتبطت بإشكالية الهجر (E9) ومعها ، برزت الحاجة إلى السّند (CM1).

تدخّل الكفّ (CP1) ليخفّف من ثقل مشاعر الذنب المتولّدة عن الهجر أو ليبرّره أو ليحدّ من ظهور تصوّرات أخرى مضايقة حيث قالت: " خمّو عليه شويّة، حطّوه تحت الظل بالاك رماوه بسّيف عليهم ، ظروف".

الإشكالية:

أثير القطب الاكتئابي أمام هذه اللّوحة التي تبعث إلى الرّاحة والهدوء بالنّظر إلى سابقتها وتختبر مدى قدرة المبحوث على التعرّف على غياب الموضوع دون أن يخشى فقدانه، وذلك من خلال إعادة تنشيط إشكالية الهجر ومحاولة إيجاد تبرير أو تسوية للتّخفيف من مشاعر الذنب النّاجمة عنه ، لكنّ المحاولة تلك كانت فاشلة.

اللّوحة 13B:

6" طفل صغير بلحفا قدّام كوخ ڤاع .... باين فقراء قاعد وحدو حزين ولاّ... بالاك جيعان.. صغير وراهو يخمّم بالاك راهو يشوف في صحابو رايحين لمسيد يقراو أو هو ما عندوش.

"16 '1

السّياقات الدّفاعية:

بعد صمت ابتدائي (CP1)، استرسلت ياسمين في قصّتها متمسّكة بالمحتوى الظاهر للوحة وبتفاصيلها (A2-1)، لكنّها سرعان ما وقعت في الصّمت مجدّدا (CP1) ربّما تأثّرا بالإشكالية التي نشّطتها اللّوحة. كان الاستئناف بمثلنة سلبية للشّخص وللوضعية(-CM2) وبإظهار معاناة ذاتية غير مبرّرة (CN1/CP4) رافقتها عواطف اكتئابية والحاجة إلى السّند (CM1).

حاولت المبحوثة تبرير تلك التصوّرات والعواطف المستحضرة لكنّها بقيت متردّدة بين افتراضات مختلفة (A2-6) تحفّظت في تقديمها (A2-3) وأثارت إشكاليتي الهجر والتجرّد.

الإشكالية:

إنّ البعد الاكتئابي والهجري للعلاقة أم - طفل هو الذي أثير بقوّة في هذه اللّوحة، فقد ارتبطت العواطف الاكتئابية بالهجر، التجرّد و الوحدة دون إمكانية التخرّج منها بتسوية.

اللّوحة 13MF:

6" شخص راهو يبانلي راهو يبكي ما علابالیش بالاك على المرى ماتت ولاّ مريضة ما علابالیش بالاك ناض مع الصّباح منْعاس ولاّ راهو يبكي paceque لمرى راني نشوفها مطلوقة مرخوفة... 47"

السّياقات الدّفاعية:

انتهت محاولة التّحكّم في العواطف والتصوّرات التي ترجمها الصّمت(CP1) في بداية القصّة إبقاء أحد شخصي اللّوحة مجهولين(CP3)، والتّحفّظات اللّغوية (A2-3) ببروز عواطف قويّة (B2-4) صعب على المبحوثة تبريرها(A2-6)، فتردّدت بين الموت (E9) والمرض (E6).

أدّى الانبثاق الأوّلي إلى تراجعها وإظهار عجزها عن التخيّل(CN9)، لكنّها استمرّت متردّدة من جديد بين التّركيز على الحياة اليومية محاولة منها لتجميد الهوامات الجنسية والعدوانية أو لتخفيفها (CF2)، وبين اجترار للتصوّرات الفجّة السّابقة وتبريرها بتفاصيل اللّوحة (A2-2/A2-8)، لكنّ الصّمت تدخّل وأنهى عمل التّداعيات(CP1)،وهكذا بقيت أسباب الصّراع المستحضر غامضة (CP4).

الإشكالية:

أثارت مادّة اللّوحة إعادة تنشيط نزوي وهوامي هامّتين ، مسبّبة في تكثيف حركات الكفّ والرّقابة الدّفاعيتين ومؤدّية إلى قصّة قصيرة.

اللّوحة 19:

11"(تتنهّد)..(تقول لا برأسها).. ما تعبّر عندي والو هاد التّصويرة عندي هذا (تشير بإصبعها إلى جهة من الصّورة) تقول شلاّل ، برك. 42"

السّياقات الدّفاعية:

فشلت ياسمين في تخيّل قصّة لهذه اللّوحة نظرا للقلق ما قبل التّناسلي الذي نشّط من جديد وقد تجلّى فشلها في الصّمت المتكرّر(CP1)، اللّجوء إلى السّلوك (CC1) ونقد محتوى اللّوحة الذي مال إلى محاولة رفضها والتّخلّص منها (CP5?CC3).

جاء إدراك واحد ووحيد في منجى حركة رقابية(A2-3) اقترب من بعض تفاصيل اللّوحة (CF1) ، كبحت المبحوثة على إثره وبشكل فوري أيّة تداعيات أخرى.

الإشكالية:

خلافا للّوحة الحادية عشرة(11) التي يقدّم محتواها الظّاهر دعما ممكنا للمبحوث من خلال مواضيع ملموسة ومتينة (قويّة) تسمح ببناء قصّة ، تعتبر هذه اللّوحة قليلة الانبناء.

يمثّل المحتوى " شلاّل " الذي قدّمته المبحوثة في نهاية القصّة بعد مقاومة شديدة ، موضوعا غير متين ومتحرّك بالدّرجة الأولى يبعث مباشرة إلى نقص الدّعامة والسّند، وربّما إلى غياب حاو أمومي، أو ربّما كان إسقاطا لتجربة ضاغطة مرّت بها المبحوثة وترتبط بالفيضانات.

اللّوحة 16:

10" نتخيّل حكاية إلّي.. كيما جاتني في راسي دوك؟ (ψ:إم)... جاتني حكاية زوج صحابات كانو كيف كيف قراو كيف كيف ، يقعدو كيف كيف...(تتغيّر نبرة صوتها ويبدو بريق دموع في عينيها) جا وقت وين ربّي سبحانو فرّق بيناتهم...(تشير لي برأسها عن نهاية قصّتها)...(تنظر إليّ وتتنهّد وعلامات الحزن على وجهها). 1' 30"

السّياقات الدّفاعية:

بصعوبة ترجمها الصّمت المتكرّر(CP1)،السّؤال بغرض طلب المساعدة والسّند (CM1? CC2) ، تمكّنت ياسمين بعد تدخّلنا (CP5) من تخيّل قصّة دارت أحداثها في زمن ماض(A2-4)، مستحضرة تصوّرات ارتبطت باليومي والواقعي والفعلي (CF2/CF3) ورغم التوقّف المتكرّر(CP1) والحركة الإيمائية (CC1) اللّذان تدخّلا ليكبحا تدفّق المادّة اللاّشعورية والذكرى الماضية الأليمة ، إلاّ أنّ المبحوثة استطاعت مواصلة السّرد لكن هذه المرّة من غير دفاع حيث برزت تصوّرات مكثّفة ارتبطت بفقدان موضوع كان جدّ مستثمر(E9) وبانفصال أبدي مؤلم جعلتها تحتمي بصمت نهائي (CP1) ، غير قادرة على إرصان الفقدان .

الإشكالية:

استحضرت ياسمين في قصّتها المختصرة جدّا تصوّرات مكثّفة وعواطف اكتئابية ارتبطت بفقدان موضوع (الصّديقة) كان جدّ مستثمر على ما يبدو ، مع إشارة ضمنية إلى السّند.

2-1- التّحليل الشّامل للبروتوكول:

2-1-1- المقروئية العامّة للبروتوكول:

تميّزت إنتاجية ياسمين أمام اختبار تفهّم الموضوع بالتقلّص والفقر، وبهيمنة أساليب الكف حيث بلغت نسبتها (C% = 64,46) ، وبدرجة أقلّ بكثير، أساليب الرّقابة(A% = 26,44) التي عملت على تجنّب التّعامل مع إشكاليات اللّوحات وبلورة صراعاتها المنشّطة من جديد وإرصانها رغم اقترابها من صداها الهوامي.

بالفعل، فشلت المبحوثة في بناء القصص التي تميّزت بالقصر(CP2)،الابتذال (CP4) وتجنّب التورّط في الصّراع المنشّط رغم ملامستها للإشكالية مثلما ذكرنا آنفا، لاسيما من خلال التوقفات الزمنية الكثيرة(CP1) وعدم التّعريف بالشّخصيات(CP3) وذلك في معظم اللّوحات.

لجأت المبحوثة إلى بعض الأساليب النّرجسية ، فبرزت منها وبكثرة أسلوب التعبير عمّا هو مشعور به(CN1) ارتبط بعواطف متجاذبة بين الفرح، الحزن، وتصوّرات عن العجز وارتكزت على هيئة الشّخصيات للتّعبير عن العواطف (CN4).

كما استنجدت ياسمين ببعض الحركات السّلوكية(CC1) لتفريغ القلق والضّغط اللّذان أثارتهما بعض اللّوحات ، واضطرّت إلى تثبيط الحركات النّزوية وتجميدها أحيانا باللّجوء إلى اليومي والواقعي (CF2).

برز كذلك جهد فكري معتبر لاحتواء المنبّهات ولمواجهة الصّراعات، ظهر على شكل تحفّظات كلامية (A2-3)، اجترار (A2-8)، تردّد بين تفسيرات مختلفة (A2-6) ، ووصف مع التّمسّك بالتّفاصيل(A2-1). ساهمت جميع تلك الدّفاعات في التحكّم في التصوّرات المستحضرة وفي الوجدانات المرتبطة بها، ولم تمكّن أساليب أخرى كالعزل(A2-15) والعقلنة(A2-13) والتّعبير عن صراع نفسي داخلي(A2-17) من التخرّج من الصّراع المثار.

من جهة أخرى، سمح غياب الرّقابة في بعض الأحيان وأمام بعض اللّوحات بمرور بعض الأساليب الأوّلية والتي قدّرت نسبتها إجمالا بـ (E% =04, 95) ، كالإدراك الخاطئ (E4) الذي ظهر في اللّوحة(12BG) والذي تسبّب في ظهور تصوّرات ارتبطت بإشكالية الهجر والوحدة، إدراك شخص مريض(E6)، وكان ذلك في اللّوحة 13MF، تعبيرات مكثّفة ارتبطت

بإشكالية عدوانية (E8) (اللّوحة 6GF) ، وأخرى ارتبطت بالعجز (E9) (اللّوحة 1) ، الموت (اللّوحات3BM 13MF و 16) ، التجرّد (اللّوحة (13B) والهجر(اللّوحتان 12BG و13B).

أمّا عن أساليب المرونة ، فكان تواجدها في هذا البروتوكول متواضعا (B% = 4,13) سمح بعضها بإظهار تصوّرات ليبيدية و عواطف اكتئابية قويّة (B2-4)، وكشف بعضها الآخر عن طبيعة العلاقات بين شخصيات اللّوحات الظّاهرة أو حتّى بين تلك التي لجأت إلى إدراجها (B2-3/B1-2) وبالتّالي إثارة صراعات بينها ، لكنّ الكف والرّقابة كانا لهذه الأساليب دوما بالمرصاد.

ممّا تقدّم، نفترض أنّ مقروئية هذا البروتوكول متوسّطة.

2-1-2- <u>الإشكالية العامّة للبروتوكول</u>:

تعدّ إنتاجية ياسمين مثالا للدّفاع ضدّ مادّة يبدو أنّها أثارت تصوّرات مضايقة. بالفعل، بذلت المبحوثة مجهودا معتبرا للتصدّي للهوامات وللصّراعات التي تبعث إليها اللّوحات، ويظهر ذلك الجهد الدّفاعي من خلال ثقل أساليب تجنّب الصّراع بأنواعها وذلك للحدّ من تدفّق تداعيات قد تزعزع سلامتها النّفسية، وكذا الرّقابة ومن بينها، التردّد بين افتراضات متعدّدة الذي كشف عجزها عن اختيار واضح للتصوّرات المستحضرة لتبرير الموقف والصّراعات التي تمكّنت من استحضار بعضها والاقتراب من بعضها الآخر، وإيجاد حلّ أو نهاية للقصّة المتخيّلة وهذا ما يترجم الدّفاع النّفسي الدّاخلي ضدّ ميول متعارضة.

بالمقابل ، لم يمنع تمسّك المبحوثة بالواقع وبتفاصيله من وجود صدى هوامي ومن الاقتراب من إشكاليات اللّوحات ، وما ميّز القصص رغم قصرها ، هو إدراكها الواضح والسّليم للواقع الخارجي ومحاولة التكيّف مع إثارات المنبّه رغم تنوّعها واختلاف إشكالياتها، وبروز عمل نفسي داخلي دفاعي لمواجهة بعض الصّراعات المثارة والتغلّب على العواطف القويّة.

كما سمحت بعض الحركات المرنة بظهور عواطف قويّة منشطرة بين حبّ، طمأنينة وارتياح، وبين كره ، اضطهاد ، خيانة وغيرة وعدوانية ، إضافة إلى ظهور عواطف اكتئابية بقيت مراقبة ارتبط بعضها بالتجرّد (اللّوحة13B)، والبعض الآخر بفقدان الموضوع حيث برزت بصعوبة أمام اللّوحة 3BM وبين افتراضات متعدّدة ، بينما ظهرت بشكل صريح أمام اللّوحة الأخيرة من الاختبار وتمكّنت ياسمين من استحضار الموضوع المفقود (الصّديقة) لكن دونما إظهار إمكانية إرصانه.

أمّا عن الإشكاليات البدائية، فقد كان النّكوص صعبا بالنّسبة للمبحوثة، رغم ذلك، تمكّنت من استحضار تصوّرات مقلقة اكتسبت صفة الخطورة كقولها:" ظلام ،حجر" في اللّوحة 11 و" شلاّل" في اللّوحة 19 وذلك بعد نقد محتوى الصّورة ومحاولة رفض اللّوحة. ربّما ارتبط هذا التصوّر الحامل لصفة الخطر، القوّة واحتمال الموت بخطر موتها غرقا في الفيضانات العنيفة التي ضربت منطقة سكناها.

على العموم ، يبقى الفشل في مواجهة الصّراع المنشّط ، إرصانه وإيجاد تسوية هو الطّابع المميّز لهذا البروتوكول.

2-2- الفرضيّة التّشخيصيّة حول نوعيّة السّير النّفسي:

برز تذبذب في تعامل ياسمين مع المحتويات الظاهرة للوحات اختبار تفهّم الموضوع وإشكالياتها الكامنة، وتأرجح بين فقر وغنى تصوّري، فكنّا نجد أحيانا قصصا قصيرة، مبتذلة وسطحيّة تخلّلتها توقفات كثيرة وطويلة بعض الشّيء، افتقرت للبلورة وبالتّالي للإرصان النّفسي بسبب ثقل أساليب الرّقابة(A2) وتجنّب الصّراع (C) بأنواعها المعروفة، وأحيانا أخرى، قصصا احتوت على تصوّرات معتبرة رافقتها عواطف ملائمة مختلفة ليبيديّة،عدوانيّة اكتئابيّة واضطهادية وهوامات، وعلى علاقات تفاعليّة بين شخصيّات معرّفة؛ فبين حركات دفاعيّة صلبة، تمكّنت المبحوثة أمام اللّوحة 3BM من استحضار تصوّرات عن فقدان الموضوع رافقتها عواطف اكتئابيّة، بينما عبّرت عن ذلك بشكل صريح وأسهل أمام اللّوحة الأخيرة (16) وكشفت عن علاقتها المتينة بصديقتها التي غرقت على مرأى منها.

كما أظهرت ياسمين محاولة النّكوص إلى مستويات بدائيّة من خلال استحضارها لتصوّرات مقلقة أما اللّوحتين 11 و19 في قولها:" ظلام، حجر" و "شلاّل"، وقد تكون لها علاقة بخطر موتها غرقا في الفيضانات القويّة التي اجتاحت منطقة سكناها.

مجمل القول، تمكّنت ياسمين، نسبيّا، من بناء قصص تناولت فيها بعض الصّراعات وتهرّبت من بعضها الآخر لما أثارت فيها من هوامات عميقة قد تهدّد أناها، ويبقى الطّابع المميّز والملفت للنّظر، هو عجزها عن إيجاد تسوية ومخرج واضح وحاسم لتلك الصّراعات النّفسيّة الدّاخليّة أو العلائقيّة التي استطاعت إظهارها، هذا ما يقودنا إلى الافتراض بأنّ نوعيّة السّير النّفسي لديها متوسّطة.

3- المقابلة العيادية:

3-1- تقديم الحالة:

ياسمين فتاة في العشرين من العمر، تحتلّ الرّتبة الثانية من بين أربعة إخوة، ثلاث بنات وولد.

عايشت المبحوثة أعنف تجربة في حياتها على حدّ قولها ، حيث تعرّضت لخطر الموت غرقا في الفيضانات القويّة وفقدت صديقتها الحميمة على مرأى منها ، وقد انعكس ذلك سلبا على نفسيتها التي ساءت و تشوّشت كثيرا، وهي ترغب الآن في التغلّب على شعورها القويّ بذنب البقاء الذي لم يفارقها أبدا وأربك حياتها الاجتماعيّة والدّراسيّة، وتتمنّى استعادة حياتها العادية وهويّتها السّابقة فهل تتمكّن من ذلك؟.

3-2- عرض وتحليل المقابلة العيادية:

ياسمين شابّة ظريفة ، متوسّطة القامة ، ممشوقة القوام ، تحاول اصطناع البسمة والهدوء لكنّ ملامحها وسلوكها أثناء المقابلة كشفا لنا عكس ذلك.

شعرنا بثقل همومها ومعاناتها الصّامتة، ففسحنا لها المجال للتّعبيرعمّا يبطن صدرها يضايقها ويؤلمها. بنبرة صوت دافئة، حزينة وبطيئة، استرجعت ذكريات طفولة وصفتها بالعادية والهادئة على العموم. كانت طفلة مدلّلة ومحبوبة جدّا من قبل الجميع وبخاصّة والدها وكانت تلميذة نجيبة ومتفوّقة في دراستها، تكرّم دوما في آخر السّنة الدّراسية وكان ذلك يشعرها بالافتخار وبالسّعادة:" كنت مفشّشة بزّاف ، بابا يحبني كتر منهم كامل مبصّح ما كانش تفرقة وانا نبادلو نفس الحبّ، كنت مثالية، عاقلة ونقرى مليح، كنت دايما نحبّ نفرّحهم وهوما toujours يتماثلو بيا".

تغيّر سلوك ياسمين بميلاد أختها الصّغرى وأصبحت عدوانية وشقيّة لإحساسها بالعزل وبفقدان مكانتها، وتذبذبت عواطفها تّجاه والدتها والمولودة لكنّها ظلّت تحظى دائما، حسب أقوالها، بحبّ أبيها وهذا الذي كانت بحاجة إليه.

اتّخذت حياتها مجرى آخر بانتقالها إلى الثّانوية وتعرّفها على صديقات جدد انقادت وراءهنّ غير مبالية بدراستها التي بدأت تعزف عنها فكانت كثيرة التغيّب، مشتّتة الانتباه،

تهتمّ كثيرا بمظهرها الخارجي وتستمع إلى الأغاني العاطفية، وازداد نفورها من الدّراسة بتورّطها في مغامرة عاطفية، وكانت آنذاك في السّابعة عشر من العمر، شعرت ياسمين وقتها بالتّحرّر والسّعادة التي لم تدم طويلا.

انعكست خيبة الأمل العاطفية على نفسيتها وازدادت عدوانيتها في البيت وبشكل خاص تّجاه إخوتها، كانت سريعة الانفعال، كثيرة الشّجار، وقد حاولت تبرير سلوكها العدواني بغيرتهم الزّائدة ، فقالت:"كنت مقلقة بزّاف فهداك الوقت، غاضتني كي خلاّني وراح مع صحبتي حسّيت بالخيانة والغدر، كنت نعيّط على خاوتي، malgré نحبّهم mais مبصّح شوية ، على بالي يغيرو منّي ، ختي الوسطانية تقلقني نولّي شغل نكرها".

احمرّت عيناها وطأطأت رأسها ألما وحسرة لما جرى لها ، وأخذت تلوم نفسها على إهمالها للدّراسة وتضييعها للوقت وعلى خيانتها لثقة أبيها فقالت:" كلّش كان جياحة وتمسخير غلطت بزّاف ودوكا ندمت، النّاس قاع ولاّو مسمومين surtout صحاباتي، غاضني بابا ما نستهلش la confiance نتاعو ، صحبتي تمسخرت بيا ، هي كانت معاودة ".

أعادت ياسمين السّنة وكلّها عزم على النّجاح وقد وجدت في صديقتها الحميمة الدّعم والتّشجيع.

تغيّرت ملامحها ونبرة صوتها عند ذكرها لصديقتها الوفيّة ، نظرت إلينا بألم وبحزن وبدت وكأنّها تقاوم أفكارا مزعجة ومكدّرة ، ثمّ بتنهّد عميق قالت:" كانت عزيزة عليّا بزّاف، أنا ويّاها موس واحد يدبحنا، الموت فرّقت بيناتنا ...هي ماتت وانا مازالني حيّة ...أنا هي السّبة".

استحضرت المبحوثة بأدقّ التّفاصيل أحداث يوم كان مشئوما وتعسا بالنّسبة لها وموعدا حقيقيّا مع الموت ، حيث كادت أن تفقد حياتها لولا تدخّل بعض من الشّبان لإنقاذها ، بينما هلكت صديقتها التي رافقتها في تلك الصّبيحة إلى عيادة الطّبيب بفظاعة وعلى مرأى منها تاركة وراءها حزنا عميقا وشعورا قويّا بالذنب لازالا يسيطران على نفسية ياسمين.

شاء القدر المحتوم أن تسقط الصّديقة في الوادي ويجرفها التيّار القويّ بعيدا حتّى توارت عن أنظار ياسمين وانقطع عنها صراخها وبكاءها المتألّمين:" الرّيح كان يخبط بزّاف ، الحالة مغيمة والما بدا يطلع يطلع، تقلقت حبيبتي، جينا قاطعين عنّقتها بزّاف وقلنا إلا متنا نموتو كيفكيف ولا عشنا عشنا كيفكيف، وصلنا للوسط ، زادت la pression، هي زلقت دخلت وعاودت خرجت ، وبقات تعيّط وتبكي ولما يدّي فيها ومبعد راحت راحت، ما ننساش النّظرة نتاعها ليّا".

ذعرت المبحوثة وأخذت تنادي عليها باكية ولكن دون جدوى ، تمسّكت بصخرة كانت قريبة منها وظلّت تصرخ مستنجدة ، خارت قواها من فرط التّعب والبرد فانزلقت في التيّار العنيف ثمّ بدأت تنقلب حتّى ارتطمت بصخرة كبيرة ، ما أدّى إلى إصابتها بجروح بليغة في الرّأس وأثناء ذلك ، كانت قد ابتلعت كميّات كبيرة من الماء العكر والقذر:" شدّيت روحي فحجرة وبديت نعيّط بزّاف ونبكي، الما إدّاني ، رحت تقلّبت بزّاف كان شلاّل فيه تلات مترات هكّاك خديت ضربة على الرّاس، بلوكا دخلتلي ، بدا الدّم يسيل ، الما كان يدخل في نيفي وفمّي شربت بزّاف الما بالطّين ، جابلي ربّي منام".

في لحظة ما ، أحسّت بنهاية حياتها ، لكنّ أملها في النّجاة وفي إنقاذ اللّه لها كانا كبيرين جدّا وساعداها على المقاومة ، حيث قالت :" ربّي سبحانو حب يسلّكني ، كنت نقرى بزّاف القرآن surtout صورة الإخلاص نحبّها بزّاف وربّي سلّكني جاو des jeunes سمعوني وسلكوني ملما والتراب إلّي كان يطيح عليّا ملجبل".

استيقظت المبحوثة من غيبوبتها فوجدت نفسها محاطة بفريق طبّي ، كانت تشعر بوهن شديد وتعاني من آلام حادّة في كلّ مكان من جسمها ، وبشكل خاص في رأسها الذي تلقّى إصابات بليغة استدعت إجراء عملية جراحية بعد ذلك.

كان وجهها مشوّها ومُزْرقا بفعل الأوحال والصّدمات و لا تقوى على الحركة ولا على الكلام لكنّ ذاكرتها ظلّت سليمة ، ولم تتذكّر من ذلك الكابوس الفظيع مثلما وصفته إلاّ صديقتها فكانت تلحّ في السّؤال عنها وفي المطالبة برؤية أبويها:"وجهي كان زرق وdéformé عينيا كانو مغمضين، les lèvres نتاوعي منفخين،راسي مضروب، coudes

les تاني، genoux les كنت دايما نسقسي على حبيبتي ونخمّم فواش يكون صرالها نبكي بزّاف ونقلهم أدّوني لدارنا ... جوّزت سمانة قاع قيا ، جوّزت أيّامات ما نتمنّاهم لحتّى واحد".

تذبذبت مشاعر ياسمين بين فرح بلقاء أسرتها التي عثرت عليها بعد يومين من البحث المتواصل في كلّ مكان وبين حزن ، كآبة وألم بفقدانها لرفيقة العمر،ألم دعّمه شعورها القوي بذنب البقاء:" تقلقو عليّا بزّاف دارنا ، مارقدو ما كلاو surtout يمّا ، أنا فرحتي ما كانتش كاملة ، كنت نبكي بزّاف على حبيبتي ونحسّ روحي أنا السّبة ، كنت نعرفها كيفاش راهي هي صغيرة عليّا وتخاف".

مرّت المبحوثة بأوقات عصيبة في الأسابيع الأولى بعد الفيضانات، ولعلّها كانت أصعب أوقات حياتها، كيف لا وقد تعرّضت لخطر الموت غرقا وفقدت صديقتها بفظاعة. كانت لا تقوى على الحركة وظلّت تعاني من آلام مبرحة ، صداع وقيء، أرق وكثرة البكاء لفترة طويلة:" شهرين وانا نسوفري من السّطر، فمي مغلوق منفّخ ما كنتش نقدر ناكل، ماكنتش قاع نقدر نمشي ، وما نرقدش مليح وقعدت شحال وانا مانرقدش، نبقى نخمّم ولاّ نبكي حتّى رقاولي فلّما".

وعن سؤالنا لها عن الأحلام وطبيعتها، ردّت بأنّها كانت قليلة أو شبه منعدمة، فلم تعاود مشاهدة الأحداث العنيفة لكنّها بالمقابل، كانت تتمنّى يوميّا رؤية صديقتها في الحلم وتتأكّد من رضاها عنها كي تتخلّص من ألمها الحاد وإحساسها الخانق بالذنب:" ما كنتش أنّوم بزّاف presque والو، نمت deux fois صحبتي، normal ، عنقتني وخلاص، مبصّح كنت نحبّ أنّومها كلّ يوم ونسنّى منها تقولّي واش راهي حابّة".

حظيت المبحوثة برعاية فائقة واهتمام كبير من قبل جميع أفراد أسرتها وبشكل خاص من أبويها ، وأمّن لها مرضها إشباعات وإرضاءات نرجسية وليبيديّة كانت بحاجة كبيرة إليها فغياب النّجدة في اللّحظة الحاسمة جعلها تكرّس كلّ طاقتها في الحبّ لإصلاح أناها المجروح، فأصبحت العلاقة اتّكالية من نمط طفل- أم حيث قالت لنا ببسمة عريضة ارتسمت على شفتيها:" دارنا وفرولي الجوّ، كانو يشرولي بزّاف وقاع واش نحبّ،

يفشّوني، كنت نرقد مع بابا وماما شهر كامل، مع ألوّل كنت نرقد في وسطهم ، عاودو رجعوني bébé ".

أمّا عن دراستها التي انقطعت عنها قرابة ثلاثة أشهر، فلم يغيّر هروبها وتغييرها لمكان إقامتها من معاناتها النّفسية شيئا ، فلم تكن قادرة على التّركيز والانتباه ، بل لم تكن لها رغبة في الدّراسة، فحصولها على البكالوريا خيانة لصديقتها الميتة وانفرادها بحلم النّجاح والانتقال إلى الجامعة كان أمرا مستحيلا:" ما كنتش نتبّع، نركّز، نروح هكداك زيادة كنت حاسّة راحلي العام ، وزيد كنت أنقول مالازمش نقرى، درنا اتّفاق أنا ويّاها، ننجحو كيفكيف ، هكدا يتسمّى خدعتها".

بفقدانها لصديقتها الوفيّة، فقدت ياسمين لذّة الحياة والاهتمام بنفسها، صارت منطوية، مكتئبة كثيرة البكاء ولوم الذات على ما حصل ، تتجنّب الشّارع وكلّ ما ومن يذكّرها بالحدث كلّما عادت لزيارة أهلها ، حيث قالت:" كرهت الدّنيا ملّي ماتت حبيبتي ، كنت هاملة روحي نلبس إلّي جات ، كنت غالقة على روحي ، منعزلة ، ما نحب نشوف حتّى واحد ولاّ يحكولي على واش إلّي صرى، نحسّ بالبرودة كي يفكّروني ، كنت نبكي بزّاف ، وكنت نخاف نخرج برّى نحوّس، وإلّي نتلاقى بيه نشوف فيه تصويرتها، نهرب، نسمعla musique نتفكّرها نرعش نبكي ، كنت نقول ما عنديش الحق باش نعيش، كنّا كيفكيف كيفاش هي راحت وانا راني حيّة كنّا نحلمو كيفكيف".

ظلّت المبحوثة رافضة وفاة صديقتها لفترة تجاوزت الثلاثة أشهر حتّى بعد وقوفها على قبرها الذي تردّدت كثيرا في زيارته، وربّما كان الرّفض ضروريا لها في بداية الأمر لحمايتها من الأثر الفظّ جدّا للخبر المشئوم مثلما ترى م.ف. باكي (M.F.BACQUE 1992, حيث قالت وبريق دموع في عينيها :"رحت ألقبر نتاعها فلعيد لكبير، بقيت نشوف فيه، ما آمنتش بلّي هي tant que ما شفتهاش، عمبالي راحت فلما وخلاص، بديت نرعش، نبكي ونشهق كنت رايحة نحفر باش نشوف est-ce que صح هي ..تمنّيت لوكان جيت أنا في بلاصتها".

وما زادها ألما وعزلة ، هو غياب صديقاتها عنها في عزّ محنتها وامتناعهنّ عن زيارتها وعدوانيتهنّ الفظّة تجاهها ، إذ كنّ يصفنها بالفتاة المشئومة:" إلّي غاضتني بزّاف ، وحدة من صحاباتي ما جات تزورني، كي طاحت بيا خلاّوني ، كانو يقولولي إنتيا porte malheur حسّيت روحي مسمومة وهكداك ما تنخطفتش".

وإذا مال الجرح الجسدي إلى الالتئام وتخلّصت ياسمين من آلامه الحادّة ، فإنّ الجرح النّفسي لايزال مفتوحا ، فهي لاتزال بعد 15 شهرا من تعرّضها المباشر لخطر الموت غرقا وفقدانها لأعزّ صديقة تبكي فراقها بألم وحسرة وتؤنّب نفسها بشدّة على اندفاعها وتورّطها اللّذان كلّفاها ثمنا غاليا رغم تحذير صديقتها لها من الخطر،ممّا زادها قلقا، انطواء وشعورا بالضّيق،الإحباط وبفقدان القيمة ، حيث قالت بنبرة صوت فيها كثير من الألم والتحسّر:"راني شوية درك ماشي كيما لعام إلّي فات، نقص عليّا شويّة، مبصّح مازالني مهمومة، مقلقة مارانيش مرتاحة، راني نحسّ روحي عيّانة وقلبي مقبوض التّخمام فكلّش وsurtout فصحبتي نتفكّر دايما كيفاش رحنا ، نقول وعلاش واش أدّاني نأنّب روحي بزّاف ونحسّ كلّي راني مسمومة ... نحوّس نكون مهنية".

أمّا عن ذكريات الحدث ومشاهده الفظيعة ، فلم تغادر فكرها قطّ ممّا زادها عزلة عن المحيط الخارجي الذي لم تعد تأمنه وبخاصّة عند تغيّر الأحوال الجويّة :" يجوني أفكار بزّاف على الحملة، على الموت ، كلّ مرّة أجّيني لقطة ، مبصّح فقلبي نبدّل sujet ، ما نحبش يجبدولي على واش صرى ، وما نحبش نتلاقى مع موالين الطفلة ، هي toujours فبالي وفقلبي، هي معايا فكلّش، فلمليحة، فلّي ماشي مليحة ... مارانيش نزهى ولاّ نخرج كي بكري، نخاف وكي تكون الشتا ما نجيش نقرى، نحبّ نهرب ملواقع إلّي راني فيه ، مازالني نخاف الما .. نكره الما ".

تقلّصت نشاطاتها كثيرا ولم تعد تهمّها تسلياتها وانشغالاتها كما في الماضي، كما فقدت ثقتها في النّاس وفي صديقاتها بوجه خاص:" ما كانش confiance فالنّاس، ما كانش قاع الصّداقة فهاد الدنيا ، كي نتفكّر واش دارولي صحاباتي وكيفاش خلاّوني كي مرضت ... كنت غالطة بزّاف فتصرّفاتي ، نحشم من صغري ..ولّيت نخاف بزّاف ملخديعة".

انعكست حالتها النّفسية المضطربة على دراستها وتحصيلها الذي لا يزال منخفضا بسبب ضعف التّركيز وتشتّت الانتباه، ولا تزال انفعالاتها متذبذبة ورغباتها متعارضة إلى حدّ كبير فهي تارة متحمّسة ومتفائلة بالنّجاح ونيل الشّهادة التي لطالما حلمت بها حيث قالت:" لازم عليّا دركا نجوّز bac ونجيبو، مع لوّل ما كنتش قادرة ، شغل كانت صحبتي تعسّ فيّا مبصّح كي نمتها غير كيما حيّة وعنّقتها حسّيت بلّي راهي راضية عليّا"، وتارة أخرى يائسة ، خائفة ومتردّدة لا تجد مخرجا من محنتها القاسية:" راني حابّة نجيب bac مبصّح راني خايفة نحسّ بمستقبل مسدود، مارانيش نخمّم فالمستقبل، كي نرسم طريق ... ما تخرّجش"، وهذا ما بدا لنا من ملامحها الحزينة وهمّتها اليائسة، فهي لا تزال حبيسة الآلام، مشوّشة التّفكير ومثبّتة على صدمة فقدانها لصديقتها الوحيدة التي كان وجودها في حياتها يشغل حيّزا هامّا " أنا ويّاها موس واحد يدبحنا"، ولا يزال الشّعور القويّ بذنب البقاء وتحميل الذات مسؤولية الوفاة يثقلان نفسيتها ويعرقلان مسار حياتها وربّما عمل الحداد.

4- 3- خلاصة المقابلة العيادية:

كشفت المقابلة العيادية عن قلق شديد ومعاناة نفسية كبيرة تسبّب فيهما تعرّض المبحوثة المفاجئ لخطر الموت غرقا في فيضانات قويّة وفقدانها لأعزّ صديقة وعلى مرأى منها.
تسبّبت تلك الفيضانات إذا في اضطراب اقتصادها النّفسي تجلّى من خلال استمرار بعض الأعراض النّفسية الصّدمية التي ظهرت بعد شهر من تعرّضها للكارثة، وظهور أعراض أخرى مكمّلة للاّئحة العياديّة للتّناذر النّفسي الصّدمي، ومنها:

- الانبعاث المتواتر لمعاش الكارثة على شكل صور وأفكار لا تزال تضغط على نفسيتها مثيرة إحساسا بالضّيق، الألم والحصر رغم محاولاتها المتكرّرة لإبعادها عن فكرها،
- تجنّب كلّ الأماكن والأشخاص والمثيرات التي تحرّض ذكرى تعرّضها للموت وبخاصّة ذكرى وفاة صديقتها بشكل فظيع، إذ يعاودها القلق مصحوبا باستثارات فيزيولوجية كزيادة في التعرّق ، ضيق في الحنجرة وسرعة في خفقان القلب،

- الاجترار العقلي والانغماس في ماض حزين وأليم واللّوم الشّديد للذات وتأنيبها بشكل عدواني وقاس على ما ارتكبته من أخطاء ، وربّما معاقبتها بحرمانها من النّجاح ومن استعادة حياتها العادية ، وربّما يشير ذلك أيضا إلى تفوّق نزوة الموت على نزوة الحياة كما جاء في قولها:" أنا هي السبّة فلموت نتاعها ، نحسّ روحي مسمومة ، ما عنديش الحقّ باش نعيش"،
- الانسحاب الاجتماعي من خلال تقلّص النشّاطات التي كانت تقوم بها ،
- الانطواء على الذات والعزلة،
- فقدان العزيمة والثّقة في النّفس وفي الآخرين والإحساس بمستقبل مسدود.

إضافة إلى أعراض اكتئابية على شكل كفّ نفسي، انقباض،أمل مفقود، نوبات بكاء حساسية مفرطة لكلّ ما له علاقة بالحادث المأساوي، سرعة التأثّر، فتور الهمّة والشّعور الدّائم بالتّعب ولعلّها مؤشّرات لمحاولة المبحوثة مباشرة عمل الحداد وتقبّل الواقع الأليم واستدخال الصّدمة النّفسية.

وما لمسناه من حديثها في نهاية المقابلة ، هو ذلك التّجاذب الوجداني القويّ والتّعارض الكبير بين رغباتها ، أي بين الإخلاص لذكرى صديقتها وبين الرّغبة في استعادة هويّتها السّابقة لكنّ الذي يقف كحاجز كبير أمام تحقيق ذلك ، هو الشّعور الخانق بالذنب الذي لم تستطع ياسمين التخلّص منه.

4- خلاصة الحالة:

عايشت ياسمين وهي على عتبة الرّشد ، أخطر وأعنف تجربة حياتية حيث كادت أن تهلك في الفيضانات القويّة التي ضربت منطقة سكناها صبيحة العاشر من نوفمبر لعام 2001 وقد أصيبت بجروح بليغة لا تزال تحمل آثارها التي تذكّرها دوما بمأساتها كلّما نظرت إلى نفسها في المرآة، كما فقدت أعزّ صديقة لها وعلى مرأى منها دون أن يكون بمقدورها إنقاذها وهذا الذي آلمها وأحزنها، وما زاد في عذابها ، هو سوء التصرّف والتهوّر اللّذان أوديا بحياة رفيقتها وشعورها القويّ بذنب البقاء حيّة بينما صديقتها ميتة وجعلاها تتخبّط

في صراع نفسي كبير لم تستطع الخروج منه، وقد تجلّى ذلك بوضوح أمام لوحات اختبار تفهّم الموضوع، حيث فشلت ياسمين في مواجهة مختلف الصّراعات النّفسية الدّاخليّة والعلائقية التي استطاعت استحضارها ولم تمكّنها دفاعاتها التي بدت ضعيفة وغير فعّالة من إرصانها كما ظهر عجزها عن اختيار واضح وصريح لتخرّجها منها وإيجاد تسوية لها بشكل جليّ.

تعيش المبحوثة في حاضر مغمور بأعراض نفسية صدمية انعكس تأثيرها على حياتها الاجتماعية والدّراسيّة وربّما كان سببا في عرقلة عمل الحداد واستدخال ذكريات الكارثة الطّبيعية.

*** <u>أمين، 21 سنة ، مصدوم وذو نوعيّة سير نفسي "متوسّطة"</u>:**

يبلغ أمين 21 سنة وهو أصغر إخوته الإحدى عشر، ثلاثة منهم أشقاء وسبعة آخرين أخيين (غير أشقاء)، وهو في الصّف النّهائي، قسم خاص ويترشّح لثاني مرّة لنيل شهادة البكالوريا.

تعرّض المبحوث لخطر الموت غرقا في الفيضانات العنيفة وأصيب بجروح بليغة في يده اليمنى وفقد خمسة أفراد من عائلته.

1- <u>عرض وتحليل بروتوكول الرّورشاخ</u>:

النّص	التّحقيق	التّنقيط
اللّوحة I ٨ "35 1- هذو يمتلولي زوج نسا أو شغل راهم يطلبو فالنّجدة وهادو كيف كيف زوج رجال راهم زادمين عليهم ويطلبو فالنّجدة هذا ما كان... (يدقّق النّظر في اللّوحة).. كشغل زوج صحاب deux amies مرى ومرى مربيين كيف كيف كشغل متلاصقين وهذو باش يفرقو بيناتهم وهوما طالبي النّجدة.. هذا واش كاين.	شغل أصدقاء هاد الزّوج (D4) هذو (D2) كشغل وحوش حاتّين يفرقو ما بيناتهم ، من الأهل ديالهم عل خاطر متّاصلين معاهم .. الدّم ديالهم ، اللّون الأسود وحوش، المرأتين يمثّل الحزن ، هذا اللّون (D2) معاكس لهذا اللّون (D4).	Gz K H/Scène ? Clob

		1' 58"
صدمة G FC H/Sang Ban	دم (D3) وهنايا المحيط إلّي يعيش فيه الإنسان (D6) شغل عايش في بيئة ما ترحمش وفيها عباد دمويّون. إنسان متّحد مع إنسان، الشّر ديالو وهو دموي (D1 & 2).	**اللّوحة II** (ينظر جيّدا إلى اللّوحة) ٨ 45" 2- هذي تمثّل دم ويامات كحولا.. هذي تمثّل واش عشنا هذا ما كان هذا واش تمتلتلي (يبتسم لي)... أنا ما نفهمش الرّسوم التّشكيليّة mais هكا .. c'est bon. 1' 06"
G K H Ban D F± Elém	كيما نقولو هنا واد ماشي واد ، واد صغير (D8) وهذو متلولي وين يجلس الطّفل الصّغير (D7) رايح يرموه ، وهذو (D1) دمويين في زوج حاجة تربط بيناتهم (D3) صفة تربط بيناتهم صفة الشّر.	**اللّوحة III** ٨ 15" 3- هذو معنتها زوج نسا هذوما، هذي قلب وقلب متّاصلين.... 4- هذا يمتلي الما.. هذا واش نقدر نقولك. 1' 38"
صدمة G FClob (A)	وحش غريب عندو ذيل (D1) شغل كبير والملامح تاع هذا الوحش ما تبانش ، شغل الصّورة الحقيقيّة ديالو ٨٧ وهذو (D2) الرّجلين ديالو. الشّكل وحش واللّون شرّير (G).	**اللّوحة IV** ٨ 33" 5- هذي تمثّل وحش، شغل ذيل ديالو وهذو رجليه وهذا الوحش يمثّل شغل ضخم ، هذا واش متلتلي.... (يضع اللّوحة) 1' 02"
G FClob A Ban	القرون (D8)، خفاش (G).. القرنين وحشي هي قاع الأشكال قاع ما تمثلش شيء يفرّح.	**اللّوحة V** ٨ 10" 6- هذي متلتلي خفاش، قرون هديا والأجنحة ديالو كبار هذا واش متلتلي.... 45" (يضع اللّوحة)

اللّوحة VI ٨ 32" 7- هذي متلتلي visage تاع قط ، قط ... 8- وهذي كشغل متلتلي راية تاع البحر واسمها؟ (ينظر إليّ) فهمتي واش حبّيت نقولك؟ راية.. (ينظر إليّ).. وتمثّل الجهة هذيا كيما قط تقيسو التريسيتي.. يي... هذا واش... 1' 42"	رسم كاريكاتوري تاع قط (D3) وهذا الرّسم complet كاريكاتوري الجهة المقابلة كي تقيسو la face التريسيتي قط تحت السّيطرة ماهوش حرّ مقيّد. (D1).	D F- A D F- A
اللّوحة VII ٨ 22" 10- شغل إنسان في وسط لاباس والوسط إلّي محيط بيه شغل عباد ما عندوش طريق ، شغل غير هذي الطريق إلّي يسلك روحو.... > هذا واش؟ (D2)....(يضع اللّوحة فوق الطّاولة وينظر بتركيز).. وهذا رسم كاريكاتوري شغل متّاصلين 10- > وهكّا تمثّل حيوان... 11- ٨٧ وهذيا فراشة... هذا ما كان. 2' 11"	٧٨ إنسان ، رأس... هذا إنسان عندو قرون وتش إنسان عندو قرون (G). هذا حيوان (D2) > <.. كيف كيف رسم تاع فراشة (D4) Complet... رابط بين الإنسان والحيوان.	G F- Hd/Ad D F+ A D F+ A
اللّوحة VIII ٨ ٧ ٨ 21" 12- شغل حيوان دموي يجبد.. زوج يجبدو ف .. شغل حيوان يجبدو في فراشة وهاد الحيوانين متّاصلين بحاجة شغل حاجة مبنيين عليها ... وهذي الفراشة محيطة ما عندهاش مخرج ، محاصرة... 1' 45"	شغل حيوان مفترس ، هذا الحيوان (D1) الأصل ديالو وحشي... فراشة كيف كيف (D5) محيطة ، بيئة كشغل بيئة كيش نقولك؟ بيئة ماشي.. ماشي إلّي لازم تعيش فيها مقيّدة ماهيش حرّة واللون ديالها ماهيش في حريّة تامّة ، مقيّدة ، محاصرة..	G Kan Clob A/ Scène

اللّوحة IX ٨ واعرين هذو الرّسومات ما نفهملهمش راني نهدر هكّاك 13" 13- هنا شغل وحش عندو عدّة ملامح شغل خضر و مبعد تشيني ، ما تبيّنش الشّكل الحقيقي ديالو ، وهذا الوحش مبني على الشّر شغل دموي.. هذا واش... '1	الأعين ديالو (Dbl23) قناع تغطي الصّورة الحقيقيّة تاع الوحش (D12) وهذا الحيوان عنفي مبني على العنف ، اللّون الأحمر (D6) يمثّل شغل مبني على العنف. (Dbl 8)violon . [Dbl F+ obj]	G FC (A)
اللّوحة X ٨ (ينظر إليها بتركيز ويطيل النّظر) 22" 14- هذي شغل إنسان (D2)... هذا متلتلي الشعر ديالو (D9×2) ، داير على الجبهة ديالو سنيسلة (D6)... التّفكير ديالو واسع عندو آراء كثيرة.... 1 ' 08"	الشوارب ديالو (D4) ، الأنف (D5) الشعر كيما تاع réveillon كيما ورّاو في فرنسا.. إنسان مثقف متّسع بالثّقافة ، ثقافتو واسعة إنسان مرتبط بعباد وحد آخر شغل الجوّ إلّي عايشين فيه هو... الألوان توحي بلّي الجوّ إلّي عايش فيه متنوّع.	D/G F- H/Abst

<u>اختبار الاختيارات:</u>

<u>الاختيار الإيجابي:</u>

VII :العلاقة بين الإنسان والحيوان،لازم هنا تكون معاملة بلطف، كشغل كاين علاقة مرتبطة بين الإنسان والحيوان.

X : ونقلّك ڤاع واش يمثلو؟ تمثّل شغل تآخي ، كشغل مجتمع مترابط ما بينو والإنسان إلّي عايش عندو مكانة ما بينه ، مكانة كبيرة في المجتمع.

الاختيار السّلبي:

I : تمثّل هنا كي يكون الإنسان مع إنسان مترابطين ، يجو ناس وحد أخرين يفرّقو ما بيناتهم.

III : هذيا تمثّل شغل هنا الأمّهات إلّي ما عندهومش رحمة مع ولادهم ، ترمي وليدها ، مرى ما عندهاش إنسانيّة.

1-1- التّحليل الكمّي للبروتوكول:

Le psychogramme البسكوغرام

	Nbre	%				
R: 14	G	8	64, 28	F: 7 {F+: 2	A: 6	F% : 50
Rép addit: 1	D/G	1		{F- : 4	(A): 2	F+% : 35,7
Refus : 0				{F± :1	H : 4	F% él : 100
Tps.Total : 15'03"	D	8	35			F+% él : 53,5
Tps/réponse : 1'						
Tps. Lat.moyen : 26"				K : 2	Hd/Ad : 1	
				kan : 1	Sang :1	
				FC : 2	Scène: 2	A% : 57

Fclob: 2 Abst : 2 H% : 35
Clob 1 Elém: 1 Ban : 3
(1?)

T.Appr : G D chocs : 2
T.R.I : 2K/1C
F.Compl : 1 k/0E
RC% : 21,42

2-1- التّحليل الكيفي للبروتوكول:

1-2-1- الخصائص العامّة للبروتوكول:

تظهر المعطيات الأوّلية انخفاضا في الإنتاجية (R= 14) بالنّظر إلى المعايير المحدّدة في البروتوكول "العادي" بين 20 و 23 إجابة.

لم يتمكّن أمين إذا من إعطاء سوى 14 إجابة في مدّة زمنية قصيرة قدّرت بـ 15' و 3" عكست رغبته في الهروب من وضعية الاختبار أو ربّما في التخلّص منها ، ربّما كان ذلك بسبب إثارتها لتصوّرات وهوامات مزعجة ومضايقة بل عدوانية تبدو مرتبطة بتجربة ماضية أليمة ظلّت مكبوتة في نفسيته إلى حين بروزها على شكل إسقاط فجّ ، ولعلّ نوعية الإجابات المقدّمة تدلّ على ذلك.

إضافة إلى ذلك الفقر الكمّي الملموس، برزت عناصر أخرى ذات دلالة نستعرضها فيما يلي:

- طول أزمنة ردّ الفعل، وكان ذلك أمام معظم اللّوحات: I ،II ، IV ، VI ، VII و X حيث حاول المبحوث من خلاله التحكّم في الضّيق الذي سبّبه المنبّه وتجنّب الاندفاع في الإجابة،
- توتّر كبير ترجمته الصّدمات سواء ارتبطت بالشّكل أو باللّون،
- تعاليق موضوعية وذاتية كشفت عن ضيق المبحوث وانزعاجه من المنبّه ، وفي بعض الأحيان عن رغبته في التّخلّص منه وذلك في قوله:" أنا ما نفهمش الرّسوم التّشكيلية" " واعرين هاذو الرّسومات، ما نفهملهمش، راني نهدر هكّاك"، أو في قوله:" هذا واش

كاين هذا واش متلتلي ، هذا واش فهمت فيها ، هذا واش نقدر أنقولك ، هذا ما كان ، c'est bon ".

● قلّة الأجوبة المبتذلة التي ربّما دلّت على صعوبات التكيّف الواقعي للمبحوث وسيطرة محتويات أخرى سلبية على النّفسية كما يبدو. برزت ثلاث إجابات مألوفة أمام اللّوحات II III و V ، كانت مفعمة بتصوّرات العنف والعدوانية ، حيث قال أمين في اللّوحة II:" هذي تمثّل دم أو يامات كحولا، هذي تمثّل واش عشنا"، وفي اللّوحةIII :"زوج نسا دموبين صفة الشّر تربط ما بيناتهم" ، أمّا في اللّوحة V فقال :"خفّاش وحشي".

● كثرة التّحفّظات الكلامية،

● تكرار بعض المواضيع والتّصوّرات المقلقة والفجّة المرتبطة بإشكالية عدوانية مرتبطة بموضوع نشطة (I، III و VIII)، سلبية (II) وكامنة (IV،V وIX) وفي ذلك دلالة على تثبيت على وضعية سلبية وسيطرة هذه المواضيع على السّاحة النّفسية،

لكن رغم هذه المميّزات الخاصّة في النّوعية والكمّية ، إلاّ أنّ أمين لم يرفض أيّة لوحة من لوحات الاختبار، بل كان استثماره للمادّة حتّى النّهاية.

1-2-2- السّياقات المعرفية:

تظهر المعطيات الكمّية تفوّق نسبة الأجوبة الشّاملة (G% = 64,28) التي تعدّت إلى حدّ كبير النّسبة المعتدلة التي تتراوح بين 20 و 23 % ، على الجزئية (D% = 35,71) .

ارتبط كلا النّوعين بمحدّدات متنوّعة طغى عليها الطّابع الشكلي كمحاولة للتّحكّم فيها ولمراقبتها ، كالإجابات الفاتحة القاتمة التي حملت في طيّاتها الخوف ، القلق والعدوان. كما لجأ المبحوث إلى بعض المحدّدات الحركية الإنسانية (K) والحيوانية (kan) محاولا إرصان صراعاته ومخاوفه التي كانت تطفو بصورة مستمرّة على سطح الشّعور.

لم تكن الرّقابة الشّكلية دوما ناجعة أمام بعض اللّوحات التي يبدو أنّها أثارت صدى هواميّا قويّا وحرّكت تصوّرات مزعجة أفقدت السّيطرة عليها، هذا ما عكسته نسبة الإجابات

الشّكلية الإيجابية (F+% = 35,7) المنخفضة جدّا عن المعدّل العادي الذي يتراوح بين (70 و80 %) والتي قد توحي بصعوبات تكيّفية حقيقية عند أمين.

تسبّب سقوط الرّقابة إذا في انزلاقات متكرّرة (F- = 4) سمحت بتسلّل واقع داخلي عبر الجهاز الدّفاعي على شكل تصوّرات وعواطف متأجّجة و نزوات عدوانية قويّة، أي بعودة المكبوت.

وهكذا ، كانت السّياقات المعرفية محكمة بنوعية التصوّرات والعواطف الفجّة التي كان الأنا منشغلا بها، بل التي كانت تفرض نفسها على اهتماماته. يبدو أنّ المبحوث يعاني من ترسّبات ماضية وتجربة عنيفة ربّما اتّخذت طابعا صدميّا بالنّسبة له، وهذا ما سنحاول الكشف عنه أثناء تحليلنا للمعطيات المتبقيّة.

1-2-3- الدّيناميكية الصّراعية والتّظاهرات الحسّية:

1-2-3-1- الدّيناميكية الصّراعية:

تعدّ الأجوبة الحركية إسقاطا للحياة اللاّشعورية وللرّغبات الدّفينة للفرد وكذا للصّدمات النّفسية التي تلقّاها ، وبالتّالي ، فإنّ التّحليل النّوعي والرّمزي للأجوبة الحركية يقوداننا إلى صميم المشاكل العميقة للفرد ، وإلى تاريخه الشّخصي المعاش وصراعاته ، كما يكشفان عن الدّفاعات الموظّفة ضدّها.

بالفعل، كشفت الإجابتان الحركيتان الإنسانيتان اللّتان ظهرتا في اللّوحتين I وIII عن تصوّرات إنسانيّة سلبية اكتست صفة الخطورة والوحشية والسّعي إلى التّفرقة(I) أو إلى الهجر(III) ، وعن علاقات صراعية مشحونة بالعنف وعواطف اكتئابية ارتبطت بالخضوع والاضطهاد،أي موقف نشط عدواني ومضطهد وآخر سلبي خاضع، وهما اللّوحتان المكروهتان أيضا.

كان الأمر مشابها بالنّسبة للحركة الحيوانية (kan) التي ظهرت في اللّوحة VIII والتي سمحت ببروز تصوّرات فجّة مولّدة للقلق ارتبطت بالاعتداء والعنف، فالحيوان مفترس بل

دموي وأصله وحشي، أمّا الوضعية الاضطهادية السّلبية فتجسّدت في تصوّر حيواني ضعيف هشّ و زائل (Ephémère) وهو الفراشة.

1-2-3-2- <u>التّظاهرات الحسّية</u>:

لم يمكّن الكفّ الشّديد الذي جسّده زمن الكمون الطّويل (45") والتّوقفات المتكرّرة، والذي من خلاله حاول المبحوث التحكّم في القلق الذي أثارته اللّوحة II ، من التصدّي لانبثاق تصوّرات كثيفة مقلقة كشفت عن تجربة أليمة معاشة ، تجربة عنف وقتل ظلّت راسخة في ذهنه إلى أن أعادت مادّة الاختبار تنشيطها ، فعبّر عنها بشكل شفّاف قائلا:" هذي تمثّل دم و يامات كحولا ، هذي تمثّل واش عشنا ".

وخوفا من طفح نزوي قد يزعزع نفسيته ويعجز عن مواجهته ، لجأ أمين إلى نقد الذات قائلا :" أنا ما نفهمش الرّسوم التّشكيلية "، وبهذه الطريقة تمكّن من وضع حدّ لأيّة تداعيات أخرى ومن التّحكّم في الحركات النّزوية وتجميدها.

أمّا الإجابة اللّونية الثانية التي استطاع التحكّم فيها ، فقد ظهرت في اللّوحة IX و كشفت عن خطورة العالم الخارجي وعنفه ، وعن الشّكل المقنّع للوحشية الحقيقيّة حيث قال أمين:" شغل وحش عندو عدّة ملامح ما تبينش الشّكل الحقيقي ديالو شغل دموي ، قناع تغطّي الصّورة الحقيقيّة تاع الوحش". قد يكون تعمّد المبحوث إخفاء الصّورة الحقيقية للمُدرَك "وحش" كدفاع ضدّ الذكريات البشعة المرتبطة به، ومن جهة أخرى، على قوّة الشّحنات التّدميرية التي ربّما عجز عقله عن احتواءها.

وهكذا، خنقت الوجدانات وفرضت عليها رقابة صارمة خشية انبثاقات نزوية عدوانية أخرى من شأنها هزّ النّفسية وتصبح السّيطرة عليها عندئذ صعبة ، وهذا ما توضّحه نسبة الأجوبة في اللّوحات الباستل (RC% =21,42) المنخفضة جدّا عن معدّلها "العاديّ الذي يتراوح بين(30 و35%) ، ونمط الصّدى الدّاخلي المنطوي المزدوج (T.R.I = 2K/1C) وكذا المعادلة المكمّلة(FC = 1k/0E) .

1-2-4- المحتويات:

طغت المحتويات الحيوانية التي تجاوزت نسبتها المقدّرة بـ (A% = 57) حدود المعدّل "العادي" المحدّد بـ (A% = 45)على باقي المحتويات الأخرى التي تنوّعت بين الإنسانية الدّم ، التّشريحية ، التّجريدية والمشهد. افتقدت معظم الإدراكات الحيوانية للطّابع الاجتماعي التّوافقي فكانت كلّها ذات نوعية رديئة سلبية ، مخيفة ومقلقة ارتبطت بها العدوانية ، الوحشية والعنف ويظهر ذلك في اللّوحات :IV "وحش ضخم ، كبير وغريب"، V " خفّاش وحشي" VIII " حيوان دموي ، حيوان مفترس الأصل ديالو وحشي "، IX " وحش مبني على الشّر حيوان عنفي مبني على العنف".

1-3- الإشكالية العامّة للبروتوكول:

كشفت إنتاجيّة أمين رغم ضآلتها عن تصوّرات إنسانية وحيوانية مقلقة، مضايقة ومولّدة للخوف، وعن اجتياح فجّ ومسيطر لنزوات عدوانية تبدو مرتبطة بتجربة سابقة مؤلمة وعنيفة عايشها المبحوث وظلّت مكبوتة في نفسيته إلى أن حرّكتها لوحات الرّورشاخ.

أحيا المنبّه إذا بغموضه وبدائيته تجربة تبدو "صدمية" بالنّسبة للمبحوث، ميّزها العنف العدوان الوحشي والاضطهاد، تجربة قاسية فرضت نفسها على السّاحة العقلية فانبثقت في شكل خام وفجّ وتكرّرت ملامحها أو آثارها في معظم لوحات الرّورشاخ بغرض تفريغها والتخلّص منها ومحاولة إبعادها إلى الخارج لثقل وقعها في العالم النّفسي الدّاخلي، ومن حين لآخر، كانت بعض الحركات الدّفاعية الصّلبة كالعزل والتّجريد إلى جانب الكفّ تتدخّل لمقاومتها.

أظهرت الحركات الفكرية علاقات صراعيّة بين المواضيع مشحونة بالعدوانية في شكلها النّشط والصّريح، وصورة سلبيّة بل ومنقوصة القيمة(image humaine dévalorisée) للإنسان الذي هو عنوان للخطورة والشّر ويفتقر في الواقع للإنسانية، بل هو غير جدير بها ولا يستحق بالنّسبة لأمين إلاّ أن يكون حيوانا وحشيّا وشرسا يسعى إلى زرع الرّعب

والتّفرقة كما عبّر عنه في اللّوحة I، أو إلى التخلّي والهجر وكان ذلك في اللّوحة III وهما اللّوحتان المكروهتان، ما قد يفسّر الارتفاع في نسبة المحتويات الحيوانية رديئة النّوعية في معظمها اكتست صفة الخطورة والوحشية ولا تحمل في نظرنا طابعا تكيّفيّا.

4-1- الفرضية التّشخيصيّة حول نوعيّة السّير النّفسي:

جاءت إنتاجيّة أمين متقلّصة بالنّظر إلى المعيار المحدّد في البروتوكول" العادي" بين 20 و30 إجابة، وفي وقت زمني قصير قدّر بـ 15' و3" ترجم تضايقه وانزعاجه من اختبار الرّورشاخ الذي أثار تصوّرات مقلقة وحصريّة مولّدة للخوف لم تنجح أساليب الصّلابة الموظّفة(العزل والتّجريد) في مقاومتها بشكل فعّال،كما برزت عناصر هامّة ومميّزة كالتّثبيت على مواضيع مجرّدة من اللّذة ومولّدة للحصر رغم تنوّع المحتوى الظاهر للّوحات وإشكالياتها الكامنة لانشغال عالمه الدّاخلي بها، قلّة الأجوبة الإضافية،التّمثيل الضّعيف لبعض عوامل التكيّف الاجتماعي كنسبة الأجوبة الشّكليّة الإيجابية (F+% = 35,7) والأجوبة المبتذلة (Ban = 3) التي لم تحمل في ذاتها طابعا تكيّفيّا، فكلّ التصوّرات المستحضرة مقلقة ومرتبطة بالعدوان والوحشيّة، والمفرط لبعضها الآخر (A% = 57, H% = 35).

قد يدلّ وجود تلك العناصر على انزلاق في علاقة المبحوث بمحيطه الخارجي وارتباطه السّيء بالواقع ومن ثمّ، غياب فرص التخرّج لانغماسه في حياة عاطفيّة تبدو مهدّدة، مخيفة ومضطهدة، ما يجعلنا نفترض أنّ نوعية سيره النّفسي سيّئة.

2- عرض وتحليل اختبار تفهّم الموضوع:

اللّوحة:1

5" حكاية؟ (ψ: إيه)... ما فهمتش هذي وشنو، ما فهمتهاش.. راني نشوف هذيا راهو يشوف... إيه راني نشوف هذا قطار إيه راهو يشوف فيه ، بانتلي قطار راهو يشوف فيه كيفاه راهو يمشي وحدو... معنتها كيفاش يمشي وحدو... هذا ما كان. 2'

السّياقات الدّفاعيّة:

بصعوبة كبيرة ترجمها التوقف المتكرّر(CP1)، السّؤال الموجّه إلى الباحثة (CC2) بحثا عن السّند(CM1)، النّقد الذاتي(CN9) الذي كشف من خلاله عن عجزه عن التّفكير أو عن التّخيّل أو ربّما محاولة نفوره من المنبّه الذي ضايقه، انطلق أمين في القصّة متمسّكا بالمحتوى الظّاهري للّوحة (CF1) من دون تعريفه للشّخصية(CP3) ، لكنّه عاد إلى الصّمت بسرعة كابحا تدفّق التّداعيات(CP1).

كان الاستئناف بإدراك خاطئ مشوّه للواقع(E4) حاول المبحوث التحكّم فيه (A2-3) لكنّه فشل ووقع في الصّمت ثانية (CP1) وبحركة اجترارية(A2-8) لنفس الإدراك المشوّه، حاول مواصلة القصّة لكنّ الصّمت حال دون ذلك (CP1) وعرقل سير الخطاب ، ممّا جعل القصّة قصيرة (CP2) ، سطحية و في سياق غير صراعي (CP4).

الإشكالية:

تفادى أمين إشكالية عدم النّضج الوظيفي وبالتّالي الصّراع النّفسي الذي تنشّطه اللّوحة وذلك من خلال تشويهه للواقع وتنكيره لشخص اللّوحة.

اللّوحة 2:

10" آه هذي تبينلي كشغل حالة إنسان في القرية شغل معيشة الإنسان في القرية... معنتها هذي كشغل.. تبيّن كشغل ناس فقراء على حساب اللّباس وكدا.. تبيّن هذي المرأة راهي تشوف في أمر الدّنيا في الكون كيفاه... وهذي (يشير إلى الفتاة) تبيّن بالرّغم من الصّعوبات تطلب العلم تتحدّى ، تطلب العلم... وهذا يبيّن أنّو كشغل قساوة الرّيف على حساب العمل إلّي راهو يخدم فيه عمل شاق وقاسي c’est bon . 2 ' 20 "

السّياقات الدّفاعيّة:

تميّزت القصّة بالقصر(CP2)، الابتذال (CP4) وبالتوقفات المتكرّرة (CP1) التي عرقلت سير الخطاب والتحفّظات الكلامية الكثيرة(A2-3) التي أُريد بها التحكّم في التصوّرات المستحضرة.

كانت الشّخصيات مجهولة (CP3) ومعزولة عن بعضها البعض(A2-15) رغبة في تجنّب الصّراع الأوديبي المثار، كما لجأ المبحوث إلى الوصف والتمسّك بتفاصيل اللّوحة(A2-1) مناوبا بين العقلنة (A2-13) ، المثلنة الإيجابية لإحدى الشّخصيتين النّسويتين(ويتعلّق الأمر بالفتاة)(+CM2) ، وبين ما هو فعلي (CF3) ، وكلّ ذلك في حركة اجترارية عقيمة (A2-8) .

الإشكاليّة:

لم يستطع المبحوث معالجة الاستثارات الكامنة للّوحة وتناول الإشكالية الأوديبية التي نشّطها وفضّل اللّجوء إلى الابتذال ، المثلنة الإيجابية ، العزل و العقلنة لتفادي الصّراع الأوديبي.

اللّوحة 3BM:

7" هذي تبيّن أنّ المرأة إلّي مظلومة شغل تبيّن الإنسان الفقير بين المجتمع كشغل كيفاش تكون حالتو في المجتمع ، تبيّن كشغل هذي المرأة حزينة وما تقدرش كيفاش تتصدّى للمجتمع ديالها. 57" (يقلب اللّوحة ويضعها على الطّاولة)

السّياقات الدّفاعيّة:

بعد صمت قصير(CP1)، كشف أمين عن تصوّرات كثيفة ارتبطت بإشكالية عدائية(E8) نسبت لشخص مجهول(CP3) متسبّبة في تعثّر كلامي طفيف(E17?)، لكنّ سرعان ما تدخّلت الرّقابة على شكل تحفّظ كلامي (A2-3) وعقلنة (A2-13) للتحكّم فيها وفي احتمال انبثاق فجّ آخر من شأنه إرباك نفسية المبحوث.

كما لجأ إلى المثلنة السّلبية لذات الشّخص (CM2-) وإلى اجترار الوضع المُزري النّاتج عن الحرمان والعوز(A2-8) ، وفي منجى تحفّظ كلامي ثان(A2-3)، ظهرت تصوّرات كثيفة (E9) وعواطف اكتئابية قويّة(B2-4) ارتبطت بإشكالية العجز، حيث أنهى بها المبحوث قصّته القصيرة (CP2) دون إمكانية إيجاد حلّ أو التخرّج من وضعية العجز تلك (CP4) .

الإشكاليّة:

لم ترتبط التصوّرات الفجّة والعواطف الاكتئابية المستحضرة بإشكالية فقدان الموضوع التي تبعث إليها هذه اللّوحة ، بل بإشكالية التجرّد وفقدان القدرة وقد عجز أمين عن بلورة الصّراع وإجلاء أسبابه وإيجاد مخرج لتلك الوضعية.

اللّوحة 4:

(ينظر إلى اللّوحة) 18" هذي تبيّن كشغل دور المرأة في الأسرة وتبيّن هذي الزّوج ديالها بالاك مْنارفي ، حاب يتشاجر توقف فيه.. معنتها تبيّن دور المرأة في الأسرة والمجتمع.

56" (يضع اللّوحة مع الأخريات)

السّياقات المعرفيّة:

توقف أمين طويلا أمام هذه اللّوحة (CP1) ولم يكفه التهرّب من المثير بصمته ، بل ضاعف التهرّب بالتحكّم التحفّظي (A2-3) و العقلنة (A2-13) منكرا في البداية شخص المرأة (CP3) لكنّه عاد وعرّفها بعد ذلك ، وأدرجها في علاقة غيرية (B2-3) ، حيث

انكشفت من خلال هذه الأخيرة عواطف عدوانية قويّة (B2-4) بقيت مراقبة (A2-3) .أدّى وصف المبحوث للعلاقة الصّراعية المستحضرة (A2-1) إلى إيقاف القصّة خشية تورّط مكلف ، لذلك ، كانت الوسيلة الوحيدة لضمان تحكّم أنجع في النّزوات ، هو اللّجوء إلى العقلنة (A2-13) والابتذال (CP4) والقصّة ، كما يبدو ، قصيرة جدّا (CP2).

الإشكاليّة:

اقترب المبحوث تقريبا من الصّدى الهوامي الذي تبعث إليه إشكالية اللّوحة ، لكن لم يظهر منها إلاّ القطب العدواني ، أمّا اللّيبيدو ، فتمّ ردعها بالعقلنة.

يبدو أنّ الجنسية هي عنوان للخطر عند أمين ، ويبقى دور المرأة مبتذلا جدّا و " تقليديّا " إن صحّ التّعبير.

اللّوحة :5

8"هذي تبيّن مرى معنتها عجوز كشغل...(حركة بالرّأس)... كشغل راهي تشاهد في منظر كش يقولو (يبتسم).. كشغل شيء يجلب الانتباه نتاعها... تحقق ثكونسنتري...وهذي تبيّن كشغل عائلة فالدّار.. كتابات كشغل عائلة... كيما نقولو عائلة محافظة. 1' 38"

(يضع اللّوحة)

السّياقات المعرفيّة:

في قصّة قصيرة (CP2) ومبتذلة (CP4) ميّزتها التّوقفات الكثيرة (CP1) والتّحفّظات الكلامية (A2-3) التي مكّنت من التحكّم في التصوّرات المستحضرة المرتبطة بالمحتوى الظّاهري للّوحة (CF1)، ومحاولة تصريف القلق الذي أثاره الصّدى الهوامي(الفضول في النّظر) (CC1) ، لم يستطع المبحوث الاقتراب من إشكالية اللّوحة رغم إدراجه لعناصرغير موجودة (B1-2)، وكانت وسيلته الوحيدة للتخلّص منها وبالتّالي تفادي الصّراع والممنوع هي المثلنة الإيجابية لوضع العائلة ومقامها (+CM2).

الإشكالية:

بتشبّثه بمحتوى المادّة وتحفّظه الكبير على التّصوّرات المستحضرة، وبمثلنته لشخصيات مدرجة غير ظاهرة على اللّوحة، تفادى المبحوث التصوّرات الجنسية المرتبطة بالمشهد البدائي ، وهكذا ، استُبعدت أيّة مظاهر عدوانية موجّهة ضدّ الصّورة الأمومية.

اللّوحة 6BM:

8" هذي تبيّن كشغل الإبن مع الأمّ ديالو ولاّ الإبن كشغل ما طاعش الأم ديالو تبيّن كشغل الأم حزينة والإبن مْنرفز، وهذي تبيّن عقوق الوالدين، صورة عن عقوق الوالدين. "52

(يضع

اللّوحة)

السّياقات المعرفية:

انطلق أمين في القصّة بعد صمت عوّدنا عليه (CP1) محاولا نسج علاقة بين شخصي اللّوحة ولكن في إطار تحفّظي رقابي (A2-3/B2-3)، ومظهرا لشعور غير علائقي (CN1) نجمت عنه عواطف قويّة ارتبط بعضها بالحزن والبعض الآخر بالغضب (B2-4).

اتّخذ المشهد الصّراعي والعواطف النّاتجة عنه طابع التّجريد و العقلنة(A2-13) وفي ذلك محاولة لتجنّبه بل الاحتماء والتهرّب منه ، حيث تثبّت في نهاية القصّة على منوال لوحة فنيّة (CN8) " صورة عن عقوق الوالدين".

الإشكالية:

أثار الاعتراف بالعلاقة أم / إبن تصوّرات وعواطف قويّة تمكّن المبحوث من التحكّم فيها بل حاول إبعادها و إيقافها لئلاّ تكتسح السّاحة الشّعورية فتسبّب له مزيدا من التّوتّر والضّغط.

اللّوحة 7BM:

هاد الصّورة تمثّل الأب والإبن...ولا تمثّل الأب ، حبّ الأب لإبنه هذي شغل صورة تكافئ الإبن يطيع الأب ديالو وهذي طاعة الوالدين (يبتسم). 54" (يضع اللّوحة)

السّياقات الدّفاعية:

كان الدّخول في القصّة مباشرا (B2-1) تجسّدت بعده علاقة غيرية جمّدت في صورة لتفادي ظهور تصوّرات أو عواطف ترتبط بالتّقارب أب /إبن(CN8) والتي يمكن أن تضايق المبحوث، كما حدث معه في اللّوحة السّابقة ، لذلك لجأ إلى الرّقابة بعقلنة العلاقة(A2-13) ومثلنة العواطف (CM2+).

قد تكون الحركة السّلوكية التي ختم بها أمين قصّته (CC1) محاولة لتصريف الانفعال الدّاخلي.

الإشكالية:

تبعث اللّوحة إلى التّجاذب الوجداني في العلاقة مع الأب، غير أنّ أمين لم يتمكّن من إظهاره حيث غابت العدوانية والمعارضة وحلّ محلّها الحبّ والحنان والخضوع لكن في شكل تجريدي و مبتذل.

اللّوحة 8BM:

(ينظر إلى اللّوحة)15" هذي تمثّل كشغل... شخص كشغل شخصين إيي.... شغل راهم يي.... راهم يقتلو في شخص والإبن ديالو راهو تمّا واللّون نتاعو راهو يبان شغل راهم

يمارسو فالقوّة على الأب ديالو، معنتها الإبن راهو حزين معنتها الملامح ظاهرة في وتش الإبن.

2' 09 " (يضع اللّوحة)

السّياقات المعرفية:

بصعوبة كبيرة جدّا عكستها التّوقفات المتكرّرة(CP1) التي عرقلت الانطلاق الفعلي في القصّة،التّحفّظات الكلامية(A2-3) وتنكير الشخصيات الموجودة في اللّوحة(CP3)، استحضر أمين تصوّرات كثيفة وعواطف فجّة ارتبطت بالعدوانية والموت (E8) بعدما فشلت الرّقابة المجنّدة في بداية القصّة من السّيطرة عليها، ووجهّت ضدّ الشّخص الثالث الذي أسند له المبحوث دور الأب ممّا تسبّب في ظهور عواطف اكتئابية قويّة(B2-4) برّرها بتفاصيل نرجسية (CN10)، والقصّة قصيرة (CP2) تفتقر لتبرير العدوان والصّراع الحاصل (CP4).

الإشكالية:

كان الصّدى الهوامي قويّا في هذه اللّوحة ، ولم تمكّن سياقات الرّقابة القويّة المجنّدة من إبعاد الانبثاقات الهوامية العدوانية الموجّهة ضدّ الصّورة الأبوية ، ولم يكن المبحوث قادرا على إجلاء أسباب الصّراع العدواني أو إرصان قلق الهجوم القاتل ضدّ الموضوع وقلق الفقدان النّاجم عنه.

اللّوحة 10:

(ينظر جيّدا إلى اللّوحة ، يبعدها عنه قليلا)9" هذي تبيّن واش راني نشوف تبيّن العلاقة بين الزوج والزوجة وهي علاقة كشغل محبّة شغل تكامل بين الزّوج والزوجة تبيّن يوجد حسن التّفاهم معنتها علاقة حسنة بيناتهم تكامل متكاملين ما بيناتهم معنتها. 58"

(يقلب اللّوحة)

السّياقات الدّفاعية:

مهّدت الحركة السّلوكية(CC1) والصّمت(CP1) لظهور علاقة زوجية ميّزتها عواطف ليبيدية قويّة(B2-4) كبح أمين جماحها بالعقلنة (A2-13) والمثلنة (CM2)، والقصّة كما يبدو قصيرة (CP2).

الإشكالية:

اقترب أمين من إشكالية اللّوحة المتعلّقة بالتّعبير الليبيدي في إطار زوج لكنّ وجدانات الحبّ المدرجة جاءت في قالب عقلنة و مثلنة إيجابية.

يبدو أنّ العلاقة الجنسية الغيرية قد تحوّلت في النّهاية إلى علاقة تناظرية "متكاملين ما بيناتهم".

اللّوحة :11

7" هذي تبيّن كشغل منطقة صعبة كشغل هنا زلزال... معنتها تمثّل كارثة طبيعية معنتها صرات في منطقة واش تبيّن كارثة. 56 " (يقلب اللّوحة)

السّياقات المعرفية:

حاول أمين بعد صمت قصير(CP1)، وصف محتوى اللّوحة(A2-1) والتّحكّم في التّصوّرات المستحضرة(A2-3) التي أخذت طابعا مقلقا أوقعته في صمت(CP1) لم يمكّنه من تجنّب اجتياح تصوّرات كثيفة ارتبطت بالدّمار والكارثة(E9) و ترسّخت آثارها من خلال الاجترار (A2-8). كان الصّمت والتّوقف نهائيا عن القصّة(CP1) الملاذ الوحيد للمبحوث للتّخلّص من منبّه مقلق، ما جعل القصّة قصيرة (CP2) وخالية من توضيحات كافية (CP4).

الإشكالية:

نشّط القلق ما قبل التّناسلي تصوّرات تدميريّة لم يتمكّن المبحوث من إرصانها ، كشفت عن الهوامات التّدميرية التي تحييها صورة الأمّ البدائية .

وهكذا، لم يمكّن الكفّ أمين من الصّعود إلى مستوى أعلى رغم قدرته على النّكوص إلى مستوى بدائي.

اللّوحة 12BG:

11" هذي تمثّل كشغل ... منطقة في فصل الـ....الخريف معنتها سجرة ما فيها لورق فصل الخريف... فصل من فصول السّنة... تبيّن أنّ هذه المنطقة راهي فالغابة راهي جاية... منطقة في الغابة. 1' 51 " (يعيد اللّوحة)

السّياقات الدّفاعية:

بدأ أمين قصّته مباشرة(B2-1) بتحفّظ كلامي (A2-3) لم يمكّنه من مواصلتها (CP1)، لكنّه عاد بعد ذلك الصّمت محاولا وصف محتويات اللّوحة ومتمسّكا ببعض تفاصيلها(A2-1) دون الأخرى التي ألغيت كالقارب مثلا(E1)، مستحضرا تصوّرات تحمل رمزية خاصّة ربّما ارتبطت بالحزن والفقدان ".. فصل الخريف ، سجرة ما فيهاش لورق ".

تخلّلت القصّة توقّفات متكرّرة(CP1) عرقلت بناءها ، مؤدّية إلى اجترار الإدراك السّابق (A2-8) ، وكابحة لأيّة تداعيات أخرى قد تكون لها صلة بإشكالية اللّوحة.

القصّة قصيرة جدّا (CP2) وسطحية (CP4) تفتقد لأيّ صراع كان.

الإشكالية:

منع ثقل آليات الرّقابة والكف الخوافي بالإضافة إلى إلغاء موضوع ظاهر من تناول إشكالية هذه اللّوحة وبلورة صراعاتها.

اللّوحة 13B:

8" هذي تمثّل صورة حالة البؤس والفقر إلّي إلّي يعيشوه الأطفال والدّليل على ذلك المنزل هيئة المنزل وأنّ الطّفل ما عندوش حذاء واللّباس ديالو يبيّن حالة البؤس والفقر وتمثّل حالة الأطفال حاليا في البلدان الفقيرة. 50" (يعيد اللّوحة)

السّياقات الدّفاعية:

توقّف المبحوث مطوّلا أمام هذه اللّوحة (CP1) ، ولم ينطلق في قصّته إلاّ بصعوبة واصفا محتوى اللّوحة (A2-1) ومبرّرا إيّاه بتفاصيل ظاهرة (A2-2) في قالب مثلنة سلبية للموضوع (-CM2) .

لم يتمكّن أمين بعد استحضاره لتصوّرات سلبية ارتبطت بالتّجرّد من مواصلة القصّة، وكان عليه أن يكبح احتمال تدفّق آخر أو أن يتحكّم فيه ، ولم يجد سبيلا إلى ذلك إلاّ من خلال الاجترار (A2-8) و العقلنة (A2-13) ، و القصّة قصيرة (CP2) ومبتذلة (CP4) .

الإشكالية:

أمام لوحة تعيد تنشيط الوضعية الاكتئابية وفقدان الموضوع ، لم تظهر إلاّ تصوّرات ارتبطت بالتّجرّد والحرمان، أمّا العواطف الاكتئابية ، فكانت مجمّدة أو مخنوقة ، تصدّى لها المبحوث بالرّقابة والكبت.

اللّوحة 13MF:

11"هذي تمثّل كشغل صورة لرجل... قتل المرأة ديالو ويبيّن بعدما قتلها كشغل حزين ندمان على واش فعل.... هذا واش تمثّل لمرى والزّوج ديالها. 1' 03" (يعيد اللّوحة)

السّياقات الدّفاعية:

بعد زمن كمون قصير (CP1) وفي حركة رقابية تحفّظية (A2-3) ، جمّد أمين سير القصّة في شكل صورة(CN8) لشخص مجهول (CP3)، ثمّ عاد إلى الصّمت الذي لم يجنّبه تسرّب تصوّرات كثيفة ارتبطت بسلوك عدواني قويّ (E8) وجّه ضدّ الزّوجة ، ممّا تسبّب في ظهور عواطف اكتئابية ومشاعر ذنب قويّة (E9) حاول التّحكّم فيها (A2-3) اضطرّته إلى التّوقّف (CP1) .

كان الاستئناف بحركة شبه اجترارية للوضعية المدركة(A2-8) وبصفة سطحية(CP4) لم يبرّر أمين فيه أسباب الصّراع وحلوله الممكنة وخشية منه لتورّط أكثر، فضّل التّراجع والصّمت (CP1) .

الإشكالية:

أمام هذه اللّوحة التي تُحي بقوّة الهوامات الجنسيّة والعدوانية ضمن زوج ، لم يكشف أمين إلاّ عن الهوامات العدوانية العنيفة المرتبطة بالقتل دون إجلاءه لأسباب الصّراع المستحضر وقد رافقت ذلك الفعل العدواني مشاعر اكتئابية وأخرى ارتبطت بالذنب والنّدم.

يوضّح الشّعور بالذنب وبالنّدم المرتبطين بالجنسية التي ظهرت في هذه اللّوحة من خلال ربط شخصي الصّورة بعلاقة زوجية، وبالعدوانية في آن واحد، التّذبذب بين الرّغبة والتّحرّر النّزوي وبين الدّفاع.

اللّوحة 19:

15" هذي شوية (يبتسم)....(يدير اللّوحة في اتّجاه آخر).. هكّا واقيل؟ (يتمتم وينظر).... هذي تمثّل normalement مياه... هذي تمثّل منزل شغل في فصل الشّتاء وهذي ثلوج تمثّل انهيار المنزل في فصل الشّتاء هذا ما كان واش تمثّل. 1' 57" (يعيد اللّوحة)

السّياقات الدّفاعية:

بدا تضايق أمين من منبّه اللّوحة واضحا جسّدته التّوقفات الزّمنية المتكرّرة (CP1)، الحركات السّلوكية(CC1) التي أراد بها تصريف القلق الذي ولّدته الاستثارات الظّاهرة طلب المساعدة والدّعم من الباحثة (CM1? CC2)، أي سلسلة من أساليب الكفّ الخوافي والسّلوكي التي أراد بها الهروب من ضغط الصّدى الهوامي .

وبصعوبة ، تمكّن من الاسترسال في القصّة بالوصف والتّمسّك بالتّفاصيل(A2-1) في صيغة تحكّميّة (A2-3) لم تدم فعاليتها طويلا ، حيث تسرّبت تصوّرات كثيفة ارتبطت بالدّمار(E9) قام أمين بكبحها رافضا مواصلة السّرد (CP5?) " هذا ما كان ، هذا واش تمثّل ".

الإشكالية:

أثارت اللّوحة إشكالية بدائية ظهرت من خلالها هوامات تدميريّة قويّة كشفت عن "حاو" (un contenant) وموضوع سيّئين .

اللّوحة 16:

أنديسينيها ؟ (أوضّح التّعليمة) ... ما فهمتش (أشرح التّعليمة مرّة أخرى)... من عندي؟ (ψ: إلّي تحب).. ما 22" نقولو هاد الصّورة تمثّل قساوة المجتمع معنتها البيئة إلّي نعيشو

فيها معنتها داخل المنزل وخارج المنزل... معنتها خارج المنزل كيما نقولو الجرائم، القتل المخدّرات... وداخل المنزل ، تمثّل احتقار الأبناء للآباء وعدم طاعتهم معنتها عصيان الأبناء للآباء.... و(يبتسم) وعدم إعطاء الأهميّة تانيت لاحتقار الأخوات الأبناء البنات، احتقار الإخوة لأخواتهم هذا واش...(يبتسم).. هذا ما كان.. معنتها حالة المجتمع داخل البيوت وفي الخارج في الشّوارع هذا ما كان. 4'

السّياقات الدّفاعية:

راح أمين يبحث عن سند الباحثة(CM1) من خلال تكراره للسّؤال (CC2) وإظهار عجزه عن التّخيّل (CN9). رغم التّدخّل و إعادة شرح التّعليمة وما هو مطلوب منه أمام هذه اللّوحة الفارغة (CP5)، بقي المبحوث متخوّفا ومتردّدا في الانطلاقة (CP1).

تجمّد سياق القصّة في البداية في شكل صورة(CN8) ثمّ اتّخذ بعد ذلك طابع التّجريد والعقلنة(A2-13)، وباستناده إلى مراجع ذاتية(CN2)، استحضر أمين تصوّرات كشف بعضها عن عنف الواقع الخارجي وخطورته (E9)، وبعضها الآخر عن العنف والاضطهاد اللّذان يميّزان الواقع الأسري الدّاخلي.

تخلّلت القصّة توقفات(CP1) وسلوكات إيمائية(CC1) أعاقت تسلسلها، وانتهت باجترار نفس التّصوّرات التّجريدية(A2-13-A2-8) التي كشف أمين من خلالها عن هشاشة الحدود الدّاخلية والخارجية.

الإشكالية:

عكست القصّة انشغالات المبحوث، مشاكله ومخاوفه، وصورة عن واقعه الخارجي الخطر والمهدّد، وواقعه الدّاخلي المضطهد والمفتقد للأمن.

2-1- التّحليل الشّامل للبروتوكول:

2-1-1- المقروئية العامّة للبروتوكول:

غلب على بروتوكول أمين طابع الكف الذي تجسّد في السّطحية ، الابتذال وتجنّب الصّراع وذلك من خلال توظيف مكثّف لبعض الأساليب الخوافية (CP) كالتّوقفات الزمنية المتكرّرة سواء قبل بداية القصّة أو أثناءها (CP1)، الميل إلى تقليص القصص (CP2)، والعجز عن بلورة أسباب الصّراع (CP4) ، السّلوكية (CC)، كاللّجوء إلى بعض الحركات أو الإيماءات تهرّبا من تورّط مكلف أو تصريفا للضيق الذي سبّبته بعض اللّوحات(CC1)، النّرجسية (CN) كتناول القصّة على منوال لوحة فنيّة(CN8) لتثبيط الحركات النّزوية، والهوسية (CM)

كمثلنة المواضيع إيجابيا أو سلبيا (CM2)، وقد بلغت نسبة أساليب تجنّب الصّراع (C% = 57,45).

كان لأساليب الرّقابة وزن معتبر كذلك في هذا البروتوكول أكّد فشل المبحوث أمام الوضعية الإسقاطية، حيث سيطرت بعض الأساليب سيطرة واضحة كبحت تدفّق الحركات النّزوية اللّيبيدية والعدوانية ، وعرقلت سير سياق القصص وإرصان صراعاتها المختلفة وقد قدّرت نسبتها بـ (A% = 34,64)، من بينها : التّحفّظات الكلامية (A2-3) التي تكرّرت 32 مرّة في البروتوكول ، الاجترار العقيم للتصوّرات المستحضرة (A2-8) ، العقلنة (A2-13) التي تمكّن المبحوث بواسطتها من تجنّب التّقارب اللّيبيدي كما ظهر في اللّوحات: 2، 4، 6BM ، 7BM و10، ومن مواجهة قلق فقدان الموضوع والانفصال وهذا أمام اللّوحات المحرّضة لذلك وهي : 3BM ، 12BG و13B.

كانت الأساليب الأوّلية حاضرة أيضا وبشكل معتبر كذلك(E% =5,26)، برزت منها تصوّرات و/أو عواطف كثيفة ارتبطت بإشكاليات مختلفة(E9)، كالعجز(اللّوحة 3BM)

الدّمار(اللّوحتان 11 و 19) ، التجرّد (اللّوحة 13B) ، الموت (اللّوحة 13MF) ، وتعابير فجّة ارتبطت بالعدوانية (E8) ، برزت في اللّوحات التّالية : 3BM، 8BM ، 13MF و16 .
وبصورة ضعيفة جدّا، كان أسلوب الإلغاء(E1) الذي ظهر في اللّوحة 12BG، حيث جاء إلغاء القارب وسط رمزية تعبّر عن الفقدان " فصل الخريف ، سجرة مافيهاش لورق" بمثابة رفض الفقدان.
أمّا أساليب المرونة ، فكان تواجدها جدّ متواضع (B% =2,63) ، اقتصر على أسلوب إظهار علاقات غيرية (B2-3) ، التّعبير عن عواطف قويّة (B2-4) وإدخال أشخاص غير موجودين في الصّورة(B1-2)، ولم يكن لهذه الأساليب دور إيجابي بحيث يؤدّي إلى التخرّج من الصّراع.
من أجل كلّ ذلك ، فإنّ مقروئية هذا البروتوكول متوسّطة.

2-1-2- <u>الإشكالية العامّة للبروتوكول</u>:

إذا كانت لوحات اختبار الرّورشاخ ببدائيتها وغموضها قد تسبّبت في عودة المكبوت على شكل مضامين عدوانيّة انفجاريّة تبدو مرتبطة بتجربة عدوان بشري عايشها المبحوث في زمن ماض، فإنّ الأمر اختلف أمام لوحات اختبار تفهّم الموضوع الأكثر بناء والمثيرة لصراعات عالميّة، حيث برزت محاولة تحكّمه في التصوّرات المختلفة وبخاصّة منها العدوانيّة والعواطف المصاحبة لها بل حاول إبعادها وإيقافها خشية أن تغمر النّفس ثانية فتسبّب له مزيدا من التوتّر والضّغط فيفشل في التصدّي لها.
وإذا تمكّن أمين من بناء قصص تناول فيها بعض الصّراعات واقترب من الصّدى الهوامي للوحاتها وأقام علاقات تفاعليّة بين شخصيّاتها أجلى فيها التّجاذب الوجداني رغم تدخّل أساليب تجنّب الصّراع والرّقابة للحدّ من بلورتها و/أو إجلاء أسبابها، فإنّه تهرّب من إشكاليّات أخرى كتلك المرتبطة بعدم النّضج الوظيفي وقلق الخصاء، والإشكاليّات

الأوديبية ومعظم الإشكاليّات الاكتئابية عند إدراكه لهواماتها العميقة المهدّدة ربّما لأناه مفضّلا بذلك تجنّبها حماية له منها.

ففيما يخصّ الإشكاليّات الاكتئابيّة مثلا، فقد تمكّن المبحوث من استحضار تصوّرات تشير إلى الفقدان لكن من دون أن ترتبط بعاطفة اكتئابيّة وذلك في قوله أمام اللّوحة 12BG:" فصل الخريف سجرة مافيهاش لورق"، بينما ارتبطت التصوّرات المستحضرة أمام اللّوحات 13B 3BM و16 بإشكاليات التجرّد، الاضطهاد وعدوانية المحيط الخارجي وخطورته بالإضافة إلى العنف المميّز للعلاقات داخل الأسرة.

وعن الإشكاليات البدائية ، فقد حاول المبحوث الاقتراب منها باستحضاره لتصوّرات كثيفة مقلقة عن دمار تسبّبت فيه كارثة طبيعية " الزّلزال" (اللّوحة 11) وعن ظروف مناخية سيّئة (اللّوحة 19)، وقد تراجع عن بلورتها وإرصانها نظرا لقوّة صداها الهوامي ، وتلك ميزة السّير النّفسي لأمين، أي ضعف المواجهة مع الصّراعات النّفسية الدّاخلية والخارجية والتكيّف مع المحيط.

2-2- <u>الفرضيّة التّشخيصيّة حول نوعيّة السّير النّفسي</u>:

رغم الكفّ والتّجنّب اللّذان طبعا إنتاجيّة أمين أمام لوحات اختبار تفهّم الموضوع كما يتجلّى على ورقة الفرز، ورغم محاولات التحكّم في التصوّرات المختلفة والعواطف المصاحبة لها وفرض رقابة على النّزوات ليبيديّة كانت أو عدوانيّة لئلاّ تكتسح السّاحة الشّعوريّة فتشوّش توازنه النّفسي، تعامل المبحوث مع كلّ اللّوحات ولم يرفض ولا واحدة منهنّ حتّى أمام فراغ اللّوحة الأخيرة، حيث ملأها بمواضيع تشغله ويبدو أنّها تضغط على نفسيته.

تجلّى الكفّ الذي ميّز بروتوكول أمين في قصر القصص، كثرة التّوقفات وطولها أمام بعض اللّوحات، تجنّب بعض الإشكاليات رغم الشّروع في بلورتها،إذ سرعان ما كان يتراجع عن الاسترسال في معالجتها لقوّة صداها الهوامي أو لاستدعاءاتها التي قد تشكّل

خطرا عليه وكان ذلك يتمّ إمّا بالتوقف عن السّرد، أو ابتذال نهاية القصص وتسطيحها، أو تنكير إحدى الشّخصيّات، أو أخيرا، مثلنة إيجابية للمواضيع. أمّا إذا تدخّلت الرّقابة، فغالبا ما يكون الدّفاع عن طريق العقلنة والتّجريد لتجميد النّزوات العدوانية أو اللّيبيديّة التي استحضرها أو إخمادها.

من جهة أخرى، لم يمنع ذلك الدّفاع المكثف من التكيّف مع معظم إثارات المنبّه رغم تنوّعها واختلاف إشكالياتها، حيث لمسنا قدرته على التّعامل مع محتواها الظاهر وإظهاره تصوّرات ارتبطت بها عواطف ملائمة، كقدرته على إظهار التّجاذب الوجداني في العلاقات الغيرية فتارة العدوانيّة وتارة أخرى الحبّ و اللّيبيدو، وكذا الاقتراب من الصّدى الهوامي لبعض منها وبروز عمل نفسي داخلي لمحاولة مواجهة بعض الصّراعات المثارة وربّما التغلّب على العواطف القويّة التي تمكّن من إظهارها.

على أساس المعطيات السّابقة، نفترض أنّ السّير النّفسي لأمين هو من النوعية المتوسّطة.

3- المقابلة العيادية:

3-1- تقديم الحالة:

أمين ، شاب في الواحدة والعشرين من العمر ، هو أصغر إخوته الإحدى عشر ، ثلاثة منهم أشقّاء ، وسبعة آخرين غير أشقّاء.

عايش المبحوث أحداث الفيضانات العنيفة، المدمّرة والمميتة التي ضربت منطقة سكناه وكاد أن يهلك فيها لولا تطوّع بعض من النّاس لإنقاذه، كما أصيب بجروح بليغة وفقد خمسة أفراد من عائلته.

في الواقع، ليست هذه أوّل تجربة عنيفة ومؤلمة يعيشها أمين ويتأثّر بها، فماضيه البعيد والقريب حافلان بتجارب قاسية وبذكريات مكدّرة ومحزنة أيضا، حيث عايش طيلة عشرية كاملة أحداث عدوان شرس وهمجي من قبل جماعات إرهابية مسلّحة أفقد أمن البلاد واستقرارها. توالت الأحزان والأخبار المفجعة التي أثقلت نفسيته ، حيث فقد ابن خاله الذي كان بمثابة الأخ الأكبر والصّديق الحميم منذ عامين ، ومن بعده بفترة قصيرة ، والده الذي كان مثله الأعلى وسنده في الحياة ، ثمّ جدّته وكان ذلك قبل ثلاثة أيّام من وقوع الفيضانات ومن بعدها بستّة أشهر، خالته التي كان يعتبرها أمّه الثانية.

يترشّح المبحوث للمرّة الثّانية لامتحان شهادة البكالوريا وكلّه أمل في الفوز بالشّهادة ، ومن ثمّ التوجّه نحو الحياة العملية لتحسين وضعيته الاجتماعية وكسب المال الوفير.

3-2- عرض وتحليل المقابلة العيادية:

أمين، شاب هادئ الطّبع، قليل الكلام وخجول، يقطن في أحد أحياء باب الوادي الشّعبية العريقة، وينحدر من أسرة كبيرة العدد، متوسّطة الدّخل، ويعيش مع أمّه وإخوته الثّلاثة في بيت متواضع.

لم يحتفظ المبحوث من سنين طفولته وأولى سنوات مراهقته إلاّ بذكريات سيّئة طغى عليها الخوف،الحزن والرّعب النّفسي سبّبته الاعتداءات الإرهابية والهجمات العدوانية التي راح ضحيّتها آلاف المواطنين من مختلف الشّرائح الاجتماعيّة.

استحضر المبحوث بنبرة صوت بطيئة وبحسرة أحداثا مأساوية يبدو أنّها انغرست في ذاكرته وتعذّر عليه نسيانها ، فهو لا يزال يذكر تلك الاشتباكات العنيفة والطّويلة التي كانت تمزّق صمت اللّيل وهدوءه المخيف فتفزعه وتبقيه مستيقظا، ودويّ الانفجارات وأصوات صفّارات سيّارات الإسعاف والشّرطة في أيّ وقت من النّهار، ولا يزال يذكر أولئك الذين اغتيلوا غدرا وألقي بجثثهم المغمورة بالدّماء في إحدى زوايا الشّارع ، ومن بينهم شباب من حيّه ، وهو لم ينس أبدا ذلك اليوم الرّهيب ، الحزين الذي انفجرت فيه قنبلة تقليدية أمام مدخل ثانويته وجثة ذلك الشّرطي الذي أوكلت له حماية التّلاميذ من كلّ

خطر، وهي ممدّدة في بركة من الدّماء إضافة إلى إصابات متفاوتة الخطورة لعدد من التّلاميذ.

بنظرات امتزج فيها الألم بالغضب، وبصوت حزين قال:" جوّزت طفولة ماشي مليحة ما شفيت على حتّى حاجة تفرّح، عشنا سنوات كحولا، سنوات الإرهاب، القتيلة والموت، هذي هيا الطّفولة نتاعي ، تلقاي عباد يموتو قدّامك ، جيران قتلوهم ، بوليسي كلاطات فيه بومبا قدّام اللّيسي نتاعنا ، كاين تلاميذ إلّي تقاسو، هذاك النّهار ما يتنساش".

أثّرت تلك الأحداث العنيفة والأليمة كثيرا على نفسيته التي تشوّشت وتزعزعت كما ذكر لنا كان دوما قلقا، خائفا وبخاصّة عندما يخرج إلى الشّارع، ودوما في حالة استنفار يترصّد أيّ خطر محتمل، كما انخفض تحصيله الدّراسي وتشتّت انتباهه ممّا أدّى إلى رسوبه في امتحانات شهادة التّعليم الأساسي.

توقف أمين عن الكلام وبقي صامتا للحظات، ينظر إلينا تارة وإلى زاوية من حجرة المكتب تارة أخرى، تنهّد بعمق وكأنّه يريد استجماع قواه التي أنهكها الحديث عن تلك الأحداث الأليمة، نظر إلينا ثمّ قال:" كنّا عايشين فلخوف، الرّهبة ما تقدريش تخرجي كيما تحبّي، كنّا نتخبّاو، تعيشي كل يوم la même chose ، تنوضي على القتيلة والدّم.. جوّزنا سنوات كحولا تاع الإرهاب وكمّلناها بالحملة"، ثمّ صمت قليلا واسترسل:" نحكيلك واش صرى نهار الحملة؟.

استحضر المبحوث بشيء من التّفصيل وبنبرة صوت شبه ضعيفة أحداث يوم مروّع وحزين هو الآخر ولعلّه من أصعب أيّام حياته، فقد تعرّض فيه لخطر الموت غرقا وكاد أن يهلك لولا تدخّل بعض الشبّان لإنقاذه كما فقد خمسة أفراد من عائلته.

اجتمع أفراد العائلة الكبيرة التي كانت في يوهما الثالث من الحداد في غرفة واحدة خوفا من غزارة الأمطار ومن السّيول الصّغيرة التي بدأت تتشكّل و تحسّبا لأيّ طارئ، وفجأة، سمعوا دويّا قويّا في الغرفة المجاورة وإذا بشاحنة تصطدم بأحد جدرانها مسبّبة في اندفاع عنيف وسريع للمياه غمر البيت في لحظات معدودة. ساد الهلع وعلا الصّراخ والبكاء

وبينما تمكّن بعضهم من الفرار، بقي بعضهم الآخر ومن بينهم المبحوث محتجزا يصرخ ويستنجد.

اشتدّ الخوف والرّعب بانهيار حيطان المنازل المجاورة وبارتفاع كبير في منسوب المياه ولم يجد أمين سبيلا آخر للفرار وربّما للنّجاة سوى الإلقاء بنفسه في ذلك السّيل العارم:" خفت ولّيت نعيّط ، كي شفت لحيوط نتاع الجيران يطيحو خفت بزّاف ورحت فلما". كان يطفو تارة ويغطس تارة أخرى، ظلّ يقاوم إلى أن أنقذه بعض المتطوّعين ونقلوه إلى أقرب مستشفى.

كان المبحوث في حالة صدمة (état de choc)، متألّما من جروح بليغة أصيب بها في يده إثر ارتطامه بأحد أعمدة الكهرباء ومن كمّيات المياه الموحلة التي شربها و كان يسأل كثيرا عن مصير أمّه التي بقيت متشبّثة بسقف الخزانة.

تأثّر أمين بما حدث له وللمنزل الذي انهارت جدرانه و بوفاة بعض من أفراد عائلته وبخاصّة ابنة أخيه، حيث كان خبر غرقها بمثابة الصّاعقة، وبنظرات كلّها حزن قال:" تشوكيت كي قالولي ماتت، كنت نحبّها بزّاف كانت ختي الصّغيرة للدُرك مانيش مآمن، نقول سبحان اللّه كيفاه ماتت".

عانى المبحوث كثيرا في الأيّام الأولى التي تلت الكارثة الطّبيعيّة، كان قليل النّوم، ضعيف الشّهيّة، مرهقا ويشعر بألم مبرح في كلّ أنحاء جسمه وبخاصّة في يده المصابة، ولم تكن مشاهد الدّمار وصور الغرقى تبرح ذهنه وتفكيره ما كان يزيده حزنا، ضيقا وتخوّفا من خطر انفصال آخر موجع.

كما تسبّبت مواجهته الحقيقية مع الموت ورؤيته لجثة ابنة خالته منتفخة ومُزرقة بفعل الأوحال والمياه في ظهور أعراض نفسيّة صدمية على شكل انبعاث شبه متواتر لذكريات الأحداث الأليمة، أحلام مزعجة تتكرّر فيها صور غرقه الوشيك، يستيقظ منها فزعا يتصبّب عرقا وتتسارع دقات قلبه، تجنّب الأماكن المذكّرة بالفيضانات وميل إلى العزلة واجترار الذكريات الأليمة والمشاهد الفظيعة بلقطاتها:" ما كنتش à l’aise فهاداك الشهر، حسّيت روحي anormal أجّيني تصويرة بنت خالتي، شفتها كي ماتت يومين ما كليتش ما

كنتش قاع مليح، رعفت، كنت أنّوم روحي نعاود نغرق، أنّوم تاني فاميلتي، أنّوض مخلوع وقلبي يخبط كنت نقعد بزّاف وحدي ونبقى ساكت نتفكّر واش صرى ونخمّم لوكان مت راني في يد ربّي".

توالت الأحزان على أمين ولم تمض 6 أشهر على وفاة أفراد من عائلته حتّى ماتت خالته وعند سؤالنا له عن ردّة فعله إزاء الخبر وعن حالته النّفسيّة بعد ذلك، أجاب بعد لحظات صمت قصيرة وبنظرات كلّها حزن وتأسّف قائلا:" ما عندك ما تكوني تقعدي ساكتة غير تشوفي، إلّي يوصل الأجل ديالو يموت.. ما كان لا حملة لا والو"، ثمّ عاد إلى صمته وبتنهّد عميق استأنف حديثه قائلا:" على بالك خالتي هدي كي يمّا كنت نحبّها بزّاف وهي تتهلّى فيّا مُور إلّي ماتت حسّيت بلّي راحت حاجة كبيرة، كنت داير حوايج في راسي ندير هملها ما كتبش ربّي..كي يروح واحد من فاميلتي نريّح anormal، هكدا كي مات وليد خالي اتخلعت بزّاف كان كتر من خويا".

أمّا عن دراسته، فلم يكن المبحوث قادرا على الانتباه واستيعاب الدّروس بسبب سوء ظروفه الاجتماعية و حالته النّفسية، ما أدّى إلى رسوبه في امتحانات شهادة البكالوريا.

بعد مرور 15 شهرا على وقوع تلك الفيضانات القويّة، لا تزال ذكريات التعرّض الحقيقي والمباشر لخطر الموت والفقدان الأليم لخمسة أفراد من العائلة معظمهم أطفال، حاضرة ومسيطرة على تفكير المبحوث ونفسه مؤدّية إلى استمرار الأعراض النّفسية الصّدمية سابقة الذكر وظهور أعراض أخرى كالإحساس ببعض الإرهاق الجسدي والفكري، ضعف الهمّة وانخفاض المردود و قلّة اهتمامه بتسليّاته وانشغالاته ممّا كان عليه في الماضي.

لم يكن وصف المبحوث لوضعه النّفسي الحالي سهلا عليه، كان حديثه متقطّعا ميّزه التّجاذب في التّعبير عن الأحاسيس، العواطف والانفعالات، فتارة يظهر آلامه وتضايقه من تلك الأعراض التي يعاني منها، وتارة أخرى ينكرها أو يبتذلها أو يسقطها على أفراد آخرين من عائلته ممّن نجوا من خطر الموت غرقا كأمّه مثلا، وكأنّه يخجل ممّا هو عليه أو من الكشف لنا عن معاناته التي قد تكون، بالنّسبة له، مرادفة للضّعف أو للمرض، حيث

قال:" منين داك نحسّ بلّي ما رانيش à l'aise، نحس روحي مخنوق، نتخلع بلخف وأنّوم الموتى ونفطن بلعياط ، ساعات نبقى ساكت ونخمّم تقولشي ماشي صح واش إلّي صرى، مبصّح نورمال مابيا والو même نهار الحملة أنا كنت أنتيك ما تشوكيتش بزّاف.. يتسمّى أنايا ما كنتش زعما choqué ولاّ مخلوع كي رحت فلما، كنت conscient الحمد لله ثبّتني ربّي وعلابالي واش لازم ندير، يمّا مازالها تسوفري من واش صرى، مبصّح أنا حملة ولاّ ماشي حملة كيف كيف normal، أنا نسيتها لازم لحياة تتكمّل دركا كشغل تخدمي كتر لربّي، بالاك دركا كتر من قبل، والموت عبرة باش الإنسان يسقم روحو والشّعب كيف كيف، مبصّح نورمال ما صرالي والو، وmême تتعاود normal".

أمّا عن علاقاته بأسرته، فهي متينة وبخاصّة تلك التي تربطه بأمّه ، هذه الأخيرة لم تتخلّ عنه أبدا في محنته ومعاناته من ألم فراق ذويه عنه، وهو يكنّ كلّ الاحترام لإخوته غير الأشقاء لكنّه من حين لآخر، يشعر باحتقار بعضهم له وفرض سيطرتهم ورأيهم عليه بحكم صغر سنّه فيتضايق كثيرا:" خاوتي من بابا ملاح ونحبهم نورمال، مبصّح منين داك يحبّو يفرضو رايهم ولاّ يتحكّمو، أنا ساعات أندير كيما يديرولي، يتسمّى أنت تفرض رايك، أنا تاني نفرض رايي".

يأمل أمين في الحصول على شهادة البكالوريا بعد إخفاقه مرّتين لكنّه متردّد بين مواصلة دراسته والارتقاء فيها ، أو الانصراف إلى العمل لتحسين أوضاع أسرته الاجتماعية وكسب المال الوفير تعويضا عن سنوات الحرمان.

3-3- خلاصة المقابلة العيادية:

تعرّض المبحوث وهو يخطو أولى خطوات الرّشد لأعنف وأخطر تجربة في حياته ألا وهي المواجهة الحقيقيّة مع الموت، وكاد أن يهلك لولا تدخّل بعض المتطوّعين لإنقاذه، كما أصيب بجروح بليغة في يده اليمنى وفقد خمسة أفراد من عائلته معظمهم أطفال.

تسبّبت أحداث ذلك اليوم المروّع وتلك التّجربة العنيفة في تشويش نفسيّته واضطرابها واستمرار الأعراض النّفسيّة الصّدمية النّوعية وغير النّوعية التي ظهرت بعد شهر من تعرّضه المباشر للفيضانات وهي كما يلي:

- الانبعاث شبه المتواتر للذكريات الأليمة عن مشاهد غرقه وفقدانه لأفراد عائلته رغم محاولة تجنّبها ونسيانها،
- الأحلام السّيئة المتكرّرة عن صور الغرقى والتي يستيقظ منها فزعا، متضايقا وصارخا،
- تجنّب المرور من بعض الأماكن المذكّرة بالفيضانات وبخاصّة تلك التي كاد أن يغرق فيها فذلك يشعره بالقلق والخوف،
- مطاردة الأفكار السّيئة المرتبطة بالموت والتي غالبا ما تشغل فكره مسبّبة له قلقا وخوفا من فقدان آخر،
- صعوبة التّركيز الفكري والإحساس بالعياء،
- تقلّص الاهتمام بالنّشاطات وانخفاض المردود،
- الإحساس بالقلق واختلال الأمن والبحث عن الحماية.

كما كشفت المقابلة العيادية عن تجربة عنف بشري أليمة عانى منها المبحوث سنين طويلة يبدو أنّ آثارها لا تزال تضغط على نفسيّته.

4- خلاصة الحالة:

كشفت المقابلة العياديّة عن معاناة نفسيّة يحاول أمين إخفاءها أو ربّما التحكّم فيها امتدّت منذ سنوات الطّفولة التي سيطر عليها الحزن والرّعب النّفسي بسبب أحداث العنف والاعتداءات الإرهابيّة التي أفقدت أمن البلاد واستقرارها، وتسبّبت في زعزعة استقراره النّفسي أيضا ويبدو أنّ آثارها الوحشيّة لا تزال منغرسة في ذاكرته فقد تجلّت بوضوح أمام بعض لوحات اختبار الرّورشاخ وبشكل مباشر في اللّوحة II، حيث قال:" هذي تمثّل دم وأيّامات كحولا هذي تمثّل واش عشنا".

توالت الظّروف الأليمة والتّجارب العنيفة عليه، حيث فقد في عزّ أزمته النّمائيّة وبشكل تعاقبي 9 أفراد من عائلته كانت لهم منزلة رفيعة عنده وتربطه علاقة قويّة بهم من بينهم والده

المثل الأعلى والنّموذج التقمّصي، كما تعرّض لأخطر وأعنف تجربة في حياته وهي مواجهته الحقيقيّة مع الموت في الفيضانات القويّة التي اجتاحت منطقة سكناه، تجربة تركت آثارها على نفسيّته وفكره اللّذان لا يزالان مضطربين ومشوّشين، وقد أمكن لنا التحقّق من ذلك من خلال وجود أعراضيّة نفسيّة صدميّة أهمّها تناذر الانبعاث على شكل صور وأفكار مقلقة مرتبطة أساسا بالخوف من فقدان فرد آخر من العائلة، وكذا بعض مظاهر التغيّر في الشّخصيّة التي استعرضناها سابقا.

قد يكون تراكم تلك الظروف الأليمة والتّجارب العنيفة غير المدمجة ربّما والتي سبقت تعرّضه للفيضانات سببا في إرهاق جهازه النّفسي، أو كسبه هشاشة نفسيّة قلّلت من مقاومته لتجارب وأحداث الحياة وعرقلت عمل إرصان تلك العواقب المزمنة وعمل الحداد، وقد تجسّدت ملامح ضعف الآليات الدّفاعية أو عدم فعاليّتها أمام مختلف الصّراعات في اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع وبخاصّة أمام الإشكاليّات الاكتئابيّة، حيث لم يتمكّن أمين من استحضار تصوّرات عن فقدان الموضوع ترافقها عواطف اكتئابية، وبالمقابل، ارتبطت الإشكاليّات التي تطرّق إليها بالتجرّد وفقدان القدرة (perte de capacité)، بعدوانيّة المحيط الخارجي واضطهاد المحيط الأسري.

*** <u>إيناس، 21 سنة ، مصدومة وذات نوعيّة سير نفسي "سيّئة"</u>:**

تبلغ إيناس 21 سنة وهي السّادسة من بين سبعة إخوة، تترشّح للعام الثاني لنيل شهادة البكالوريا بعد رسوبها تأثّرا بوفاة أخيها غرقا.

1- **<u>عرض وتحليل بروتوكول الرّورشاخ</u>:**

النّص	التّحقيق	التّنقيط

اللّوحة I ٨ "10 1- كشغل خقّاش حاجة كحلة تامني ما يخوفونيش.. مبصّح الدّم ما نحبش الدّم كي يتفجّر واحد قدّامي ما نكونش قاع مليحة .. حاجة noir ... c'est tout . 1' 20"	شوفي تقول راسو ، هذو يدّيه (D1) هنا le corps (D4) مبصّح je ne vois pas علاه فيه هاد les vides normalement (Ddbl26) ما يكونوش ، كي تشوفيه ظلمة حاجة déjà ماشي مليحة يغمّك. الشّكل واللّون بين زوج ، اللّون هنا شويّة clair.	G FC' A Ban صدمة اللّونين الأسود والأبيض
اللّوحة II ٨ كيف كيف "10 2- كشغل blessé هذا لالا؟ (تنظر إليّ) ... la même chose .. كيف كيف كشغل متشابهين لالا؟ برك هذا blessé .. كيف كيف... je ne vois pas يعني كيف كيف لالا؟ (تنظر إليّ ، تشدّ على يديها)... (تشير لي برأسها إلى النّهاية) 1' 51"	مبصّح on dirait pas خقّاس ماشي باين (D1). On dirait دم (D2+D3) [D/D C Sang]	صدمة D FC A
اللّوحة III ٨ "12 3- كشغل هذا يخلع كتر منّو méchant لالا؟ أنا ما نديرش la différence.. ما كانش la différence، la même chose toujours خقّاش... الظلام 4- كشغل يبان deux hommes شوفي ويبان تقول خقّاش ... c'est tout . 1' 56"	On dirait يخلع (D7) on dirait le visage ، le noir، نتاعو و فالرّاس هنا plus clair فال corps كشغل ... (D1)	مواظبة على الخفاش D C'Clob A G K H Ban
اللّوحة IV ٨ "11 5- الموت حاجة noir (تزغد رجليها وتتحرّك كثيرا) 6- تقول وحش (تضحك وتشدّ على يديها)....	(G) شوفي on dirait راسو(D3) يقدر وحش ما يكونش noir. (G sans D2)	صدمة G C' Abst Glim Fclob (A) ?C'

7- سحابة كحلة c’est tout . 1' 13"	(G sans D1+ D3)	G E Frag Amputé
اللّوحة V ٨ 5" 8- هذي خفاش (تضحك)... 9- ظلمة، مرض تقول مرض .... c’est tout. 1'	قاع (G).. (G sans D10) كشغل مغموم ماشي clair .... foncé.	G F+ A Ban Glim C' Abst
اللّوحة VI ٨ 14" Plus clair عليها لالا؟.... 10- حيوان لالا؟ (تنظر إليّ وتشير برأسها وكأنّها تقول لا أدري ، تتنهّد)... la même chose برك هذي plus clair... c’est tout. 1' 12"	(D3) هذا ما كان.	D F- A
اللّوحة VII ٨ 15" 11- on dirait كتاب مقطّع كشغل des pages ... (تطرطق أصابعها) هذا ما كان. 53"	كتاب محلول (D4) وهذو (D3) des feuilles déchirées.	D/D F+ Obj
اللّوحة VIII ٨ 8" 12- كشغل زوج حيوانات معلقين.. ماشي clair بزّاف paceque فيها le rouge 13- تقول النّار (تقضم أظافرها) ... c’est tout. 1' 45"	(D1) (D7)	D F+ A D CF Elém
اللّوحة IX ٨ 20"		

14- on dirait النّار... الموت.. هذا ما كان. "44	puisque النّار، الموت. (½ D5)	D CF Elém/Abst
اللّوحة X ٨ "17 15- حياة شويّة فيها.... 16- on dirait كرابّا (تبتسم) هذا ما كان.. كشغل حياة معلقة فيها بزّاف عفايس عيّانين عفايس ماشي ملاح c'est tout. 1 ' 17"	(G) (D1)	G F+ Abst D F+ A Ban

<u>اختبار الاختيارات:</u>

<u>الاختيار الإيجابي:</u>

VII : باينة شوية claire ما كانش la deuxième مبصّح كي نخيّر،نخيّر هذي.

VI : كيف كيف plus claire.

<u>الاختيار السّلبي:</u>

IX : paceque ماشي مفهومة.

IV : paceque قتلك الظلمة toujours.

1-1- <u>التّحليل الكمّي للبروتوكول:</u>

Le psychogramme البسيكوغرام

		Nbre	%				
R : 16	G	8	50	F : 5	{F+ :4	A : 7	F% : 31,25
Rép addi : 1							
Refus : 0	D	7			{F- : 1	(A) : 1	F+% :80
Tps.Total : 12'51"	D/D	1	50			(H) :1	F% él : 50
Tps/réponse : 3'70"							F+% él : 87,5
Tps.Lat moyen : 45"							A% : 50

K : 1		H% : 6,25
FC : 1	Elém : 2	
FC' :1	Fragt : 1	Ban : 4
CF : 2	Obj : 1	
C' : 3	Abstr : 4	
(1?)		
E : 1		
Fclob : 1		chocs : 3

T.Appr : G D
T.R.I : 1K/7,5C
F.Compl : 0 k/1,5E
RC% : 31,25

2-1- <u>التّحليل الكيفي للبروتوكول</u>:

1- 2-1- <u>الخصائص العامّة للبروتوكول</u>:

إنّ ما يسترعي الانتباه عند القراءة الشّاملة والأوّلية لبروتوكول إيناس، هو الطّابع الحصري والخوافي لمحتوى الأجوبة المعطاة، الذي ارتبط بطبيعة المادّة من حيث خصائصها اللّونية الشّكلية وبدائية الصّور من جهة، وبرمزية كلّ لوحة من لوحات الاختبار وما نشّطته هاته الأخيرة من إشكاليات من جهة أخرى.

ربّما كانت هذه النّوعية من الإنتاجية محصّلة للأوضاع الضّاغطة والمأساوية التي مرّت بها المبحوثة منذ فترة، ولا تزال تعاني انعكاساتها إلى يومنا هذا، كما سنراه لاحقا من خلال معطيات المقابلة العيادية.

يتجسّد لنا هذا الطّابع الخوافي من خلال جملة من المميّزات الهامّة نستعرضها بإيجاز قبل الشّروع في التّحليل الكمّي والكيفي للمعطيات المتحصّل عليها،على أن نتطرّق لبعض منها بشيء من التّفصيل لاحقا ، وتتمثّل في :

- قلّة الإنتاجية، حيث لم تتورّط المبحوثة كثيرا أمام هذا المثير بل يمكن القول أنّه كان صعبا جدّا عليها سواء أثناء التّطبيق أو في مرحلة التّحقيق، فاكتفت بستّ عشرة إجابة

(16) ولم يكن بمقدورها إعطاء أكثر من ذلك والاقتراب هكذا من المعدّل المحدّد بين 20 إلى 30 إجابة في البروتوكول "العادي".

وإذا نظرنا إلى توزيع الإنتاجية المتحصّل عليها عبر اللّوحات، نجدها تتراوح بين إجابة إلى ثلاث إجابات في اللّوحة الواحدة.

- التوقفات الكثيرة والطّويلة داخل الأجوبة التي تعبّرعن الضّيق والكفّ تجاه هذه المنبّهات والمقاومة ضدّ تورّط إسقاطي قد يكون خطرا، إضافة إلى طول زمن الكمون الأوّلي في كلّ من اللّوحات VII ، IX و X.
- فقر في التّعبير الكلامي والإرصان والميل إلى التّقليص، فأجوبة المبحوثة كلّها عبارة عن إدراك وأحيانا إسقاط تصوّرات حصرية و مقلقة مشحونة بعواطف الخوف دونما محاولة الإرصان، بل هي في الواقع محاولة تخلّص من الوضعية التي توجد فيها أو كبح للنّداعيات حيث كانت تقول :"هذا ما كان، je ne vois pas c’est tout ".
- وجود تحفّظات كلامية كثيرة" كشغل، تقول، on dirait، تعكس الحذر والحيطة من تورّط قد يهدّد حياتها النّفسية.
- بروز حساسية مفرطة تّجاه الألوان الدّاكنة ويظهر ذلك جليّا أمام اللّوحات التّالية:I،III، IV V و VI .
- بروز تعابير الحصر والقلق تجلّت في كثرة الحركة،التنهّد، الإيماءات،الصّوت المنخفض كما كانت إيناس تلجأ أحيانا إلى دفاعات هوسية كالضّحك مثلا بغرض تصريف القلق الذي كان يغمرها.
- إظهار الحاجة إلى السّند من خلال الأسئلة الموجّهة إلى الباحثة أحيانا وطلب المساعدة بالنّظرة أحيانا أخرى.
- وأخيرا، انتقادات موضوعية ارتبطت بخصائص المنبّه(critiques objectives) وأخرى ذاتية كشفت عن انزعاجها وقلقها من المادّة المقدّمة لها ومن الوضعية في آن واحد، وربّما كانت تلك محاولة غير مباشرة للتخلّص والانفلات منهما.

1-2-2- السّياقات المعرفيّة:

لم تتنوّع طرق التّناول عند إيناس، إذ لجأت إلى نوعين فقط وهما الكلّي والجزئي الكبير. رغم التّساوي في عدد الأجوبة بين الكلّية والجزئية، وبالتّالي في النّسب المئوية لكليهما (G% =D% = 50)، تبقى نسبة الإجابات الشّاملة متفوّقة بالنّظر إلى المعدّل الذي يتراوح بين 20 و23%.

ظهرت ثمان إجابات شاملة من بين ستّ عشرة إجابة مقدّمة، وكان معظمها بسيطا، خال من التّركيب و الإرصان ودون فضول شخصي، تفاديا لأيّ انخراط عميق قد يزعجها أو يضرّ بها،وكأنّه نوع من الخضوع للمنبّه أو نفاذية خالصة لخصائصه اللّونية على وجه الخصوص والتي تتجلّى في المحدّدات الحسّية الخالصة، والفاتحة القاتمة التي جاءت أحادية تارة، وهذا في اللّوحتين IV (الإجابة الخامسة) وV (الإجابة التّاسعة)، وثنائية تارة أخرى كما تظهره اللّوحتان III (الإجابة الثالثة) وIV أيضا (الإجابة السّادسة).

يبدو أنّ التّفضيل مُنح لما هو معاش ومحسوس، وهكذا، يمكن القول أنّ الإجابات الشّاملة قد قامت مقام "وعاء" للحصر والقلق، فهل يمكن أن نعزو ذلك إلى ضعف الأنا الذي يسمح باجتياح أو اندفاع انفعالي فجّ للنّزوات يظهر هشاشة الحواجز الدّاخلية أو اضطرابها، وحتّى بالنّسبة للمواضيع التي تثير ذلك الانفعال أو توقظه، والتي تأتي لتتعدّى وتضغط على الفضاء النّفسي جاعلة بذلك محاولات التحكّم والمراقبة فاشلة؟، هذا ما سنحاول التعرّف عليه من خلال تحليل المعطيات المتبقيّة.

ومثلما كان هناك تمازج بين المحدّدات في الإجابات الشّاملة، فإنّ الأمر لم يختلف في الإجابات الجزئية، وحتّى وإن تنوّعت المحدّدات بين شكلية إيجابية وسلبية، فاتحة- قاتمة تضليلية ولونية، تبقى هذه الأخيرة هي الطّاغية مقترنة بتصوّرات ذات دلالة رمزية خاصّة كما سنرى ذلك لاحقا.

بالفعل، حاولت إيناس فرض رقابة على حركة النّزوات اللّيبيدية والعدوانية خوفا من طغيانها على السّاحة العقلية وانفلات التحكّم فيها، فلم نسجّل إلاّ انزلاقا واحدا فقط (F- = 1) ظهر أمام اللّوحة VI، لكنّ الرّقابة التي حاولت المبحوثة التصدّي بها أمام بعض

اللّوحات التي بدت لها مزعجة، لم تصمد أمام حساسيتها لخصائص المنبّه اللّونية وانجذابها الكبيرإليها فاسحة المجال لبروز سورات عاطفيّة حادّة في سياق خوافي و حصري.

1-2-3- الدّيناميكيّة الصّراعية والتّظاهرات الحسّية:

1-2-3-1- الدّيناميكية الصّراعية:

كانت مشاركة المحدّدات الحركية (K) محدودة جدّا في هذا البروتوكول، فقد اكتفت المبحوثة بمحدّد واحد ظهر في اللّوحة III، وكشف عن تقمّصات ذكرية سطحية افتقرت للشّحنات النّزوية أو لإرصان صراع ما.

ضمّت تلك الإجابة الحركية الوحيدة والمبتذلة تحفّظا كلاميّا" كشغل يبان deux hommes" وكأنّ هناك نوع من الحيطة والحذر للتّعبير عن أيّ صراع نفسي داخلي أو علائقي، كما جاءت في جوّ ساده القلق والخوف، هذا ما تجلّى في طول زمن الكمون(12")،التوقفات الكثيرة أثناء إعطاء الأجوبة، والطّابع الخوافي المقلق الذي جاءت به الإجابة الثالثة، حيث قالت إيناس:" كشغل هذا يخلع كتر منّو، méchant، الظلام"، فالظاهر أنّ المبحوثة تحاول التحكّم في صراع نفسي داخلي و في نزوات مقلقة ومخيفة و تخشى من عودة المكبوت ومن بروزه.

1-2-3-2- التّظاهرات الحسّية:

ظهر تأثّر المبحوثة الكبير بالمنبّه وانجذابها نحو ألوانه وبخاصّة الدّاكنة منها وقد برز ذلك جليّا في اللّوحات:I، III، IV، V وVIII، ما يكشف ربّما عن حساسيتها للواقع الخارجي الذي تعيشه إيناس في جوّ من الضّيق والانزعاج.

رغم ابتذال جواب اللّوحة الأولى (خفّاش) إلاّ أنّه كان محمّلا بعاطفة مخيفة حاولت إنكارها قائلة:".. حاجة كحلة.. تامني ما يخوفونيش"، لكنّ الرّقابة سقطت في التّحقيق فاسحة المجال لبروز تصوّرات وعواطف مقلقة حيث قالت:" كي تشوفيه ظلمة، حاجة

déjà ماشي مليحة يغمّك"، بالإضافة إلى حساسيتها للّون الأبيض وللفراغ على وجه التّحديد الذي يبدو أنّها لا تتحمّله، حيث قالت:" مبصّح je ne vois pas علاه فيه هاد les vides ، normalement ما يكونوش"، فهل في ذلك إشارة إلى وجود بعد اكتئابي؟.

يدلّ بروز الإجابات اللّونية الخالصة (C') على فقدان التّحكّم نظرا لاجتياح عواطف القلق والخوف السّاحة النّفسية، وما النّوع المنبسط للصّدى الدّاخلي إلاّ دليل على ذلك (T.R.I = 1K/ 7,5C) ، ففي كلّ مرّة ،وهذه هي خصوصية بروتوكول إيناس، تتسلّل حساسية للمظهر الدّاكن لبعض لوحات الاختبار الملتحمة منها والمتناظرة كاللّوحة III مثلا.

وإذا تمكّنت المبحوثة من التّعبيرعن الاعتداء في اللّوحة II ولو كان في نمط تحكّمي بقولها في التّطبيق:" كيف كيف كشغل هذا blessé "، وفي التّحقيق:" on dirait دم "، فإنّ التصوّرات المزعجة والحركات النّزوية القويّة تلك قد كُبتت بشكل فعّال في اللّوحة III لئلاّ تجتاح نفسيتها فتعجز عن حبسها أو عن مقاومتها.

تحدّثت ك. شابير (C.CHABERT, 1983) عن وجود توزيع كلاسيكي للأجوبة اللّونية في بروتوكول الرّورشاخ يتعيّن كما يلي: بروز حركات نزوية قويّة في اللّوحتينII وIII (عدوانية أو ليبيدية)، وظهورميول "رقيقة "، "مرهفة "،أو" نكوصية" في اللّوحات الباستيل فماذا حدث عند إيناس؟.

حاولت المبحوثة فرض رقابة صارمة أمام اللّوحات الأخيرة خوفا من اجتياح عواطف أخرى مهدّدة، لكنّ تصوّرات فجّة مرتبطة بالدّمار والموت تفوّقت عليها، كما ظهر في اللّوحتين VIII (الجواب 14) و IX (الجواب 15) حيث قالت:" تقول النّار، on dirait النّار...الموت puisque النّار الموت".

يبدو أنّ التّأثير اللّوني قد استمرّ حتّى أمام اللّوحات الباستيل، وكان مسيطرا لدرجة أنّ الألوان الفاتحة لم تمكّنها من التّخفيف من حدّة التصوّرات والعواطف المقلقة التي تميّز عالميها الدّاخلي والخارجي ، وهذا ما تأكّد في اللّوحة X وبالتّحديد في جوابها الأخير(16) حيث قالت :" كشغل حياة معلّقة ، فيها بزّاف عفايس عيّانين ، ماشي ملاح".

1-2-4- المحتويات:

إنّ ما يلفت الانتباه في بروتوكول إيناس، هو سيطرة المحتويات الحيوانية (A% = 50) مقابل نسبة ضعيفة جدّا للمحتويات الإنسانية التي قدّرت بـ (H% = 6,25) ، بالإضافة إلى ظهور انشغالات أخرى متنوّعة ارتبطت بالتّجريد (Abstraction)، بالموضوع (Objet) بالشّظايا (Fragment) وأخيرا بالعناصر (Eléments) وكلّها ذات نوعية حصرية ، مقلقة وسلبية.

إنّ اللّجوء القويّ إلى محتويات حيوانية على حساب محتويات أخرى،هو بمثابة قوقعة اجتماعية تقام كدفاع أساسي لتجنّب الاتّصال الواقعي والعلاقة الحقيقة، فالإدراك الإنساني الوحيد الذي جاء في اللّوحة الثالثة III، بقي بسيطا ، خاليا من أيّ صراع نفسي أو من نزوات ليبيدية كانت أو عدوانية، لكن تبقى نوعيّة المحتويات الحيوانية رديئة ، ارتبطت بها عواطف الخوف والقلق.

والملاحظ أيضا هو تثبيت إيناس على إدراك حيواني واحد" خفّاش" وتكرارها له في اللّوحات الثّلاثة الأولى وبشكل آلي رغم اختلاف المنبّه شكلا ولونا والمواظبة عليه، رافقته تصوّرات مقلقة ومخيفة.

1- 3- الإشكالية العامّة للبروتوكول:

بدا استثمار المنبّه متقلّصا وضعيفا عند إيناس إذا ما أخذنا في الحسبان قلّة تنوّع طرق التّناول والمحتويات وضعف شديد للإجابات الإضافية ، فالأجوبة قصيرة تفتقر للبلورة و للإرصان لكنّها محمّلة بهوامات وعواطف حصرية ومولّدة للقلق.

عكست معطيات البروتوكول انفعالية مفرطة للمنبّهات الحسّية على حساب الحركات الفكرية وجاءت مشبّعة بعواطف حصرية كما ذكرنا آنفا.

تميّز البروتوكول أيضا بالتّكرارالآلي لتصوّرات مقلقة ومخيفة ظهرت أمام اللّوحات الثّلاث الأولى، حيث قالت في اللّوحة I:" خفّاش كحل "، وفي اللّوحة II:"كيفكيف كشغل

هذا blessé وأخيرا في اللّوحةIII :" خفّاش يخلع كتر منّو، méchant، ما كانش la différence ، la même chose ، toujours خفّاش"، ونفس المُدرك ظهر أمام اللّوحةV التي تحرّضه آخذا بذلك صفة الابتذال ، لكنّ تصوّرات مقلقة رافقته :" كشغل ظلمة، مرض تقول مرض".

ربّما كان لتثبّت إيناس على إدراك حيواني مرادف للظّلام وخطورته، رمزية خاصّة لم تجد سبيلا للتّعبير عنها إلاّ من خلاله لاسيما وأنّه ارتبط بتصوّرات حصرية مولّدة للخوف وللقلق و بالاعتداء والعنف .

إضافة إلى ذلك، ظهرت مواضيع ربّما كشفت عن هشاشة في العلاقات مع المواضيع الدّاخلية أو خطورتها، كقولها أمام اللّوحةIV :"الموت، حاجة noir ، سحابة كحلة"، أو عن الفقدان وكان هذا في اللّوحة VII:" كتاب مقطّع، كتاب محلول وهذو des feuilles déchirées ، وأخيرا ، عن الخطورة والضّيق اللّذان يميّزان العالم الخارجي ، حيث قالت في اللّوحتين VIII وIX :" تقول النّار، on dirait النّار"، "الموت ، puisque النّار، الموت".

حاولت المبحوثة استدراك الانزلاقات وتقليص خطر الاجتياح النّزوي حماية لنفسها من الإثارة المفرطة، ووضع حدود بين العالمين الدّاخلي والخارجي من خلال بعض أساليب الرّقابة والتحكّم وأحيانا الكبت، لكنّ محاولاتها بقيت ضعيفة مثلما رأينا ، حيث وجدت نفسها فريسة لمشاعر الخوف والقلق ولانجذابها نحو اللّون الأسود الذي يكشف عن وجود بعد اكتئابي. قد يعود سبب ذلك كلّه إلى ضعف الأنا وهشاشته وضعف وظائفه المانعة لمثل ذلك الإفراط ، بمعنى فشل نظام صاد-الإثارات في مواجهته للواقع الخارجي و في وضع حدود متينة ومستقرّة.

4-1- <u>الفرضيّة التّشخيصيّة حول نوعيّة السّير النّفسي</u>:

جاءت إنتاجيّة إيناس ضئيلة ومتقلّصة مقارنة بالمعدّل المقدّر بين 20 و30 إجابة في البروتوكول "العادي"، مفتقرة للتّعبير الكلامي، للتّداعيات ، للإجابات الإضافية وللبناء

القويّ للأجوبة التي طغى عليها الطّابع الخوافي والحصري ارتبط بتأثر المبحوثة الكبير بمكوّنات المنبّه الشّكلية واللّونية بشكل خاص وحساسيتها تّجاه اللّون الأسود، والتي حرّضت مواضيع مضايقة ومولّدة للقلق رافقها الخوف، تكرّر بعضها بشكل آلي أمام اللّوحات الأولى من الاختبار رغم تغيّر محتوى المثيرات وإشكالياتها الكامنة وذلك لثقلها أو ربّما لضغطها على السّاحة النّفسية، ما قد يدلّ على عجزها عن التكيّف مع الواقع الخارجي أو على ضعف في عمل الرّبط بين البنيات الشّعوريّة واللاّشعوريّة.

كما لمسنا ضعفا في فعالية الاستراتيجيات الدّفاعية التي وظفتها أمام اللّوحات كالإنكار العزل والكبت إضافة إلى دفاعات سلوكية وهوسية، والتي حالت دون السماح بالتّعامل مع جميع الإشكاليّات ومواجهتها و بارصان تلك التصوّرات المكدّرة والمقلقة التي انبثقت أمام بعض اللّوحات واقتربت من صداها الهوامي، والتخرّج منها.

وفقا للمعطيات السّابقة، يمكننا القول أنّ السّير النّفسي لإيناس هو من النّوع السّيئ.

2- عرض وتحليل اختبار تفهّم الموضوع:

اللّوحة:1

5" كيفاش حكاية؟ نتخيّل حكاية ما فهمتش..(ψ:أتخيلي حكاية من هاذي التّصويرة)... نقولك كيفاش راهو قاعد؟ .... تقول فيلم ، فيلم تاع دزاير تاع دار السبيطار هذاك عمار ما فهمتش كفاش حكاية (تنظر إلي قلقة)... ما فهمتش وشنو هذيا كتاب؟ (ψ: شوفي إنت)....on dirait كتاب ما فهمتش كيفاش نحكي حكاية ، أعطيني وحد أخرى بالاك نفهم.

2' (تحرّك رجليها كثيرا)

السّياقات الدّفاعيّة:

ظهرت صعوبة التّعامل مع اللّوحة والاستجابة للتّعليمة من خلال الطّرح المتكرّر للأسئلة (CC2) بحثا عن السّند (CM1) ، واستمرّت الصّعوبة حتّى بعد تدخّل الباحثة وشرح التّعليمة مرّة أخرى (CP5)، لكنّ المبحوثة وبعد زمن كمون نسبي (CP1) وفي منجى تحفّظ كلامي (A2-3)، تمكّنت من الانطلاقة في قصّة ابتعدت فيها تقريبا عن المحتوى

الظّاهري للّوحة فكان لجوءها إلى الخيال (A2-12)" الحل الأنسب لها لحماية نفسها من مثير يبدو مقلقا بالنّسبة لها ولتجنّب أيّة حركة نزوية، لكنّها سرعان ما أخفقت(CP1) وعادت مرّة أخرى لطلب المساعدة (CC2) حول مضمون اللّوحة والتعرّف على تفاصيلها.

لم تجد محاولة الإنعاش (CP5) صداها عند المبحوثة ولم ترفع الكبت عنها، وقد تصدّت لاحتمال تدفّق المادة اللاّشعورية بسلسلة من أساليب الكف والرّقابة وبنقد ذاتي (CN9) معبّرة عن فشلها في بناء قصّة أو بالأحرى، الهروب من المواجهة المقلقة (CP5) .

الإشكالية:

تجنّبت المبحوثة مواجهة القلق الخصائي الذي أثارته اللّوحة بسلسلة من أساليب الكف والرّقابة (كتحويل الوضعية الصّراعية إلى مشهد من فيلم، وعدم إدراك موضوع الرّاشد) التي تصدّت بشكل قويّ لمرور المادّة اللاّشعورية وبروزها على سطح الشّعور.

اللّوحة 2:

(إيماءات) 12" شوفي زعما مرى رايحة تخدم هذي واقفة تشمّس وهذا راهو يخدم يزرع... كشغل أنديرها حكاية؟ (ψ: أنعم)... ما عرفتش كفاش... شغل مرى رايحة تخدم يمّاها واقفة تشمّس وهذيا راهو واقف يزرع c'est tout, je ne vois pas. 1' 08" (تحرّك رجليها كثيرا)

السّياقات الدّفاعيّة:

بصعوبة كبيرة ترجمها الصّمت (CP1) والتّعبير الإيمائي (CC1)، وبتحفّظ كلامي (A2-3) استهلّت إيناس القصّة بوصف عناصر اللّوحة كلّ على حدى (A2-1 ? CF1) دون

التّعريف بهم (CP3) والرّبط فيما بينهم ضمن علاقة واضحة (A2-15)، والتّركيز على ما هو يومي وفعلي (CF2/CF3) .

تواصلت صعوبة مواجهة المثير مثلما حدث في اللّوحة الأولى، والتي عبّرت عنها بالصّمت (CP1)، التحفّظ اللّغوي (A2-3) وطلب المساعدة (CC2) الذي يكشف عن تبعيتها أمام هذه الوضعية المولّدة للقلق وحاجتها لدعم الباحثة (CM1). لم ينجح التّدخل (CP5) في تحريرها من الكبت والرّقابة وكانت نهاية القصّة باجترار(A2-8) الوضع السّابق (CF1,CF2,CF3) ولكن هذه المرّة بالتّقريب بين العنصريين النّسويين وربطهما بعلاقة "أم-بنت"، مع إبقاء العنصر الذّكري مجهولا ومعزولا. ولحماية نفسها أكثر، وضعت المبحوثة بحركة نقدية (CP5? CN9)، حدّا للقصّة قائلة: « Je ne vois pas, c'est tout ».

الإشكاليّة:

منع ثقل السّياقات الدّفاعية الموظّفة من انبثاق أيّ صدى هوامي مرتبط بالإشكالية الأوديبية التي تبعث إليها اللّوحة، وهكذا، استحال الوصول إلى العلاقة الثلاثية وبالتّالي إرصان الصّراع الأوديبي ، من خلال العزل والتمسّك بما ظاهري ،يومي وفعلي.

اللّوحة3BM:

10" تقول مرى تبكي مريضة، ما فهمتش وشنو حكاية هذا واش راني نشوف... تقول مرى ضربها راجلها وراهي تبكي هذا ما كان. 55"

السّياقات الدّفاعيّة:

بعد زمن كون نسبي (CP1) ودائما من خلال تحفّظ كلامي(A2-3)، برزت عاطفة قويّة نُسبت لشخصية أنثوية مريضة(E6) بقيت مجهولة(CP3)، وسرعان ما تدخّلت سياقات

الكفّ الخوافية (CP1)و(CP5) والنّرجسية متمثّلة في النّقد الذاتي(CN9) لتحدّ من القلق وثقل التصوّرات التي يكون المنبّه قد أثارها.

وبحركة رقابية تحفّظية(A2-3) وباللّجوء إلى إدخال عنصر غير موجود على اللّوحة (B1-2) استبدل التصوّر المرتبط بالمرض بصراع علائقي (B2-3) مشحون بعدوانية (E8) ومجهول الأسباب (CP4)، وبنوع من السّطحية، أنهت إيناس قصّتها القصيرة (CP2).

الإشكاليّة:

جاء التّعبيرعن عواطف اكتئابية ممزوجة بعدوانية ضمن صراع علائقي متغاير الجنس « hétérosexuel » مبتذل ومجهول الأسباب،وهكذا، تفادت المبحوثة إشكالية فقدان الموضوع بتصوّراتها وعواطفها.

اللّوحة 4:

(تضحك) 8" تقولي فيلم ... تقول حكاية تاع الحبّ ولاّ ما علابالیش أنایا... هذا واش راني نشوف.. هذا ما كان c’est tout . 53"

السّياقات المعرفيّة:

تواصل سياقات الكف والرّقابة هيمنتها مانعة المبحوثة من بناء قصّة هذا ما أكّده السّلوك (CC2)، التوقفات المتكرّرة (CP1)، التحفّظ الكلامي (A2-3) واللّجوء إلى الخيال (A2-12) بتحويل الوضعية الصّراعية إلى مشهد فيلم رومانسي دون إظهار شخصي اللّوحة بشكل مباشر، وكان الصّمت (CP1) أفضل دفاع لتجنّب تورّط أكبر.

الإشكاليّة:

عبّرت المبحوثة من خلال قصّتها عن قطب واحد فقط للصّراع النّزوي وهو القطب اللّيبيدي لكن في سياق خيالي بعيد تماما عن الواقع، إذ في ذلك خطر عليها. يبدو أنّ التورّط في علاقة صراعية جنسية حقيقية غير مسموح به بالنّسبة لها.

اللّوحة 5:

(تزغد رجليها،تنظر مطوّلا إلى اللّوحة)17" تقول مرى راهي أطلّ...هذا واش شفت...(تزغد رجليها ، تنظر إلي وتشير برأسها إلى نهاية القصّة).. هذا ما كان. 1' 26"

السّياقات المعرفيّة:

لم تتمكّن المبحوثة أمام هذه اللّوحة من إنشاء قصّة، فتجنّب الصّراع يبدو جليّا من خلال قصرها (CP2)، التوقفات الزّمنية (CP1) والحركات الجسدية (CC1)، فنراها تتقيّد بالمحتوى الظّاهري للّوحة (CF1) دونما التّعريف بشخصها (CP3) .

الإشكالية:

تجنّبت المبحوثة صورة الأنا الأعلى والصّراع من خلال التمسّك بالمحتوى الظّاهري للّوحة والابتذال.

اللّوحة 6GF:

(تزغد رجليها) 7" ما فهمتش هاد التّصويرة ، تقول فيلم تقولي فيلم تاع بكري (تضحك) هذا ما كان. 42"

السّياقات المعرفية:

تبقى سياقات الكف والرّقابة هي المهيمنة وتجلّت هنا في الصّمت (CP1) ، التّعبير السّلوكي (CC1) ثمّ نقد الذات (CN9) الذي يقترب من الرّفض (CP5) وتفضّل إيناس الابتعاد عن الواقع والانغماس بتحفّظ (A2-3) في الخيال البعيد (A2-4/A2-12) .

هكذا إذا، يظهر هذا الحاجز المنيع ضدّ تسرّب أيّ هوام تنشّطه اللّوحة وتنتهي القصّة بحركة سلوكية أخرى (الضّحك) (CC1) التي تكشف عن تضايقها أمام هذا المثير وعجزها التّام عن مواجهة الإشكالية التي تنشّطها اللّوحة.

الإشكالية:

لم تتمكّن المبحوثة من مواجهة إشكالية اللّوحة التي تبعث إلى هوام الإغراء وتختبر القدرة على إدماج التقمّص الأنثوي ضمن علاقة الرّغبة.

يبقى اللّجوء إلى الخيال هو المنجى الحقيقي من أيّة علاقة قد تسبّب لها الضّيق وتشعرها بالذّنب. إنّ إنكار التّقارب والتصوّر الليبيديين واضح جدّا في هذه اللّوحة.

اللّوحة 7GF:

(تضع يدها على خدها وتنظر) 12" لحكاية تاع يما يمّات مع بنتها شادّة bébé ... ما فهمتش هاد لحكاية.. هذا ما كان...(تحكّ رأسها)...(ψ: إم)...(تشير لي برأسها إلى النّهاية). 1' 16"

السّياقات الدّفاعية:

بعد زمن كمون نسبي (CP1) وحركة جسدية (CC1)، تبرز محاولة المبحوثة لبناء قصّة لكنّها سرعان ما تفشل (CP1) وتبقى متشبّثة بالمحتوى الظّاهر للّوحة (CF1)، ويبقى التردّد والكف (CP1) بالمرصاد معبّرين عن تضايقها من هذا المنبّه ممّا تطلّب تدخّل الباحثة لرفعه (CP5)،غير أنّ محاولة الإنعاش تلك لم تمكّن سهام من مواصلة القصّة أو

إظهارأيّ صراع بين الشّخصين فكان التوقف الفوري(CP1) تجنّبا للاندفاع النّزوي والمنافسة.

الإشكالية:

إنّ تشبّث المبحوثة بالمحتوى الظّاهر للّوحة جعلها تتفادى الصّراع الذي نشّطته وبالتّالي مشاعر الذنب التي قد تنجرّ عنه.

اللّوحة9GF:

6" تقولي وحدة راهي هاربة من دارهم ولاّ كاش حاجة وحبيبتها راهي أطلّ عليها هذا ما كان. 37"

السّياقات المعرفية:

يبقى بناء قصّة صعبا عند إيناس بوجود أساليب تجنّب الصّراع والرّقابة التي تشكّل حاجزا منيعا ضدّ تسرّب المادة اللاّشعورية.

تقيّدت المبحوثة أمام هذه اللّوحة ، كما فعلت مع بعض من لوحات الرّائز السّابقة ، بالمحتوى الظّاهر لها(CF1) مبقية العنصرين الأنثويين مجهولين (CP3) ومعزولين عن بعضهما (A2-15) ، والقصّة كما هو واضح للعيان قصيرة جدّا (CP2).

الإشكالية:

غابت المنافسة والصّراع بين موضوعي اللّوحة وتفادت إيناس التّقارب بالعزل، الابتذال والتمسّك بالمحتوى الظّاهر.

اللّوحة 10:

(يدها على خدها تنظر)10" ما فهمتهاش....histoire d’amour (تزغد رجليها)... حنان c’est tout. 45"

السّياقات الدّفاعية:

تتواصل صعوبة التّعامل مع محتوى اللّوحة ويتواصل معها تجنّب التورّط أمام الإشكالية التي تنشّطها هذا ما لمسناه في قصر القصّة(CP2)، التوقفات المتكرّرة (CP1) ونقد الذات (CN9) الذي يميل إلى الرّفض(CP5)، كما يظهر عجز المبحوثة عن إدراج شخصي اللّوحة اللّذين بقيا مجهولين (CP3) بصفة مباشرة وواقعية.

كما شهدنا استحضار هوام مجمّد في شكل عاطفة في إطار عنوان (CN3) دون إمكانية البلورة الإرصان (CP4).

الإشكالية:

ترمي إشكالية هذه اللّوحة إلى التّعبير عن عواطف ليبيدية ضمن زوج ، لكنّ ثقل الدّفاع الخوافي إلى جانب الرّقابة عملا على تجنّب الصّراع والتهرّب منه تماما.

اللّوحة :11

13" تقول زنزلة هذا ما كان لرض مشقة تقولي زنزلة هذا ما كان. 29" (تزغد رجليها كثيرا)

السّياقات المعرفية:

بعد زمن كمون نسبي (CP1) وفي وجود الرّقابة (A2-3)، ظهرت تصوّرات فجّة مرتبطة بالدّمار والكارثة(E9) ثمّ عودة إلى الصّمت (CP1) الذي وضع حدّا للقصّة وجنّب

المبحوثة تداعيات أخرى مقلقة ومخيفة، وما الحركة الجسمية (CC1) إلاّ دليل على ذلك ومحاولة من إيناس التّخفيض بل التّخلّص من القلق الذي أثارته اللّوحة في نفسيتها.

الإشكالية:

رغم قصر القصّة إلاّ أنّ المبحوثة قد أدركت إشكاليتها التي حرّضت فيها و بقوّة مشاعر القلق النّاجمة عن الدّمار، لكنّها لم تتمكّن من إرصانها بسبب الكف الذي يقف دوما بالمرصاد.

اللّوحة 12BG:

7" تقولي خريف هذا ما كان سجر لورق كشغل ناضو هذا ما كان...(تزغد رجليها)...c'est tout. 38"

السّياقات الدّفاعية:

بتحفّظ كلامي (A2-3) ، بدأت المبحوثة القصّة بتصوّر عقلني (A2-13) ثمّ وصف لعناصر اللّوحة والتّركيز على جزئيتها (A2-1) ورغم الرّقابة المفروضة على التصوّرات (A2-3) تعثّرت إيناس في وصفها(E17) ويوقعها تعثّرها الكلامي ذلك في الصّمت(CP1) والانزعاج.

الإشكالية:

يختبر غياب الأشخاص الممثّلين على اللّوحة قدرة الشّخص على التّعرّف على غياب الموضوع دون أن يخفي فقدانه، غير أنّ هذا لم يحدث مع إيناس التي تضايقت كثيرا أمام هذه اللّوحة التي نشّطت بالفعل الفقدان،ممّا جعلها تلغي الموضوع الظّاهر (القارب) تفاديا

لظهور تصوّرات أو عواطف مرتبطة به ، وقد دعّم تعثّرها الكلامي مقاومتها ورفضها للغياب.

اللّوحة 13B:

(تزغد رجليها) 12" أولد مسكين هذا ما كان... قاعد هكّا وحدو كشغل الدّار مكسرة (تشير بإصبعها إلى محتوى اللّوحة).. هذا ما كان...(ψ:إم) قاعد يسنّى ولاّ راهو مخبّي.. هذا ما كان. 1' 38"

السّياقات الدّفاعية:

كانت الانطلاقة في القصّة صعبة، جسّدتها الحركة (CC1) والصّمت (CP1) اللّذان لم يسمحا ببناء جيّد للمقال. تمسّكت إيناس في البداية بالمحتوى الظّاهر للّوحة (CF1) معبّرة عن معاناة ذاتية (CN1) أوقعتها في صمت (CP1). استأنفت القصّة من جديد بربط الشّعور الذاتي السّابق " مسكين " بالوحدة والحاجة إلى السّند (CM1) ، هذا ما أدّى بها إلى الانزلاق ، حيث تسلّلت بعض الإدراكات اللاّشعورية التي ارتبطت بمواضيع متلفة ومعطوبة (E6) " الدّار مكسّرة " ، لكنّها بقيت خاضعة للرّقابة (A2-3).

لم تجد محاولة الإنعاش وتحريض الاسترسال(CP5) صداها عند المبحوثة التي فضّلت التخلّص من المنبّه، لكنّها بقيت متردّدة بين تفسيرات مختلفة(A2-6) أوقعتها في صمت نهائي (CP1) و القصّة قصيرة (CP2) تفتقد للإرصان (CP4).

الإشكالية:

عبّرت المبحوثة عن قلق الفراق بعواطف اكتئابية ارتبطت بالوحدة رافقتها الحاجة إلى السّند لكن كان من الصّعب عليها إرصان القلق المستحضر، كما ارتبطت هذه الوحدة بمحيط بدائي وعلاقات أمومية غائبة ، عاجزة بل حتّى فاسدة ومقلقة.

اللّوحة 13MF:

9" شغل مرى راهي راقدة وراجل راهو رايح يخدم حكاية تاع كلّ يوم... هذا ما كان ولاّ تقولي راهي ميتة un des deux ....هذا ما كان. 1'

السّياقات الدّفاعية:

ظهر المقال بصعوبة، بعد تدخّل الكف (CP1) والرّقابة (A2-3)، في شكل تردّد بين ما هو يومي وفعلي(CF2/CF3) وبين إشكالية عدوانية عبّرت عنها بتصوّرات فجّة ارتبطت بالموت (E9) ، وكالعادة ، تنهي قصّتها القصيرة (CP2) في طابع سطحي يفتقد للإرصان (CP4).

الإشكالية:

لجأت المبحوثة إلى عزل عنصري اللوحة وتنكيرهما تفاديا لمشاعر الذنب المرتبطة بالجنسية التي تبدو مرعبة ، فهي مرادفة للموت.

اللّوحة 19:

7" تقول حيط مديسيني هذا ما كان...(ψ: إم)... ما كانش ما كانش. 30"

السّياقات الدّفاعية:

لم تتمكّن إيناس من بناء قصّة بسبب الإشكالية المنشّطة، هذا ما فسّره الميل إلى إدراك خاطئ (E4 ?) لمحتوى اللوحة ثمّ الرّفض الكلّي لها (CP5) رغم محاولة التّدخّل للإنعاش ورفع الكبت (CP5).

الإشكالية:

ينشّط المثير إشكالية ما قبل جنسية ويسمح بإسقاط الموضوع الجيّد والسّيئ ، كما يدفع إلى النّكوص واستحضار الهوامات الخوافية. يبدو أنّ اللّوحة قد نشّطت القلق البدائي الذي تجنّبته المبحوثة لحماية نفسها من صراع محتمل قد تعجز عن مواجهته وإرصانه.

اللّوحة 16:

نتخيّل dessin؟ حكاية إلّي نحب؟ (ψ:أنعم)... شغل دار هكّا دراري يلعبو فالشّمس ، شغل منظر طبيعي سجر شغل marché حوانت كلّش ، منظر طبيعي كشغل هذا ما كان، طريق طونوبيلات هذا ما كان ناس يمشو شغل la vie هذا ما كان. 1' 02"

السّياقات الدّفاعية:

بعد سؤالها عن كيفيّة التّعامل مع فراغ اللّوحة (CC2)، حاولت المبحوثة بكثير من التحفّظ الكلامي (A2-3) تخيّل قصّة أظهرت فيها مظاهر الحياة اليومية (CF2) العادية، لكنّ التّعبير عن ذلك كان بشكل سطحي وجافّ (CP4) وتجريدي (A2-13)، والقصّة كما تبدو قصيرة (CP2).

الإشكالية:

أمام غياب موضوع ظاهري ملموس يمكّن الفرد من خلال التّفكير والاستيهام من بناء وإرصان قصّة، حاولت إيناس إسقاط انشغالاتها وآمالها، لكنّ التّعبير عنها أو ربّما عن استرداد الحياة، الاستقرار والدّفء جاء في صيغة جاقّة، سطحية وتجريدية وبكثير من التحفّظ ، وكأنّه أمل صعب التّحقيق.

2-1- التّحليل الشّامل للبروتوكول:

قبل التطرّق إلى تحليل البروتوكول في مجمله من خلال التعرّف على الآليات الدّفاعية التي وظّفتها المبحوثة أمام المنبّه، وكيفية تناولها لإشكالياته المختلفة، لا بأس أن ندرج ورقة الفرز التي تعطي نظرة تفصيلية لجلّ الآليات التي بني عليها الإنتاج القصصي. (*)

2-1-1- المقروئية العامّة للبروتوكول:

بدت صعوبة التّعامل مع الاختبار واضحة من خلال التّوظيف المكثّف لأساليب تجنّب الصّراع حيث قدّرت نسبتها بـ (C% =70,47)، مانعة بذلك بناء القصص، بلورة وإرصان الصّراعات ومواجهة إشكاليات اللّوحات.

بالفعل، جاءت القصص قصيرة(CP2)، ميّزها التّوقّف المتكرّر(CP1) وتدخّل الباحثة (CP5) من أجل إنعاش المبحوثة وتحريض استرسالها، لكن بدون جدوى، إذ كان معظمها مبتذلا يميل إلى السّطحية (CP4).

تجلّت الصّعوبة أيضا من خلال الحركات الكثيرة (CC1) التي استنجدت بها إيناس لتفريغ الضّغط والقلق اللّذين أثارتهما اللّوحات، تماما كما حدث أمام لوحات اختبار الرّورشاخ النّقد الذاتي (CN9) ومحاولة النّفور أو التخلّص من المنبّه ، والاستثمار المعتبر للواقع الخارجي من خلال التمسّك بكلّ ما هو ظاهري (CF1)، يومي وواقعي (CF2) وذلك من أجل الحدّ من الحركات النّزوية التي أثارتها مادّة الاختبار، فالواقع الخارجي حجم كلّ تعبير للعواطف وحجب كلّ رغبة ليبيدية، وهذا ما ظهر أمام اللّوحات: 2 ، 5 ، 7GF ، 9GF 13B و 13MF.

تأتي أساليب الرّقابة (A) في الدّرجة الثّانية وبنسبة(A% =23,80)، على شكل تحفّظات كلامية (A2-3) ظهرت بتواتر كبير مقارنة بغيرها من الأساليب الرّقابية ، حيث كانت إيناس تحتمي بها لمواجهة الاستثارات الدّاخلية الضّاغطة ، آخذة بذلك مسافة بينها وبين الواقع خوفا من التّورّط في تناول الإشكاليات المقترحة؛ إضافة إلى الاجترار(A2-8) الذي لم يفسح المجال لمواصلة القصص وبلورتها،العقلنة (A2-13) التي تفادت بها تسرّب هوامات مزعجة وحركات نزوية خطيرة. رافقت الأساليب السّابقة أساليب أخرى كالتّردّد بين تفسيرات مختلفة (A2-6) ، والتّركيز على الخيال (A2-12).

رغم كلّ ذلك ، تسرّبت بعض الأساليب الأوّلية التي قدّرت نسبتها بـ (E% =4,28) على شكل إلغاء موضوع ظاهر(E1) كالكمان في اللّوحة 1، والقارب في اللّوحة 12BG، وفي ذلك رفض للفقدان ومقاومة للاكتئاب دعّمها التعثّر الكلامي (E17) ، إضافة إلى إدراك شخصيات مريضة ومواضيع متلفة(E6) وكان هذا في اللّوحتين 3BM و 13B، وظهور تصوّرات كثيفة ارتبطت بإشكالية الدّمار(E9) وكان هذا في اللّوحة11، والموت وتعلّق الأمر باللّوحة 13MF.

ونظرا لثقل أساليب الكف (C) والرّقابة (A)، فقد جاء بروتوكول المبحوثة فقيرا من أساليب المرونة (B)، فما ظهر منها إلاّ قلّة قليلة (B% =1,42) كانت فعاليتها ضعيفة جدّا.

وهكذا،بقي البروتوكول مصبوغا بالكف والكبت الشّديدين اللّذين منعا الوصول إلى الإشكاليات ، فخنقت العواطف والتّصوّرات ، وبهذا ، فإنّ مقروئية هذا البروتوكول سلبية.

2-1-2- <u>الإشكالية العامّة للبروتوكول</u>:

عكست إنتاجية المبحوثة إمكانيات نفسية محدودة بفعل الكف والكبت اللّذين كانا ضروريين للحفاظ على توازن الأنا وللتّصدّي لما يمكن أن يهدّد أمنه واستقراره، فلم يتمكّن جهازها النّفسي من التّجاوب مع لوحات الاختبار رغم تنوّع محتوياتها الظّاهرية، وبالتّالي مع إشكالياتها الكامنة والتّفاوض مع القلق المثار .

هيمنت أساليب تجنّب الصّراع على خطاباتها ، فجاءت القصص قصيرة ، مبتذلة وخالية من الصّراع يميل بعضها إلى الرّفض، وهذا دليل على انزعاج إيناس وتضايقها أمام مادّة الاختبار التي ربّما أثارت إشكالياتها قلقا وخوفا، لذلك تفادت المبحوثة الخوض في العلاقات الموضوعية والتورّط الخطر وفي أيّ نسج خيالي من شأنه أن يكشف عن توتّرها بل أكثر من ذلك ، يربكها ويزعزع نفسيتها.

أمّا الوجدانات، فكانت ضئيلة جدّا في هذا البروتوكول أو شبه مخنوقة سواء ارتبطت بالعدوانية، أو باللّيبدو أو بالاكتئاب.

لجأت المبحوثة إلى أساليب دفاعية مميّزة للتهرّب من إشكالية فقدان الموضوع والعواطف الاكتئابية المصاحبة لها، فالعاطفة الاكتئابية التي ظهرت في اللّوحة 3BM ارتبطت بفعل عدواني ضمن علاقة غيرية ظهر نتيجة حركة إلغاء أرادت بها المبحوثة التّخفيف من تصوّر مقلق ارتبط بالمرض، كما ظهر التهرّب من فقدان الموضوع ومقاومة الاكتئاب بشكل صارخ في اللّوحة 12BG وذلك من خلال إلغاء موضوع ظاهر(القارب) كدلالة لرفض الفقدان (Déni de la perte) دعّمه التعثّر الكلامي مثلما جاء في قولها :" تقولي خريف لورق كشغل ناضو".

أمّا فيما يخصّ إشكالية الانفراد والقدرة على البقاء وحيدة، وهو شأن اللّوحة 13B، فقد أظهرت فشلها في ذلك من خلال قولها:" راهو قاعد يسنّى" وبالمقابل، حاجتها إلى السّند كما كشفت عن هشاشة المواضيع الدّاخلية وإتلافها :" كشغل الدّار مكسّرة".

أمّا عن اللّوحة 16 والأخيرة ، فجاءت تصوّرات الحيوية، الحياة والبحث عن الدّفء في طابع جاف، مبتذل و معقلن:" شغل منظر طبيعي"، وكلّها دفاعات تترجم صعوبة الاعتراف بفقدان الموضوع وتقبّله، وبالمقابل، استطاعت المبحوثة استحضار تصوّرات تدميرية فجّة ارتبطت بكارثة طبيعية اختلفت عن تلك التي عايشتها وهي " الزلزال".

وهكذا، حال النّشاط الدّفاعي الكثيف دون نسج الصّراع وإبراز الوجدانات، فكان التّجاوب مع أغلب الإشكاليات ضعيفا بل منعدما أحيانا ، فقد سيطر على الحياة النّفسية نمط تفكيري عملي كان يصعب من خلاله ملائمة المحتوى الكامن للإشكاليات، ومن هنا ينكشف لنا ضعف قدرات المبحوثة في تسيير حياتها النّفسية والواقع الخارجي.

2-2-<u>الفرضيّة التّشخيصية حول نوعيّة السّير النّفسي</u>:

إذا كانت إيناس قد تفاعلت إلى حدّ ما مع مكوّنات مادّة الرّورشاخ البدائية التي حرّكت تصوّرات مقلقة وعواطف مخيفة وكشفت عن مواضيع (Thématiques) مختلفة ارتبطت بالاعتداء، العنف ، المرض، الفقدان ولو من خلال تصوّرات بسيطة خلت من أيّة عواطف اكتئابية، وكذا بالموت ، فإنّها تداركت الموقف أمام لوحات اختبار تفهّم

الموضوع الأكثر بناء حيث تدخّل الكفّ والكبت لقمع ظهور التّصوّرات والعواطف الخاصّة بالعالم الدّاخلي فجاءت القصص قصيرة، مبتذلة وسطحية ، ضعيفة البناء بل منعدمة أحيانا تجرّد بعضها من الصّدى الهوامي، ولم تتمكّن المبحوثة من إدراك وتناول معظم الإشكاليات وبخاصّة منها الاكتئابية ومن مواجهة الصّراعات التي تحرّضها و إرصانها.

لقد كشف لجوء إيناس المكثّف إلى أساليب تجنّب الصّراع وبخاصّة منها الخوافية، السّلوكيّة وأساليب الواقع الخارجي من خلال التمسّك بالمحتوى الظاهر لمعظم اللّوحات فعلا عن قدراتها الضّعيفة في الرّبط بين ضروريات الشّعور واللاّشعور الذي يتكفّل عادة بالرّبط بين التصوّرات، وفي التكيّف مع الواقع الخارجي، وبهذا، يمكن القول أنّ نوعيّة السّير النّفسي لإيناس سيّئة.

3- المقابلة العيادية:

3-1- تقديم الحالة:

تبلغ إيناس واحدا وعشرين عاما وتحتلّ الرّتبة السّادسة من بين سبعة إخوة (أربع إناث وثلاثة ذكور).

حالت الظروف الأليمة التي مرّت بها دون نجاحها في البكالوريا ، وهاهي تترشّح ثانية وكلّها أمل في الحصول على الشّهادة لعلّها تخفّف من وطء معاناتها واضطرابها النّفسي الدّائم.

فقدت المبحوثة أخاها البكر في فيضانات العاشر من نوفمبر لعام 2001، وقد كان وقع الوفاة المباغتة قويّا جدّا على نفسيتها، كيف لا وهو الأخ العزيز على قلبها، مثلها الأعلى وركيزتها في الحياة.

بفقدان هذا الأخ الذي عوّض حنان الأب الحاضر الغائب ، فقدت إيناس لذّة الحياة ولا تزال حبيسة الأحزان والآلام مثبّتة على الحدث الفظيع والفاجعة الكبرى ورافضة للموت وللفراق الأبدي.

2-3- عرض وتحليل المقابلة العيادية:

كانت ملامح التّعب والحزن بادية على وجهها الشّاحب ولباسها ذي الألوان الدّاكنة وأعصابها متوتّرة ، فاقترحنا عليها تأجيل المقابلة إلى موعد آخر بحيث يكون بمقدورها الإجابة على أسئلتنا ، لكنّها رفضت وذكرت بأنّها في أمسّ الحاجة إلى التّحدّث والتّعبير عمّا يبطن صدرها ، فقد سئمت نفسها وحالتها هذه ولم تعد تحتمل وطء معاناتها التي تعدّت السّنة فقالت:"ما عجبتنيش روحي كي راني هكّا، راني عايشة هكّا مقلقة ، ما نقراش كارهة عييت وراني حابّة نفرّغ و surtout نفهم واش بيا."

احتفظت إيناس بذكريات طفولة جميلة وهادئة نالت منها قسطا من اللّعب والمرح، كانت طفلة مدلّلة ومحبوبة ولم تشك من أيّة مشاكل صحيّة أو اجتماعية. ازداد حجم العائلة واضطرّ الأب إلى استئجار بيت آخر يقع وسط المدينة ضمّ الأبناء فقط بينما بقي هو وزوجته في البيت القديم الواقع في أعالي المنطقة.

دام ذلك الانفصال المُكرَه الذي شكّل منعرجا لتحوّلات كبيرة في حياة المبحوثة التي كانت تبلغ آنذاك ثلاثة عشرعاما (13)، ثمان سنين (8) ولم تكن العائلة تجتمع إلاّ عند نهاية الأسبوع أو، بطبيعة الحال ، في المناسبات والأعياد.

كم آلمها وهي تخطو أولى خطواتها البلوغية وكم كانت بحاجة ماسّة إلى والديها رغم صعوبة مزاج أبيها وسلوكه المتزمّت، لكنّ رعاية أخيها البكر واهتمامه بإخوته خفّف عنها قليلا تلك الفُرقة.

كانت المبحوثة تتحدّث عن أخيها بكلّ حبّ وودّ وبحزن وألم شديدين في آن واحد، كان شخصا حنونا،عطوفا وأهلا للمسؤولية، يساعدها على أداء فروضها وواجباتها المنزلية يشجّعها على الدّراسة ويلبّي طلباتها ، وهذا ما جعل العلاقة بينهما تتوطّد أكثر فأكثر وأصبح الاثنان قريبين جدّا من بعضهما البعض.

توقفت المبحوثة عن الكلام وقد احمرّت عيناها وارتعشت فرائسها فطأطأت رأسها وأجهشت بالبكاء.أمام ذلك الموقف الحزين والمشحون بالتوتّر،كان التدخّل ضروريا

لمواساتها والتّعاطف معها ومع مُصابها حتّى لا تغمرها انفعالاتها ويمكنها مواصلة الحديث.

تزامن انفصال العائلة عن بعضها مع تدهور الحالة الأمنية في البلاد وازدياد نشاط الجماعات المسلّحة التي اتّخذت من أعالي المنطقة وتضاريسها شبه الجبلية مأوى لها.

أثّرت جرائم العنف والقتل الوحشي على صيرورة الحياة العادية لإيناس ، وبصوت مرتجف ومتألّم، راحت تستحضر وبتفاصيل دقيقة أحداثا مرعبة انغرست في ذاكرتها وبقيت مسيطرة عليها إلى يومنا هذا كما سنراه لاحقا.

لم تنس إيناس نهاية الأسبوع المرعبة والدّموية التي قضتها رفقة والديها وأخيها البكر، حيث تعرّضت المنطقة لاشتباك مسلّح عنيف بين قوّات الجيش وعناصر إرهابية نجم عنه قتلى وجرحى ، كان من بينهم بن عمّها الذي أصيب برصاصة طائشة في رأسه.

قضت المبحوثة ثمان ساعات وهي مختبئة بين الأشجار والحشائش باكية ومنهارة، تنتظر بفارغ الصّبر توقف الاقتتال والعودة السّريعة إلى البيت. تجلّى الرّعب الذي عاشته في ذلك اليوم في عينيها وفي كلّ جسمها الذي كان يرتعد، بدت بعيدة عنّا وكأنّه نكوص إلى تلك الفترة من الزّمن، كان انفعالها شديدا وبدت تلك المشاهد وكأنّها في الحاضر، نظرت إلينا وقالت :"كنّا قاعدين مقْصرين حتّى سمعنا الرّصاص برّى، سكتنا كامل وتخبّينا ومبعد جات l’armée خرجتنا وأدّاو كوفيرطة دارو فيها terroriste ميّت، كنّا طالعين نحبيو وراسنا مهبّط الرصاص كان يخبط ، أنا كنت نبكي ونرعش قلت خلاص درك كاش ما يصرى فينا وبدينا نسوغو باش يحبسو لقتيلة وفي هذيك جات رصاصة في راس وليد عمّي كان معمّر بالدّم... ما نحملش الدّم".

التقت المبحوثة مرّات عديدة ببعض العناصر الإرهابية التي زرعت الخوف والرّعب في نفسيتها، ولم تنس أبدا جسمهم الضّخم ولباسهم الدّاكن ونظراتهم الحادّة المخيفة التي تجعلها تفرّ إلى المنزل وتختبئ بإحدى الغرف فزعة مرتجفة.

انعكست تلك الظروف السيّئة كثيرا على حياتها النّفسية، الاجتماعية والدّراسية حيث رسبت إيناس في امتحانات شهادة التّعليم الأساسي.

وإذا حققت البلاد استقرارها الأمني، فإنّ المبحوثة لم تتحصّل على استقرار نفسي داخلي يسمح لها بتجاوز صعوبات الحياة، ففي يوم ممطر مخيف، فقدت أخاها في فيضانات قويّة وعنيفة.

أحسّت المبحوثة بالخطر و الخوف وبأنّ ذلك اليوم لن يكون عاديا وأنّ مكروها ما سيحدث لعائلتها :" كنت حاسّة بلّي حاجة رايحة تصرالنا ، كنت حاسّة واحد يروح من دارنا ، l'idée نتاع الموت كانت في بالي"، نفذ صبرها بعد انتظار طويلا بالبيت تترقب عودة أخيها الذي ذهب للبحث عن عمل تحسينا لأوضاعه الاجتماعية واستعدادا للزّواج، فخرجت تبحث عنه وكم كانت المشاهد مرعبة وفظيعة، جثث تطفو على سطح الماء وموتى مشوّهون بالأوحال وعراة يجرفهم التيّار صراخ وعويل، كان الذهول والهلع.

لم تنجح إيناس في مطاردة الأفكار الرّهيبة التي كانت تسيطر عليها، بحثت عن أخيها في جميع الأماكن المعهودة، ولم تجده إلاّ جثّة هامدة في المستشفى، بقيت تنظر إليه مذهولة ومتألّمة، وفي لحظة تجمّدت فيها كلّ وظائفها وأحسّت وكأنّ العالم ينهار من حولها.

تحوّل الصّعق والذهول بعد أسبوع إلى حزن وبكاء شديدين، وانعكست أحداث ذلك اليوم العنيف والأليم على صحّتها الجسمية حيث كانت دوما تعبة، مرهقة، نومها متقطّع و يضيق تنفسها عند تذكّرها لجثّة أخيها الهامدة وهي مشوّهة بالأوحال ولصور الغرقى ويسبّب لها ذلك صداعا فظيعا، كما اضطربت نفسيتها حيث أصبحت شديدة الانفعال والحساسية ، ينتابها قلق عارم وفزع بسبب الكوابيس المزعجة التي تعيد فيها مشاهدة الحدث الصّدمي بلقطاته المختلفة فتستيقظ منها مذعورة، تتسارع دقّات قلبها و تتصبّب عرقا.

كانت تخشى اللّيل الذي يذكّرها بالجرائم الفظيعة و بالقتل، وبأجسام ضخمة وملابس سوداء وتخشى النّوم الذي تحلم فيه بأخيها ميتا تارة، وحيّا يتحدّث معها تارة أخرى.

لم تستطع المبحوثة تجاوزالاضطرابات السّابقة والتي تعدّ في الأصل اضطرابات عابرة تكيّفيّة ومصفيّة للصّدمة ، حيث بدأت تظهر بعض الأعراض النّفسيّة الصّدمية بعد أكثر من شهر من وقوع الفيضانات وفقدانها لأخيها ومنها:الانبعاث المتواتر لمعاش الفيضانات

ولصورة الأخ الميّت، الكوابيس المزعجة وهي نفسها التي كانت تحلم بها في الأسابيع الأولى بعد الكارثة الطّبيعيّة، اضطراب السّلوك الغذائي، وجودها في حالة استنفار دائمة وتجنّبها قدر الإمكان للأماكن التي كان الأخ يتردّد عليها، وبخاصّة مكان وفاته:"ما كنتش قْاع نحبّ نجوز على الحانوت إلّي كان يخدم فيه ولاّ بلايس كان يحب يقعد فيهم كي يكمّل الخدمة كيما القهوة، نهرب، يجيبلي ربيّ كلّي راهو قاعد لتمّا ويشوف فيّا"، إضافة إلى عجزها عن الاهتمام بكلّ ما يحيط بها وميلها تدريجيّا إلى الانطواء والعزلة عن أسرتها وعن الآخرين.

أمّا على المستوى الدّراسي، فقد كانت ضعيفة التّركيز والانتباه وتتعب لأدنى مجهود فكري لانشغال ذهنها بأخيها والتّفكير الدّائم في كيفيّة وفاته وفي مصيرها بعد رحيله عنها، حيث قالت:" راسي ما كانش قْاع فلقراية، نحسّو ثقيل، نبقى نخمّم ونحوّس نعرف كيفاش مات خويا ، نتفكّر الهدرة نتاعو،...ما لحقتش باش نقرى".

لم تكن إيناس تظنّ أنّ اجتماعها بعائلتها من جديد لن يزيدها إلاّ ألما، عذابا وعزلة عوض الحماية والسّند للخروج من الأزمة النّفسيّة ومن الخوف والقلق اللّذان لم يفارقاها، كانت تشعر بالغربة ، بالاحتقار و بالاضطهاد ، وبالتمييز غير المبرّر بين الإخوة.

نظرت إلينا وبريق دموع في عينيها وبتنهّد عميق قالت:"ما نهدرش بزّاف فالدّار، ما نصيبش واش نقول، كانو مدلّليني بزّاف كي كنت صغيرة وضرك كي رانا ملمومين ما كاين والو قْاع يحتقروني دايريّني ستّوتة، أنا نشوف روحي normal دارنا ما نحبش قْاع ندصرهم كاين التّفرقة بزّاف ، des fois نقول يمّا ، des fois ما نعطيهاش الحق ، يمّا يغيضني الحال منها كيما أدّير لخيّاتي لازم أدّيرلي des fois حتّى نبكي لفراق الوالدين بين الإخوة".

بعد مرور 15 شهرا من وقوع الفيضانات القويّة ومن الوفاة الأليمة والمفجعة للأخ البكر لاتزال إيناس تعاني من اضطراب نفسي وقلق شديدين، وتشعر بالوحدة وبالهجر:"راني مقلقة بزّاف ، على والو نسوغ ، نتقلّق بزّاف ، وراني حاسّة كلّي ما عنديش شكون إلّي يوقف قدّامي و معايا وراسي مرفوع "، كما لا تزال الجرائم الفظيعة ووفاة الأخ حاضرة

ومسيطرة على تفكيرها مؤدّية بذلك إلى استمرارالأعراض النّفسيّة الصّدمية ومنها: الاجترار العقلي التّكراري،الأحلام المزعجة والكوابيس المتكرّرة سواء ارتبطت بسنوات الإرهاب أو بوفاة الأخ مثيرة إحساسا بالضّيق، القلق والرّعب ومسبّبة في سرعة خفقان القلب،زيادة في التعرّق وكثرة الارتجاف:" نخمّم بزّاف على خويا وفي اللّيل نتفكرو بزّاف، هاد أليامات راني أنّومو بزّاف، ساعات يهدر معايا ، يحكيلي واش صرالو وساعات أنّومو سلك مبعد مات، وساعات علابالك إيجوني منامات تاع الإرهاب ما يبانليش وتشهم مبصّح كلّي الظلمة وهوما يجريو مورايا ، خلاّولي الرّهبة للذُرك"، صعوبة النّوم، تقلّص واضح للنّشاطات ونقص المشاركة فيها، ضعف التّركيز والاهتمام بالدّروس والإحساس بمستقبل مسدود، وما زاد حالة إيناس تعقيدا هو شعورها بالنّقص والخجل، فهي أكبر التّلاميذ سنّا في قسمها:" ما رانيش نقرى أجّيني لقراية ثقيلة، نحسّ حاجة لداخل ما تخلّينيش وزيد راني كارهة روحي يلّي راني كبيرة ف la classe حشمت ملعمر نتاعي"، إلى جانب ظهور حصر(Blocage) في الوظيفة اللّيبيديّة ترجمته مطالبتها الملحّة لأسرتها ولأبيها بشكل خاص بالرّعاية والحنان، مطالبة تظلّ غير محققة بالنّسبة لها، حيث قالت:" بابا ما علابالوش ڤاع بينا، يحوّس غيرعلى الدراهم، ما يشريلنا والو، ما نحبش أنا هكدا normalement مسئول عليا ، وعلاش يدير هكدا ما نحبش هاد السّلوك وْ هو ماشي واعي paceque ماشي قاري، ما يسقسيك علقراية، ما يصرف عليك".

إضافة إلى ذلك كلّه، هناك بعض الأعراض غير النّوعية المكمّلة للائحة العيادية للتّناذر النّفسي الصّدمي مثل: سرعة الانفعال، العدوانية (سواء في المنزل مع أخواتها أو في الثّانوية مع بعض زملاءها) والشّعور الدّائم بالإرهاق الفكري والجسمي:"راني نحسّ روحي عيّانة بزّاف كارهة".

لا تزال المبحوثة أيضا ترفض تصديق موت أخيها ورحيله عنها إلى الأبد، بل حتّى تنكرها وشغلها الشّاغل هو معرفة ظروف الوفاة وأسبابها :" لدرك ما رانيش مآمنة بلّي مات ، حاسّة راهو في كاش بلاصا ويولّي، حاجة كنت حابتها بزّاف ومازالني نحوّس نعرف كيش مات حرقتني بزّاف كيش مات كيش حيصرى ، قريب هبلت".

تخلّل الحديث بكاء شديد ، شعرنا بألمها الكبير وبهزّتها الانفعالية، نظرت إلينا بقلق وحزن وقالت:" تبدّلت carrément مارانيش قاع كيما كنت، مقلقة كارهة في رايك وعلاش راني هكّا ما نقدر ندير والو، ما فهمتش، راني خايفة نهبل ، ونّتيا راكي تشوفي فيا نورمال نسحق psychologue؟.

ببسمة مطمئنة، حاولنا أن نشرح لها بأنّ استجاباتها تلك وحزنها على فراق أخيها أمر طبيعي وأثنينا على شجاعتها وقدرتها على الحديث عن موضوع مكدّر كهذا، كما حاولنا معرفة رأيها الشّخصي بخصوص الكفالة النّفسية فسألناها :" ونتيا واش رايك؟ ، فردّت قائلة:" أنا ما دابيا مبصّح ماعلابالیش إلى نقدر دركا مع لقراية على بالك BAC وزيد إلى خلاّني بابا".

تبدو المبحوثة عاجزة عن اتخاذ قرار شخصي آني قد يمنح لها فرصة الخروج من محنتها القاسية ويخلّصها من معاناتها النّفسيّة، فهل يمكن أن نعزو ذلك العجز إلى ظروفها الاجتماعية الصّعبة أم هو نوع من المقاومة ضدّ التغيير؟.

3-3- خلاصة المقابلة العياديّة:

تعيش إيناس حالة حزن وألم شديدين لفراق أخيها البكر، سندها في الحياة، وهي لا تزال تبكيه بقوّة وترفض موته.

تسبّبت الكارثة الطّبيعية إذا في تشويش وإخلال توازنها النّفسي ، وقد أمكن التّحقّق من ذلك من خلال استمرار الأعراض النّفسيّة الصّدمية أهمّها: تناذر الانبعاث على شكل صور وأفكار مقلقة لاتزال تفرض نفسها على وعي المبحوثة رغم محاولاتها المتكرّرة للتخلّص منها مسبّبة ضيقا وتوتّرا شديدين.

يعدّ تكرار الأحلام المزعجة والكوابيس الصّدمية في التّحليل النّفسي نمطا دفاعيا يؤدّي إلى إعادة تنظيم نفسي تؤول إلى حلّ الصّدمة ، لكنّ الأمر يبدو مغايرا تماما عند إيناس، إذ لم تملك تلك الكوابيس المزعجة التي من خلالها يتكرّر المشهد الصّدمي سواء ارتبط بفترة الإرهاب أو بالفيضانات ويعود الموضوع المفقود ، وظيفة تفريغية وتحكّمية للصّدمة

النّفسية مثلما ذكر سجموند فرويد (1981) ، وربّما لا تملك حتّى الآن وظيفة التّخفيف من حدّة التوتّر والقلق.

كما ساهمت تلك الكارثة الطبيعية التي تعتبر صدميّة بالنّسبة لإيناس في تكوين ذكرى ساترة (un souvenir-écran) أسقطت من خلالها تجربة أليمة ماضية ارتبطت بعنف بشري و بقتل همجي شرس سبّب جرحا نفسيّا يبدو أنّه لم يلتئم بعد.

ومحاولة منها لتجنّب الذكريات المزعجة والملازمة لها (souvenirs obsédants) التي استولت على حياتها النّفسية، لجأت المبحوثة إلى بعض الاستراتيجيات الدّفاعية كالنّوم الذي هو نوع من الهروب من معاش صدمي أليم ، التغيّب المتكرّر عن الدّراسة لتفادي الخروج إلى الشّارع، وأخيرا العرض لسدّ الفراغ وربّما الكسر النّفسي المثار من قبل الصّدمة ، حيث تعرّضت إيناس في الفترات الأخيرة إلى ذبحات لوزية(des angines) ونزلات رئوية متكرّرة (des bronchites répétées) .

لكن تبقى فعالية هذه الاستراتيجيات الدّفاعية ضعيفة أمام رغبتها في التخلّص من المشاكل النّفسية والاجتماعية التي تتخبّط فيها كما يبدو، إذ لم تعد قادرة على التحكّم في مشاعرها وانفعالاتها وعلى تسيير الوضعية ككلّ.

4- <u>خلاصة الحالة</u>:

فقدت إيناس أخاها بفظاعة في الفيضانات العنيفة التي ضربت منطقة باب الوادي صبيحة العاشر من نوفمبر لعام 2001، وقد كانت المقابلة العياديّة بالنّسبة لها فرصة سانحة للتّفريغ والتّعبير عن معاناتها النّفسيّة الكبيرة وألمها وحزنها العميقين، وعن معاش مكدّر لتجربة عنف بشري ماضية وأليمة وفظيعة لا تزال آثارها الصّدميّة تثقل نفسيتها وربّما كان لتكرارها لتصوّر حيواني ليلي "خفاش" مقترنا بالقلق، الرّعب و الخوف وبالدّم والظلام في اللّوحات الثلاثة الأولى من اختبار الرّورشاخ، علاقة بالعناصر الإرهابية التي كانت لا تظهر إلاّ في اللّيل لتنفيذ هجماتها الدّموية ولزرع الرّعب في أوساط المواطنين... وبلباس أسود.

كان وقع وفاة الأخ في ظروف قاسية ولازال كبيرا جدّا على نفسيتها، إذ بعد مرور 15 شهرا على رحيله، ما تزال إيناس تبكي مثلها الأعلى وركيزتها في الحياة و"بديلا أبويّا جيّدا" (un bon substitut paternel) بقوّة وحسرة، وترفض فراقه عنها إلى الأبد، ما جعلها مثبّتة على الصّدمة، عاجزة عن استعادة حيويتها ونشاطها والعودة إلى وضعها السّابق وإلى هويّتها قبل الصّدمية، وأثّر كثيرا على حياتها الاجتماعيّة والدّراسيّة على وجه الخصوص.

ظهر عجز المبحوثة عن التكيّف مع تجارب الواقع الخارجي وضعف إمكانياتها النّفسية ودفاعاتها لتسيير صراعات الحياة وتجاربها الضّاغطة بشكل جليّ في اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع (T.A.T).

ففي الرّورشاخ مثلا، كشفت إنتاجيّة إيناس المتقلّصة وضعيفة البناء عن هشاشة في العلاقات مع المواضيع الدّاخلية أو ربّما عن خطورتها، وكذا عن الطّابع الخطر والمكدّر للعالم الخارجي وعن محاولات دفاعيّة ضعيفة للتّحكّم في الاستثارات الدّاخليّة والخارجيّة.

أمّا أمام لوحات اختبار تفهّم الموضوع المثيرة لصراعات نفسية داخليّة وأخرى علائقية فقد فضّلت المبحوثة التّراجع من خلال الكبت والتّجنّب والمقاومة ، فكانت صعوبة التّعامل مع الإشكاليات وإرصانها واضحة للعيان وبخاصّة الإشكاليات الاكتئابيّة التي تحرّضها اللّوحات3BM، 12BG، 13B و16، وكان التّعبير عن رفض الفقدان والموضوع وإبعاد العواطف الاكتئابية بشكل صارخ في اللّوحة 12BG ، وربّما فسّر ذلك صعوبة عمل الحداد.

وفي الواقع، طالما تنكر إيناس وفاة أخيها بل وترفضها وتتجنّب كلّ ما يمكن أن يذكّرها به فسيصعب عليها، في نظرنا، القيام بعمل الحداد، وربّما لا تكمن الصّعوبة في الوفاة فقط ، فقد يكون لعناصر خارجية أخرى دور في عرقلة عمل الحداد، بعضها يعود إلى ما قبل وقوع الفيضانات كأحداث العنف والإرهاب التي عاشتها وهي تخطو أولى سنوات البلوغ ولفترة طويلة والتي تسبّبت في تشوّش نفسيتها وعرقلة صيرورة حياتها العادية وربّما أكسبتها هشاشة وجروحية نفسية جعلتها تقلّل من مقاومتها لتجارب الحياة الضّاغطة أو

تستجيب لها بطريقة غير ملائمة، إلى جانب ظروف الموت وبخاصّة عنفها، وأخيرا، غياب الدّعم الأسري والسّند العاطفي الأبوي اللّذان يمكّنانها من تجاوز الحدث الصّدمي ويخفّفان عنها ألم الفراق والضّرر النّفسي الذي نجم عنه.

خلاصة:

كشفت الدّراسة العياديّة المفصّلة لكلّ فرد من الأفراد السّتة الذين اختيروا من بين المراهقين السّبعة عشر، الذين تعرّضوا صبيحة العاشر من نوفمبر لعام 2001 لفيضانات قويّة ومفاجئة عن اختلافات واضحة في كيفيّة استجاباتهم لانعكاساتها ومواجهتهم لما تسبّبت فيه من دمار وموتى، وبالتّالي، عن فرديّة الصّدمة النّفسيّة وتغيّريّة آثارها بينهم

رغم أنّ الحدث الصّدمي كان واحدا إلاّ أنّ الاختلاف كان في طبيعة تعرّض كلّ واحد منهم له، أو في نتيجته.

وجد أمين وياسمين نفسيهما في مواجهة عنيفة ، مفاجئة وحقيقيّة مع الموت "انْتُزعا" منها بأعجوبة في اللّحظات الأخيرة، أمّا فلّة وإيناس، فقد فقدتا أحد أفراد أسرتيهما (الأمّ،النّموذج التقمّصي بالنّسبة لفلّة، والأخ الأكبر، المثل الأعلى والبديل الأبوي الجيّد لإيناس)، بينما شارك هاني في إنقاذ بعض الغرقى شعورا منه بذنب البقاء وخجلا من ذلك، في حين، كانت أماني شاهدة على صور فظيعة للدّمار ولجثث الغرقى المنتفخة والمشوّهة بالأوحال التي خلّفتها الفيضانات.

تنوّعت الاستجابات المباشرة عند هؤلاء المراهقين بين ذهول، صعق وإغماء لهول المناظر لخبر الوفاة المفجع وللتّجربة الذاتية مع الموت، أمّا الاستجابات بعد المباشرة، فقد تنوّعت هي الأخرى بين اضطرابات في التّفكير، تلبّد الذهن بذكرى وصور الفيضانات، الغرقى والغرق وأفراد العائلة المفقودين المشوّهين مثيرة إحساسا بالضّيق والانزعاج،تخوّف وشعور بالقلق وباختلال الأمن، مزاج مكتئب نوبات بكاء، إضافة إلى بعض الأعراض الجسميّة كالغثيان القيء،التّعب،الإرهاق والصّداع وكلّها ردود أفعال انعكاسيّة طبيعيّة لتصريف الضّغط النّفسي.

كما وقد تسبّبت تلك الفيضانات في ظهور بعض الأعراض النّفسيّة الصّدمية التي تعتبر الواسم المرضي للتّناذرات النّفسيّة الصّدمية كانبعاث متكرّر لمشاهد الغرق والغرقى، الجثث والدّمار، أو لصور الأشخاص المفقودين مسبّبا تسارع دقات القلب، تعرّق، شعور بالضّيق والقلق وصداع، أحلام مزعجة وكوابيس تتكرّر فيها المشاهد الفظيعة بلقطاتها،تجنّب الخروج إلى الشارع أو الحديث عمّا جرى، صعوبة النّوم (نوم متقطّع، أرق)، اضطرابات السّلوك الغذائي والعصبي الإعاشي وترصّد أيّ خطر محتمل وبخاصّة إذا تغيّرت الظروف المناخية.

أمّا عن زمن ظهور هذه الأعراض لدى هؤلاء المراهقين، فقد تراوح بين أسبوعين وشهر.

تتضمّن هذه التّجربة التي مرّ بها هؤلاء الأفراد، في نظرنا، كلّ العناصر التي تندرج ضمن تعريف الصّدمة النّفسيّة، وبالنّسبة لبعضهم كفلّة، ياسمين، أمين وإيناس، فهي تتضمّن كلّ آلام جروحهم النّفسيّة التي لا تزال تنزف.

هكذا إذا، عايش هؤلاء تجربة مفاجئة، عنيفة وشديدة الخطر، وفي سياق يفتقر لوسائل المواجهة ولغياب النّجدة والإسعافات الخارجيّة، وقد طبعت كلّ من المفاجأة، الهلع، الحساسيّة والإحساس بالعجز والضّعف معاشهم، كما رأينا سابقا، وإذا تمكّن هاني وأماني من التكيّف مع تلك الأعراض النّفسيّة الصّدمية التي اختفت تدريجيّا بفضل وجود سند فعّال ورعاية واهتمام فائقين عوّضا ضعف دفاعاتهما وعدم فعاليتها كما تراءى لنا من خلال تقييم نوعيّة سيرهما النّفسي في اختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع، وسمحا بتخفيف الضّرر وتلاشي آثار الصّدمة والفيضانات، فلا يزال أمين، ياسمين، فلّة وإيناس بعد 15 شهرا من وقوع الكارثة الطّبيعيّة مثبّتين على الصّدمة، تثبيت ترجمه وجود تناذر نفسي صدمي بلائحته العياديّة تفاوتت في غناها و تواتر أعراضها النّوعيّة وغير النّوعية بينهم، ومن أهمّها: تناذر الانبعاثات وانبثاق الذكريات الأليمة الماضية والصّور التي انغرست في ذاكرتهم كالنّقش الذي يستحيل إزالته ومحوه، مع عجزهم على نسيان كلّ ما حدث لهم أو لذويهم، الأحلام والكوابيس المزعجة المتكرّرة بشكل متفاوت بينهم وما يرافقها من استثارة فيزيولوجيّة عند الاستيقاظ ، الاجترار العقلي التّكراري، تناذر التجنّب، فقدان الاهتمام بالنّشاطات أو تقلّصها الإحساس بمستقبل مسدود، والبحث عن الحماية والاهتمام ، إلى جانب ظهور أعراض غير نوعيّة كالإحساس بضيق صعوبة التّركيز والكفّ الفكري، العياء وظهور نوبات بكاء وعدوانية.

يترجم وجود تناذر التّكرار عند هؤلاء المراهقين واستمراره، حاجتهم لإرصان نفسي للتّجربة الصّدمية من أجل استرجاع الكمال النّفسي(Intégrité psychique)، لكنّ نسبة نجاحه (الإرصان) تبدو ضئيلة بالنّظر إلى دفاعاتهم الصّلبة وغير الفعّالة كما عكسته نوعيّة سيرهم النّفسي في كلا الاختبارين الإسقاطيين، وقد لا يرتبط ذلك بقوّة الكارثة الطّبيعيّة وفجائيتها أو بما تسبّبت فيه، أو بطبيعة المرحلة العمرية التي يمرّون بها

فحسب، بل كشفت النّتائج عن أحداث حياتيّة أليمة سابقة وتجارب عنيفة مرّوا بها، وعن مشاكل وصراعات عائليّة لا زالت آثارها تثقل نفسيتهم وتضغط على تفكيرهم، قد تكون سببا في إرهاق جهازهم النّفسي وإفساد وضع دفاعاته، وكسبه هشاشة أو جُروحية قلّلت من مقاومتهم لأيّة اعتداءات خارجيّة يتعرّضون لها وعرقلة عمل إرصان تلك العواقب المزمنة وعمل حداد الشخص المفقود.

خـــاتـمة

خاتمة:

استقطب موضوع الصّدمة النّفسية اهتمام عديد من الباحثين محلّلين نفسانيين كانوا أو أطبّاء عقليين ومن مختلف التوجّهات النّظرية، بسبب المكانة المحوريّة التي يحتلّها في علم النّفس بشكل عام (إذ لا يتحقق النّمو العاطفي، الحسّي والفكري لكلّ فرد منّا إلاّ بفعل ذلك، ولا ينتظم الإنسان إلاّ من خلال صدمات نفسيّة مختلفة بدءا من الولادة التي هي ينبوع الأحداث النّفسيّة ونواة اللاّشعور، مرورا بتجارب الطّفولة المؤلمة والمحتومة كالخصاء مثلا وصولا إلى المراهقة و تجربة الانفصال)؛ وفي علم النّفس المرضي بشكل خاص.

وقد أثارت الصّدمة النّفسيّة منذ فرويد إلى يومنا هذا مزيدا من الاهتمام، التّفكير والنّقاش حول المنشأ النّفسي المرضي لها وحول انعكاساتها عند الفرد طفلا كان أم مراهقا أم راشدا وإذا كان الاهتمام عند القرن 19 مركّزا حول الصّدمات الجنسيّة، فإنّ الأهوال، الجرائم الفظيعة والحروب التي وقعت في كلّ مكان في العالم، إضافة إلى الكوارث الطّبيعيّة من زلازل، براكين وفيضانات والتي تسبّبت في اختلال ملحوظ في التّنظيم الجماعي وفي تهديد عنيف للكمال الجسمي والنّفسي للفرد، قد لفتت الانتباه إلى شدّة ومدّة الصّدمة النّفسيّة اللّتان تتسبّبان في تحطيم الدّفاعات أو تعطّلها، ما يؤدّي إلى اضطراب السّير النّفسي وظهور أعراض نفسية قد تأخذ طابعا متفاقما وتتطوّر تدريجيّا إلى عصاب صدمي.

شكّل مطلع الثّمانينات منعرجا حقيقيّا في مجال دراسة الصّدمة النّفسيّة وانعكاساتها عند الطّفل والمراهق بعدما ظلّت مجهولة لفترة طويلة إن لم نقل منفيّة، وقد ازداد فضول كثير من الباحثين على اختلاف انتماءاتهم النّظريّة وتيّاراتهم الفكريّة في السّنوات الأخيرة التي شهدت تعاقب حروب وكوارث متنوّعة لمعرفة انعكاساتها على نموّهما العقلي والنّفسي، فكشفوا عن وجود اضطرابات مختلفة ، وساهموا ببحوثهم ودراساتهم الغزيرة في تطوير معرفة عواقبها النّفسية المرضية بوصفهم لتشكيلات إكلينيكيّة واسعة ولوائح عياديّة متنوّعة، وكذا معرفة العوامل المهيّأة لها.

ردّ هؤلاء الباحثون ذلك التنوّع والاختلاف في اللّوائح العياديّة للصّدمة النّفسيّة إلى كيفيّة معايشة الطّفل والمراهق بشكل خاص- كونه يمرّ بمرحلة نموّ صعبة ومصيريّة تُحيا فيها الصّراعات والاستثمارات الطّفوليّة من جديد، وتنشّط الإشكاليّات المنظمة للنّفس-، لمثل تلك الأحداث القصوى وإلى كفاءته في مواجهتها وتجاوزها والتي ترتبط بنوعيّة دفاعاته ومدى فعاليتها وبصلابة بنيته وتاريخه الشخصي، وبعوامل أخرى كالبيئة الاجتماعيّة والثقافية التي ينتمي إليها والعائلية التي يعيش فيها.

في هذا الصّدد، أردنا أن نتناول بالدّراسة وقع حدث خارجي عنيف ذا طاقة صدمية عالية كالفيضانات القويّة التي اجتاحت منطقة باب الوادي صبيحة العاشر من نوفمبر لعام 2001 على السّير النّفسي للمراهق الجزائري، وكان الهدف من بحثنا هو التعرّف على كيفيّة معايشة فئة من أفراد مراهقين متمدرسين ومن الجنسين يتراوح سنّهم ما بين 16 و21 سنة لتلك الكارثة الطّبيعية سواء كانوا ضحايا ناجين، أو شهودا على الدّمار والموت، أو مشاركين في عمليّات إنقاذ، أو فقدوا أحدا من عائلتهم ، وعلى مدى انعكاسها على سيرهم النّفسي وكذا على مدى ارتباط نوعيّة هذا الأخير بالوضع النّفسي الرّاهن،أي بعد مرور15 شهرا على حدوث الفيضانات ، ومن ثمّ ، الكشف عن الفوارق الفردية التي يمكن رصدها في هذا الشّأن.

من أجل ذلك، استعنّا بثلاث أدوات بحث أساسية هي: المقابلة العياديّة واختباري الرّورشاخ وتفهّم الموضوع (T.A.T).

كشفت نتائج البحث عن وجود اختلاف في كيفيّة معايشة هؤلاء المراهقين للفيضانات وبالتّالي، في تنوّع استجاباتهم تّجاهها ومن فرد لآخر كُلّ حسب طبيعة تعرّضه لها أو ما تسبّبت فيه من فقدان لأحد أفراد عائلته،وحسب قوّة وصلابة بنيته ودفاعاته،وأخيرا، حسب الظروف الاجتماعيّة والعائليّة المحيطة به، حيث مالت الأعراض الارتكاسيّة عند بعضهم والتي دلّت على فشل دفاعات جهازهم النّفسي بشكل مؤقت وجزئي في مواجهة كمّ الاستثارات الفجائيّة والعنيفة وآثارها، وكذا بعض الأعراض النّفسية الصّدمية التي ظهرت خلال الأشهر السّتة الأولى إلى الزّوال تدريجيّا، وقد لجأ هؤلاء إلى طرق تسوية مختلفة

حاولوا من خلالها تجاوز تلك الانعكاسات والذكريات الأليمة، كإسناد الكارثة الطّبيعية لقضاء اللّه وقدره وضرورة الاستسلام لهما، أو اعتبارها عقابا إلاهيّا حتميّا لأولئك المتمرّدين والظالمين من النّاس،أو إيجاد توجّهات جديدة في الحياة ومنها الاستثمار في نشاطات مختلفة كالرّياضة مثلا التي كانت منفذا إيجابيّا لفريد وهاني، ووسيلة نافعة للتخلّص من الضّغط النّفسي الدّاخلي.

وقد كان للدّعم الأسري الذي حظي به بعضهم الآخر، أو حتّى من خارج الأسرة(استثمار موضوع ليبيدي خارجي) دور كبير في التّخفيف من ضررهم النّفسي ومساعدتهم على تجاوز مختلف الانعكاسات الجسمية، النّفسية والاجتماعية التي تسبّبت فيها الفيضانات.

أمّا بعضهم الآخر، فبقي مثبّتا على الصّدمة ويعاني من الذكريات الأليمة والصّور الفظيعة للدّمار والغرقى، ومن فقدانه لأحد أفراد العائلة وبخاصّة أحد الأبوين (النّموذج التقمّصي) أو من أثر المواجهة الحقيقيّة مع الموت التي كانت بالنّسبة لياسمين وأمين أعنف وأخطر تجربة حياتيّة حدثت لهما.

تجلّى ذلك التّثبيت على شكل تناذر نفسي صدمي تباينت لائحته العياديّة في غناها، تواتر الأعراض ودرجة إزمانها من فرد لآخر أيضا.

عكس ذلك التّثبيت عجز هؤلاء المراهقين عن التحكّم نفسيّا في تلك الاستثارات الخارجيّة العنيفة والمفاجأة التي تلقوها والتي يبدو أنّها قد تعدّت قدرات تحمّلهم، وعن احتواء ومفاوضة القلق الصّدمي، أي كما ذكر فرويد، القيام بعمل " ربط نفسي لجملة الإثارات التي اخترقت بالكسر من أجل التخلّص منها فيما بعد" (S.FREUD, 1981, p.72).

وإذا كانت الأحلام الصّدميّة والذكريات المتكرّرة المرتبطة بمشاهد الفيضانات المروّعة وبالشّخص المفقود، والعواطف الاكتئابية القويّة، أنماطا دفاعيّة "متأخّرة" لإعادة التّنظيم النّفسي بحثا عن توازن جديد يعوّض الاختلال الأوّل وبوادر لعمل الحداد، كما هو الحال عند رضا، كريم، علاء الدين، أمال ووفاء وربّما أمين أيضا، فإنّها لم تملك وظيفة تفريغيّة وتحكّميّة للصّدمة عند البعض الآخر وبخاصّة أولئك الذين لايزالون ينكرون وفاة ذويهم بل ويرفضونها كفلّة، ريم وإيناس، وربّما لا تملك حتّى الآن وظيفة التّخفيف من حدّة

التوتّر والقلق اللّذان تعانين منهما، بل تسبّبت تلك الأعراض وأخرى بتواترها في عرقلة سير حياتهنّ الشّخصية، الاجتماعية والدّراسيّة، حيث صرّحن بحدوث تغيّر كبير في شخصيّاتهنّ وبتدهور علاقاتهنّ الأسريّة.

والواقع أنّ صعوبة إدماج هذه التّجربة الصّدمية والقيام بعمل الحداد عند هؤلاء جميعا لم يرتبطا بشدّة الحدث وفجائيته ، أو بظروف الفقدان، أو بضعف الإمكانيات النّفسيّة وفعالية الدّفاعات كما تجلّى في اختباري الرورشاخ وتفهّم الموضوع فحسب، بل لعلّ معايشة معظمهم لتجارب ماضية عنيفة وأليمة أيضا كالإرهاب الذي تنشّطت آثاره عبر لوحات الاختبارين الإسقاطيين السّابقين، وتعرّضهم لصراعات عائلية ضاغطة تراكمت عليهم في زمن قصير نسبيّا كانا سببين إضافيين في إرهاق دفاعاتهم أو إفسادها وكسبهم هشاشة أو جُروحية نفسية قلّلت من مقاومتهم لانعكاسات الفيضانات المختلفة، أو من استجاباتهم لها بطريقة ملائمة. كما كان لغياب تكفّل نفسي عائلي أو سند أبوي فعّال، وترك المراهق ينفرد بمواجهة قلقه وضغطه النّفسي، دور كبير في عرقلة تجاوز الحدث الصّدمي وإصلاح الضّرر النّفسي الذي تسبّب فيه.

وإذا كان الأخصّائيّون والمحلّلون النّفسانيّون يصرّون على ضرورة توفير العائلة فرص التّواصل والحوار مع ابنها المراهق، واحترامها لرغباته الدّاخليّة والأخذ بعين الاعتبار الفترة النّمائيّة التي يمرّ بها وما يميّزها من صراعات وتناقضات وتقلّب المزاج، وكذا ضرورة توفير سند فعّال لتجاوز الضّغوط النّفسيّة الدّاخليّة؛ وإذا كان هؤلاء الباحثون يؤكّدون أيضا على ضرورة اتّسام المحيط الأسري بنوع من الاستمراريّة، الانتظام، الاهتمام والوعي لتحقيق كلّ ما سبق ذكره ولضمان نوع من الاستقرار في البنية والتّوظيف النّفسيين، فكيف إذا تعرّض هذا المراهق لوضعيّات قصوى وأحداث خارجيّة ذات طاقة صدمية عالية وخاصّة إذا كان بشكل مفاجئ وعنيف ومهدّد للكمال الجسمي والنّفسي كما حدث مع أفراد مجموعة بحثنا، فلا شكّ أنّ حاجته للرّعاية والحضور العاطفي، التّواصل والدّعم من أجل مواجهة آثارها وانعكاساتها التي قد تأخذ طابعا صدميّا ستكون مضاعفة.

وهكذا، فإنّ للسّند العائلي بل وحتّى الاجتماعي دور فعّال في حماية المراهق بشكل عام والمراهق الجزائري بشكل خاص من الصّدمة النّفسية ومن عواقبها الوخيمة، " فكلّما كان المحيط الاجتماعي مساعدا، كلّما تلاشت آثار الصّدمة"(ع. سي موسي، ر.زقار،2000 ص.285)، وهذا ما تفتقر إليه معظم الأسر الجزائريّة التي تشغلها الظروف الاقتصاديّة وربّما السّياسية عن الرّعاية الكاملة والصّحيحة لأولاها المراهقين والتي تقتصر في كثير من الأحيان على الجانب المادّي، أمّا المتطلّبات النّفسية والعاطفيّة فهي متجاهلة أو تكاد تكون مهملة.

كما أنّ للتدخّل النّفسي الفوري والمبكّر ومنح فرص التّعبير عن الشّعور والعواطف لحظة التعرّض للحدث الصّدمي وبعدها والتّفريغ، ثمّ الاهتمام بعواقبه وما قد يحدث فيها من اضطرابات على مستويات عدّة، وأخيرا، المتابعة النّفسية المنتظمة، أهمّية كبرى في التّخفيف من تلك الاضطرابات ومن احتمال تأزّمها، وهذا ما لم يستفد منه بعض من مبحوثينا.

ما ينفكّ الاهتمام بالمراهقة وتغيّراتها التي تحدث على المستويين الاقتصادي والدّيناميكي وبالصّدمة النّفسية وعواقبها الوخيمة يزداد يوما بعد يوم، وإذا كانت دراستنا قد تناولت جانبا واحدا من جوانب عديدة ومختلفة من هذين المجالين الواسعين، المتشعّبين والمثيرين للاهتمام، فإنّها ،أو نتائجها، قد تفتح السّبل لتناولهما من جوانب أخرى نفسيّة، اجتماعيّة أو علاجيّة والاهتمام بمتغيّرات مغايرة كالسّن مثلا ودراسة احتمال ظهور فروق فردية بين المراهقين الذين هم في عزّ أزمة المراهقة وبين أولئك الذين هم على عتبة الرّشد مثلا أو الاهتمام بأبعاد نفسيّة أخرى مكمّلة لتلك التي تناولناها، واللّجوء إلى أدوات بحث مختلفة.

المراجع

الكتب باللّغة العربية:

1- الدباغ ف. أصول الطّب النّفساني ، دار الطّليعة ، بيروت ، 1983.

2- سي موسي ع.، زقار ر.، الصّدمة والحداد عند الطّفل والمراهق، نظرة الاختبارات الإسقاطيّة، جمعيّة علم النّفس للجزائر العاصمة، اليونيسيف، 2000.

المراجع باللّغة الأجنبيّة:

01- AIT SIDHOUM A., « L'Algérie : Le poids du drame et ses implications en matière de santé mentale », dans Psychologie, n°8, Alger, SARP, 1999/2000 pp. 17-34.

02-ANATRELLA T., Interminables adolescences, les 12-30 ans, Paris, coéd cerf-cujas, 1991, (7ème édition).

03-ANZIEUD., CHABERT C., Les méthodes projectives, Paris, P.U.F 1983 (7ème édition).

04-AULAGNIER P., La violence de l'interprétation- du pistogramme à l'énoncé, Paris, P.U.F, 1975.

05- BACQUE M.F., « Mentalisation de la dépression au Rorschach et au T.A.T. : Comparaison dans le cadre d'une maladie grave et d'un épisode dépressif », dans Bulletin de la société du Rorschach et des méthodes projectives de langue Française, n° 36, 1992, pp.77-91.

06-BACQUE M.F., Deuil et santé, Paris, Odile Jacob, 1997.

07-BACQUE M.F., Le deuil, Paris, P.U.F, Que sais-je ?, 2000.

08-BAILLY D., l'angoisse de séparation, Paris, Masson, 1995.

09-BAILLY L., Les catastrophes et leurs conséquences psychotraumatiques chez l'enfant, Paris, ESF, collection la vie de l'enfant. 1996.

10-BARROIS C., Les névroses traumatiques. Le psychothérapeute face aux détresses des chocs psychiques, Paris, Bordas, 1988.

11-BEIZMANN C., Livret de cotation des formes dans le RORSCHACH, Paris édition du centre de psychologie appliquée, 1966, (1ère édition).

12-BELL D., « Les blessures externes et le monde intérieur », dans Comprendre le traumatisme - Une approche psychanalytique, GARLAND C. (sous la direction de), Paris, Hublot, coll Tavistock clinic, 2001, pp.179-193.

13-BERGERET J et al, Abrégé de psychologie pathologique, Paris, Masson 1974, (2ème édition).

14-BERGERET J et al, Abrégé de Psychologie pathologique, théorique et clinique, Paris, Masson, 1979, (3ème édition).

15-BERTRAND M., Pour une clinique de la douleur psychique, Paris l'Harmattan, 1996.

16-BERTRAND M., La pensée et le trauma, Paris, l'harmattan, 1997.

17-BLOS P., Les adolescents. Paris, Stock, 1967.

18-BOKANOWSKI T., « Traumatisme, traumatique, trauma », dans Revue Française de Psychanalyse, 3, tome LXVI, 2002, pp. 745-757.

19- BOTELLA S. et C., « Sur le processus analytique » dans Revue Française de psychanalyse, 59, 1995, pp. 349-366.

20- BOTELLA C., « A propos du livre de Jacques PRESS, La perle et le grain De sable (traumatisme et fonctionnement mental, essai psychanalytique) », dans Revue Française de Psychosomatique, 19, 2001, pp.181-190.

21-BOUDARENE M., « Violence terroriste en Algérie et traumatisme psychique », dans : Stress et trauma, 1 (2), 2001, pp.91-98.

22-BOUKHAF M., « Adolescents victimes de traumatisme : Quelle prise en charge psychologique ?,dans Psychologie, victimes et thérapeutes, expérience d'aide psychologique et sociale, Actes de la journée scientifique du 23 octobre 2003, Alger, SARP, n°12, 2004, pp.37-51.

23-BRELET F., Le T. A. T. Fantasme et situation projective, Paris, Dunod collection psychismes, 1986.

24-BRETTE F., « Le traumatisme et ses théories », dans : Revue Française de Psychanalyse, traumatismes, 52, 6, tome LU, 1988, pp*

25- BRIOLE G., LEBIGOT F et al., Le traumatisme psychique : rencontre et Devenir, Paris, Masson, 1994.

26-BROUSSELLE A., GIBEAULT A., VINCENT M., « Revue de quelques Travaux psychanalytiques sur l'adolescence », dans Revue Française de Psychanalyse, 3- 4, tome XLIV, 1980, pp. 445-477.

27- CATIPOVIC M.P., LADAME F., (sous la direction de), Adolescence et psychanalyse: une histoire, Paris, Delachaux et Niestlé, 1997.

28-CHABERT C.,Le Rorschach en clinique adulte, interprétation psychanalytique, Paris, DUNOD, 1983.

29-CHABERT C.,« L'interprétation des épreuves projectives à l'adolescence », dans Encyclopédie Médico Chirurgicale , Psychiatrie,37-213 B10,1991,4p.

30-CHABERT C., Psychanalyse et méthodes projectives, Paris, Dunod 1998.

31-CHAHRAOUI K., « Traumatisme psychique, situations extrêmes et vulnérabilité », dans Annales Médico-Psychologiques, 155,3, 1997, pp.177-183.

32-CHAZAUD J., La personnalité, ses dimensions et son développement Toulouse, Privat, 1980.

33-CLAES M., L'expérience adolescente, Bruxelles, Pierre Mardaga, 1986 (2ème édition).

34-COSLIN G-P., Psychologie de l'adolescent, Paris, Armand colin, coll cursus, 2002.

35- CROCQ L., DOUTHEAU C., SAILHAN M., « Les réactions émotionnelles dans les catastrophes », dans Enc.Méd.Chir, 37-113, D4, 1987, 8p.

36-CROCQ L., « La dimension psychologique des catastrophes », dans Soins psychiatrie, 106-107. 1989, pp. 4-6.

37-CROCQ L., « Panorama des séquelles des traumatismes psychiques. Névrose traumatique, états de stress post-traumatique et autres séquelles », dans Psychologie médicale, 24, 5, 1992, pp. 427-432.

38-CROCQ L., « Les victimes psychiques », dans Victimologie, 1, 1994, ppl-17.

39-CROCQ L., « Critique du concept d'état de stress post-traumatique », dans Perspectives psychologiques, vol 35, 5, 1996, pp. 363-376.

40-CROCQ L., « Stress, trauma et syndrome psychotraumatique », dans Soins psychiatrie, 188, 1997, pp. 7-13.

41-CROCQ L., « Les modèles explicatifs du trauma », dans Annales Médico-psychologiques, 155, 3, 1997, pp. 1-13.

42-CROCQ L., DOUTHEAU C., LOUVILLE P., CREMNITER D., « Psychiatrie de catastrophe, réactions immédiates et différées, troubles séquellaires. Paniques et psychologie collective », dans Ency. Méd.Chir, 37-113, D810, 1998, 8p.

43- CROCQ L ., « Le traumatisme psychique dans la pensée psychiatrique francophone », dans Les traumatismes psychiques, DECLERCQ M., LEBIGOT F., et col, Paris, Masson, collection médecine et psychothérapie, 2001, pp.1-9.

44-CYRULNIK B. et al, Ces enfants qui tiennent le coup, Paris, Hommes et perspectives, 1998.

45-DALIGAND E. « Catastrophe collective et drame individuel », dans Victimologie, 1, 1994, pp.22-24.

46-DALIGAND L., « L'être et le traumatisme », dans Stress et trauma, 2(2) 2002, pp.67-68.

47-DAMIANI C., Les victimes : violences publiques et crimes privés, Paris Bayard, 1997.

48-DEBRAY R., «Préconscient et maladie somatique, quelques interrogations actuelles », dans Revue Française de Psychanalyse, n° 2, T.XLVII, 1983 pp.527-537.

49-DIATKINE R., « L'après-coup du traumatisme », dans Quinze études psychanalytiques sur le temps. Traumatisme et après-coup, GUILLAUMIN J. (sous la direction de), Paris, Privat, 1982, pp.91-102.

50- DIATKINE G., Violence, culture et psychanalyse, Alger, SARP, 2001.

51-DECLERCQ M., LEBIGOT F. et col, Les traumatismes psychiques, Paris Masson, collection médecine et psychothérapie, 2001.

52-DECLERCQ M., DUBOIS V., « Le traumatisme psychique », dans Les traumatismes psychiques, DECLERCQ M., LEBIGOT F. et col, Paris Masson collection médecine et psychothérapie, 2001, pp.13-22.

53-DEUTSCH H. (1949), La psychologie des femmes, enfance et adolescence tome I, Paris, P.U.F, 1974, (6ème édition).

54-DONABEDIAN D., « Traumatismes et somatisation », dans Les traumatismes dans le psychisme et la culture, DOREY B., LOUZOUN C., (sous la direction de), Paris, Erès, 1997, pp. 131-134.

55-DORAY B., LOUZOUN C., Les traumatismes dans le psychisme et la culture, Paris, édition Erès, 1997.

56-DOUVILLE O., « Le T.A.T à l'adolescence »,dans Psychologie Française, 32, 3, 1987, pp.161-167.

57-DUPONT J., « La notion de trauma selon Ferenczi : Avancée ou recul théorique ? », dans : Les traumatismes psychiques, le bloc-notes de la psychanalyse, CIFALI M et al. , n°12, Genève, Georg, 1993, pp.79-90.

58-EMMANUELLI M., « Penser la menace oedipienne, apport, du Rorschach » dans Adolescence, 10, 1, 1992, pp.47-61.

59-EMMANUELLI M., « Incidences du narcissisme sur les processus de pensée à l'adolescence », dans Psychiatrie de l'enfant, XXXVII, 1, 1994, pp.249-305.

60- EMMANUELLI M., « Le processus de changement à l'adolescence,apport du Rorschach », dans Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence, 49, 2001 pp.232-243.

61-EMMANUELLI M., AZOULAY C., Les épreuves projectives à L'adolescence, Approche psychanalytique, Paris, Dunod, 2001.

62-FAIN M.,« La vie opératoire et les potentialités de névrose traumatique »,dans Revue Française de Psychosomatique ,n° 2,pp.5-24.

63-FENICHEL O., La théorie psychanalytique des névroses, T.1, Paris, PUF 1979, (3ème édition).

64-FERENCZI S.(1916),« Deux types de névroses de guerre » dans Psychanalyse 2, traduit de l'Allemand et du Hongrois par DUPOND J et VILIKER M., Paris, Payot, 1978.

65-FERENCZI S. (1932), « Réflexion sur le traumatisme », dans œuvres complètes, Psychanalyse IV, Paris, Payot, 1993.

66- FREUD A., Le moi et les mécanismes de défense, Paris, P.U.F, 1947.

67-FREUD A., Le Moi et les mécanismes de défense, Paris, P.U.F, 1996 (14ème édition).

68-FREUD S. (1905), Trois essais sur la théorie de la sexualité, Paris Gallimard, collection « idées », 1987.

69-FREUD S.(1914b), « Remémoration, répétition , perlaboration », dans La technique psychanalytique, Paris, PUF, 1997.

70-FREUD S. (1915) « Considérations actuelles sur la guerre et sur la mort » dans Essais de psychanalyse, Paris, Payot, 1981, pp.9-40.

71-FREUD S. (1920), « Au delà du principe de plaisir », dans Essais de psychanalyse, traduit de l'allemand par J.LAPLANCHE et J.-D.PONTALIS, Paris Payot, 1981, p.43-115.

72-FREUD S. (1926), Inhibition, symptôme et angoisse, Paris, P.U.F, 1975.

73- FREUD S., (1933), « L'inquiétante étrangeté », dans Essais de Psychanalyse appliquée, Paris, P.U.F., 19**, pp.163-210.

74-FREUD S., (1939), L'homme moise et la religion monothéiste, Paris Gallimard, 1986.

75-GARLAND C. (sous la direction de), Comprendre le traumatisme. Une approche psychanalytique, Paris, édition du Hublot, 2001.

76-GODARD M-O., Rêves et traumatismes ou la longue nuit des rescapés, Paris Erès, 2003.

77-GRAPPE M., « Deuil et traumatisme chez l'enfant et l'adolescent », dans Stress et trauma, 1(5), 2001, pp.291-296.

78-GREEN A.,« La mort du Moi et le destin des objets », dans Revue Française de Psychanalyse, Vol L, III, 1989, pp. 423-427.

79- GREEN A., Le travail du négatif, Paris, Minuit, 1993.

80-HADDADI D., « Point de vue topique et préconscient », dans Ann.Univ d'Alger, t.2, n° 11, juin 1998, pp.63-86.

81-INGHAM G., Travail mental chez un patient traumatisé, dans Comprendre le traumatisme - Une approche psychanalytique, GARLAND C., (sous la direction de), Paris, Hublot, coll Tavistock clinic, 2001,pp.105-117.

82-JANIN C., Figures et destins du traumatisme, Paris, P.U.F, 1996.

83-JEAMMET PH., REYNAUD M., CONSOLLI S., Psychologie médicale Paris, Masson, 1980, (1ère édition).

84-JEAMMET PH., « Les destins de la dépendance à l'adolescence », dans Neuropsychiatrie de l'enfant, 38(4-5), 1990, pp.190-199.

85-JEAMMET PH., « Les tests projectifs à l'adolescence .Point de vue d'un clinicien », dans Bulletin de la société du Rorschach et des méthodes projectives de langue Française, 37, 1993, pp.3-6.

86-JEAMMET PH., « Adolescence et processus de changement », dans Traité de Psychologie, WIDLOCHER D., Paris, P.U.F, 1994, pp 687-726.

87-JONAS C., CROCQ L., « Les conséquences cliniques du traumatisme Psychique », dans Nervure, tome IX, 6, 1996, pp.23-28.

88-JONAS C., « Les conséquences psychobiologiques du traumatisme psychique, une hypersensibilité à l'environnement », dans Perspectives psychologiques, vol 35, n° 5, 1996, pp.387-389.

89-KAES R., « Dire le traumatisme, présentation », dans Les traumatismes dans le psychisme et la culture, DORAY B., LOUZOUN C., (sous la direction de), Paris, Erès, 1997, pp.197-201.

90-KELSON H., Enfants victimes de la guerre, Paris, PUF, 1998.

91-KESTEMBERG E., L'identité et l'identification chez les adolescents, dans psychiatrie de l'enfant, 1962, pp.441-522.

92-KESTEMBERG E., Notule sur la crise de l'adolescence : De la déception à la conquête, dans Revue Française de Psychanalyse, 3-4, 1980, pp.522- 530.

93-KHALED N., « Le traumatisme psychique durant l'enfance et l'adolescence : Multiplicité des approches et des interventions », dans Psychologie, n°8, Alger, SARP, 1999/2000, pp.129-141.

94-LAGACHE D., La psychanalyse, Paris, PUF, 1966.

95-LAUFER M., EGEE-LAUFER M., Adolescence et rupture du développement Une perspective psychanalytique », Paris, P.U.F, coll le fil rouge, 1989, (1ère édition).

96- LAUFER M., EGEE-LAUFER M., « Psychanalyse à l'adolescence, dans Adolescence », 18, 1,2000, pp.103-116.

97-LEBIGOT F., « La clinique de la névrose traumatique dans son rapport à l'événement », dans Stress et trauma, 1 (1), 2000, pp.21-25.

98-LEGUEN C. « Le refoulement, les défenses », dans Revue Française de Psychanalyse, n° 1, T.L, 1986, pp.23-335.

99-LEHALLE H., Psychologie des adolescents, Paris, P.U.F, 1985.

100- LOOSLI-USTERI C., Manuel pratique du test de Rorschach, Paris, (s.éd) 1976.

101-LUBTCHANSKY J., « Travail de deuil, douloureuse souffrance », dans Le deuil, AMAR N et al, (sous la direction de), Paris, P.U.F, 1994, (1ère édition) pp 127-142.

102-MARCELLI D., BRACONNIER A., Psychologie de l'adolescent Paris Masson, 1988, (2ème édition).

103- MARTY P., La psychosomatique de l'adulte, Paris, P.U.F, "Que sais-je", 1990.

104- MUCCHIELLI A ., Les mécanismes de défense, Paris, P.U.F, 1981.

105-NACHT S., La théorie psychanalytique, Paris, PUF, 1969.

106-NUNBERG H., Principes de psychanalyse, leur application aux névroses Paris, P.U.F., 1975.
107-OULD TALEB M. et coll., Aspects évolutifs des patients victimes du terrorisme à travers l'échelle de Steinitz et Crocq, à propos de 56 cas, 3ème journée nationale de psychiatrie, Alger, octobre 1998.
108-OULD TALEB M., Contribution à l'étude psychopathologique du stress majeur post-traumatique : Analyse d'une consultation spécialisée pour les victimes du terrorisme, à propos de 100 cas cliniques, Journée nationale de psychiatrie, Tizi-Ouzou, novembre 1999.
109-PAPAZIANN B.,« Traumatisme psychique en cas de catastrophe » dans Psychiatrie de L'enfant 1, tome XXXV, 1992, pp.273-314.
110-PARAT C., L'organisation oedipienne du stade génitale, Paris, P.U.F 1966.
111-PEPIN L., La psychologie des adolescents, Toulouse, Privat, 1973.
112-PERRON R., « Les problèmes de la preuve dans les démarches de la psychologie dite clinique. Plaidoyer pour l'unité de la psychologie », dans Psychologie Française, 24, 1, 1979, pp.37-49.
113-PERRON R., Genèse de la personne. Paris, P.U.F, 1985, (1ère édition).
114-PERRON R., PERRON-BORELLI M., Le complexe d'oedipe, Paris P.U.F, 1994, (1ère édition).
115-PERRON R., « La notion de traumatisme du point de vue psychanalytique » dans Psychologie, Traumatismes, Réactions et Prises en charge, Alger, SARP n°8, 1999/2000, pp.9-16.
116-POTAMIANOU A., Le traumatique, répétition et élaboration, Paris Dunod, 2001.
117-PRESS J., La perle et le grain de sable. Traumatismes et fonctionnement mental. Essai psychanalytique, Paris-Lausanne, Delachaux-Niestlé, 1999.

118-PRIETO N. et al, «Les troubles traumatiques précoces », dans Stress et trauma, 2 (1), 2002, pp.39-44.

119-RAUSCH DE TRAUBENBERG N., La pratique du Rorschach, Paris, P.U.F 1983.

120- RAUSCH DE TRAUBENBERG N., SANGLADE A., « principes élémentaires de cotation des protocoles de Rorschach, extrait de l'ouvrage :La pratique du Rorschach (1970), Paris, P.U.F, collection le psychologue, 1990, (8ème édition).

121-RAUSCH DE TRAUBENBERG N., BLOCH-LAINE F., BOIZOU M.F DUPLANT N., MARTIN M., POGGIONOVO M.P., « Modalités d'analyse de la dynamique affective au RORSCHACH : grille d'analyse de la dynamique affective», dans Revue de psychologie appliquée,vol 40,2,1990,pp.245-258.

122-RAUSCH DE TRAUBENBERG N., BLOCH-LAINE F., MARTIN M POGGIONOVO M.P., « Le Rorschach à l'adolescence :La clinique du normal »,dans Bulletin de la société du RORSCHACH et des méthodes projectives de langue Française, 37, 1993, pp.7-38.

123-RAUSCH DE TRAUBENBERG N., La pratique du Rorschach, Paris, P.U.F 2000 (9ème édition).

124-REVAULT-D'ALLONES C et al, La démarche clinique en sciences sociales Paris Dunod, 1989.

125-RITVO S., « Fin d'adolescence et processus de développement », dans Adolescence, 26, 1995, pp.133-149.

126- ROUSSILLON R., « Perception,hallucination et solution biologique du traumatisme », dans Revue Française de Psychologie, n° 8,pp.107-118.

127-SAMI -ALI M., De la projection, une étude psychanalytique, Paris, Payot 1970, (1ère édition).

128-SHENTOUB V., « Introduction théorique à la méthode du T.A.T », dans Bulletin de psychologie, n° 305, T.XXVI, 1972-1973, pp.582-602.

129-SHENTOUB V. et al, Manuel d'utilisation du TAT (approche Psychanalytique), Paris, Dunod, 1990.

130-SI MOUSSI A., «L'adolescent entre réalité extérieure et conflit psychique », dans Recherche et culture, Fondation de BOUCEBCI, Alger Juin2000.pp 37-60.

131-SI MOUSSI A., BENKHALIFA M et coll., « Production et banalités au Rorschach en Algérie », dans Psychologie clinique et projective, passage à l'acte, vol 10 2004, pp.339-357.

132-STEINITZ A., CROCQ L., « L'inventaire -échelle de névrose traumatique, un instrument simple pour l'inventaire et l'évaluation clinique des névroses traumatiques des états de stress post-traumatique et autres états séquellaires de traumatisme psychique. Présentation et validation », dans Psychologie médicale, 1992, 24, 5, pp.437-445.

133-TAYLOR D., « Evaluation psychodynamique des états post-traumatiques » dans Comprendre le traumatisme Une approche Psychanalytique, GARLAND C., (sous la direction de), Paris, Hublot, collection Tavistock clinic, 2001 pp.57-72.

134-TEMPLE N., « Blessures développementales, ses effets sur le monde intérieur », dans Comprendre le traumatisme Une approche Psychanalytique GARLAND C., (sous la direction de), Paris, Hublot, collection Tavistock clinic 2001, pp.57-72.

135-TYSON PH., TYSON R.L., Les théories psychanalytiques du développement de l' enfant et de l'adolescent, Paris, P.U.F, 1996.

136-VILA G., BERTRAND C., « Etats de stress post-traumatique de l'enfant et de l'adolescent : Particularités cliniques », dans Stress et trauma, 1(3), 2001 pp.161-168.

137-WIDLOCHER D., « Le développement de la personnalité. Point de vue psychanalytique », dans Traité de psychologie de l'enfant, GRATIOT-

ALPHANDEY H., ZAZZO B., (sous la direction de …), Paris, PUF, T.5 1973, pp.235-392, (1ère édition).

138-WINNICOTT D.W., De la pédiatrie à la psychanalyse, Paris, Payot, 1969.

139-YOUNG L. GIBB E., « Traumatisme et grief », dans Comprendre le traumatisme Une approche Psychanalytique, GARLAND C., (sous la direction de), Paris, Hublot, collection Tavistock clinic, 2001, p.89-103.

الرّسائل:

1- زقار ر.، الأطفال المصدومون من خلال الإنتاج الإسقاطي، دراسة مقارنة وعياديّة بين الأطفال المصدومين والأطفال غير المصدومين، رسالة ماجستير في علم النّفس العيادي، جامعة الجزائر، 2001.

2- زقور ع.، الهويّة والتّماهيات الجنسيّة الأنثوية لدى مراهقات متعرّضات لصدمة نفسيّة ناتجة عن عنف مادّي، مذكّرة ليسانس في علم النّفس ٤١عيادي، جامعة الجزائر 2002.

3- عبلاش ج.، الهويّة لدى المراهقين القبائل ، دراسة مقارنة بين المقيمين في منطقة تيزي وزّو والمقيمين في منطقة الجزائر العاصمة ، وبين الإناث والذكور، رسالة ماجستير في علم النّفس الاجتماعي ، جامعة الجزائر ، 2000-2001.

1-HADDADI D., Régulation psychosomatique de la dyade mère-enfant à travers la lactogenèse, Magister en psychologie, université d'Alger, 1992.

القواميس:

1- ج. لابلانش ، ج. ب. بونتاليس ، معجم مصطلحات التّحليل النّفسي ، تر. م. حجازي ديوان المطبوعات الجزائرية (O.P.U) ، 1985 ، الطّبعة الأولى.

2-KAUFMANN P., L'apport Freudien, éléments pour une encyclopédie de la psychanalyse, Paris, Bordas, 1993.

3-ROUDINESCO E., PLON M., Dictionnaire de la psychanalyse, Paris, fayard, 1997.

الملاحق

ملحق رقم (1):

المعايير النّموذجية للسّير النّفسي "العادي" عند الرّاشد.

R= 20-30	G%= 20-23%	F%= 50-70%	A%= 45%
	D%= 60-68%	F+% = 70-80%	H% = 12-18%
	Dd %= 6-10%		
	Dbl% = 3%		
	RC% = 30-35%		Ban =5-7

Type d'appréhension

Lorsque le pourcentage d'un mode d'appréhension est plus élevé que normalement aux dépens des pourcentages des autres modes d'appréhension, il convient de l'indiquer par un ou plusieurs traits marqués sous le symbole.
Voici le tableau exprimant les règles que nous suivons dans la détermination du nombre de ces traits :

G		D		Dd		Dbl	
20-23%	G	60-68%	D	6-10%	Dd	3%	Dbl
30-45%	G	60-80%	D	10-15%	Dd	3-6%	Dbl
45-60%	G	86-90%	D	15-25%	Dd	6-12%	Dbl
Plus de 60%	G	Plus de 90%	D	Plus de 25%	Dd	Plus de 12%	Dbl

Tableau issu de *l'application clinique du test de Rorschach* deBOCHNER R. et HALPERN F., PUF,1948,avant-propos p.XL

Liste des banalités

I- G : oiseau ou chauve souris ou papillon
II- D Noir : Animaux entiers(tels que ours-moutons-chiens-éléphants..) ou les têtes des mêmes animaux
III-G de convention (Loc noir seule) : Tout être humain entier (quel qu'en soit le libellé : bonhomme,personnage…)
D rouge médian : Papillon ou nœud papillon
IV-Pas de Ban
V-G : Oiseau-Chauve- souris-Papillon
VI-G ou D : Peau d'animal
VII-Pas de Ban
VIII-D rose : Deux animaux sauf poissons ou oiseaux.
IX- Pas de Ban
X-D bleu latéral : Crabe-Araignée-Pieuvre
D Vert clair médian : tête de lapin
D gris sup :Deux animaux(rongeurs ou crustacés)

ملحق رقم (2):

ورقة الفرز المستعملة في اختبار الرّورشاخ.

Nom : Date :
Age :
Motif de l'examen :

PSYCHOGRAMME

		Nbre	%			
				{F+	A	F%
R :	G		Somme des F=	{F-	Ad	F+%
Refus :	D			{F±	H	A%
T.Total :	Dd				Hd	H%
T./réponse :	Dbl					
T. Lat.moyen :	Di			K		
				Kp	Elém	Ban
				kan	Frgt	
				kob	Obj	
					Anat	
				FC	Géo	
				CF	Pl	
				C	Sc	
					Abstr	
				FE	Autres	
				EF		
				E		
				FClob		
				ClobF		
				Clob		

T.Appr qualitatifs Succession Eléments

T.R.I

F.Compl

RC%

Chocs
Eq.Choc
Persév
Rem.Sym.
Rem.C.
Crit.Subj.
Crit.Obj

Choix + Description
Choix - Retournement

ملحق رقم (3):

حصيلة نتائج تحليل بروتوكولات الرّورشاخ

متوسّط ظهور كلّ عنصر من عناصر البسيكوغرام لدى أفراد مجموعة البحث

المحور			أفراد مجموعة البحث		
			إناث	ذكور	مجموع
الإنتاجيّة		عدد الإجابات **(R)**	12,1	13,14	12,52
		الإجابات الإضافيّة	2,5	1,57	2,11
		الرّفض	1,00	1,14	1,05
الموقع		مجموع الإجابات الكليّة **(G ?)**	6,1	5,85	6,00
		الإجابات الكليّة البسيطة **(G simples)**	4,4	5,42	4,82
		إجابات الفراغ الكليّة **(GBl)**	0,5	0,14	0,35
		الإجابات الجزئية/ الكليّة **(D/G)**	0,3	0,28	0,29
		الإجابات الجزئية الكبيرة **(D)**	5,3	8,14	6,47
المحدّدات	محدّد شكل	مجموع الإجابات الشكلية **(F ?)**	6,00	6,42	6,17
		الإجابات الشكلية الإيجابية **(F+)**	3,6	4,28	3,88
		الإجابات الشكلية السّلبية **(F-)**	2,1	0,76	2,00
		الإجابات الشكلية الغامضة **(F±)**	0,3	0,28	0,29
	محدّد لون	الإجابات اللّونية **(C)**	1,00	0,85	1,05
		الإجابات الشكلية اللونية **(FC)**	0,2	0,71	0,41
		الإجابات اللّونية الشكلية **(CF)**	0,6	0,14	0,47
	محدّد تضليل	إجابات التضليل**(E)**	0,2	0,00	0,11
		إجابات شكل تضليل **(FE)**	0,2	0,42	0,29
		إجابات تضليل شكل **(EF)**	0,00	0,14	0,05
	محدّد فاتح/قاتم	الإجابات الفاتحة -القاتمة **(Clob)**	0,1	0,28	0,17
		الإجابات الشكلية الفاتحة- القاتمة **(FClob)**	0,3	0,57	0,41
		الإجابات الفاتحة-القاتمة الشكلية **(ClobF)**	0,00	0,00	0,00
	محدّد حركة	الإجابات الحركيّة الإنسانية **(K)**	0,8	1,28	1,00
		الإجابات الحركية الحيوانية **(kan)**	0,7	0,85	0,76
		الإجابات الحركية المرتبطة بموضوع **(kob)**	0,2	0,28	0,23
		الإجابات الحركية الجزئية الإنسانية **(kp)**	0,00	0,14	0,05

ملحق رقم (3): تابـع

أفراد مجموعة البحث			المحور	
مجموع	ذكور	إناث		
2,35	3,00	1,90	الإجابات الإنسانية **(H)**	**المحتويات**
5,82	5,42	6,10	الإجابات الحيوانية **(A)**	
0,23	0,00	0,40	الإجابات من نوع شظايا **(Frag)**	
0,47	0,14	0,70	الإجابات من نوع عنصر **(Elém)**	
0,35	0,00	0,60	الإجابات من نوع منظر **(Pays)**	
0,52	1,00	0,20	الإجابات التّشريحيّة **(Anat)**	
0,41	0,71	0,20	الإجابات من نوع موضوع **(Obj)**	
0,41	0,75	0,20	الإجابات من نوع دم **(Sang)**	
1,76	1,71	1,80	الإجابات التّجريدية **(Abst)**	
0,64	1,57	0,30	الإجابات النّباتيّة **(Bot)**	
2,64	3,00	2,40	الإجابات المبتذلة **(Ban)**	**العوامل الإضافيّة**
3,35	2,71	3,80	الصّدمات **(Chocs)**	
			نمط الصّدى الدّاخلي **(T.R.I)**	**عناصر الدّيناميكيّة العاطفيّة**
0,76	0,57	0,90	$\sum K < \sum C$	
0,17	0,42	0,00	$\sum K >? C$	
0,05	0,00	0,10	$\sum K =? C$	
4,82	4,85	4,80	الاستجابات في اللّوحات الملوّنة **(RC%)**	

ملحق رقم (4):

ورقة الفرز المستعملة في اختبار تفهّم الموضوع (T.A.T)

ملحق رقم (5):

متوسّط عدد ظهور الأنساق الدّفاعية الأربعة (A)، (B)، (C) و(E) في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث

	أفراد مجموعة البحث		
نوع السّلاسل الدّفاعية	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
سلسلة أساليب الصّلابة (A)	41,3	39,85	40,70
سلسلة أساليب المرونة (B)	7,9	10,28	8,88
سلسلة أساليب تجنّب الصّراع (C)	139,4	126,7	134,17
سلسلة أساليب العمليّات الأوّليّة (E)	10,5	8,71	9,76

ملحق رقم (6):

متوسّط عدد السّياقات الدّفاعية لنسق الصّلابة **(A)** الأكثر ظهورا في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث

السّياقات الدفاعية	أفراد مجموعة البحث		
	إناث		مجموع
A2-1	4,2	5	4,52
A2-3	11,8	10	11,05
A2-4	1,3	1	1,17
A2-6	3,3	1,71	2,64
A2-8	8,1	11,57	9,52
A2-10	1	0,75	0,88
A2-13	5	5	5
A2-15	1,5	1,14	1,35
A2-17	2,3	1,28	1,88

ملحق رقم (7):

متوسّط عدد السّياقات الدّفاعية لنسق المرونة **(B)** الأكثر ظهورا في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث

	أفراد مجموعة البحث		
نوع السّياقات الدّفاعية	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
B1-2	1,8	1,57	2
B1-4	0,4	0,28	0,35
B2-1	0,6	0,42	0,52
B2-3	1,5	3	2,11
B2-4	1,9	2,42	2,11
B2-6	0,2	0,28	0,23
B2-8	0,3	1	0,58
B2-12	0,5	0,14	0,35

ملحق رقم (8):

متوسّط عدد السّياقات الدّفاعية لنسق تجنّب الصّراع **(C)** الأكثر ظهورا في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث

	أفراد مجموعة البحث		
نوع السّياقات الدّفاعية	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
CP1	50,9	50	50,52
CP2	13,6	11,57	12,76
CP3	10,8	9,71	10,35
CP4	11,17	12	11,82
CP5	4,4	6,42	5,23
CN1	2,4	1,28	1,94
CN2	0,4	0,85	0,58
CN3	0,2	0,14	0,17
CN4	1,6	0,57	1,17
CN8	0,9	1,28	1,05
CN9	2,1	2,42	2,23
CN10	0,9	0,11	0,64
CM1	2,4	2	2,23
CM2	1,9	3	2,35

15,29	12,14	17,5	**CC1**
3,52	4,28	3	**CC2**
1	1,42	0,7	**CC3**
5,23	3	6,8	**CF1**
1,58	1,14	1,9	**CF2**
2,41	2,28	2,5	**CF3**

ملحق رقم (9):

متوسّط عدد السّياقات الدّفاعية لنسق العمليّات الأوّليّة **(E)** الأكثر ظهورا في بروتوكولات أفراد مجموعة البحث

أفراد مجموعة البحث			
مجموع	**ذكور**	**إناث**	**نوع السّياقات الدّفاعية**
1,11	1,14	1,1	**E1**
0,41	0,28	0,5	**E4**
0,41	0,28	0,5	**E6**
1,58	2,00	1,3	**E8**
3,11	3,42	2,9	**E9**
0,47	0,14	0,7	**E14**
1,64	0,71	2,3	**E17**

ملحق رقم(10):

حوصلة معدّل نسب و/ أو عدد أهمّ عناصر البسيكوغرام في اختبار الرّورشاخ لدى المراهقين المصدومين وغير المصدومين (*).

أفراد مجموعة البحث / المحور	مراهقون مصدومون			مراهقون غير مصدومين		
	إناث	ذكور	مجموع	إناث	ذكور	مجموع
عدد الإجابات (R)	13,85	13,50	13,72	8	12,66	10,33
نسبة الإجابات الشّكليّة (F%)	% 47,27	% 49,15	% 47,90	% 56	% 44,94	% 50,47
نسبة الإجابات الشّكلية الإيجابيّة (F+%)	% 59,51	% 65,8	% 61,79	% 68,51	% 66,66	% 67,59
نسبة الإجابات الحيوانية (A%)	% 50,18	% 50,08	% 50,14	% 37,27	% 28,71	% 32,99
نسبة الإجابات الإنسانيّة (H%)	% 12,43	% 21,36	% 15,68	% 24,77	% 29,88	% 27,33
الإجابات المبتذلة (Ban)	2,71	3,25	2,90	1,66	2,33	2

نسبة مجموع الإجابات في اللّوحات الملوّنة (RC%)	% 41,5	% 41,02	% 41,38	% 36,81	% 38,37	% 37,59

(*): نذكّر بأنّ عدد المراهقين المصدومين هو 11 مقابل 6 مراهقين غير مصدومين.

ملحق رقم(11):

حوصلة معدّل نسب ظهور السّلاسل الدّفاعية في اختبار تفهّم الموضوع لدى المراهقين المصدومين وغير المصدومين (*).

أفراد مجموعة البحث / **السّلاسل الدّفاعيّة**	**مراهقون مصدومون**			**مراهقون غير مصدومين**		
	إناث	**ذكور**	**مجموع**	**إناث**	**ذكور**	**مجموع**
سلسلة أساليب الصّلابة (A)	% 22,20	% 21,75	% 22,03	% 15,15	% 19,17	% 17,16
سلسلة أساليب المرونة (B)	% 4,51	% 4,72	% 4,59	% 3,11	% 7,22	% 5,41
سلسلة أساليب تجنّب الصّراع (C)	% 67,64	% 68,99	% 68,13	% 77,73	% 68,93	% 73,33
سلسلة العمليّات الأوّليّة (E)	% 6,04	% 4,76	% 4,27	% 3,98	% 3	% 4,06

(*): نذكّر بأنّ عدد المراهقين المصدومين هو 11 مقابل 6 مراهقين غير مصدومين.

ملحق رقم(12):

حصيلة نتائج توزيع المراهقين المصدومين وغير المصدومين حسب نوعية سيرهم النفسي في اختباري الرورشاخ و تفهم الموضوع (T.A.T)

نوعية السير النفسي في اختباري الرورشاخ وتفهم الموضوع أفراد مجموعة البحث	نوعية السير النفسي في اختبار الرورشاخ				نوعية السير النفسي في اختبار تفهم الموضوع (T.A.T)			
	جيّدة	متوسطة	سيّئة	مجموع	جيّدة	متوسطة	سيّئة	مجموع
مراهقون مصدومون	1 % 09,09	3 % 27,27	7 % 63,63	11 % 100	0 % 0	7 % 63,63	4 % 36,36	11 % 100
مراهقون غير مصدومين	0 % 0	2 % 33,33	4 % 66,66	6 % 100	0 % 0	2 % 33,33	4 % 66,66	6 % 100